عمائم تهودت

ملحمة روائية

الجزء الأول

تأليف

الدكتور/ رياض عبد الله ليلا

مكتبة ابن عباس

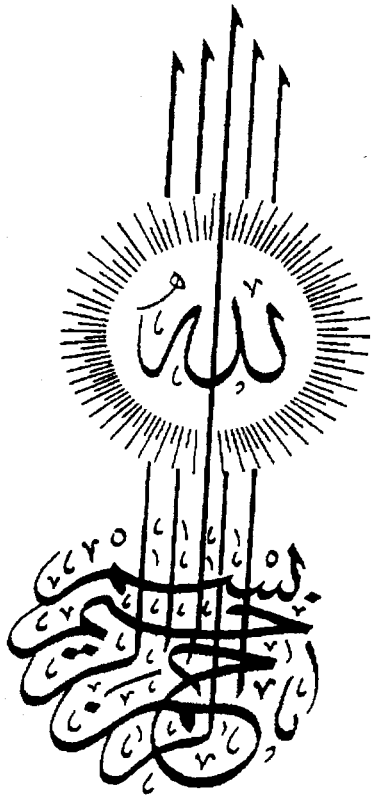

عمائم تهودت

ملحمة روائية

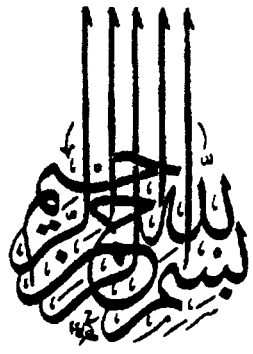

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٩٦٧٨ / ٢٠١٠

مكتبة ابن عباس

للنشر والتوزيع

سمنود - جمهورية مصر العربية ش الثورة - بجوار سنترال الدولية

المنصورة - عزبة عقل - أمام مركز شور

هاتف/فاكس: ٠٤٠٢٩٦٧٣٦٨

محمول/ ٠١٢٣٤٦١٨٩٦

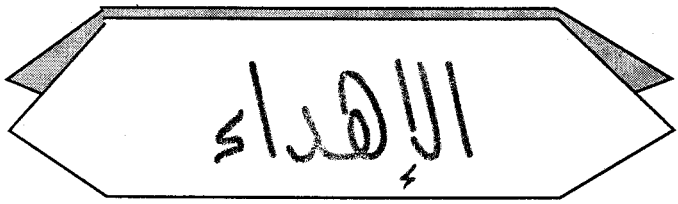

إلى سيدي مطفئ نار المجوس، عملاق الإسلام، عمر الفاروق.

إلى جدي مزيل الدولة الباطنية، صلاح الدين الأيوبي.

إلى عنفوان الأمة، من قادة ، وشباب ، وفتيات .

أضع أمامهم جميعا هذه الحقيقة .

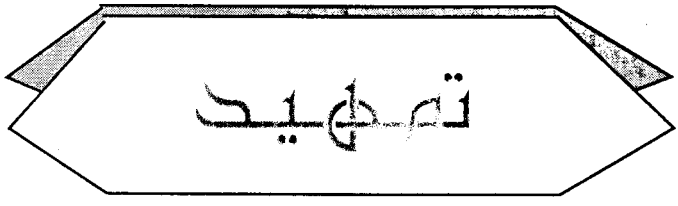

مع اندثار حضارات وظهور سلالات، مع انتظار الميعاد وولادة المشؤوم.

مع كل ذرة حقد أفرزتها العمائم السوداء والقبعات.

مع كل ذرة شك زُرعت في العقائد والعقول اليانعات.

وبتعبير آخر: أينما وجدت عمائم حاقدة ، وتربة حمراء واعدة، فانظر لنفسكَ وأهلكَ قبل أن يفوتَ الأوان، وتَسْتَفحلُ في بيتك الرذيلة والهوان.

وبقول آخر: إن لم تصحُ على قرعِ بابكَ في آخرِ الليلِ البهيم، سيؤول مصيرك نحو الزوال، ويسود بيتك وعرضك الانحلال.

وأخيراً: فإن كتابي هذا جدير بالقراءة والتمعن.

د. رياض عبد الله ليلا

شخصيات الرواية

الشاه: **محمد عطا بهنسي**

وزوجه: **الشهبانو غادة فرج**

هشام بوشهري

رئيس المخابرات العامة في عهد الشاه

الفريق الركن سلطاني محمد

قائد الجيش في عهد الشاه

الضابط فادي

رئيس الحرس الملكي في عهد الشاه

آية الله مهدي ميرزا

قائد الثورة الباطنية

مساعدوه وأركان دولته:

آية الله محمد الطوساني

قائد حرس الثورة، وقائد ميليشيات صفاء الثورة

باقر آبادي

رئيس المخابرات العامة

كريم الحيدري

وزير خارجية

شهبور فارس

سفير إيران في تركيا

عليان الشهرستاني

المستشار الاقتصادي لآية الله مهدي ميرزا

رستم

إرهابي، ومنفذ إرادة الآيات

كسرويه

إرهابي، ومنفذ إرادة الآيات

علي الباجاني

أحد المنشدين الإيرانيين في المناسبات الدينية

مسؤولو التشيع في بلاد الشام:

آية الله أحمد المرشدي

رئيس بعثة التشيع في بلاد الشام

آية الله سعيد الطبطبائي

مساعد آية الله أحمد المرشدي في بلاد الشام

عباس المشهدي

المسؤول المالي لبعثة التشيع في بلاد الشام وابنه

مصطفى وابنته هايدي

قنبر

أحد الإرهابيين المساعدين لآية الله أحمد المرشدي

حيدر

أحد شيعة الشام

سامر

أحد المتشيعين في الشام

غالب

أحد المتشيعين في الشام

فاروق

طالب مدرسة

سعد

طالب مدرسة

نواب الآيات في العراق:

آية الله نيروز الموسوي

عراقي مرتبط مع الآيات في إيران

آية الله جعفر الطيار

خليفة آية الله نيروز في العراق

عبد الحسين

مساعد آية الله نيروز

سارة

زوجة متعة

الطفلة فاطمة

ضحية المتعة

يهود إيران:

عميرو

أحد كبار حاخامات إيران

راحيل ابنة عميرو

إحدى وصيفات الشهبانو

بنيامين

حاخام إيراني

أرئيل

حاخام إيراني

كاهانا

حاخام إيراني وزوجته جولدا

كوهين

فني تصوير

يهود سوريا:

أفيخاي بن جدعون

وزوجته فيفيان..وأولادهما: دينا. .زلفة مزراحي

إبراهام

وزوجه دينا

يهود إسرائيل:

روبيل بن شمعون

رئيس الكنيست الإسرائيلي

شالوم يعقوب

رئيس المخابرات الإسرائيلية، ورئيس حزب سنتر يهودا

نفثالي بن جاد

أحد الوزراء الفائزين بالوزارة الإسرائيلية

لبان بت بتويل

عضو في الكنيست الإسرائيلي

رجال جهاز المخابرات العراقية:

خلف الأحمد

رئيس المخابرات العامة

عوض العمري

مقدم في الاستخبارات العراقية

زكريا حكمت

مقدم في الاستخبارات العراقية

غازي الموصلي

شيخ دين موالي للنظام العراقي

رجال وعلماء السنة في بلاد الشام

الدكتور شاهر إسماعيل، وزوجته اعتدال، وابنه فؤاد

الدكتور مؤيد حبنكة، زوجته يسرى

دعاء الجزائري.

مدرّسة

فارس السعيد وفالح العبيان

من شيوخ البوكمال

أبو سعيد

فراش المدرسة

رجال وعلماء السنة في العراق:

الملا تاج الإسلام التركماني

الملا توفيق عبد الستار

الدكتور أسعد الهاشمي

رجال وعلماء إيرانيون..وفتيات إيرانيات:

المنتصر بالله نظام الملك

عدنان كهرازي

عبد الواحد ولي محمد

عصماء

شيماء ، أسماء

هزار

شيرين ، شاهيناز

بيير الكاسب

مهرب لبناني

حكماء بلباس القدماء

استيقظ كاهانا مبكراً فجلس في فراشه متململاً، فنظر إلى النافذة فرأى بخار الماء قد تجمع على زجاجها، فأمعن النظر به قليلاً فانتابته قشعريرة أصابت جسده، فوضع دثاره على صدره ولفّه حول جسمه، ثم أعاد النظر إليه مرة أخرى، فرأى نور الشمس يتسلل إلى غرفته بنوره الذهبي، وأخذت قطرات الندى تنسلُّ مخلّفة وراءها خطوطاً دامعة، فظلَّ في مكانه يرقب الحدث وما هي إلا لحظات قليلة حتى سمع جرس الهاتف يرن....وقف منزعجاً محدثاً نفسه: من يتصل بنا في هذا الوقت...ثم مشى نحوه بخطوات متثاقلة ولسان حاله يقول: ربما إذا تأخرت عن الرد يتوقف عن الطلب.. لكن خاب ظنه .. فرفع السماعة: ألو من ... ؟

المتصل: معك موسى سعادة الحاخام.

أطرق كاهانا للحظات بعد سماعه صوت المتصل...

موسى: أعرفتني يا سيدي..؟

كاهانا ممتعضاً: ليس عندي أي فكرة..فاتصالك المبكر أنساني جميع من أعرف... ولكن ما الذي دعاك للاتصال بي في هذا الوقت المبكر..؟

موسى: سيدي أردت أن أذكركم بموعدنا هذا اليوم..

كاهانا مستغرباً: عن أي موعد تتكلم..؟

موسى: لقد طلب مني سيدي أرائيل أن أتصل بكم منذ البارحة ولكن الوقت لم يكن مناسباً..

انتاب كاهانا الغضب، وحاول السيطرة على نفسه، لكن سرعةَ أنفاسه كانت كفيلة بإيصال حالته إلى موسى فقال له: ليلاً لم تستطع الاتصال...ومع شروق الصباح الباكر رأيت الأمر أنسب وأقل حرجاً..لعنك الله، ولعن من كلفك

بالاتصال..!!

أحسَّ موسى بسوء تصرفه: عفواً سيدي..!!

كاهانا بغضب وحنق : اختصر وقلْ ما عندك قبل أن أغلق السماعة...

موسى : اليوم في الكنيس اجتماع الحاخامات بعد غروب الشمس وأردت أن أذكركم..

كاهانا : ألا ينتهي أرائيل عن أفعاله المزعجة...فكل شهر يكرر هذا الإزعاج..وهل يظن نفسه أحرص مني على هذا الاجتماع..أخبره أني سآتي ولم أنسَ..

موسى ببرود : شالوم سيدي الحاخام..

كاهانا : اذهب إلى الجحيم..

أغلق كاهانا الهاتف وأخذ يتلمس خصلات شعرة المتدلية من رأسه وراح يفتلها بعناية..مطرقاً بنظره إلى الأرض..

كاهانا طويل القامة أسمر البشرة تجاوز عمره الأربعين عاماً بقليل، على وجهه أثر الجدري.. دقيق الأنف في وسطه بروز ظاهر شابه منقار الببغاء..غلبت عليه عادة اللعب به وتنظيفه طوال الوقت، يضع على رأسه قبعة سوداء طويلة تسدَّل منها شعرهُ الطويل..

توجه نحو الصالون وراح ينادي على زوجته بهدوء: جولدا...جولدا...وعندما لم يسمع صوتها، اقترب منها وجلس بالقرب من سريرها وأخذ يهزها بلطف وبصوت أشبه بالهمس...

بعد لحظات فتحت عينيها غاضبة: ماذا تريد في هذا الصباح الباكر...؟

كاهانا وعلى وجهه بسمة مصطنعة : أريد الحديث معك، وأن تصنعي لي بيدك فنجاناً من القهوة...

نظرت إليه بعينين ذابلتين: يا رجل عدْ للنوم فالوقت مازال مبكراً...هل جننت

حتى تستيقظ في هذه الساعة..؟

كاهانا بنعومة واستجداء: هيّا اجلسي..هيّا..كفاك دلال يا حبيبتي..

جولدا بتعجرف: جهّز القهوة وقدمها لي فلا أقوى على الوقوف..

انطلق كاهانا إلى المطبخ وعاد حاملاً قهوتها وسحبها من يدها بحنان وأجلسها، واضعاً وسادة وراء ظهرها..ثم قدم لها الفنجان...

تناولته على مضض منها ونظرت إليه بعينين يغالبهما النعاس: تكلم ما عندك أريد العودة إلى النوم...!!

كاهانا: لا شيء...لا شيء..ولكن أردت أن أرى وجهك قبل أي وجه..

نظرت إليه بتهكم وازدراء: ألهذا أيقظتني..كاهانا..!!..ومنذ منى تتعامل معي بلطف...؟

نظر إليها بحسرة وألم متمعِّنا بها من رأسها حتى أخمص قدميها، فرأى جسداً ضخماً قد امتلأ بالشحوم المتهدلة، وشعر متجعد منفوش قد تلّون بلونين غطى بعضه الشيبُ، والآخر مازال عليه أثر الصبغ...ثم تقدم منها ففاحت من فمها رائحة كريهة..فما كان منه إلا أن ابتعد عنها بسرعة وهو ينفخ كمن شمَّ مادة سامة أراد إخراجها قبل أن تستحكم في جسده.. وقال لها: الأفضل أن تعودي إلى نومك يا عزيزتي...

أحسّت جولدا بنفوره فاشتعلت غضباً: أشعرت بالقرف...ولم تنتظر جوابه...ألا ترى رائحتك الكريهة ووجهك القبيح ونتن إبطيك..والعزير..لولا أنني بنت يهود ما قبلت بك زوجاً..ولكن لعن العزير كل من أوصلني إليك..

كاهانا متحاشياً الصدام: هل قلت لك شيئاً يا امرأة..؟

جولدا: أنت حاخام ديننا ولولا ذلك ما حلمت بلمس يدي...!!

شعر كاهانا بالإهانة ولكن حِدَّةَ لسانها منعته من الرد: عودي إلى النوم..يبدو أنني أزعجتك..!!

نظرت إليه باحتقار وعادت إلى نومها وكأن شيئاً لم يكن..

* * * * *

دخل كاهانا إلى الكنيس مرتدياً لباساً طويلاً واضعاً على رأسه قبعته السوداء

الطويلة مسدلاً شعره المفتول بعناية على خديه ورقبته..نظر إليه المجتمعون وتمثلوا له وقوفاً...فمشى بخطوات بطيئة ووقف أمام عصىً قد التفَّت حولها أفعى، فأطرق برأسه إلى الأرض بعد أن تناول من أمامه كتاب التوراة وأخذ يهتزُّ إلى الأمام وإلى الخلف بحركات آلية، وفعل الجميع كفعله، وظلَّ هذا حالهم لأكثر من نصف ساعة يتمتمون بعبارات غير مفهومة..وما إن توقف عن حركته حتى توقف الجميع من ورائه...ثم استدار نحوهم وبدأ يتلو عليهم مواعظه التي دوَّنها مسبقاً على ورقة...

انتهت فترة العبادة وانطلق الحاضرون يتسللون لواذاً واحداً تلو الآخر..وعمَّت القاعة الهدوء بعد خروج المصلين ولم يبقَ فيها إلا اثنا عشر حاخاماً..

نظر كاهانا إلى الخادم وقال له: أغلق علينا الباب وقف عنده..

دخل الحاخامات إلى غرفة الاجتماعات وجلسوا حول طاولة مستديرة..ولما استقرَّ بهم المقام توجه إليهم كاهانا بالكلام: أبناء يهود أنتم تعلمون أنَّ إيران هي موطننا الآن، فمنذ السبي البابلي ونحن نقيم فيها..لأننا شعرنا أنها أشبهت بلادنا في المناخ والحياة، ونحن لا نشعر فيها بالغربة..أتدرون لماذا...؟...لأننا أقمنا فيها أكثر من ألفي عام..ولكننا نجد لزاماً علينا في هذا الوقت أن نقدم لديننا ما يفرضه علينا..

نظر إليه الحاخام بنيامين بعينيه السوداويين وجبهته العريضة وأنفه العريض: نحن نفهم قولك...وهذا ما نقوم به مع أبنائنا في جميع أنحاء العالم..فكما تعلم اتصالاتنا لا تنقطع مع جميع الجاليات اليهودية وحاخاماتها، ونحن متفقون معهم على كل بروتوكولات حكمائنا وننفذها بكل دقة وتفانٍ..

قلَّب كاهانا وجوه الحاضرين: أعرفُ حرصكم وتفانيكم في خدمة دينكم وحكمائكم..ولكن كما تعلمون منذ أشهرٍ مضت وهم يلحّون على إحياء بروتوكولات أجدادنا خدمة لدولتنا الفتية..التي لم يمضِ على ميعاد الله لنا فيها إلا ثلاثون عاماً، بعد أن خرجنا منها وتشرذمنا في العالم وأصابنا ما تعرفون من ذل وهوان واحتقار..وقد آن الأوان لننفض عنا غبار الماضي ونستخرج دين الأجداد من

جديد..

تدخل الحاخام عميرو في الكلام: معكم الحق في كل ما قلتموه ولكن علينا أن نستحضر الماضي...

عميرو أكبر الحاخامات سناً وأكثرهم علماً لكن كبر سنه ومرضه جعل كاهانا يتقدم عليه، ولكن على الرغم من تقوس ظهره وتجعد وجهه ورجفة أطرافه كان له رأي حازم وعقل راجح لا يخرج عنه بقية الحاخامات..

سأله كاهانا: ماذا تقصد..؟

عميرو: أنتم تعلمون أننا خرجنا من الجزيرة العربية على مضض منا وتحت ظلِّ السيف الذي سلطه محمد على رقابنا فقتل منا من قتل ورحَّل منا الكثيرين..

كاهانا: دع عنك الماضي..والعزير كلما تذكرته ينتابني الحقد الشديد، وأتمنى أن ألوك أكباد العرب بأسناني..

عميرو باستخفاف: على رسلك يا كاهانا..فنحن الآن لسنا في موضع المضغ واستعمال اليد..فأنت تعلم أن القوة لا تصل بنا إلى نتيجة..وهذا ما أثبته التاريخ...!!

كاهانا باستغراب: أنت عالم من علمائنا وأكبرنا سناً وأعلمنا بالتوراة...فماذا ترى..؟

هزَّ عميرو رأسه كمن أحب أن يسمع منه هذا الإطراء: نعم أنا أعلمكم بديننا بل وبدين الآخرين أيضاً..فقد تعلَّمتُ أنَّ خيرِ وسيلة لتدمير المقابل هو الحفر له من الأسفل لتخور قواه فيسقط، ثم ننقضُّ عليه ونحن أقوياء، وهذا ما أثبتته التجارب عبر الزمن...وجميعكم يعلم قصةَ ملكنا سليمان عندما مات في محرابه، فلم تعلم الجن بموته إلا بعد أن نخرت النملة البيضاء عصاه فخرَّ على الأرض فعلمت الجن بموته آنذاك...

أصيب كاهانا بالملل والامتعاض: أخبرني بربك دون لفٍّ أو دوران..

تصنَّع عميرو البسمةَ وقال مستهزئاً: أمثالك لا يصلحون أن يكونوا يهوداً..

فاليهودي متمهِّل بطبعه مفكرٌ في المستقبل وما يخطط له..ثم توجه بسؤاله للجميع: ألا تتفقون معي أن حكماءنا وضعوا جملة من المخططات وبسنوات محسوبة وبدقة متناهية قد تحققت جميعها...ولولا ذلك لم يكن لنا دولة الآن وبقينا متشرذمين هنا وهناك...ولكن لا بأس..علينا أن نفكر الآن في دعم دولتنا بالرجوع إلى عظمائنا وأجدادنا الذين خطوا لنا الطريق ونحن نسيناه..وقد آن الأوان لبعثه من جديد..

كاهانا متسائلاً وعلى وجهه الحيرة: من تقصد..؟

عميرو: إلى الآن لم تفهم القصد..؟

كاهانا مظهراً البراءة: لا والعزير..!!!

عميرو: أقصد أننا الآن في خطرٍ محدقٍ فدولتنا فتية في رجالها..وهي مطوَّقةٌ بالأعداء والقتلة والمجرمين من كل اتجاهاتها...ولا تسألني من هم...لأنك تعلم أن العرب هم من أقصد..!!

تدخَّلَ أرائيل بخبث: أنا فهمت قصدك..

عميرو: أحسنت...وماذا فهمت..؟

أرائيل: تريد أنْ ننبشَ قبورَ أجدادنا ونحيي أفعالهم وصروحهم، التي دفعوا ثمنها دماءهم وأرواحهم..

عميرو بسرور: نعم أنت فهمتني جيداً..أقصد أننا لن نستطيع تفريق أمة العرب إلا إذا أحدثنا شرخاً في دينهم، وهذا لن يكون إلا من داخلهم..فسيدنا وابن سيدنا عبد الله بن سبأ كان سبّاقاً في هذا المضمار وقد فهم القصد منذ البداية فدخل الإسلام وأحدث فيه ما قد علمتم..

كاهانا: نعم...نعم..الآن قد فهمت..ولكن نحن نعيش الآن في إيران ننتظر ميعاد خروج ملكنا لنقاتل معه ونحكم العالم، وهذا ليس أوان خروجه...!!

أجابه **عميرو** بحنق وغضب: هل نجلس إلى حين خروجه، ينظر بعضنا إلى بعض، ألا نمهّد له طريق الخروج وندعم دولته والقائمين عليها..وأنتم تعلمون أنَّ

خروجه مرتبط بأحداث، ووجوده كائن مع وجود دولة قوية تأكل كل من حولها.. ؟

كاهانا: بالطبع...!!

عميرو: فإذا كان بالطبع..فعلينا أنْ نعملَ وفقَ ديننا وما أملاه علينا كتابنا..ثم أخرج التوراةَ من جيبه وقلَّبَهُ قليلاً..ثم وضع يده على سفر فيه وأعطاه لكاهانا: اقرأ..

تناول كاهانا التوراة وقال له: من أين أقرأ..؟

عميرو: من سفر زكريا المقطع التاسع...

نظر كاهانا فيه وقرأ: (ابتهجي يا بنت صهيون واهتفي يا بنت أورشليم هو ذا ملكك يأتيك عادلاً مخلصاً وديعاً راكباً على حمار على جحش ابن أتان سأقضي على مركبات الحرب في أفرايم والخيل وأقواس في أورشليم فيتكلم ملكك بالسلام ويكون سلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض).

وما إن انتهى حتى قال له **عميرو** : هل عرفت القصد يا حاخام إيران..؟

كاهانا: نعم..!!

عميرو بازدراء: أقسم بالعزير إنك لم تفهم شيئاً مما قرأت...!!

كاهانا: لا...لا..بل فهمت..!!

عميرو: هل فهمت أنَّ ملكنا لن يخرج إلا إذا كانت دولتنا من البحر إلى النهر، ومن ثمَّ العالم جميعه..وإلى أن يتحقق لنا ذلك علينا أن نبدأ بالدول المحيطة بنا بلاد الشام، العراق، السعودية، مصر الكنانة، اليمن، البحرين، التي أُخرجنا منها وباقي الدول الإسلامية...

قاطعه أرائيل وعلى وجهه أثر الارتياح: بالطبع يجب أن نُمهِّدَ له طريقَ الخروجِ.. ولكن يا سيدي أنت تعلم أننا في بلاد فارس..وماذا بيدنا لنفعله..؟

عميرو: هذا هو المطلوب نحن في بلاد فارس، وهي من استجاب لندائنا ودعوة جدنا ابن سبأ في البداية، وعلينا أنْ نبعثَ تعاليمه فيهم من جديد..فهي الأرض الخصبة لنزرع فيها بذورنا..

كاهانا: ولكن شاه إيران حليفنا وحليف دولتنا، ولنا مكانتنا العليا في بلده وعلى حساب شعبه ومواطنيه...

عميرو: صدقت في كل ما قلت...لكنَّ المصالح لا تعرف الحبيب أو الصديق...فمهما قدَّم لنا سيكون قليلاً قياساً بما سنحققه في المستقبل..وهذا ما أراده حكماؤنا منا نصرة لديننا ودولتنا ومليكنا المنتظر..

أراد **كاهانا** الكلام لكن **عميرو** استبق كلامه: علينا أن ننهي اجتماعنا اليوم، وليكن الأحد القادم موعدنا ولا يتأخر أحد منكم، وعليكم أن تفكروا في الأمور من هذا المنظار الذي تناقشنا فيه هذا اليوم..

شعر **كاهانا** بالغيظ لأن عميرو سرق منه زمام المبادرة متجاهلاً إياه..لكن عميرو شعر بخبثه بما يدور في ذهنه فتوجه إليه بالحديث: طبعاً هذا الموعد بموافقة حاخامنا كاهانا...

عادت نفس **كاهانا** إلى هدوئها شاعراً بمكانته كرجل دين بارز في حلقة الحاخامات..فأومأ برأسه بالموافقة..ثم انفضَّ المجلس وغادر الجميع إلى بيوتهم.

* * * * *

شاهنشاه

جلس **الشاه** وزوجته الشهبانو غادة وحولهما أولادهما على الطاولة يتناولون طعام الغداء، كانت راحيل تقف وراءهم تقدم لهم ما يحتاجونه...

راحيل فتاة ذكية ، جميلة الوجه ، طويلة الشعر ، على محياها بسمة دائمة ، بيضاء اللون ، لم تبلغ العشرين من عمرها .. كانت لها مهمات متعددة تساعد العائلة المالكة في كل شيء .. وتساعد الشهبانو في زينتها ولباسها واختيارها لصرعات الموضة.. فحب الجميع لها لا يخفى على كل من في القصر..

بعد انتهاء الجميع من طعامهم أمرت راحيل الخدم برفع الطعام وتقديم الحلوى للملك والملكة..

ابتسم الشاه في وجهها: هل نسيت أنني مصاب بالسكري يا راحيل..؟

أجابته **راحيل** بأدب مع انحناءة مصطنعة: عفواً مولاي لم أنسَ ولكن جلالة الشهبانو تحب الحلوى الخفيفة وراء الغداء...

تبسَّم **الشاه** مرة أخرى والتفت إلى الشهبانو: لو انتظرت حتى أغادر القاعة..لأنني لا أسيطر على نفسي حين أرى الحلوى..

أشارت الشهبانو بيدها..ففهمت راحيل قصدها فرفعت الحلوى...وما هي إلا لحظات حتى غادر الشاه إلى غرفته ليقيل...ثم عادت فطلبتها...فتناولت منها قطعة صغيرة..ثم التفتت إلى وصيفتها راحيل: لم ينسَ الشاه أصله بعد..!!

راحيل بأدب: عفواً مولاتي..!!

صمتت الشهبانو قليلاً ثم قالت: الفقير يبقى فقيراً وإن طُوِّق بالذهب والفضة...

فهمت **راحيل** قول سيدتها فأومأت برأسها دون أن تتكلم...فما كانت من الشهبانو إلا أن قالت لها: يعجبني ذكاؤك..وأنت تفهمين عليَّ دون تصريح ولهذا

أنت مقربة مني..

راحيل بأدب زائد وانحناءة صغيرة: مولاتي أنا وصيفتك وخادمتك وبيت أسرارك..

بشَّت الشهبانو في وجهها وأشارت إليها بحركة فهمتها راحيل على الفور...ثم عادت إليها وقالت: الحمام جاهز يا مولاتي..

جلست الشهبانو في حمامها ومن حولها عدّة وصيفات يقمن بتدليكها إلى أن ارتخت مفاصلها وغالبها النعاس..فمشت إلى سريرها شبه عارية وارتمت عليه مستسلمة...

* * * * *

مواخير عائمة على مياه آسنة

في جنوب مدينة قم المقدسة، تناثرت عدة قرى فقيرة معدمة لا تملك إلا قوت يومها، الذي يقدمه الزائرون إليها في بيوت الصفيح، التي كُسيت سقوفها بأعواد القصب المقطوعة من على جوانب الأنهار، والمكبات المائية والمياه العادمة..فلم تدفع عنهم حرارة الصيف ولا أمطار الشتاء.

كان بين تلك المكبات القذرة شيخ كبير، يجلس في دكانه الفارغة إلا من إبريق شاي وكأسين: أحدهما من البلاستيك، قد اعتمر بعمامة خضراء متهرئة...قد رشَّ أمام دكانه دلوَ ماء ليدل على وجوده فيه وبدء دوامه..

كان البيت حاراً جداً..وزادت من حرارته جدران الصفيح حتى غدا كفرنٍ أو موقدٍ كبير..

جلست أم هزار نافشة شعرها على ظهرها وكتفيها، كاشفة عن صدرها رافعة ثوبها إلى نصف فخذيها واضعة طشت غسيلٍ بين ساقيها، وهي تلعن وتشتم حظَّها العاثر..وأولادها الخمسة يلعبون في المياه الآسنة التي تجمعت أمام بيتها..غير مبالين بالحشرات والديدان التي ملأتها، وعندما انتهت من غسيلها توجهت إلى إعداد الطعام..وما إن أتى المساء حتى كان التعب قد أضناها وحلَّ مفاصلها فألقت بنفسها على بطانية مرقعة ووسادة حُشيت بلحاء القصب وقليل من التبن..

كانت هزار تنظر إلى حال أمها وإخوتها، فتسقط من عينها عبرة يزيد من لهيبها شدة الحرارة فينتابها الألم...لم تبلغ هزار العشرين عاماً من عمرها، طويلة القامة عريضة الجبين يغلب على بشرتها البياض دون بقية إخوتها وأخواتها..فقد حملت الأم من كل بستان زهرة فما شابه أحدهما أخاه..

وفي الجانب الأخر من بيتها كانت صديقتاها شيرين الموصوفة بالجمال والقوام

الحسن والعينين الفاتحتين .. والبشرة البيضاء .. وصديقتها شاهيناز .. ذات العشرين ربيعاً التي غلب عليها السمار بلونه ، فأشبهت تحفة فنية قد عتَّقها الدهر بلونه البرونزي.. وأجمل ما فيها قوامها الجميل وطلعتها البهية وضحكتها الجميلة وشخصيتها القوية ...

كانت الصديقات الثلاث ينظرن إلى حياتهن البائسة بالحزن والألم، فلا معيل لهنَّ إلا أمهاتهن..اللواتي أصابهن الدهر بالدمار وقلَّة الحيلة..فمنذ نعومة أظفارهن خرجن إلى الدنيا ليعملن في الحسينيات كزوجات متعة..نظير لقيمات يقمن بهن صلبهن..فحملن بأولادهن من نزوات عابرة..فزاد همومهن وكدهن كِبرُ العائلة التي ابتليت بها، ظناً منها أن آباء الأولاد سيتكفلون بهم..لكن خاب فألهنَّ..وظلَّ هذا حالهن إلى أن كبرن وانتهين إلى بيوت الصفيح..لكن بقي بداخلهن حقدٌ دفينٌ على الزمن والمجتمع..فمنعن بناتهن من السير في نفس طريقهن الماجن..وكم ليلة أخذت الأمهات بأيدي بناتهن يخبرنهن عما لاقينه في سابق أيامهن..وكيف أن أصحابَ النزوات لا همَّ لهم إلا قضاء وطرهم من هذه ومن تلك..ولا يلقون بالاً عمّا تخلِّفه نزواتهم بعد ذلك..

وأمام كل بيت صفيح جلست الأمهات وبعض الفتيات ينتظرن حبيبا عابرا أو إماما زائرا .. قد أضناهن الجوع..فلا يمرُّ غريبٌ حتى تتهافت عليه الفتيات والأمهات من كل جانب يصحن عليه: تعال إلى المتعة..تعال إلى من تحب..فعندنا راحتك..

فيسيرُ الزائر بينهن مقلِّباً الوجوه، مداعباً هذه بلمسة، وتلك بهمسة..إلى أنْ تستقرَّ عيناه على إحداهن..فينطلق بها إلى دكان السيد نظير مبلغ زهيد، فيعقد لهما على مدة وأجر معلومين..فيدخل بها زاوية أُعدَّتْ خصيصاً لهذا الزواج، وبعد أنْ يقضيَ منها وطره يُطلِّقُها وينطلقُ عائداً من حيث أتى...

كانت تلك الحالات تتكرر في اليوم عشرات المرات...حتى أصبحت تلك المناطق محطات لذوي النزوات العابرة..ومكاناً آمناً لبائعات الهوى..

* * * * *

راحيل والحكيم

أخرج **عميرو** من صندوقه الحديدي أوراقاً قديمة صفراء وأخذ يقلِّبُها، ثم أخرج بعضها ووضعها جانباً..ولما اطمأن على ما أراد، أعاد صندوقه إلى مكانه المعتاد، وأحكم إغلاقه جيداً، ثم جلس على أريكة قريبة منه، ورفع قدميه على وسادة، وراح يقرأ ما فيها برويّة، بعد أن وضع على وجهه نظارتين وصار يقرب الورق من عينيه ويؤخرها متمعِّناً بمحتواها..وبينما هو في غفلته وانشغاله سمع صرير الباب يُفتح، فنظر من تحت نظارته ليرى القادم..

ظهرت **راحيل** بطلَّتها الجميلة، فتقدمت إليه معانقة مقبّلة..فضمَّها إلى صدره وأجلسها إلى جانبه: كيف حالك يا بنيتي..؟

راحيل: أنا بأفضل حال يا أبي..!!

عميرو: وكيف علاقة العائلة معك..؟

راحيل باهتمام: الجميع يحترمني ويقدمني..واليوم الشهبانو أسرّت لي بعباراتٍ ذميمة عن الشاه..

تبسّم **عميرو**: أكيد قالت لك عن أصله وفقره..!!

اندهشت **راحيل** من سرعة بديهة أبيها: نعم وكيف عرفت ذلك..؟

عميرو بهدوء الواثق: يا بنيتي عائلة الشاه فقيرة معدمة خرجت من وراء البقر والدواب، والظروف أوصلتهم إلى هذه المكانة، فلقَّبَ محمد عطا نفسه ملك الملوك ليعوِّض عن نقصه وحرمانه..فلا تندهشي من قولها..!!

راحيل: أنا يا أبي لا أندهش ولكنني كما تعلم موجودة في القصر بناءً على توجيهكم لي بأن أكون قريبة منهم...والذي أعلمه أيضاً أنه ورث الحكم عن أبيه عطا بهنسي، بعد أن عزلته الدول الكبرى، خشية أن يحذو حذو هتلر في جرائمه وعنجهيته

فتخسر مصالحها عندئذ...

ظهرت على وجه عميرو الجدية فقال مقاطعاً: لا يهمنا حالهم، ولا كيف وصلوا إلى الحكم..ولكن كيف سارت مهمتك اليوم يا بنيتي..؟

راحيل: على أحسن حال يا أبي..

عميرو: الأيام القادمة مهمة جداً، وعليك أن تفتحي عينيك، وتركزي بسمعك عما يدور، ولا تتواني عن معرفة الصغيرة والكبيرة...وأخبريني بالمستجدات يوماً بيوم..وإن وصلك شيء مهم فأخبريني به على الفور دون تأخير..؟

أطرقت **راحيل** برأسها إلى الأرض وكأنها تفكر في أمر...

قطع أبوها صمتها: ما بك مطرقة يا مهجة قلبي...؟

عقدت **راحيل** حاجبيها كمن يعصر عقله ليستخرج منه ما كان خافياً..ثم رفعت رأسها وقالت على عجل: أبي لقد رأيت اليوم أمراً غريباً..!!

عميرو وقد استحوذ عليه الاهتمام: ما هو أخبريني بسرعة..؟

راحيل: لقد اجتمع الشاه اليوم مع قائد الأمن ورئيس المخابرات..

عميرو باهتمام زائد: وهل سمعتِ ما قالوا..؟

راحيل: لا...لكنني حاولت التقرب من الباب لأسمع ما يدور، لكن الملكة رمقتني بعينيها فمشيت نحوها دون أن أُبدي لها اهتمامي بما يجري..!!

عميرو: أحسنت هو ذا ما نريده منك...وحاولي أن تتقربي إلى الشاه بكل الوسائل حتى تستحوذي على ثقته...ثم أطرق صامتاً ثم رفع رأسه: وقبِّليه وداعبيه إنْ لزمَ الأمر..

نظرت إليه بخجلٍ: لكن يا أبي..ثم صمتت..!!

عميرو: أراك صامتة...وقولك لكن..!!..نعم لكن..!!..المهم أنْ نصلَ إلى ما نريد وبأية وسيلة.

راحيل بصوت خافت: لكنني أخشى من الشهبانو أن ترى مجون الشاه معي

وبالتالي أفقد وظيفتي وربما حياتي بعدها...وجشع الشاه لا ينتهي إلا إذا أشبع رغباته ولا يكتفي بما قلت...!!

عميرو مبتسماً: حاولي أن تراقبي الشهبانو من بعيد وتصرفي بعيداً عنها..وخاصة عندما تكون خارج البيت..!!

أصيبت **راحيل** بحب الفضول: أخبرني أبي ما الذي يجول في خاطرك..؟

ظهر على وجه عميرو أثر الجدية: دعي الأمور تسير بشكلها الطبيعي، وعليك أن تكتشفي الأمور بنفسك..فنحن أبناء يهود نخطط إلى الأمور من كل الزوايا، ونعمل في كل الحلقات الفارغة والممتلئة، ولا نترك للصدفة والمفاجأة والدهشة أي نصيب في عملنا..كما أننا نخفي كل ما يدور ونخطط له، إلا على صاحب العلاقة مباشرة..ولولا أنك ضمن الحلقة الملكية ما ألمحت لك..!!

ظهر الانزعاج على وجهها: لكنني ابنتك..!!

قاطعها بِحدَّة: ولو كنت أقرب من ذلك، فلا مكان للعواطف والقربى على حساب ديننا وما نسعى إليه ... والأيام ستعلمك كيف تكونين .. ولا تنسي أننا عملنا بكل ما نملك لتكوني في هذا المنصب الحساس..

أجابته بصوت أشبه بالصمت: فهمت الآن يا أبي..خطابك لي وحِدَّتُك...ثم صمتت..!!

ضحك عميرو: مازلت صغيرة على هذا الطريق...فنحن يا بنية نعمل منذ آلاف السنين لنصل إلى هذه المكانة..فقد ذقنا من الذل والهوان، واحتقار الناس لنا وازدرائنا الشيء الكثير..ولا بد للعالم أن يدفع ثمن كل ما فعلوه بنا وعن طيب خاطر منهم أو رغم أنوفهم..فتنظيمنا كالإخطبوط ممتد الأذرع في كل أنحاء العالم، وعندنا من أمثالك مئات الآلاف، يعملن في الأماكن الحسّاسة، لنطوق ساسة العالم بوثاق لا ينفكُّ عراه، ونسخِّرهم لنا بإرادة منهم أو عن غير إرادة...ثم وضع يده على كتفها وربت عليه بحنان: أنا جائع..ألست جائعة أيضاً يا حبيبتي..وماذا أحضرت لنا هذا

اليوم..؟

تبسّمت في وجهه: من يسمع كلامك يظنك لا تريد الطعام..ولكني أرى شهيتك تزداد مع كل الهموم التي تحملها...!!

همهم بصوت عال: دعك من الكلام وقدمي لنا طعامنا...

راحيل: لحظات يا أبي وسيكون جاهزاً..

تناول **عميرو** طعامه بنهم شديد مظهراً إعجابه بما يأكل، معبِّراً عنه بكلمات يلقيها بين الفينة والأخرى، وهمهمة تنم عن طعمه اللذيذ...وراحيل تنظر إليه مبتسمة تارة، وضاحكة تارة أخرى..لكن عميرو نظر إليها أخيراً كمن فاته شيء: أراك لا تأكلين..؟

ضحكت **راحيل** بصوت عالٍ: الآن شعرت بي..ولكن لا تهتم فقد تناولت طعامي مع الوصيفات قبل مغادرتي...

عميرو باهتمام مشيراً إلى طعامه: وهل هذا الطعام فضلتكم..؟

راحيل بميوعة: أبي...منذ متى تهتم بذلك..؟ ولكن اطمئن فقد رفعت لك طعامك قبل أن تلمسه الأيدي..!!

عميرو: أحسنت يا بنيتي...حاولي في المرة القادمة زيادة كمية اللحم والمكسرات. لأن نفسي لم تعد تتقبل الطعام وأريد أن أحفِّزَ شهيتي رغم أنفها..

نظرت **راحيل** إلى مائدة الطعام، ورأت عبث أصابع أبيها فيها..فانتابتها ضحكات طويلة...

تيه وآيات

تجمع الزائرون في النجف حول آية الله مهدي ميرزا، حاملاً كل واحد منهم مصحفاً، فيقدمه له بعد أن يُقبِّلَ يده، فيفتح القرآن عشوائياً فيقرأ منه كلمتين ثم يهمس في أذنه..فينتاب الفرح وجوه البعض، والوجوم على البعض الآخر..ومع منتصف اليوم يغادر مجلسه متوجهاً إلى بيته محاطاً ببعض المقربين إليه، قد تعمموا بعمائم سوداء أرخوا بعضها على أكتافهم..

كان آية الله مهدي ميرزا طويل القامة، أسمر اللون، كثّ الحاجبين، أصلع الرأس، يحمل عصاه بيده يهزها عند سيره إلى الأمام وإلى الخلف..قليل التبسّم رَسَمَ الزمن على وجهه خطوطاً سوداء وتجاعيد، يطيل العبوس لم يُرَ مبتسماً إلا نادراً، فرض هيبته على جميع أتباعه، فإذا نظر إليهم خفضوا رؤوسهم إجلالاً له..كان همّه الأول والأخير الجلوس أمام مقام الحسين ومقام علي، متنقلاً بين كربلاء والنجف والكوفة...فيعقد لهذا على تلك زواج المتعة، محدداً المدة والأجر..وفي كل خميس من الأسبوع يجدد زواجه بفتاة جديدة..وفي أغلب الأوقات لا يدفع أجراً أو ثمناً لمتعته...فأكثر فتيات المتعة يقدمن أنفسهن إليه، تقرباً وطمعاً في بركته ومكانته الدينية...وهذا ما كان يعجبه، فيكثر من الزواج، ويعدد حلائله ومتعته بألوان مختلفة..وكان أحب شيء إلى قلبه الفتيات الصغيرات دون سن الرابعة عشرة من أعمارهن..على الرغم من بلوغه سن الشيخوخة..فلا تثار شهوته إلا على تلك الفئة الغضّة..فيكثر منهن في كل سفراته الداخلية...

كانت حياته مملّة في روتينها اليومي..لا يعكّرُ صفوه أي شيء طالما تحققت أحلامه بخُمسِ أموال الناس، الذي يقدم إليه طوال أيام السنة..حتى غدا من كبار الأغنياء والمالكين والإقطاعيين..ولم يكن رجال الأمن يلقون له بالاً أو يعيرونه اهتمامهم،

فحالة الهدوء كانت تعمُّ تلك المقدسات، ورجال الدين فيها، وهم لاهون منشغلون بزواج هذا وطلاق تلك، وحركة إفتائهم كانت على أشدِّها..ولكل شيء حسابه..فلا حدود لها، طالما حمل المستفتي، أو العاصي، أو الزاني، ما يبرق أنظار الآيات..غير مبالين أو مهتمين بما يدور حولهم من أحداث وتغيرات، فكل ذلك لا يعنيهم في شيء، وهم قابعون ينتظرون مهديهم ليخرج إليهم آخر الزمان، ويحقق لهم أمنياتهم في حكم العالم.

* * * * *

استأذن هشام بوشهري رئيس جهاز المخابرات، والفريق الركن سلطاني محمد قائد الجيش والقوات المسلحة على الشاه..سارت أمامهما راحيل بكياستها متوجهة بهما إلى غرفة خُصِّصت للاجتماعات، قد مُدَّت بأفخرِ أنواعِ السجادِ التبريزي بألوانه الزاهية، وزادت في رونقه الستائر المخملية المطرزة بخيوطها الذهبية، وعُلِّقَ في صدرِ الصالون صورتان كبيرتان للشاه وزوجته الشهبانو وهما مرتديان الزي الملكي، وعلى رأسيهما تاجان مرصعان بالجواهر النفيسة التي لا تقدر بثمن، وتوسَّط الصالون طقم من الكنبات الملفوفة بأخشابها النادرة، التي رُصَّت بنقوش ذهبية وسُكبت أرجلها بالفضة..

تقدم هشام وسلطاني إلى الغرفة، وظلا واقفين يتأملان تلك التحف الفنية الرائعة، وقد ارتسمت على وجهيهما علامات الدهشة والذهول، فقطع تأملهما دخول الشاه، فوقفا متسمّرين مكانهما دون حراك وانحنيا له مقبلين يده.

نظر إليهما بكبرياء دون أن يرد تحيتهما، وجلس على كنبته المخصصة له واضعاً رِجلاً على رجلٍ، وقال برفعة واستعلاء: قدِّما ما عندكما..؟..

تقدم نحوه هشام ووقف أمامه بعبودية ظاهرة: مولاي الأمور في قم وبقية المقدسات على ما يرام..ومنذ سنوات لم يحرك أحد فيها ساكناً، فالجميع في حالة ركود، ولا يشغل الآيات إلا الزواج والطلاق وما يجنونه من مال الناس..وفتاواهم

ليس لها حدود ولا ميعاد ولا أحكام..

تبسّم **الشاه** بعنجهية: لا بأس...هذا ما نريده، وأضفوا عليهم بعض التجديد، فلا مانع أن تسمحوا لهم بزيارات خارجية، وتعاون بين مقدساتنا ومقدسات العراق..حتى تكسروا عندهم الملل والروتين...

أومأ هشام برأسه موافقاً..

الشاه: نحن لا نشعر بأي خطر من جهة رجال الدين، وهم على حالهم منذ مئات السنين، ونحن أحسن حظاً من بقية الدول، التي أفرزت بحماقتها جماعات مناوئة لها، فحملت شعارات تهدد نظام حكمها..

هشام بأدب: نعم مولاي..ثم طلب منه الشاه أن يكمل تقريره فأذن له فقال: أما الخطر الحقيقي فهو القادم من جهة الغرب..

الشاه: أتقصد العراق...؟

هشام: نعم يا مولاي..كما يعلم جلالتكم أنَّ الأكراد يعملون على قيام دولتهم وهم المهددون الوحيدون لنا..على الأقل ليس في الوقت المنظور..

طلب سلطاني محمد قائد الجيش الكلام، فأذن له: هات ما عندك..؟..

سلطاني: مولاي أنت تعلم أننا دولة قوية، ولا مجال لأحد أن يفكِّرَ في الدّوس على شبر واحد من أرضنا، ولكننا نخشى الاستنزاف..!!

الشاه باهتمام: وماذا تقترحان..؟

سلطاني محمد: أرى أن نقدِّم دعمنا للمتمردين الأكراد لمحاربة العراق، فيدخلان في حروب لا نهاية لها، والمنتصر بعد ذلك يكون ضعيفاً أمامنا، فيسهل القضاء عليه دون أي جهد يُذكر..

وهم في خِضمِّ حديثهم دخلت عليهم راحيل، ومن ورائها إحدى الخادمات، تحمل فنجانين من العصير، فقدمتهما إلى الضيفين وانصرفتا..لكن راحيل أبطأت بخطواتها لتسمع بعض حديثهم وأغلقت الباب وتسمّرت خلفه قليلاً مسترقة السمع..وبعد لحظات شعرت بصوت أقدام متجهة نحو الباب فأسرعت مغادرة...

* * * * *

بروتوكولات الحكماء

مع غروب شمس يوم الأحد، كان الحاخامات ملتفّين حول طاولتهم يتداولون المستجدات..

نظر **كاهانا** إلى الجميع وسألهم: أرى عميرو لم يحضر حتى الآن على الرغم من أنه هو من حدّد موعد اجتماع هذا اليوم..!!

بنيامين: ربَّما يكون مريضاً...

فلم يتمّ كلامه حتى دخل عميرو متكئاً على عصاه، حانياً ظهره، واضعاً نظره في الأرض، قد علا صوت زفيره..

نظر إليه **كاهانا**: خير أراك تَعِبًا..لو بقيت هذا اليوم في البيت لترتاح..

نظر إليه **عميرو** بحنق وعلا وجهه الاصفرار وقال موجهاً كلامه للجميع: ليس عميرو من يتأخر عن خدمة دينه...ثم نظر إلى **كاهانا**: ولن أدع المغرضين يفكرون في الاستغناء عن رجاحة عقلي وحكمتي..

عرف **كاهانا** أنه المقصود بكلامه لكنه لم ينبس ببنت شفة...وفضَّل السكوت على الخوض في جدال سيخسره وينقص احترام الجميع له..وقال له بنفاق ظاهر: ومن يجرؤ على تجاهلك وأنت أعلمنا وابن عالمنا ونحن كلنا لرأيك تُبّع...

همهم **عميرو**: يبدو أننا متفقون على مكانة كل واحد في هذا المجلس، ويعجبني اعتراف **كاهانا** بمكانتي..

كاهانا: وهل تشك في ذلك..؟

تجاهله **عميرو**: لنستكمل حديثنا...؟

أرائيل: كنا نتكلم عن أجدادنا القدامى..وقد ذكرت لنا ابن سبأ..

عميرو: نعم...نعم..وماذا عندكم لتخبروني به..؟

كاهانا: عندنا الكثير..وقد تناقشنا في بعضه قبل وصولك بقليل..

عميرو: لا بأس..لا بأس..تحدث ولخّص قولك..

كاهانا: دار حديثنا أن جدنا ابن سبأ كان له الفضل الكبير على أمة يهود، وقدم لها ما لم تكن تحلم به في عهد محمد ولا أصحابه..

أشار إليه **عميرو** بيده أن يصمت، وقال موجهاً كلامه للجميع: كما تعلمون أننا خسرنا كل المعارك التي خضناها مع المسلمين، وقدمنا ملايين الشهداء منذ العهد الأول وإلى الآن، وكان حلمنا عندما كنا في الجزيرة العربية أن يخرج النبي من أوساطنا؛ ولكنَّ الله استأثر أمة العرب بها، ففعل بنا ما فعل، وأتمها ابن الخطاب فأخرجنا منها..ونحن منذ ذلك الزمن نكابد الأمرين في التشرد والغربة..والجزيرة هي أرضنا وأرض أجدادنا..وسنعود إليها عاجلاً أم آجلاً..لنعيد أمجادنا فيها..

تدخل بنيامين: لكن المسلمين لم يأخذوا فلسطين وأرض الميعاد من أيدينا، فنبوخذ نصر هو من أخرجنا من أرضنا وسبانا وأكمل إبادتنا الرومان أتباع المسيح..أما الجزيرة فلها شأن آخر..

عميرو منزعجاً: هل تريد أن تذكرني..؟..أم تراني لا أفهم تاريخنا..ثم أخرج من جيبه ورقة صفراء قديمة قد تمزَّق بعض أجزائها، وقرأ فيها: في سنة ١٢٢م استولى الرومان على فلسطين وخربوا الهيكل...وكما تعلمون أن الفرس قد شنوا علينا حربي إبادة، كانت الأولى سنة ٥٨٦ قبل الميلاد، والثانية سنة ٥٩٧ قبل الميلاد، وانتهت كما ترون بسبينا، وقام الرومان بعد ذلك بما تعرفون من تخريبٍ للهيكل وإخفاء أثره..ولست هنا بصدد استعراض تاريخنا، وإنَّما ليظلّ محفوراً في عقولنا وعقول من يلينا من أجيالنا..

تدخل بنيامين قائلاً: على هذا الأساس فإن العالم بكل أديانه محارب لنا ومشارك في دمارنا..

عميرو بحنق: وهل تشك في ذلك..؟..فقد اجتمع علينا الفرس والروم

والعرب...وهل هناك أقوام غيرهم في هذا العالم..؟..ولنبدأ بالفرس ولنكمل مسيرتنا الأولى..فقد استطاع جدنا وخيرنا عبد الله بن سبأ من شق شرخ كبير في دين الإسلام، ثم توالت مئات السنين دون أن ننبش الماضي ونستحضر إنجازاته لنحييها لأجيالنا..وقد جاء الوقت لننتصف به من الأمم..وعليكم أن تعلموا أن جدنا لم يصل إلى الكمال في أفكاره..ونحن من سيكمل هذا النقص..

كاهانا: لقد سمعت في آخر مؤتمر يهودي انعقد في النمسا عن هذا الأمر..

عميرو: أعرف هذا وما قولي الآن إلا توجيه مبرمج.. ونحن وما نملك..خدمة لتلك الأهداف..

كاهانا: أراك تتكلم عن الأموال..وهل نملك ما يكفي لإزالة حضارات..؟.

عميرو: معك حق لتستنكر..لكنك نسيت شيئاً مهماً جداً..أتعلم ما هو..؟

كاهانا: ما هو...؟

أشار **عميرو** إلى رأسه: إنه العقل، والدهاء، والتدبير، والمؤامرات، والتجسس، والمراقبة...!!

بنيامين مؤكّداً: ونحن نفعل ذلك كله.

عميرو: أعلم أنكم تفعلون، وعليكم ألا تشكّوا بالعقل اليهودي، فنحن نتفوق على البشرية بشيئين: العقل..وقربنا من الله..واختياره لنا دون الأنام بالمحبة والغفران..ولا تنسوا أن مالَ العالم وما فيه من كنوزٍ هو ملك لنا، وما هم إلا أمناء عليه لحين خروج ملكنا المنتظر..وإلى ذلك الحين علينا أن نثيرَ في قلوب أتباعنا حميّة الماضي ونزيّنه بالرتوش الزاهية..من خلال بسط سلطتنا على المال..وتكتيف البشرية به، فيدينون لنا، ويعملون في خدمتنا وتنفيذ مآربنا...

أرائيل: ممكن أن تفصح أكثر..؟

عميرو: لقد أناط بنا حكماؤنا مهمة كبيرة جداً، وجعلوا في أعناقنا خطة تنفيذها على ألا تتجاوز السنة من الآن...أي بمطلع العام القادم يجب أن نرى آثارها..

كاهانا بتعجب: وما تلك المهمة..؟

أظهر **عميرو** الاهتمام وبالغ فيه وقال: تدمير الإسلام وسحقه من الوجود..وهذا لن يكون إلا بالسيطرة على الدول العربية جميعها..

أرائيل: هذا أمر صعب المنال فعدد العرب يفوقنا أضعافاً مضاعفة، وعندهم من الإمكانات المادية والبشرية الشيء العظيم..!!

قاطعه **عميرو** بحنق مظهراً التهكم: ومتى كنا نحارب بأيدينا إلا إذا اضطررنا إلى ذلك..؟..سنخلق من يحارب نيابة عنا ويستأصلهم من جذورهم..؟

بنيامين باستياء: لقد حيّرتنا في هذا اللف والدوران..فقل بصراحة ولا تضيع وقتنا ووقتكم، فقد بدأت أشعر بالملل من لهذا اللغز الطويل..

تبسّم **عميرو** وعقد بين حاجبيه مظهراً الجدية: أنتم تعلمون أن أجدادنا لم يستطيعوا أن يقفوا في وجه محمد..ولم نستطع أن نواجه الإسلام إلى من خلال العبث بداخله..فابن سبأ قد أوجد ما لم نكن نحلم به أتدرون ما هو..؟

بدأ **كاهانا** ينفخ ممتعضاً: أتمم حديثك...ولننتهي من هذا الأمر..وكفاك رد سؤال بسؤال..

عميرو: لقد أحيي ديانة المجوس وزينها بزينة الإسلام ونادى بعلي رباً والباطنية طريقاً وأوجد في نفوس الفرس مهديهم المنتظر والمخلص لهم آخر الزمان..

قاطعه بنيامين: على هذا الأساس فلهم ملك كملكنا المنتظر..

عميرو: نعم ولكن شتان بين المنتظرين...فأوجد لمنتظرهم أحكاماً، بدأت بتأليه علي، وانتهت بتحريف القرآن..فإن استطعنا أن ننفضَ الغبار عن كاهل علمائهم، فسيأخذون على عاتقهم هدم الإسلام من جذوره..ونحن ننظر إليهم بغبطة وفرح، ونحصد ثمارَ تضحياتهم ببناء هيكلنا ودولتنا..ونعبِّدُ الطريقَ لمنتظرنا..وأولى خطواتنا بناء دولة شيعية تستلهم تعاليمها من الماضي، ونحن من سيحيي تراثهم القديم.

تدخل أرائيل على الفور: لكن الشيعة لا يفكرون في هذا الأمر، وهم ينتظرون

مهديهم ليفعل ذلك عند خروجه..

تغيّر وجه **عميرو** وقال له بغضب: ألا تفهم..؟..أنا أستغرب كيف وصلت إلى منصب حاخام وأنت بليد الذهن..عليك أن تسترجع الماضي..نحن من أوجد هذا المذهب، ونحن من وضع له أحكامه، ونحن الآن من سيغيِّره..ونحن من سيزيد عليه..ونحن من سيلغي تلك الأحكام القديمة..ونستعيض بنقيضها بما يتوافق وأهدافنا المرسومة..

أحسَّ الجميع بثورة غضبه، فألجموا أنفسهم إلى الاستماع له دون مناقشة، لكن منصب ومكانة **كاهانا** دفعته إلى سؤاله: وكيف سنغيرها...ونحن في بلد لنا مكانتنا ومناصبنا الرفيعة، ومن المقربين إلى الشاه وأركان نظامه.؟..

عميرو: ها...أولاً علينا أن نبعث ديانة ابن سبأ من جديد، فنلغي بعض الأحكام، ونخرج أخرى بما يتوافق والمرحلة الحالية وبما يخدم أمتنا..ولو كان على حساب حلفائنا، وعلينا أن نقيس الأمور بميزان الربح لا الخسارة...فعلاقتنا مع الشاه جيدة بل وممتازة..ولكن انظروا إلى البعيد، فسترون الشاه لن يستطيع أن يحقق لنا أي شيء؛ لأنَّ همه نفسه وما يملك..أما رجال الدين في قم، وكربلاء، والكوفة، والنجف، فهم رجالنا بحق؛ لأنهم من سيجزّون ناصية الإسلام بنشر تعاليمنا القديمة والجديدة..

تجرأ بنيامين: لكنهم لا يهتمون بدولة ولا جهاد، ولا أي شيء مما يخدم أهدافنا..

عميرو بثقة مفرطة: نحن من سيغيرها...فمن وضعها بالبداية، يغيرها في النهاية، أو ربما نزيد عليها...

همهم أرائيل: نعم الرأي ما قلت..!!

عميرو: سنشرِّعُ لهم الجهاد، وقيام الدولة، ومحاربة مخالفيهم، وإحياء كل ما من شأنه مصلحتنا..وأول شيء نفعله نستنهض في نفوسهم قاعدة ولاية الفقيه، التي ستكون بالتأكيد السهم القاتل، والنافذ في صدور الأمم الإسلامية والعربية جميعها..وسترون بعد ذلك كيف ستسير الأمور..!!

كاهانا: والعزير لقد سبقت ابن سبأ في دهائه وحنكته..!!

ضحك عميرو بفرح: وعليكم منذ الآن أن تعملوا ليل نهار ودون توقف في تحقيق هذا الهدف، وأنا سأقوم باختيار لجنة مكونة من ثلاثة حاخامات، تأخذ على عاتقها وضع الأحكام التي نسيها جدنا، ونحقنها في عقول آيات قم، وهم بدورهم سيتولون المهمة بعد ذلك..ولا تنسوا أن استمرار وجود دولتنا مرتبط بزوال الإسلام، وإشغاله من الداخل بصراعات عقيدية..

أمعن النظر في وجوه الجميع ليختار لجنته المفترضة، فأشار على أرائيل وكاهانا: أنتما ستكونان مساعديَّ في وضع الأهداف، وأشار إلى بنيامين: وأنت ستكون مسؤول العلاقات الخارجية وصلة الوصل بيننا وبين حكمائنا في الخارج..واتفقوا على جعل كل يوم أحد موعداً لاجتماعهم على أن يتناوبون مكان الاجتماع في بيوتهم كل مرة..

* * * * *

مجون الشاه

غادرت الشهبانو غادة إلى باريس في زيارة ترفيهية، فأحسَّ الشاه ببعض الانفراج في تحركاته، وطلب من سكرتير قصره قطْعَ أي اتصال له مع الخارج؛ لأنه يشعر بوعكة صحية..وقام على الفور بدعوة وصيفات الملكة وطلب منهن السباحة معه في قصره..فما كان منهن إلا أن أذعنَّ لطلبه، وأحطن به من كل جانب، مرتديات لباس السباحة، وجلست راحيل خلفه وطوقته بفخذيها مدلكة رقبته وصدره بيديها الناعمتين، وهو مسترخ بين أحضانهن..وبعد لحظات طلبت منه أن يأذن لها لدقائق..فهزَّ رأسه موافقاً وقال: لا تتأخري..

هرعت على الفور إلى غرفتها، وأخرجت كاميرا صغيرة، ووقفت خلف النافذة، وراحت تلتقط له صوراً على حين غفلة منه..ثم عادت إليه واستمرت بمتابعة مهمتها من جديد، وبعد أكثر من ساعتين دخل غرفة نومه، وطلب منهن البقاء معه حتى ينام..فقمن على الفور بتنفيذ طلبه وإمتاعه..وتسللت راحيل مرة أخرى دون أن يشعر بها وهي عارية، وبدأت بتصويره مرة أخرى وهو بين مجموعة الفتيات...ولما اطمأنت على صورها، عادت لمهمتها كباقي الوصيفات...وبعد دقائق استسلم الشاه إلى النوم، فغادرت الفتيات الغرفة لواذاً واحدة تلو الأخرى...وما إن حلَّ المساء، حتى عادت راحيل إلى بيتها والبسمة والسعادة قد ملأت وجهها، وصارت تقفز في مشيتها معبرة عن فرحتها بما حققته من إنجاز.

نظر إليها أبوها بعينين ذابلتين وسألها: أراك على غير الحال التى كنت عليها قبل أيام..فلم تعره راحيل اهتمامها، فدخلت إلى غرفة صغيرة، خصّصتها مسبقاً لتحميض الصور، فأخذ أبوها يصرخ عليها، فردت عليه من داخل الغرفة: ساعة وسأكون عندك وإياك أن تأتي وتفتح عليَّ الباب حتى لا يحترق الفيلم..

بعد ساعة خرجت وبيدها مجموعة من الصور، وأخذت تقلّبها باهتمام والفرحة مرتسمة على وجهها...

تقدّمت من أبيها وأعطته إياها، وقالت: انظر إليها يا أبي وأعطني رأيك..؟

وضع **عميرو** نظارته على عينيه ممعناً النظر فيها، فتعالت نبضات قلبه حتى سمعته ابنته فقالت له: ما بك وراحت تضحك..؟

لكنه سارع ووضع نظارة أخرى فوق نظارته الأولى وصاح: يا للهول ما هذا...؟

راحيل: كما ترى...**الشاه** بين وصيفات الملكة..!!

عميرو مستغرباً: مع كل تلك الفتيات..؟

راحيل: نعم...

عميرو: وهل كنتِ معهن...؟

صمتت **راحيل** ولم تجبه...لكن أباها أصرَّ أن يسمع جوابها..!!

أطرقت **راحيل** برأسها إلى الأرض مظهرة الخجل: نعم يا أبي...فقد أذنت لي بذلك في المرة السابقة..أتذكر...؟

تبسّم **عميرو** في وجهها بسمة عريضة: لا تخجلي مما فعلت، فأنت في مهمة قدسية، لا حدود ولا خطوط حمراء أمامك..

راحيل: أنا في خدمة ديني..وهل سيكون لهذه الصور مكانتها في المستقبل..؟

عميرو: وهل تشكّين في ذلك..؟..فهذه ضربة العمر، وستكون قنبلة موقوتة نفجِّرُها متى شئنا..والعزيز أنت أفهم من كل حاخاماتنا، ولن تمر الأيام حتى تكون لك مكانتك العليا في صفوف دولتنا...

راحيل بفرح: أتمنى ذلك...وما تضحيتي إلا لأحقق هذا الهدف..!!

عميرو بثقة: وستحصلين عليها..ثقي بي..

راحيل: بالطبع أنا أثق بك، ولا أحتاج إلى براهين أو وعود منك..

تناول **عميرو** صندوقه الحديدي ووضع الصور بداخله، بعد أن لفَّهم بقماش

ليحفظهم من الرطوبة وقال: يا بنيتي إياك أن تخبري أحداً بتلك الصور .. وانسي أمرهم تماماً ...

راحيل: أبي..في كل مرة تنبهني لهذا الأمر..وأنت تعلم أنني ما أبحت سراً لأي مخلوق على هذه الأرض..

عميرو: عظيم..وعليك الآن أن تستكملي كل السقطات، وتدونيها بصور موثقة، وانتبهي أن يلحظك أحد..

راحيل بثقة: أنا ابنتك ومكرك يمشي بدمي..

ضحكا بصوت عال، وأجلس ابنته إلى جانبه وقال لها هامساً: انتبهي يا بنية أن يُفضح أمرك وينكشف سرك ..!!

ضحكت **راحيل**: وهل تظن أنني غبية.. فقر عينا ولا تشغل بالك في مسائل بديهية..

* * * * *

الصديقات الثلاث

في أمسية حارّة من شهر آب، جلست الصديقات الثلاث تحت ضوء القمر، بعد أن جفاهن النوم بسبب الحر الشديد، وتهافت البعوض والذباب عليهن..

كان الهدوء يعمُّ القرية..إلا من نباحِ الكلابِ، التي تجمَّعت حول تلالِ القمامة التي تكدست عبر الشهور..باحثة فيها عن لقمة ساقطة، أو كسرة خبز يابسة..وتوسَّطَ بعضهم المياهَ الآسنة بأجسادهم ناشدين منها بعض الرطوبة...

لم يكن الكلام هدفهن .. فصرنَ ينظرنَ إلى السماء ويشرنَ إلى نجومها..التي أثارت جمالها هزار التي قالت: انظرنَ إلى ملك الله كم هو واسع...!!

شيرين: يا الله...!!

هزار: كل هذا الملك العظيم، ونحن نعيش في صفائح الزبالة..لا نجد مكاناً يؤوينا..ولا بيوتا ترد عنا البرد أو سقفا يظلنا من الحر..

حدّقت فيهما شاهيناز وسالت دمعة على خدها، فمسحتها بكفها كمن تريد إخفاءها..لكن حرارتها خرجت مع تنهيدة طويلة وتلتها دمعات غزيرة..

تقدمت إليها هزار برقة وحنان، وشدتها إلى صدرها دون أن تتكلم معها أو تسألها عن حالها؛ لأنها تعرف أنَّ همهن واحد...

ربتت شيرين على كتفها: هوّني عليك يا عزيزتي..فحالنا واحد..ولا كاشف له إلا هو..

لكن دمعاتها ازدادت حدتها، وانتابتها الشهقات..فمسحت أنفها بطرف قميصها، وألجمت نفسها الهدوء وقالت: ماذا فعلنا لنعيش في هذه القمامة...؟

حاولت شيرين التخفيف من حزنها: يا حبيبتي..احمدي الله أن أمهاتنا قد حافظن علينا..ولم نمشِ في طريقهن..

شاهيناز: وبعد ذلك..ماذا سنفعل..؟..فهذه بيوتنا..ولن نكون أحسن حالاً من أمهاتنا...

شيرين: لا تقنطي من رحمة الله..فربَّ ليلٍ ينفرج بفجر مشرق..

شاهيناز بيأس: وأين هذا الفجر..؟..وقد بلغنا سن الزواج، ونحن نعيش في مواخير عائمة على مياه آسنة..ومن يرضى أن ينتشلنا من هذا المستنقع...فسمعتنا لا تُشرِّف أي شاب ليقترن بنا..

شيرين: معك حق..وكم مرة انتابني الأسى والتفكير في المستقبل..فلا أرى إلا سوادا محيطاً بي..حتى عندما آوي إلى فراشي أحلم بكوابيس مخيفة..ثم أطرقت برأسها إلى الأرض وتسللت من عينيها دمعات..أرادت أن تطفئ بها حرقتها ولهيب قلبها..

فأخذن بأيديهن ينتحبن نادبات حظهنَّ المظلم...!!

تأملت شاهيناز صديقتيها: ليس الحزن أن نسقط الدموع..فحزن القلب أشد حرقة من عيون دامعة..

شيرين: معك حق..فقلوبنا ملتهبة وعيوننا دامعة...ثم توقفت عن الكلام وحدّقت في كومة زبالة قريبة منها..ثم وقفت وانحنت قليلاً..

سألتها هزار: ما بك..لقد أخفتني..؟

شيرين: مهلاً...مهلاً..ثم صاحت انظرن إلى هذا الكلب، ماذا يحمل في فمه..؟

وقفت شيرين وشاهيناز بسرعة ونظرن إليه..فإذا كلب ومن ورائه بعض الجراء يحومون حوله ليأخذوا الطعام من فمه..

لم تتمالك شيرين نفسها فأخذت حجراً ورمته به..فصاح ملقياً به..فأسرعت نحوه فرأت جنيناً صغيراً مكتمل النمو، فضربت على صدرها: يا للهول..انظرن إلى هذا الجنين..ثم حملته بيدها تنظر إليه..فوقف الكلب عنها غير بعيد، ينظر إليها مزمجراً..فرمته بحجر آخر ليبتعد..

التفَّت الفتيات حول الجنين الساقط ينظرن إليه بألم وحزن..!!

شيرين: ما ذنب هذا الطفل ليكون بين القمامة وأنياب الكلاب..؟

شاهيناز: على رسلك يا عزيزتي..فوالله لو فتّشت القمامة الآن، لوجدت من هذه الأجنة العشرات..

شيرين: أعلم ذلك..لكن أول مرة أرى جنيناً بشرياً في فم كلب..!!

شاهيناز: لا تعجبي..فربما ترعرعت الكلاب وتربّت على تلك الأجنة الساقطة..فلو نظرت إلى بيوت القرية لوجدت أكثرها ترمي أجنَّتها في القمامة..

شيرين: لكن ليدفنوهم تحت التراب..

شاهيناز: هذا أمر شاع في بلادنا، ولن تجدي امرأة إلا ولها جنين ساقط إن لم يكن أكثر..

هزار مستهزئة: هذه بلادنا وهذا ديننا...!!

أعادت شيرين قولها: لكن دفنهم أولى من رميهم في المزابل والمكبات العادمة..لأن إكرام الإنسان من كمال الدين..

هزار بسخرية وبسمة مصطنعة: عن أي دين تتكلمين..استيقظي فنحن مكبات لشهوات الناس ونفاياتهم..؟

نظرت إليها شاهيناز بحزن: معك حق...نحن محطات نفاية للعابرين والزائرين...

وهنَّ في جدالهن سقط شهاب من السماء يجرُّ وراءه ذيلاً طويلاً..فتأملنه إلى أن انطفأ وميضه، فأعدن النظر إلى السماء، لكن هزار أمعنت بنظرها طويلاً ثم أشارت إلى جرم بعيد ساطع: ليتني أعيش في ذاك الجرم البعيد..!!

شيرين: أين هو...؟

أشارت له بيدها: هنااااك..ألا ترينه..؟

دققت شيرين النظر نحوه: إنه بعيد جداً..ربما يكون نجماً..!!

هزار: لا ... أظنه كوكب الزهراء .. فهو يستمد نوره من الشمس لقربه منها، لذلك تجدينه شديد الوضاءة ..

تدخلت شيرين: أتريدين العيش وحدك هناك..الجنة بلا ناس ما تنداس..!!

هزار: على الأقل أشعر بإنسانيتي هناك..لا أن أُداس كما تداس الحشرات..!!

شيرين: معك حق، البعد إلى هناك خير من العيش هنا..فربما نجد شباباً ينظرون إلينا بنظرات مختلفة ولا يعرفون تاريخنا فيتزوجوا بنا...

ضحكت هزار: أنت لا تهتمين إلا بالزواج..فربما تجدين مخلوقات على غير شاكلتنا...

شيرين: وليكن..أريد حياة مستقرة كباقي خلق الله..أهذا كثير علينا..؟

هزار: معك حق...ثم سرنافي الشارع لبضع دقائق، وافترقن إلى بيوتهن...

* * * * *

تناول **كاهانا** وجولدا طعام العشاء بهدوء ودون أن يكلم أحدهما الآخر..وبين الفينة والأخرى كانت جولدا ترمقه بنظراتها الحادة، التي كانت تقع عليه كالرصاص القاتل، فيعود إلى إطراقه دون أن ينظر في عينيها..

لم تطق جولدا صبراً فصاحت به: أين أنت..هل أنا خادمة عند أبيك..؟

شعر **كاهانا** بالفزع من صوتها: ماذا تريدين يا امرأة..؟

جولدا: ألم تسمع يا خسَّة الرجال...أنا لست خادمة أبيك..عليك أن تحترمني وتسعى إلى إرضائي...لا أن تتجاهلني..؟

كاهانا بهدوء وروية: يا زوجتي الحبيبة..هل يُعقل أن أتجاهلك..ولكن في رأسي حسبة بسيطة أحاول أن أجد لها حلاً.

جولدا: دع أعمالك خارج البيت قبل أن تدخل...وأنت الآن ملكي أنا..أفعل بك ما أشاء..

شعر **كاهانا** بالغضب، فأمسك لجام نفسه ورفع رأسه: أرى أعصابك مرهقة هذه

الأيام...ما رأيك ببعض التغيير..؟

أجابته بقرف وازدراء: أنت من سيغيّر مزاجي..؟

عاجلها بالقول: لا...لا يا حبيبتي، وإنَّما أريد أن تسافري لشهر أو شهرين لتستجمّي..

جولدا: إلى أين...؟

شعر **كاهانا** بالظفر فقال لها على الفور: إلى إسرائيل، فهناك ستلتقين بأبناء أخيك وزوجاتهم، والطقس هناك رائع في هذا الوقت من السنة..

فلم تدعه يُكمل كلامه فصاحت به: أتريد أن تتخلص مني..؟...ولكن هذا بُعدك..أنا لا أخرج من بيتي حتى أراك في تابوت الموتى، وأدفنك بيديَّ هاتين..!!

كاهانا بخوف: أتريدين موتي يا امرأة..يا لك من جاحدة شموس..!!

جولدا: أتخاف الموت..؟..اصبر فلن يتأخر عليك بزيارتهَ..

شعر **كاهانا** بثورة غضب في صدره فتكتم عليه، ونظر إلى زوجته بازدراء، وبدأت يداه ترتجفان وشفته السفلى بالارتعاش..فما كان من جولدا إلا أن غادرت الطعام، وهي تتمتم بكلمات تنم عن امتعاضها وشتمها له..

انتصب **كاهانا** واقفاً، وحمل بعض طعامه، وخرج به إلى الحديقة تفادياً لأي صِدَامٍ آخر..

* * * * *

لما وصلت الشهبانو من سفرها دخلت من فورها إلى حمامها، ومعها وصيفاتها يدلكنها..فسألتهن: كيف كان حال الشاه..؟..

استبقت **راحيل** الجميع: مثال الأخلاق والشرف يا مولاتي..ثم رمقت الأخريات فأجبن بنفس جوابها..فأظهرت بسمة صغيرة: أحسنتن..

ثم دخلت إلى غرفتها مستلقية كمن أصابها عناء السفر واستسلمت إلى النوم، فخرجت الفتيات بهدوء وأغلقن الباب خلفهن، وقالت **راحيل** لهن: إياكن أن تعلم

ما حصل، فالملك ليس عنده إلا قطع الرأس والموت..

شعرت الفتيات بغصّة في حلوقهن خوفاً مما سمعن، وقالت إحداهن: هذا لن يكون أبداً..ثم غادرن إلى أعمالهن وكأن شيئاً لم يكن..

* * * * *

فتيات على موائد الآيات

طلب **آية الله مهدي** ميرزا من خادمه علي التميمي مرافقته إلى بغداد ليزور الإمام الكاظم، فانطلق موكبهما وحطَّ بهما في صحن الحضرة الكاظمية..وما إن رآه الزائرون حتى تهافت عليه العشرات، بين مقبِّلٍ ليده ومتمسِّحٍ بردائه، ملتمساً منه البركة والرضا..

بدأ **آية الله مهدي** بالطواف حول المقام، ولما انتهى تقدم إليه وهمس له ببضع كلمات، وعاد إلى الوراء وجلس حاملاً سبحته السوداء، مطلقاً لنفسه عنانها بالذكر والتسبيح..والناس من حوله ينتظرون فراغه..وبعد ساعة من الزمن، كان تجار سوق الذهب والأسواق الأخرى المتاخمة لمقام الإمام الكاظم قد علموا بوصوله، فتجمّعت الحشود بباب المقام، فحمل بعضهم الخراف شاحذين سكاكينهم استعداداً لذبحها إكراماً له...لكنْ مهدي أطال في ذكره كمَن أراد أن يجتمع إليه عدد أكبر..

ولما تأخر خروجه راح الناس يهتفون: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد...

فما كان منه إلا الإذعان لتلك الحناجر، فخرج إليهم ملوحاً بيده..فألقيت الخراف على قارعة الطريق، وبدأت نياتهم تتعالى: بسم الكاظم والإمام..ثم تذبح..

نظر إليهم مهدي ميرزا محيياً..ولما أراد المسير تراكض إليه التجار كل يريد أن يكرمه بزيارة بيته..

شعر **مهدي** بالزهو والفخر وقال: أنتم جميعاً أحبابي..ولن أفضل أحدكم على الآخر..ولكن أُقرع بينكم..ثم استدار إلى خادمه وهمس في أذنه أجري القرعة في عليّةِ القوم وأغنيائهم...

هرع علي على الفور وكتب أسماء التجار على بعض الأوراق الصغيرة، ووضعها في كيس ثم هزّها، وأخرج من بين الجموع طفلاً لم يبلغ العاشرة من عمره،

وقال له: أخرج ورقة من الكيس يا بني...

فما كان من الطفل إلا أن أخرجَ ورقة..ففتحها علي وقال : اليوم الأول عند جواد العاملي ثم أخرج ورقة أخرى ثم أخرى حتى وزَّع مدة إقامته على خير التجار وأغناهم..

مع حلول المساء، جلس **آية الله مهدي** في بيت جواد والناس من حوله بوارك، يستمعون لحديثه، وعبارات الصلاة على رسول الله تصدح بها حناجرهم مع كل جملة يقولها...ومع نهاية اللقاء..توجه إلى فراشه..فتقدم إليه صاحب البيت وقال: مولاي هل تحتاجون شيئاً..؟

نظر إليه **آية الله مهدي** متعجبا : هل سأبات وحدي..؟

شعر جواد بالدهشة فقال له: لم أفهم قصدكم يا مولاي..؟

مهدي : المفروض ألا أنام بدون دثار..!!

تبسّم جواد بأدب: عفواً...فعندي منه الكثير..

ضحك **مهدي** ودعا خادمه علي التميمي وقال له: أخبر مضيفنا بدثارنا..!!

التفت علي إلى جواد: يقصد الإمام أنْ تبيتَ معه فتاة بين أحضانه هذه الليلة... .

شعر جواد بالحرج، فاقترب منه وقال بصوت ضعيف: مولاي ليس في البيت إلا خادمتكم زوجتي...

قاطعه الإمام: لا نريد زوجتك..أليس عندك ابنة...أو أخت صغيرة..؟

جواد: لا والعباس يا مولاي..فإن شئت استقدمت لك واحدة الآن..ولن أغيب إلا ساعة على الأكثر..

امتعض الإمام من جوابه: لو علمنا أنكم تفتقرون لأسباب الضيافة لاخترنا غيركم..ثم وجَّه كلامه إلى خادمه: يا علي..عليك أن تستطلعَ لنا أحوال الناس قبل زيارتنا لهم..

شعر جواد بالألم لأنه خيَّب ظن الإمام به وذهب إلى زوجته كئيباً فقالت له: ما

بك حزيناً..وأنت أفضل الناس هذا اليوم..والإمام نائم عندنا هذه الليلة..؟..

جواد: لقد طلب إحدى الفتيات لتنام بين أحضانه...

أجابته زوجته على الفور: هل أذهب إليه..؟

جواد: لقد أخبرته عنك ولكنه رفض..وأراد فتاة صغيرة..

الزوجة: وما المانع أن أكون أنا..هل تغار عليَّ منه...؟

جواد مستهجناً قولها: ماذا تقولين..؟..طبعاً لا أغار...فهو بركة آل البيت الأطهار، وما قيمتي أمام أمثاله..ولكن تحتاجين إلى طلاق، وطهر، وعقد لهذه الليلة، وهو لن ينتظر هنا إلا أياماً قليلة..

أحسّت الزوجة بالألم لما سمعت وقالت: هنيئاً لمن سيبات عنده غداً..وسألته: من سيكون..؟

جواد: حيدر العشار...

شهقت الزوجة مستغربة: ماذا...ماذا..!!..حيدر...يا له من محظوظ..فعنده عدّة فتيات جميلات وزوجته فارسية المولد والمنشأ..فأخذت الفتيات جمال الفارسيات وقوام العربيات...!!

رد عليها والغيظ يعتصر قلبه: كفاك يا امرأة..واخلدي إلى النوم..فهذه أتعس ليلة عرفتها منذ ولدت..

* * * * *

طلب **عميرو** من زوجته زلفة تحضير القهوة لضيوفه القادمين..وصار يُقلِّب صفحات الإنجيل ويقرأ منه بعض الأسفار...

زلفة امرأة عجوز تجاوز عمرها الثمانين عاماً...غطّى الشيب رأسها فأصبح كالعهن المنفوش..ورسم الدهر على وجهها تجاعيد سوداء..

تقدمت إليه: أليس من المفروض أن تقف أثناء هذا التجلي..؟

عميرو: أنا لا أقوى على الوقوف..فعندما كنت شاباً وقفت كثيراً...وآن الأوان

أن أرتاح وأنا كبير السن..وهذه ليست التوراة لأقف لها...ثم بدأ يدوّن بعض الكلمات على ورقة خاصة ووضعها في جيبه...وبعد لحظات سمع جرس الباب، فمشت زلفة نحوه بخطوات بطيئة وصاحت على عميرو: لقد حضر ضيوفك...فطلب منها أن تدخلهم إلى الصالون..

نظر **كاهانا** إلى عميرو: علينا أن نستغل الوقت..

عميرو: نعم هذا أفضل، فوقتنا لا يسمح بالتروي...كنت قبل مجيئكم أقرأ بعض أسفار الكتاب المقدس، وقد لفت نظري العديد من الأسفار التي تتناول دولتنا وملكنا القادم عندما يحين وقت خروجه، وأكثر شيء لفت نظري التشابه الكبير بينه وبين مهدي الشيعة، وهذا فضل كبير قد أوجده لنا جدنا الذي وفرَّ علينا الكثير من العناء والجهد في تحقيق مآربنا وأهدافنا..ثم فتح الإنجيل وقال: سأقرأ عليكم منه هذه السفر...

اعترض أرائيل منزعجاً: ومنذ متى نقرأ كتاب غيرنا..وهو ليس كتاب الله..لماذا لا تعود إلى التوراة...؟

رمقه **عميرو** بنظرات حادّة: اسمع أولاً وبعد ذلك احكم..ثم تلا:

وسكب الملاك السادس كأسه على نهر الفرات، فجفَّ ماؤه ليكون ممراً للملوك المشرق، ورأيت ثلاثة أرواح نجسة، تشبه الضفادع خارجة من فم التنين، ومن فم الوحش، ومن فم النبي الكذاب، وهي أرواح شيطانية تصنع المعجزات، وتذهب إلى ملوك الأرض كلها لتجمعهم للحرب في اليوم العظيم يوم الله القدير، ها أنا آت كالسارق، هنيئاً لمن يسهر ويحرس ثيابه لئلا يمشي عرياناً فيرى الناس عورته، فيجمعهم في المكان الذي يدعى بالعبرية هرمجدون..

ثم أمعن النظر فيهم: تلك الأسفار موجودة في سفر الرؤيا...وإذا اضطررنا أن نأخذ من قرآن المسلمين ما يخدم ديننا فسنفعل..

كاهانا: وماذا سنستفيد من كل ما ذكرت..؟

نظر إليه **عميرو** بقرف مظهراً الامتعاض: لست أدري كيف اختاروك لتكون حاخاماً..فتفكيرك لا يتجاوز أرنبة أنفك، عليك أن تمعن بتلك الكلمات وما فيها..

كاهانا بهدوئه المعتاد وكأن الأمر لا يعنيه: أخبرنا فنحن مستمعون إليك..؟

عميرو بكبرياء: الأسفار تذكر النبي الكذاب، وهنا باب القصد..

بنيامين متسائلاً وعلت وجهه الدهشة: باب القصد..وكيف..؟..

عاجله **عميرو** مفسّرا : يقصد السفر أنَّ الكذابَ هو إمام الشيعة المنتظر...وأيضاً يخبرنا عن ملوك الشرق..فأين نحن الآن..ألسنا في الشرق..أليست بلاد فارس في الشرق..؟

كاهانا: نعم..

عميرو: ثم يذكر نهر الفرات فأين نهر الفرات هل هو في أمريكا أم النمسا أم ألمانيا..؟

كاهانا : لا إنه في تركيا وسوريا والعراق...

عميرو: أحسنت...وهل العراق يخرج عن كونه شرقياً..ألم يكن في وقت ما فارسياً..ألا يضمُّ مقدسات الشيعة ومعابدهم..؟

أرائيل: نعم والعزير...!!

عميرو: ثم لنستعرض ذكر الملوك وتجمعهم..ألم تسألوا أنفسكم مع من سيكون أولئك الملوك..؟..بالطبع سيكونون تحت لواء ملكنا المنتظر..ليفتح العالم وتكون أرض ميعادنا وحربنا الفاصلة في هرمجدون..

شعر **كاهانا** بأن الأمور أشبه باللغز، فقال له: يا عميرو..مالي أراك تطرح ألغازاً وتضيع وقتنا في أمور تافهة، وتأتي لنا بخزعبلات وأسماء لا علاقة لنا بها..!!!

وجّه **عميرو** كلامه للجميع: أتدرون معنى كلمة هرمجدون..؟

بنيامين: أظنها اسم لامرأة..ثم أخذ الجميع بالضحك..

عبس **عميرو** في وجوههم وعقد بين حاجبيه: إنها كلمة عبرية، تتألف من

مقطعين، الأول هر وتعني جبل، والثانية: تعني مجيدو، وهو جبل في فلسطين..والآن دولتنا قائمة هناك، والمعركة آتية لا محالة..ونحن وربَّما أحفادنا سيكونون رجالها، ولكي نعجّل بخروج ملكنا، علينا أن نعمل على خروج مهدي الشيعة أولاً، ليعبِّد لملكنا طريق خروجه، فكما ترون الترابط الوثيق بين خروجهما معاً وفي نفس الوقت والزمان...فإذا عملنا بجد وتفانٍ فسنغير معتقدات الأمم، ونسحق جذور الإسلام بتلك الفئة وتحت مسمى الإسلامً نفسه..وقد رأيت أن يضع كل واحد منا جملة من المقترحات نحقن بها تلك الفئات الشيعية، ونحفّزها على النهوض، لتمتد بجذورها على حساب الدول الإسلامية الأخرى، وبذلك نكون قد نزعنا من صدورهم عقيدة المقاومة والتصدي، وتركناهم في ترهاتهم ونزاعاتهم وعقيدتهم الجديدة، وتحت مسميات الإسلام.

بنيامين: هذه فكرة جيدة وتستلزم منا السهر الطويل والعمل المضني..

عميرو: بالطبع..فكيف ستقوم دولتنا الكبرى إذن..؟...اليوم عناء وسهر...وغداً ضياء وقمر..

تبسم أرائيل في وجهه: لقد أصبحت شاعراً يا عميرو..!!

ضحك الجميع لقوله..وردَّ عليهم: عليكم منذ اليوم أن تضعوا النقاط على الحروف، لنخرج معادلات جديدة ونزرعها في آياتهم...فلا وقت للضحك..فعندنا عمل كبير يستحق منا السهر والتعب..وسيكون اجتماعنا في المرة القادمة عند كاهانا..

قاطعه **كاهانا** على الفور: أنت تعلم جولدا..وأخشى أن تعطِّلَ علينا تفكيرنا وتخرب جلستنا..

رمقه **عميرو** بلؤم: هذا ليس عذراً..أتريد أن تتهربَ من ضيافتنا، واستدار إلى أرائيل وبنيامين: لا نريد ضيافته...وليأتِ كلُ واحد منا بضيافته...ثم انتابته الضحكات وختمها بسعال حاد...

ظهر على **كاهانا** الخجل: لا بأس..لا بأس..أنتم من سيتحمل سماجتها وسوء استقبالها...

* * * * *

فتاة الجبل

من على قمة جبل قاسيون المطل على دمشق بجمالها الأخّاذ..وطقسها الجميل الهادئ كانت دعاء الجزائري تسكن مع أبويها العجوزين...

دعاء وحيدة أبويها، لم تتزوج على الرغم من كبر سنها..ففتى أحلامها الذي كانت تنتظره لم يأتِ بعد، على الرغم من عشرات الشبّان الذين تقدموا لخطبتها..

دعاء متوسطة الطول بيضاء البشرة ممتلئة الجسم في عينيها جمال المغرب..وأنوثة الشام..درست في كلية الشريعة والقانون..تأثرت بأستاذيها شاهر ومؤيد اللذين زرعا فيها ثقافتهما..فتفانيها في الكلية..دفعت بهما إلى الاعتناء بها أشدَّ العناية..ولما تخرجت من كليتها ظلَّت على اتصال وثيق معهما تنهل منهما العلم وتستشيرهما في أي معضلة تعترضها.

كان تجلس يوم الخميس من كل أسبوع في جامع الشمسية في حي المهاجرين في الجادة السادسة منه...جامعة من حولها فتيات الحي..فتعطي دروسها العلمية والدينية على حد سواء..

أهل الحي ينظرون إليها على أنها نعمة من الله نزلت عليهم..فحالة الفقر في تلك الأحياء وانعدام العلم والمتابعة في المدارس الحكومية..دفعتهم إليها لينهلوا منها ما فاتهم..وتطورت بها الأمور إلى أن استعانت بمساعدات على شتى الاختصاصات.. فقسّمت الفتيات بحسب مراحلهن وموادهن العلمية...

كانت أمها العجوز تجلس بجانبها وتحدثها برقة وحنان: بنيتي..إلى متى ستبقين بلا زواج..ألم يئن الأوان بعد..؟..

أمسكت دعاء بيدها وقبلتها بحنان ومحبة وضمَّتها إلى صدرها: أتريدين أن تتخلصي مني يا أماه..؟

ضربت الأم على صدرها: أنا أتخلص من روحي...!!

ولما رأت في وجهها الانفعال تناولت يدها وقبلتها مرة أخرى: ماما..إذا أتى ابن الحلال الذي يناسبني فلن أرفض..

الأم بحسرة: لقد بلغت الثلاثين عاماً..والفتيات في هذه السن لا راغب لهن..

دعاء: لست أهتم..فقد وهبت نفسي لخدمة الآخرين...

الأم: يا حبيبتي..أريد أن أرى أولادك قبل أن أموت..!!

ظهر على وجه دعاء الحزن وسالت من عينها دمعة حارة: لا تقولي ذلك يا أماه..عمرك طويل إن شاء الله...وبنات الحي كلهن بناتي، فاختاري من شئت منهن وضميها إلى صدرك..

الأم: كفاك سخرية..!!

دعاء: والله لا أسخر..هذه هي الحقيقة..فأنا أحسُّ بهن كأولادي..ثم قامت من أمامها إلى المطبخ وقدمت لها كأس عصير..

تناولت الأم العصير من يدها وصارت تتمتم بكلمات: أتتهربين من الحديث..؟.. فما كان من دعاء إلا أن ضحكت وعانقتها مقبّلة..

* * * * *

استهلَّ الإمام **آية الله مهدي** ليلته الثانية في بيت حيدر العشار..الذي كان كرمه كبيراً جداً، وأحبَّ أن يستعلي على من سبقه فأحسن رفادته وضيافته، فمدَّ سماطاً طويلاً، احتوى العشرات من أصناف الطعام واللحوم والحلويات الفاخرة، والفاكهة بأصنافها المختلفة والمحببة للإمام..

جلس **مهدي** في صدر السماط، وقام حيدر على خدمته بنفسه، وظلَّ واقفاً بالقرب منه إلى أن انتهى من طعامه..فهرع على الفور فأحضر له الماء ليغسل يديه..ثم جلس يتلو مواعظه على الحاضرين والجميع في حالة من الذهول، لا يُعكِّرُ صفو الإنصات إلا صيحات الصلاة على رسول الله وآله وعبارات المديح للإمام الضيف..

انتهت السهرة في وقت متأخر من الليل، وقبل أن يتوجه الإمام إلى غرفة نومه لمز لخادمه..الذي تقدم إلى حيدر قائلاً: أين الفتاة التي ستنام مع الإمام هذا الليلة..؟

أجابه حيدر على الفور وارتسمت على وجهه الفرحة والسعادة: بناتي كلهن جاهزات، فليختر الإمام أيهن شاء..

ثم غادره لدقائق وعاد ومعه ثلاث فتيات أكبرهن لم تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها..وقال بحب مفعم بالدفء: مولاي الإمام..اختر من تشاء منهن..

قلَّب **مهدي** نظره ممعناً في وجوههن وقوامهن، وأشار على إحداهن وسألها: ما اسمك..؟

فلم ينتظر الأب جواب ابنته: خادمتك صفية يا مولاي...

الإمام بسرور: عظيم...عظيم..على اسم عمّة أمير المؤمنين..

فرح حيدر لهذا الإطراء..ثم أدخل يده في جيبه: سأمهرها ديناراً لهذه الليلة..أتقبل بذلك يا حيدر..؟

حيدر: أقسم بالعباس هي هبة مني إليك..ثم أمر ابنته أن تدخل إلى غرفة الإمام وقام الإمام بطقوس عقده ثم غادر منصرفاً بعد أن أغلق عليهما الباب...

* * * * *

بدأت المركبات العسكرية وسلاح الطيران تمر بالقرب من منصة العرض، والشاه واقفاً يُلوِّحُ لها بيده، معبراً عن فرحته بما حققه جيشه من إنجازات، مستذكراً أيام كان ضابطاً فيه وأين وصل الآن فشعر بالزهو..ونظر إلى من حوله، فرأى الجلال على وجوههم والبسمة المفعمة بالحب والخنوع لجلالته، فرفع رأسه ينظر إلى الطائرات السمتية، التي كانت تحوم فوق المنصة، ناشرة خلفها أعلام إيران، وبعضها يحمل صوراً كبيرة للشاه وزوجته الشهبانو..فغمرته البهجة والسرور..ثم تناول من أمامه كأس العصير فارتشف منه رشفة صغيرة ثم عاد ملوحاً بيده إلى الجموع، التي تصدح بحياته وحياة عائلته المالكة..

* * * * *

غيرة وشبق

استغلَّت الشهبانو انشغال زوجها في استعراضه العسكري، واختلت بوصيفتها **راحيل** وسألتها: الضابط فادي هنا..؟

راحيل باستغراب: هو موجود في قيادة الحرس يا مولاتي..

شهبانو: أبعثي إليه على الفور..

وما هي إلا دقائق حتى عادت راحيل برفقة شاب أسمر اللون طويل القامة سبل الشعر لم يبلغ من العمر الثلاثين عاماً..فوقف أمامها متسمِّراً: نعم يا مولاتي..!!

أشارت على راحيل بالانصراف...ثم أمسكت بيده وأدخلته إلى غرفة خاصة بالوصيفات وأوصدت الباب خلفها..

أحسّت **راحيل** بأمر مريب يحدث، فهرعت على الفور، ومشت على رؤوس أصابعها متقدمة نحو الغرفة، وحاولت أن تفتح الباب لكنه كان محكم الإغلاق، فوضعت أذنها عليه فلم تسمع شيئاً...فانتابها الألم لهذه الخسارة الكبيرة...ثم جلست في الصالون تراقب الباب من بعيد، وبعد وقت قصير خرج الاثنان معاً...فتقدمت راحيل من الملكة..التي عاجلتها بالقول: جهّزي الحمام فوراً..

راحيل: أمرك يا مولاتي...

بعد أن عادت **راحيل** مساءً إلى بيتها أخبرت أباها بما حدث..فشعر بالغيظ الشديد وقال لها: عليك أن تحضِّري للموضوع في المرة القادمة، فهذه فرصة نادرة لا يجب أن نُضيّعها..

راحيل بحزن: كان الباب مقفلاً يا أبي...ولم أستطع معرفة ما يحدث بينهما..!!

عميرو: سأحاول تأمين بعض الكاميرات لتنصبيها في كل الغرف المفترض وجودها فيه بعد ذلك..ولتكن المراقبة أربعا وعشرين ساعة..

شعرت **راحيل** بالخوف: لكن يا أبي..أخشى أن يروها فيقع ما لا يحمد عقباه..!!

عميرو: لن تبقى الكاميرات أكثر من أسبوع، وربَّما أقلَّ من ذلك إذا حصل المقصود قبل هذا الوقت..

راحيل: وأين الكاميرات وكيف سأنصبها وأين..؟

عميرو: سيقوم مختص بتعليمك الكيفية ومكان وضعها..وغداً مساءً ستلتقي به في البيت وتتعلمين منه ما تشائين..

* * * * *

عادت **راحيل** إلى بيتها مساءً كعادتها، لتجد شاباً أسمرَ طويل القامة، يضع نظارته الطبية على عينيه، كثير التلفت والتدقيق في محيطه..

قدمه أبوها معرفاً: كوهين..

راحيل: أهلاً وسهلاً..

عميرو: كوهين مختصٌ في أمور الكاميرات، وأنواعها وطريقة إخفائها..

نظرت **راحيل** إلى أبيها ولسان حالها يستنكر منه هذا الإفصاح الصريح...فما كان منه إلا أن طمأنها: هو ضمن المعادلة..فلا تخشي شيئاً..!!

استسلمت **راحيل** لقوله وجلست معه..وبعد أن تناولا الشاي وبعض الكعك المحلَّى..أخرج كوهين من حقيبته بعض الكاميرات الخاصة لهذه المهمة، وبدأ يشرح لها كيفية وضعها ووصلها..وبعد أن انتهى من شرحه..أعادت عليه تفاصيل العمل الذي ستقوم به..

ولما اطمأن على حسن تعلمها، واستيعابها لما ستقوم به، طلب منها إحضار ورقة وقلم..

أبدت **راحيل** انزعاجها: لقد فهمت كل شيء.. ولا حاجة للشرح مرة أخرى..!!

كوهين : أعلم أنك استوعبت ما قلت..ولكن عليك أن ترسمي لي الغرف المستهدفة في هذه العملية بكل تفاصيلها الدقيقة، حتى أخبرك أين ستضعين الكاميرات بحيث لا يكتشفها أحد..

بدا عليها الخجل لتسرعها: معك حق..وهرعت على الفور وبدأت برسم محتويات الغرف وأركانها ومكان أثاثها بالتفصيل..وظلَّ هذا حالهما إلى وقت متأخر من الليل.

* * * * *

جاسوسة القصر

وصلت **راحيل** إلى القصر مبكراً، وتسللت إلى غرفة الوصيفات على حين غفلة منهن، فوضعت في كل غرفة كميرتي تصوير فيديو، وخرجت دون أن يلحظها أحد..وصارت تتحين الفرصة لخروج الشاه خارج القصر...لكن خاب ظنها هذه المرة..فانتظرت حتى المساء، ثم انطلقت مغادرة إلى بيتها...

مع صباح اليوم الثاني عادت إلى عملها، فدخلت القصر وقامت بعملها المعتاد، وفي المساء تسللت إلى غرفة الوصيفات، وأخرجت أشرطة التسجيل وأخفتها بين طيات ثيابها، وقبل أن تغادر جمعت بعض الطعام لوالدها، وانطلقت تمشي بهدوء وروية..وما إن وصلت إلى بيتها حتى سارعت إلى الكشف عن محتوى الأشرطة فلم تجد فيها شيئاً..وظلَّ هذا حالها لأكثر من عشرة أيام إلى أن قرر الملك السفر خارج إيران في مهمة ملكية..

تيقّنت **راحيل** بأن الوقت قد آن..فأخذت تتقرب من الملكة ذهاباً وإياباً علَّها تسمع منها طلباً يريحها...لكن الأمور سارت على غير ما تحب..وما إنْ حلَّ المساءُ حتى غادرت إلى بيتها، وأخبرت أباها بما جرى فقال لها: اطمئني سيحصل ما نريد، ولكن يلزمك الهدوء والتروي والصبر..وأعتقد غداً سيكون يوماً هاماً، فالملوك أحرص الناس على سمعتهم..ولا أظنُّ أنَّها ستفعلُ فعلتها أمامك..

راحيل: لكنها يا أبي قد فعلتها سابقاً..!!

عميرو: وليكن..ربما كانت في حال دفعها إلى التسرع...أو ربما لم تفعل شيئاً..وغداً سيكون عندها الوقت الكافي إن أرادت ذلك..

لم تستطع **راحيل** النوم تلك الليلة وهي تفكر بما سيجري غداً، وصارت تفكر في كلام أبيها وحكمته في كل الأمور...وظلَّ هذا حالها إلى وقت بزوغ

الفجر..فخلدت إلى النوم لساعات قليلة ثم نهضت على عجل وغادرت بيتها..وما إن وصلت القصر حتى بدأت ترقب الوجوه، فرأت الأمور على ما يرام ولا تغيّر يُذكر...فتسللت على حين غفلة من أهله، وجمعت كل ما سُجِّل في تلك الليلة، وعادت أدراجها منتظرة انقضاء الوقت وعودتها إلى البيت.

* * * * *

اقتصرت مهمة الآيات في قم والأماكن المقدسة على بعض الطقوس، والاحتفالات والمناسبات بوفاة هذا وبولادة ذاك..وعقد زواج المتعة الذي كان رائجاً، وحمّلوه أحكاماً عديدة أباحوا وحرموا كما يشاؤون..وفتحوا المدارس العديدة والحسينيات في كل الأماكن لتلك الطقوس الرائجة، ورجال الأمن ينظرون إليهم مساعدين..وفي أغلب الأوقات يعقدون زواج متعتهم عند علمائهم..بل ويؤمّنون لهم مكان الإقامة لهذا الزواج المؤقت..فقاموا ببناء عشرات الغرف المحيطة بمعابدهم لتلك الأحكام ليقوم المتمتع بطقوسه وزواجه، بين أرجاء المقامات الدينية متبركاً بقدسيتها..!!

كانت الأمور تسير بشكل روتيني..وفي أغلب الأوقات يقدم الشاه إليهم بعض العطاءات القليلة، لتحسين معابدهم وتطويرها، بما يتواكب وحركة العمران السائدة في تلك الأرجاء..فشيدوا الفنادق السياحية حول المقامات، واعتنوا بها أشد الاعتناء لاستقبال الزائرين من المدن والدول الأخرى..وفتحوا المطاعم والمحلات الفاخرة، وعملوا على توسعتها بمظاهر أشبهت القدماء في تراثهم...ونمّقوها ببعض الصفات الحديثة، من كراسي وصور وطاولات..وتوسطت صالتها الضخمة بعض النافرات المائية، وأحاطوها ببعض الورود الجورية والياسمين..فأضفت على المكان رونقاً مميزاً تفوح منه عبير الورود، ورائحة الطعام الزكية ببهارات الهند ومكسرات فارس، وتقنية المطبخ الفارسي والباكستاني والعربي..وفي بعض الأحيان المطبخ الغربي في بعض صفاته المقتبسة من بلاد فارس والهند..

لم يتوانَ **الشاه** عن زيارة تلك الأماكن، مظهراً تعبده واحترامه لتراث أجداده، فكان يأتي بموكب رئاسي يحيط به بعض الحرس، فيطوف حول المقامات، ويجلس في صالة الاستقبال، يستمع من علمائها لطلباتهم وبعض مواعظهم..حتى غدا مقرَّبا إلى قلوب العديدين منهم..فلا يرفض لهم طلباً ولا يتأخر عن مساعدتهم..وبعد نهاية كل زيارة يزيل عنه دنس ما أصابه...فيغتسل قبل أن تطأ قدماه غرفة نومه أو يلمس مائدة طعامه..

* * * * *

وضعت **راحيل** شريط الفيديو، وأدارته وراحت تنظر إلى التلفاز وتتمعن بما سترى..وأبو بالقرب منها ينظر معها، وبعد أكثر من ساعة، بدأت بعض الأحداث تظهر على الشريط..دخل الضابط فادي وتبعته الشهبانو، وبدأت تحادثه في أمور القصر، وتطلب منه مراقبة الشاه أثناء غيابها، وأعطته بعض الهدايا مقابل عمله..فأخذ عميرو ينظر إليهما باستياء و**راحيل** تنظر إليهما بإمعان زائد، وتقول: انظر يا أبي لا يوجد على الشريط ما يفيدنا ...

أجابها **عميرو** بحزن: نعم...نعم..ولم تمضِ لحظات على العرض حتى خرجت الملكة مغادرة إلى الصالون وكأن شيئاً لم يكن..وما إن انتهى الفيلم حتى قال عميرو لابنته: استخرجي العديد من الصور الواضحة وأكثري منها..

راحيل مستغربة: الآن..؟

عميرو: نعم وعلى الفور...أرى الأمور تسير نحو ما نريد..

راحيل: لكنها عديمة الفائدة...والكاميرات ماذا أفعل بها..؟..

عميرو: أزيليها غداً، فعندنا ما يكفي ولا حاجة إلى المزيد..والتضحية ربما تضر بنا وتنعكس علينا بالسوء..

راحيل: أمرك يا أبي...ولكن ماذا ستفعل بهذه الصور..؟

عميرو: سأعطيها إلى كوهين ليقوم بتركيبها بأسلوب فني..تظهر الملكة بحالة

مجون..

راحيل باندهاش: وهل عند كوهين تلك التقنية..؟

ضحك **عميرو**: لقد سبقنا العالم بكل شيء..فهل يصعب علينا مثل هذه الأمور..؟

* * * * *

بعد أن انتهت جولدا من تحضير مستلزمات ضيوف زوجها، جلست أمام التلفاز تتابع برامجه..وما هي إلى لحظات حتى طُرق الباب..فقامت على الفور باستقبال الضيوف على أحسن حال من الترحيب...نظر بعضهم إلى بعض وقال عميرو: يبدو أن الخبيث لا يريدنا في بيته حتى أشاع على زوجته ذاك الافتراء..

بنيامين: والعزيز لم أرَ وجهاً بشوشاً كوجهها وحسن استقبالها..!!

رَحّبَ **كاهانا** بضيوفه وجلس معهم..وغادرتهم جولدا عائدة لمتابعة تلفازها..

نظر عميرو إلى **كاهانا** من تحت نظارته: لقد أسأت القول في زوجتك..فلقد رأينا منها ما لم نره منك..

كاهانا: إنها تتصنع الأدب وحسن الخلق...

تبسّم **عميرو** باصطناع: على كل حال ما لهذا أتينا..والآن أخبروني بنتائج بحثكم..؟

بنيامين: عندي مجموعة أفكار غير ناضجة حتى الآن، ويلزمها بعض المرغبات والإثباتات لتلقى القبول عند الآخرين...

عميرو: هل دوّنتها..؟

بنيامين: بالتأكيد...

التفت **عميرو** إلى **كاهانا**: وأنت ماذا عندك..؟

كاهانا: بعض المقترحات سنناقشها معاً خلال الجلسة..

عميرو: وأنت يا أرائيل..؟

أرائيل: ابدؤوا وسترى..

عميرو بثقة: لا بأس سنرى..

وقال مخاطباً بنيامين: من عندك نبدأ يبدو أنك أكثرهم اهتماماً..

شعر بنيامين بالراحة والفرح لهذا المديح : لقد قمت خلال الأسبوع الماضي باستعراض وقراءة الكثير عن الشيعة ومبادئهم .. ولفت نظري في جميعها اهتمامهم الواسع بمهديهم المنتظر ، الذي سيأتي آخر الزمان ليرفع عنهم الجور والظلم والخذلان .

عميرو مقاطعاً: هذا معروف للجميع وليس حِكْراً على أحد ولم تأتِ بجديد..

بنيامين: على رسلك ودعني أُكمل كلامي..

عميرو: أكمل.. ولكن أعطنا المفيد وليكن فيه جديد..

بنيامين وقد ظهر على وجهه الامتعاض من مقاطعته: وجدت من المفيد أن نستحدث بعض النظريات الجديدة ، ونزرعها في آياتهم، ونزيّنها في عقولهم، على أنها بديهيات مطلقة، لا يمكن الاستغناء عنها..

أحسَّ **عميرو** بحسن رأيه: أحسنت ... هل لك أن تعطينا ملخّصاً عن ذلك..فقد بدأت تدخل في أمور أحسبها قنبلة مدوّية ..

شعر بنيامين بالفرح واعتدل في جلسته: أنتم تعلمون أنَّ الشيعةَ قد عطَّلوا الجهاد والأحكام منتظرين مهديهم ... وإذا سلمنا لهم تلك المعادلات، ولم نسعَ إلى تغييرها، أو نُدخل ما يغيرها ، فلن ترى دولتنا الكبرى النور، وسنبقى قابعين بين أسوار فلسطين نستجدي دعم الدول لتحمينا ..

كاهانا: وماذا بيدنا لنفعل ... ؟

تدخل **عميرو** منزعجاً: أنصت واستمع إلى حكمة يهود..ثم طلب من بنيامين أن يستمر بشرحه..

بنيامين مغتاظاً: أتمنى على الجميع عدم مقاطعتي لحين الانتهاء من شرحي،

وبعدها يمكنكم أن تعترضوا كما تشاؤون....

عميرو: لن يقاطعك أحد..أكمل...

بنيامين: إن أوجدنا معادلات توقظ تلك الأمة النائمة، نستطيع أن نحقق ما لم تحققه القنبلة الذرية..

قلب **عميرو** شفته معجباً بكلامه..

بنيامين: إنَّ من واجبنا نحن أمة يهود، أن نستأصل أمة محمد من جذورها..وهذا لن يتحقق كما تعلمون بالحروب والقتال؛ لأنهم محاربون أشداء، فإن قتلنا منهم ملايين، خرجت أولادهم وأحفادهم بأضعاف أضعافهم، وكلهم سيحمل السلاح ضدنا، ويقاتلنا ويستأصل دولتنا، ويقضي على أحلامنا، ويؤخر خروج ملكنا ... لأن دينهم متجدد في نشاطه ملزم في أحكامه..

عميرو: أحسنت القول..وكلامك بلا شك فيه الكثير من الحقيقة ... وهل توصلت إلى ما نصبو إليه..؟

بنيامين: عندي الكثير منه...ولكن أحب أن نتناوله من خلال نقاشنا، وندوِّنه بعد أن نتفق عليه جميعاً...

عميرو: حسناً...سأتكلم أنا...الذي فهمته..وأيضاً هذا ما كان يشغلني طوال الأسبوع الماضي..وقد رأيت أنَّ نهاية الأمم والحضارات لن يكون إلا بتدمير أسسها وثوابتها، لتنهار بعدها إلى الأبد..والإسلام أثبت نهوضه منذ عهد هولاكو وإلى يومنا هذا، فكلما سقط نهض وعاد أقوى من ذي قبل...والحروب الداخلية فقط هي التي أضعفته، وما ذاك إلا بفضل جدنا ابن سبأ في ذلك الحين..أما الآن فعلينا أن نستنهض الأمة التي تلقَّت عن جدنا تعاليمه الأولى، ونحثهم على قيام دولتهم، ونعلن لهم أنهم أحق بالملك من بقية الدول، وعليهم أن يمهدوا الطريق لمنتظرهم بوجود دولة ترعاه..وهذا الأمر سيكون من خلال معادلة جديدة..

أرائيل وقد أعجبته الفكرة: وما هي لقد شعرت بالإثارة حقاً..؟

عميرو: إنها ولاية الفقيه التي ذكرتها لكم سابقاً، هذا الولاية تُعطي الإمام صلاحية المهدي إلى حين خروجه من غربته، ونستطيع أن نبني عليها الأحكام العديدة..وكما تعلمون حب علمائهم للمناصب والمال والجاه والنساء..

تدخل بنيامين في الحديث: والعزير هذا ما كنت أفكر به..ولكن أرى أن ندعم كل خطوة بمحفزات وأدلة تؤدي إلى اعتناقهم ما نريد دون أي معوقات..

عميرو بثقة مفرطة: كل الأمور تحت السيطرة، ونحن لا نعمل إلا بخطوات ثابتة المعالم وفوق أرضية صلبة..وعندي الآن بعض الأفكار حول تلك الولاية، ولكن أريد من الحاخام بنيامين..بعد أن وجدت عنده عقلاً متميزاً، أن يُوجدَ بعض المعادلات حول عرضنا هذا، وأنا بدوري سأقوم بذلك أيضاً، لنجمع الأفكار ونستخلص منها ما يفيدنا..

نظر أرائيل **وكاهانا** إليهما مستغربين تنحيتهما، فعاجلهما عميرو: وأنتما أيضاً اعملا ضمن هذا الإطار، وعلينا أن نجد الوسيلة لتكون بين أيدينا في الأسبوع القادم، فلم يعد لدينا وقت كاف..فأمتنا تستصرخنا..

كاهانا: ولماذا لا يعملون معنا في هذا المجال..؟

ظهر الغضب على وجه عميرو: لقد اختارونا؛ لأننا أقرب الناس إلى الأمة الفارسية، ونحن أهل البلد والمقيمون فيه منذ آلاف السنين ، وأعلم الناس بدينهم، وتفكيرهم، والمؤثرات فيهم ... هل فهمت ..؟.. كما لا يخفى على الجميع أنَّ رجالنا موجودون في كل جحر من هذا البلد..

كاهانا بخجل: نعم..!!

عميرو بتهكم وسخرية: الآن قد عرفت سرَّ حقد زوجتك عليك .. ولم يتمَّ كلامه حتى دخلت جولدا، مستنفرة أعصابها، قد اعتلى وجهها الصفرة، وقالت موجهة كلامها إلى زوجها: أيها الحقير النتن بماذا أخبرتهم عني..؟..

بدأ **كاهانا** بالتلعثم وتغير وجهه خوفاً من سطوتها ، وبدا عليه

الاضطراب..فتقدمت إليه وأمسكت بتلابيبه وشدته إليها بقوة..

وما إن رأى الحاضرون هذه الحالة، حتى أشار عميرو على الجميع بالانصراف.. فرمقهم **كاهانا** بنظرات حادة: الآن تذهبون بعد أن رميتم الفتنة...ألم أقل لكم لا أريد أن تكون الجلسة في بيتي..؟..فلم يعره أحد أي اهتمام، وأسرعوا بخطواتهم نحو الخارج..ولما وصل عميرو إلى الباب استدار إلى كاهانا وقال له بسخرية مقصودة: لا تنسى موعدنا...!!

فما كان من كاهانا إلا أن رمقه مظهراً استياءه..وأمسك بيد جولدا مقبِّلاً ومتوسلاً: أرجوك اهدأي فعميرو لا يقصد ما قال..إنها والعزير مزحة رماها ليفرق بيني وبينك...

جولدا: أتحدث الناس عني..وتصفني بالشريرة..؟

كاهانا: لو كنت كذلك هل أعيش معك..فكري في الأمر..؟..إنَّما أردت ألا آتي بهم إلى بيتنا كي لا أتعبك بخدمتهم..وهم أخذوا الأمور على محمل الجد، واختلقوا تلك المشكلة.. وأقسم لك أنهم تراهنوا على الإيقاع بنا قبل أن يأتوا، وهذا الفتة من تدبير عميرو...

بدأت جولدا تعود إلى هدوئها رويداً رويداً..وأعادت تحسين هندامه بيديها وأجلسته على الأريكة وقدَّمت له كأسَ عصيرٍ: سأعتبر الأمور كأنها لم تكن..وإياك أن أسمع عني كلمة سيئة بعد الآن..لأنه سيكونٍ آخر يوم في حياتك..

كاهانا: وهل سمعت مني خلاف ذلك..؟.

جولدا: الحقيقة...إلى الآن لم أسمع..!!

كاهانا: حسناً إذن..وراح يلعن عميرو على هذه الفتنة..

* * * * *

موكب جنائزي

تحرّكت مواكبُ العزاءِ بأربعينية الحسين، وتقدم الموكب مجموعة كبيرة من الشُبَّان، يحملون جنازير حديدية، ومن خلفهم مجموعة كبيرة من الرجال، يضربون على الطبول بإيقاعات تتلاءم وتتوافق مع ضربات صدورهم ولطمهم، وساروا في الشوارع والأزقة، وشكّلت مجموعة كبيرة منهم دائرة، وقاموا بتمثيل واقعة الحسين مع قاتليه...وتقدمت مجموعة أخرى يطوّقون رجلاً يمثّل يزيد، وراحوا يرمونه ببعض الأحذية، ويسمونه بالكافر ويكيلون له الضربات غير المبرحة ...

مرَّ الموكبُ بالقرب من بعض العجائز، فلما رأينه أخذتهن الحمية، فحملت إحداهنَّ عصاها وتقدمت إليه مسرعة، وضربته على أمِّ رأسه ضربة قوية أفقدته وعيه، فسال دمه غزيراً، وصاحت على بقية الناس أن يقضوا على يزيد ويثأروا للحسين..وما هي إلا لحظات حتى اجتمعت عليه الحشود الغاضبة، يضربونه بكل ما حوت أيديهم...حاول مرافقوه دفعهم عنه: دعوه إنه منا...ولكن دون جدوى..وبعد لحظات انكشف عنه غطاؤه، فنظرت إليه العجوز وضربت على صدرها بشدة: إنَّه علاوي بائع النفط...وأخذت تدفع عنه الناس وتقول له : علاوي وليدي أنت ياهو مالتك بيزيد حتى تقاتل ويّاه الإمام الحسين..

أجابها علاوي بصوت ضعيف لا يكاد يُسمع: أنا أُمثّل دوره يا يمّه..ثم انفضَّ عنه الناس بعد أن عرفوه..وحملوه بعد ذلك إلى أقرب مستشفى وهو في حالة مزرية..

كان **آية الله مهدي** ميرزا يقف ومعه مجموعة كبيرة من الآيات، يستعرضون المواكب الزاحفة نحوهم...والجميع يضربون صدورهم ويلطمون وجوههم، مع كل دوي طبل يخرج، حتى أحسَّ الجميع بأن قلوبهم تتناغم في إيقاعاتها معه، وكأنها تدقُّ سيمفونية جنائزية من العصور القديمة...

جلس **آية الله مهدي** بعد انتهاء الاحتفال وقال لهم: إخواني شيعة أمير المؤمنين صلوات الله عليه..أنتم تعلمون أنَّ مواكب عزائنا، ما كانت لتكون لولا آل بويه وفضلهم علينا، فعندما كانت لنا دولة قبل مئات السنين، سنّوا لنا تلك المناسبات حتى وصلت إلينا، وأصبحت تراثاً تؤديه شيعتنا في كل عام...ونحن أكثر الناس إصابة في أئمتنا، فقد تواكب علينا الملوك والأمراء، فقتلوا أئمتنا وشردوا الكثيرين منهم في الكهوف والجبال..ونحن ننتظر قائم آل محمد، ليعيد لهم مجدهم المغلوب، وملكهم المسلوب..وإلى أن يحين خروجه، ليس لنا إلا أن نحتفل بهم في هذه المناسبات ونرسلها لهم، فإنهم يرون فعلنا الآن، ويباركون جهدنا ، ويترحمون علينا، ويشفعون لنا عند المليك المقتدر..فأكثروا يا شيعة آل محمد من ذكرهم إلى أن يئن الأوان، ويُرفع عنا الذل والهوان بقائمنا آخر الزمان..

ثم أصدر أمره إلى القائمين على الطعام، وجلست الجموع أمام الموائد يتناولون غداءهم..وخُصَّ الآيات بمقصورة معزولة عن الناس بما لذَّ وطاب من اللحوم، فجلسوا ملتفِّين حول الموائد ينهلون من لحومها بنهم، لطيب طعمها وبراعة تجهيزها..

كان أكابر القوم من التجار والأغنياء ، يقومون على خدمة الآيات بأنفسهم..فيسكبون لهذا ويزيدون لذاك ..

وبعد أن انتهوا من طعامهم، حمل بعض الرجال قدور اللحم والطعام إلى بيوت علمائهم، وزينوها بالمقبلات والحلوى والفاكهة...واستمر هذا حالهم لعدة أيام حتى انقضت المناسبة، واستعدوا إلى المناسبة القادمة التي ستأتي بعدها..

* * * * *

كرم الملوك

تناول **الشاه** فنجان القهوة مع زوجته شهبانو في حديقة القصر..والحرس والوصيفات يطوقونهما من كل جانب قائمين على خدمتهما..

استرق **الشاه** النظر إلى بعض الوصيفات وتبسَّم لهنَّ...والملكة تلحظ فعله متجاهلة عن طيب خاطر منها مبتعدة من أمامه، فدخلت القصر فلحقتها راحيل، فشعرت بسوء مزاج ملكتها، فتقربت منها وسألتها: مولاتي أراك متعبة هذا اليوم..!!

حاولت الملكة التظاهر بالجلادة وعدم المبالاة: لا شيء يستحق..

أطرقت **راحيل** برأسها إلى الأرض دون أن تنبس ببنت شفة..لكن الملكة نسيت نفسها وصارت تتمتم بصوت مسموع: يتجاهلني ويهمز ويلمز لتلك الغانيات، وكأنني غير موجودة..!!

راحيل: عفواً يا مولاتي..!!

سقطت من عين الملكة دمعة لم تستطع إخفاءها..

ذرفت **راحيل** من عينها دمعة أيضاً...نظرت إليها الملكة مندهشة: ما بك يا راحيل..؟

تسارعت شهقات **راحيل**: لا شيء يا مولاتي..فأنا لا أستطيع أن أراك حزينة...!!

تأثرت الملكة بما رأت فربتت على كتفها: أنت يا راحيل نعمة من الله..ولولا إخلاصك وحبك لي لأصبت بالجنون..

راحيل: سلامتك يا مولاتي..نفسي فداء لك..

أمسكت الملكة بيدها وتوجهت بها إلى غرفتها الخاصة، وأخرجت عقداً ذهبياً مرصَّعاً بالجواهر النفيسة وألبستها إياه: هذا ثمن محبتك لنا وإخلاصك لبلاطنا..

انتحبت **راحيل** مرة أخرى وقالت بحب ودفء: يكفيني أن أرك مرتاحة جلالة الملكة، ولا أريد من الدنيا أكثر من ذلك..

سعدت الملكة بما سمعت: هذا عربون رضائنا يا راحيل..وعليك أن تخبريني بكل ما ترينه..

راحيل: بالطبع يا مولاتي..

الملكة: أحسنت...وعودي الآن إلى عملك وابقي قريبة مني فلا أريد أحداً غيرك بعد اليوم..ثم سألتها لماذا لا تنامين في القصر لتكوني قريبة مني..؟

أطرقت قليلاً إلى الأرض ثم رفعت رأسها : مولاتي.. أتمنى ذلك؛ ولكن أبي شيخ كبير يحتاج إلى رعايتي..

الملكة: لا بأس..لا بأس..اهتمي به..!!

* * * * *

أخذت **راحيل** تتلوى وتتمايل أمام أبيها وجلست بالقرب منه..فنظر إليها بريب: كأني أشم منك رائحة غريبة...

ضحكت **راحيل** حتى اغرورقت عيناها بالدموع: تنشَّق كما تشاء..وعليك أن تصل إلى مصدر تلك الرائحة..

عميرو: هوني عليَّ الأمرَ وأخبريني..فلا طاقة لي على الصبر..؟..

تركته **راحيل** في حيرته وغادرت إلى المطبخ لتعد له طعام العشاء..لكنه تحامل على نفسه ووقف على عكازه، وانطلق وراءها بخطوات بطيئة يتمايل عن اليمين وعن الشمال محدثاً نفسه: لقد شممت شيئاً غريباً لا بد أن أعرفه..!!

نظرت إليه **راحيل** بفرحة لا تكاد تخفيها: عليك أن تعرف السر وحدك يا أبي..

تقرّب إليها ووضع أنفه على رأسها واستنشق بقوة: لقد عجزت فأخبريني..

انتابتها نوبات طويلة من الضحك أسقطتها أرضاً، وأسالت دموعها على وجنتيها وقالت له: والعزير لقد انتقل إليك بريق عجل السامري يا أبي..

عميرو بفرح: ها..هناك شيء متصل بالعجل إذن..؟

راحيل بتصنع: تقريباً..

عميرو بشغف كبير: أرينيه..؟..

أخرجت **راحيل** العقد من تحت ثيابها..وما إنْ وقعَ نظره عليه، حتى انعكس بريقه في عينيه، فأمسك به على الفور، وصار يقلّبه مندهشاً، ويداه ترتجفان: هل سرقتيه..؟

راحيل بامتعاض: وهل أنا سارقة..هل تظن أنْ أفسدَ عملي بهذا العقد التافه..؟

عميرو: يا للهول..وكيف حصلت عليه إذن...؟

راحيل: هذا سر عملي..

عميرو بفرح: أحسنت...أحسنت...وحاولي أن تحصلي على المزيد..

راحيل: هذا يتطلب مني جهداً مضاعفاً..!!

عميرو: جهدك مشكور...ثم أخبرته الخبر من بدايته إلى نهايته..فما كان منه إلا أن اعتنقها قائلاً: أنت أكبر من سنك بكثير يا بنيتي..وعقلك هو هدية الله لنا نحن أبناء يعقوب..

انتابت **راحيل** فرحة غامرة لثناء أبيها: طب نفساً يا أبي فأنا ابنتك ورثت عنك الدهاء والحنكة والكياسة..

عميرو: أحسنت..وهذا ظني بك..لقد اصطنعتك لهذا الزمن...!!

راحيل بسعادة: هذا أول الغيث..ولن يكون الأخير..

عميرو: بوركت يا بنيتي..بوركت يا بنيتي..!!

* * * * *

بائعات الحب

مع ارتفاع شمس الصباح، مرَّ عدة شُبَّان يتجولون في أزقة القرية وبيوتها، ينشدون الدفء بين ربوعها...فأخذوا يقفزون بخطواتهم بين حفر المياه والمزابل، التي انتشرت بين تلك البيوت..

كانت أم شاهيناز قد استيقظت مبكراً، ورشَّت الماء أمام بيتها استعدادا لاستقبال ناشدي الحب...

تخطَّت نظراتهم البيوت..ينظرون إلى هذه وإلى تلك..وعبارات الإغراء تنهال عليهم من كل جانب..وتسمَّرت عينا أحدهم على فتاة نائمة بفناء المنزل، قد انكشفت إلى نصف ساقيها..ناشدة بعض البرودة الصباحية...

تقدَّمت إليهم أم شاهيناز، بعد أن ربطت شعرها ورمت به خلف ظهرها، وزيّنت وجهها بالماكياج الصباحي كما هي عادتها صباح كل يوم..وقامت بإغرائهم بعبارات تعودت أن تلقيها مع أصحاب الشهوات من زبائنها..

لكن أحدهم نظر إلى الفتاة النائمة، والشهوة العارمة تكاد تخرج من عينيه، مشيراً إليها: أريد هذه الصبية..

نظرت إليه أم شاهيناز بغضب: هذه ليست للبيع ولا للزواج...!!

الشاب بشغف وإلحاح: سأعطيك ما تريدين..

أم شاهيناز بانزعاج: قلت لك : هذه ليست للزواج..فإن أردت فعلى صدري تنشد الدفء والراحة..

تنحنحت شاهيناز على صوت أمها، وشقَّت إحدى عينيها قليلاً، فرأت شاباً في وجهها..فلما نظر إليها ورأى حسن جمالها..تقدم إليها ليلمسها..فما كان من الأم إلا أن أخذت بتلابيبه وهزته بعنف: ألا تفهم أيها الحقير النجس..إنها ليست للزواج...!!

لكن أنوثتها أصابته بعمى وصمم مؤقت..فلم يعد يسمع بذاءة لسانها...فلما وجدت شاهيناز تهافته عليها دون وعي..قامت إليه على الفور وضربته بيدها على وجهه، وقالت بصوت عالٍ : اخرج من هنا..وتقدمت إليه الأم وسحبته من يده ودفعت به إلى الشارع..

فما كان منه إلا أن ذهب إلى محل السيد فوجده متقوقعاً على نفسه، منتظراً رزقه ليعقد على بائعات الحب ومشتريه..فقال له: مولانا أريد فتاة..ووالدتها ترفض تزويجها..

السيد بزهد وصوت ضعيف: ابحث عن غيرها يا بني..فبنات القرية ونساؤها أكثر من الهمِّ على القلب..

الشاب بإصرار: لكنني أريدها هي..وسأدفع لها ما تشاء..وسيكون لك الحلاوة الكبيرة إن ساعدتني..

فرك السيد كفيه فرحاً وانتصب واقفاً: أرينيها...

أشار الشاب إلى بيتها..فترك السيد محله وانطلق نحوها، وقال مخاطباً أم شاهيناز: إنها ربع ساعة فقط وتحصلين على مال وفير..

تقدمت منه آخذة بتلابيبه: يا عجوز النحس..اغرب عن وجهي..وكفاك ما تأخذه من أجر..ولا علاقة لك بابنتي..ثم تفلت في وجهه..فانطلق عائداً يجر أذيال الخيبة..

زاد الشاب في مجونه، فعاد إلى الأم مرة أخرى، وأخرج من جيبه مبلغاً كبيراً: خذيه..وسأعطيك أضعافه..!!

انتفضت الأم وشاهيناز عليه مرة واحدة وأوسعتاه ضرباً..وأم شاهيناز تلعن الأيام التي أوصلتها إلى هذا العمل..فأخذت شاهيناز بيد أمها تقبّلها مخففة عنها غضبها..

* * * * *

تراث الأجداد

سارت الأمور بين الحاخامات على خير ما يرام من البحث والتمحيص، فعكفوا على استخراج المعادلات والأحكام، واستنبطوها من بطون الكتب القديمة..وفي الموعد المحدد، التقى الجميع في بيت أرائيل، فاستقبلهم بترحيب بالغ..أراد أن يضفي بعض الكرم على ضيوفه، مُظهراً طاعة زوجته وخدمتها له..

لم يعهد الجميع منه هذا الكرم الحاتمي من قبل..فبعد أن جلسوا في الصالون أخرج بنيامين ورقة من جيبه ووضعها أمامه، وكذلك فعل الآخرون، باستثناء كاهانا، الذي نظر إليهم منزعجاً لما أحدثوه في بيته تلك الليلة..لكن الجميع تجاهلوه، وأخذ عميرو على عاتقه إدارة الجلسة، ووجه كلامه لبنيامين: من عندك نبدأ..؟

تقدم بنيامين إلى الأمام ووضع نظارته على عينيه، وأسقطها إلى أرنبة أنفه، ونظر إليهم من تحتها..لقد قرأت في الكتب القديمة مئات الصفحات خلال الأيام الماضية، وتوصلت إلى العديد من النتائج، التي يعرفها الجميع أو ربما مطّلع عليها، وارتأيت أن أذكر بعضها على سبيل الذكر ، فربما نُخرج من طيّاتها ما يساعد ويقوي مسعانا نحو هدفنا المنشود..

عميرو: تكلم وأوجز..!!

أظهر بنيامين الجدية في قوله، ونظر إلى ورقة أمامه قد دوّن عليها عبارات قليلة: نحن نعلم أن الجذور الأولى للديانة الشيعية استمدها جدنا من مجموعة معتقدات، التي ساهمت جميعها في خدمة الأمة الفارسية، التي خسرت معركتها مع العرب في فتوحاتهم القديمة، فحب الفرس وتعلقهم بملوكهم، جعلهم يدينون لهم بالملك والوراثة والديانة، مسلّمين لهم ما خلّفته لهم ديانة ماني ومزدك وزردشت، وعندما سعى جدنا في تحريك تلك الأمم للنيل من الإسلام، خلط تلك الديانات ببعض

العقائد الآسيوية..

قاطعه **عميرو**: قدم أمثلة لنعلم..

بنيامين: أقصد البوذية والبرهمية...والأمر الأكثر شيوعاً، أننا حقنّاهم ببعض البصمات الوثنية من آشورية وبابلية...فآمن العديد منهم بالحلول والتناسخ...

عميرو: كل هذا نعلمه..ونحن اليوم نريد أفكاراً جديدة تتواكب مع أهدافنا ودولتنا العصرية..والماضي لم يعد كافياً، لذلك علينا أن نُدخل مفاهيم حديثة..

تدخل أرائيل مقاطعاً: لقد وجدت من الأنسب أن ندرس عقول الآيات بتعمق ودقة شديدين، حتى يتسنى لنا وضع الحلول التي تتناسب مع تفكيرهم، وكي لا ندور في حلقة مفرغة لا طائل منها...

عميرو بامتعاض: وهل ترانا ندور برحى كرحى الدواب يا أرائيل...؟

أرائيل على الفور: آسف لم أقصد ذلك..وإنما أردت أن نكون أكثر دقة في طرحنا..

عميرو: الذي يزعجني أنك وكاهانا لا تشاركان في أي أفكار، ولا نسمع منكما إلا الاعتراض والتعريض..وأنا أقترح على المجموعة أن تقتصر الجلسات القادمة عليَّ وعلى بنيامين فقط..لأننا الوحيدان نعمل ونسهر ونخلق الأحداث..

تمتم **كاهانا** بصوت غير مسموع فقال له عميرو: صرِّح عما في قلبك، فنحن جميعاً في مهمة واحدة...

كاهانا: لا شيء...لا شيء...!!

عميرو متجاهلاً الجميع: نعود إلى إتمام ما بدأنا...ثم أخرج ورقة صغيرة من حقيبته ووضع نظارته وأخذ يتأمل فيها للحظات، والجميع في حالة صمت ينتظرون كلامه..ثم رفع رأسه: لقد دوّنت بعض الأمور الهامة تتناول معادلات جديدة كنت قد حدثتكم عنها سابقاً..

بنيامين: أتقصد ولاية الفقيه..؟

عميرو: نعم هي ما أردت..إنها ولاية الفقيه...وهي قنبلة موقوتة ستفجِّر العالم الإسلامي بأكمله، وتقلب موازين الأمور جميعها، وسنرى الحروب بين الدول، والجدل العلمي العقيم بين علمائهم..والصراعات على السلطة..ولن تقوم لهم قائمة بعد ذلك...ثم أعطى الورقة إلى أرائيل وقال له: اقرأ ما فيها ومررها على البقية...

وما إن انتهوا من قرأتها حتى قال **عميرو**: وأنا سأتولى باقي المهمة..فما رأيكم بما قرأتم..؟

بنيامين: إنها حقاً رائعة بكل مفاهيمها..ولقد أجدت الحبكة..ولكن يلزمك حجة الإقناع القوية..فكما تعلم إنَّ تعاليمَ الديانة الشيعية، تستند على وجود المنتظر ليتحركوا من خلاله، وهم الآن في حالة موت سريري ولن ينعشهم إلا خروجه..

عميرو بثقة مفرطة: دعوا الأمر لي وأنا من سيتدبر أمرهم..فالخيوط جميعها بيدي، ولا أحتاج إلاَّ الجلوس مع كبيرهم..

كاهانا: هم كثيرون جداً وكلهم آيات وسادة، فكيف ستختار منهم..؟

عميرو: علينا أن نختار أشدهم حباً للزعامة والمال والجاه والسلطة..

أرائيل: ومن هو..؟

عميرو: أظنه **آية الله مهدي** ميرزا..

بنيامين: لكن الذي أعرفه أنه مقيم في النجف..

عميرو: أعلم ذلك..وسأذهب إليه بعد أن تأذن لي قيادتنا في النمسا..وتقبل ترشيحي له..

بنيامين: باركك العزيز..ونحن معك..

ضحك **عميرو**: أنت معي فقط وعليك أن تستخرج مما قرأت كل حجة لتطرحها عليه..

بنيامين: ومتى سيكون ذلك..؟

عميرو: أقرب مما تتصور..فأنا اليوم سأرسل إليهم خطاباً عبر أحد

المسافرين..وبالتأكيد سيأتيننا جوابهم قريباً..وحتى ذلك الوقت علينا أن نجهّز أنفسنا لهذه المهمة...

شعر الجميع بدنو العمل الهام، وأنَّ الأمورَ في حالة تطور سريع، والأيام القادمة ستكون حبلى بالمفاجآت الكبيرة، التي ستُحدث زلزالاً كبيراً سيغيّر خارطة العالم العربي إلى الأبد .. وعليهم أن يستعدوا ويشمروا عن أيديهم لاستقبال المولود الجديد...لكن أرائيل التفت إلى عميرو: عرفنا خطتنا مع الآيات....وماذا سنفعل مع الشاه وهو حليفنا..؟

عميرو: يحق لك أن تفكر بذلك...عندي فكرة لم تنضج بعد..

أرائيل: أخبرنا بها ربما نساعد في نضوجها..

رمقه **عميرو**: قلت لك : دع الأمور ريثما تنضج..

فما كان من أرائيل إلا الامتثال..وتبادل النظرات مع بقيّة الحاخامات، مبدياً انزعاجه وعدم رضاه ...

* * * * *

حجاج زائرون

طرق علي التميمي صباحاً باب آية الله مهدي بهدوء...وما إن دخل حتى اقترب منه وقبّل يده وجلس أمام قدميه: مولاي الإمام...أتانا ضيوف من باكستان وقم..

سأله **آية الله مهدي** بلا مبالاة: وماذا أيضاً..؟

علي: لا شيء..وإنَّما أردت أن أخبرك فقط..

مهدي: وأين هم الآن..؟

أطرق علي برأسه وقال بصوت خافت: إنهم يفترشون الشوارع والمقام يا مولاي..

تغيّر وجه **مهدي** وقال على الفور: أخشى أن ينقلوا لنا العدوى والقمل والحشرات، فهؤلاء الأقوام لا يعرفون من الدين إلا القذارة في ملبسهم ومأكلهم..

ظهرت على وجه عليٍّ الحيرة: وما العمل يا مولاي..هل نطردهم..؟

مهدي مستهجناً: ماذا تقول..؟..نطردهم..!..اذهب واطلب من رئيس وفدهم أن يغتسلوا ويتطهروا؛ لأن الإمام الحسين وآله لا يستقبلون ولا يقبلون طاعة قذر في جسده أو ملبسه..

انطلق علي إلى رائدهم على الفور، فرآه جالساً في صحن المقام، وأتباعه من حوله يتناولون طعامهم، وقد تجمع الذباب من حولهم بكثافة...فأمسك أنفه، حابساً عنه رائحتهم النتنة، وأخبر رئيسهم بمقولة الإمام..وما هي إلى ساعة من الزمن حتى انصلح شأن أكثرهم، بعد أن خلَّفوا وراءهم قذارتهم وملابسهم المتسخة، وجلسوا جميعاً في صحن المقام يتباكون ويتمسحون بأعتابه..وظلَّ هذا حالهم إلى أن دخل عليهم **آية الله مهدي** ميرزا، فتوافدوا عليه محتشدين ليقبّلوا يده..فنظر إليهم وبدا على وجهه الامتعاض والقرف من حالهم..لكن مقامه الديني فرض عليه تقبل هذا

الواقع المرير...

لما عاد في المساء إلى بيته، دخل الحمام مباشرة وخلع عنه جميع ملابسه، وطلب من خادمه أن يذهب بها إلى المغسلة ويعقّمها..وقال له: غداً قف أمامي ولا تدع أحداً يقترب مني أو يقبّل يدي..أفهمت..؟

علي: نعم يا مولاي...

مهدي: لقد لقيت من يومي هذا نصباً..!!

سأله علي: هل أُجهِّز لك طعام العشاء يا مولاي قبل أن أذهب..؟

مهدي: زوجتي هي من ستقوم بذلك...رغم أني لا أشتهي الطعام مما رأيت وشممت هذا اليوم..

علي: أنا بخدمتكم ..ثم قبَّل يده وانصرف..

* * * * *

ساءت العلاقات الزوجية بين الشاه وزوجته، لكن البروتوكولات الملكية فرضت عليهما التظاهر بالتوافق والمحبة..لم يكن يعلم خصوصياتهما إلا راحيل، التي كانت تتقرب إلى الملكة يوماً بعد يوم، حتى أصبحت من خاصتها المقربين، وممن ترتاح للحديث معها، وتفضفض لها بهمومها، وما يدور حولها..وكانت راحيل في كل الأوقات، تخفف عنها ظاهراً وتشعل نار الغيرة في قلبها باطناً...

إلى أن جاء يوم سألتها الملكة: أشعر كأني قطعة أثاث أو متاع في هذا القصر، وليس لي أي صفة سوى ما أضعه على رأسي من تاج أو لباس ملكي..

راحيل مظهرة المحبة: مولاتي..ثم سكتت...!!

الملكة باهتمام: ما لي أراك صامتة، يبدو أنك تحملين أخباراً سيئة..!!..

نأنأت **راحيل** بأدب: عفواً يا مولاتي...إنَّما خطرت لي فكرة ربما تريحك بعض الشيء..ثم صمتت وقالت: لا...لا شيء..

أحسّت الملكة بالفضول: ويلك تكلمي..

راحيل بصوت خفيف لا يكاد يُسمع..لكنني أخشى من وقع كلامي عليك، فأخسر خدمتك يا مولاتي..

الملكة: لا عليك فأنت في أمان..

تقدمت إليها **راحيل** وهمست في أذنها ببضع كلمات..فظهرت البسمة على وجه الملكة، وبدأ وجهها يشعّ بالسرور..وقالت ضاحكة: ما هذا الهراء..؟

راحيل: أنا آسفة يا مولاتي فعقلي هو من أوصلني إلى هذا الحل...

راحت الملكة تقضم أظافرها بأسنانها، وبين الفينة والأخرى تبتسم، ثم تعود إلى قضم أظافرها ثم تبتسم، وظلّ هذا حالها لدقائق، ثم رفعت رأسها وانطلقت مغادرة..

* * * * *

سأل **عميرو** ابنته: هل فعلت ما أخبرتك به..؟

راحيل بثقة: نعم يا أبي..

عميرو: وماذا كان الجواب..؟

راحيل : لا شيء وإنما تركتها هائمة مفكرة...

عميرو: ستوافق بالتأكيد..

راحيل: وما الذي جعلك متأكداً إلى هذا الحد..؟

عميرو: أنا حفيد الحكماء..وورثت عنهم عقولهم وتفكيرهم..الذي يوصلهم إلى ما يريدون..

سألته **راحيل**: كيف سارت الأمور مع لجنة الحاخامات..؟

عميرو: يبدو يا بنيتي أنني الوحيد الذي يعمل في هذه البلاد، فالجميع في غيهم يعمهون...

راحيل: لقد قلت : إن بنيامين أكثرهم حرصاً على ما تفكر به..

عميرو: تقريباً..وحرصه وتفكيره نابعان من عقلي أنا..فأنا من يوحي له بالأفكار..

راحيل: وأين البقية..؟

عميرو: أما **كاهانا** فليس له إلا الخوف من جولدا، التي سيطرت على عقله بسطوتها، فأصبح مهتزَّ الرجولةِ والتفكيرِ، فلا نراه إلا سارحاً، وقلَّما يشاركنا الحديث..أما أرائيل فهو أقل سوءا من سلفه...فقد صبَّ جُلَّ اهتمامه على البهرجة، وإظهار نفسه بالكريم والمسيطر على بيته وزوجته..وكأنه ينافس كاهانا في حياته..

ضحكت **راحيل**: لكن يا أبي الذي أعرفه أنَّ زوجةَ أرائيل أشد سطوة من جولدا..

عميرو: وهذا ما أعرفه أنا أيضاً..ولكن يبدو أنها أكثر حنكة في تعاملها مع الآخرين، ولا تُخرِج سرَّها خارج بيتها..

راحيل: ربما..

عميرو: دعينا الآن من الناس وحديثهم..وجهزي لنا طعام العشاء..فإني أجد شهيتي للطعام اليوم كبيرة..

راحيل: هل شممت ما أتيتك به..؟

ضحك **عميرو**: أراك تهزئين بي هذا اليوم..؟

راحيل: لا يا أبي فمن يشم رائحة العقد من تحت الثياب، أولى به أن يشمَّ رائحة الطعام..ثم ضحكت وتوجهت مع والدتها إلى المطبخ..

* * * * *

توجه أرائيل وزوجته لزيارة **كاهانا** على غير موعد مسبق..ولما طرق الباب هرعت جولدا على الفور وهي تشتم بصوت خافت: لعنك الله...من يأتينا في هذا المساء..!!

وما إن فتحت الباب حتى أطلَّت زوجة أرائيل برأسها: مساء الخير مدام جولدا..وتقدمت إليها وراحت تقبلها بتصنع واضح..فما كان من جولدا إلا أن قالت لهما: تفضلا..أهلاً وسهلاً بكما..

جلس الضيفان في الصالون، وبعد ثوان قليلة خرج **كاهانا** ليرى من القادم، وهو مرتدياً ثوب غسيل المواعين، لافا رأسه بقطعة قماش كما تفعل السيدات، وما إن رآه أرائيل حتى انتابته الضحكات، فلم يستطع السيطرةَ على نفسه فارتفع صوته عالياً، وشاركته جولدا وزوجته بالضحك..فعاد كاهانا إلى الداخل مسرعاً قد احمر وجهه خجلاً فأصلح شأنه، وجلس مع ضيوفه وكأن شيئاً لم يكن..

نظرت إليه زوجة أرائيل مستهزئة: أراك تَعبا...!!

كاهانا: لا..فأنا أحب بين الفينة والأخرى أن أساعد حبيبتي جولدا في عمل المنزل..فهي متعبة هذا اليوم..

نظرت إليها زوجة أرائيل وقلَّبتها لتتأكد من صحة قوله ثم التفتت إلى زوجها: انظر إلى الرجال كيف يساعدون زوجاتهم..!!

عرف **كاهانا** أنَّ الفرصة أصبحت مواتية لثأره من أرائيل فقال لها: سيدتي..ألا يساعدك أرائيل في البيت..؟

الزوجة: من أين له هذه المساعدة..فلا همَّ له إلا بطنه ولباسه..

استدار **كاهانا** إليه مشيراً إلى زوجته: ألا تساعد هذه المسكينة... هل هي خادمة أبيك.. اتق الله فيها..فهي من كبار يهود..ولا يحق لك تجاهلها وتجاهل حقوقها..!!

أحسَّ أرائيل بأن الأمور بدأت تخرج عن سيطرته، فتوجه بالحديث إلى زوجته: إنها تحب أن تعمل كل شيء بيدها ولا يعجبها عمل أحد..

فعاجلته زوجته قائلة والغضب ظاهر على وجهها: اصمت فحسابنا ليس الآن..

انفرجت أسارير **كاهانا**، وبدا عليه آثار النصر، فصار يتمادى في غيِّه: عليك به يا سيدتي فمثلنا لا يأتي إلا بالرفس والدهس والكلمة البذيئة والصفح على الرقبة..

الزوجة: معك حق والعزير..!!

حاول أرائيل التدخل لكن زوجته نحرته ورفسته برجلها: اصمت وإلا...

فما كان من أرائيل إلا أنْ صمتَ متفادياً الأسوأ وقال لها: حبيبتي هل نغادر..فقد

أصبح الوقت متأخراً...وقفت الزوجة وقالت بانزعاج: هيّا...هيّا..!!

وقبل أن يغادرا التفت أرائيل إلى **كاهانا**: لعنك الله ولعن من أتى عندك..

ضحك **كاهانا**: أنا من تضحك عليّ..والعزير لو بقيت أكثر لسمعت أكثر..

فما كان من أرائيل إلا أن تَفَلَ في وجهه وانطلق مغادراً..

مسح **كاهانا** وجهه بيده وراح يضحك..ونظرت إليه جولدا وشاركته ضحكاته، وعلى وجهها أثر الزهو لما تركته من انطباع في نفس ضيفيها، وقدرتها على تسييس زوجها كيف تشاء..

* * * *

مهمة سرية

دعا **عميرو** الحاخامات إلى الاجتماع في بيته..وما أن توافدوا حتى أخبرهم بوصول جواب الرسالة التي أرسلها إلى النمسا جاء فيها:

سري للغاية

إنَّ دولة إسرائيل تتطلع إليكم وإلى جهودكم، وهي إذ تُثمِّنُ جهودكم وإخلاصكم، تدعوكم إلى الانطلاق نحو هدفكم السامي، وقد ارتأينا أن يكون عالمنا **عميرو** المتصرف عند الجهات المطلوب الاتصال بها، على أن يقوم بقية الحاخامات بمساعدته في مسعاه، والتزموا جانب الحيطة والحذر في كل خطوة تخطونها، وقد وجد حكماؤكم أنَّ خيرَ رجلٍ يمكن يستوعب طروحاتكم هو **آية الله مهدي** ميرزا ، لما فيه من نزعة حقد على الآخرين، ويمكن تسييسه بسهولة، وسنبذل جهدنا في سبيل نجاح مهمتكم داخل إيران، فانطلقوا باركِكم العزيز وسدد على الهدف مسعاكم.

النمسا/ عنهم الحاخام/ شموئيل شمعون...حرر بتاريخ/ ٢٢/ ٤/ ١٩٧٨م

شعر **كاهانا** بالألم لإقصائه عن رئاسة الحاخامات بعد أنْ بذلَ الجهد المضني في سبيل الوصول إليها..وصار يرمق **عميرو** بنظرات لاذعة ملْؤها الحقد والضغينة...

أحسَّ **عميرو** بما يضمره بحقه، لكنه قال له بخبث ولؤم: هذا نتيجة استهتارك في عملك، وعليك منذ الآن أنْ تشمِّرَ وتجتهدَ لتكون الرئيسَ من بعدي..

كاهانا والألم يعتصر قلبه: لا فرق بيني وبينك، كلنا جنود في خدمة الوطن..!!

عميرو: بوركت وهذا ما كنت أود سماعه منك...ثم التفت إلى بنيامين: عليك أن تُجهّز نفسك إلى السفر فأمامنا مهمة صعبة...

بنيامين بشغف: أنا جاهز سيادة الحكيم..

ضحك **عميرو** لاسمه الجديد..فلننطلق غداً إذن...!!

* * * * *

مع شروق الشمس، تحركت سيارة أجرة باتجاه المطار، تقل عميرو وبنيامين، فأخذت تعبُّ الأرضَ عبا..ونظرات السعادة ظاهرة على وجه بنيامين لا يستطيع إخفاءها..

وما إن استقلا الطائرة، حتى صار بنيامين ينظر إلى المدينة من الأعلى، وعلامات السعادة والسرور بادية على وجهه، فسأله عميرو: أراك فرحاً مسروراً..

بنيامين: أتدري يا حكيم..هذا أول سفر لي منذ أكثر منذ ثلاثين عاماً، ولولا أن منحنا الشاه حق المواطنة التامة لما شعرت بهذا الشعور الآن...

ضحك **عميرو** لقوله: يعود الفضل في هذا الجواز لحكمائنا في الخارج، فهم من مارس على الشاه هذا الضغط وألزموه بالتزامات عديدة..ولولا ذلك لكان الآن بين روث الأبقار والحمير...

بنيامين: أهذا معقول..؟

عميرو: يا بنيامين أنت لا تعلم أن وجود الشاه ارتبط بموافقتنا، ونحن من أوجده في هذا المكان..وإذا شئنا جردناه من كل شيء..والزمن كفيل ليعرفك صدق قولنا..ولا تنسى أنَّ كبار الضباط المقربين من القصر هم من اليهود الذي يسيّسون دفة الحكم..

بنيامين: أعرف أن الأمور كذلك..لكن لا تنسى أن الشاه يملك من القوة العسكرية، بحيث إنه قرَّب العديد من الضباط الذين يجودون بحياتهم دفاعاً عن وجوده..

عميرو: لا تصدق تلك الإشاعات..فعند الجد لن ترى منهم من أحد ولن تسمع لهم ذكرا ..

هزَّ بنيامين رأسه مسلّماً له القول..مذعناً لرأيه..!!

* * * * *

خرجت الملكة من غرفتها مرتدية لباس نومها، وطلبت من إحدى الخادمات أنْ

تُجهِّزَ لها حمامها..وجلست في الصالون...وما هي إلا ثوان معدودة حتى تقدمت إليها **راحيل** وجلست بالقرب منها: مولاتي أرى في وجهك أثر التعب والإرهاق..

الملكة: لم أنم كما يجب هذه الليلة يا **راحيل**..

راحيل: خير يا مولاتي..!!

الملكة بحنق: القصة نفسها يا راحيل..

راحيل: مولاتي أنت تعرفين الحل..فلِمَ لا تسعين إليه..؟

الملكة: هذا كبير وكبير جداً ولا يليق بي فعله كملكة..

صمتت **راحيل** وأطرقت برأسها إلى الأرض، وأخذت تتناولها الأفكار، فكيف تدفعها إلى تحقيق مآربها...

نظرت إليها الملكة فرأتها شاردة: ما بك يا راحيل..؟

راحيل: لا شيء يا مولاتي..

الملكة: أتخفين عني شيئاً..؟

راحيل: لا أريد أن أزعجك..!!

الملكة: تكلمي فأنت أقرب الوصيفات إليَّ..!!

راحيل بحذر: مولاتي..جلالة الملك..ثم صمتت..!!

تنبهت الملكة: ويلك تكلمي..

راحيل: أخشى يا مولاتي إن تكلمت أن أفقد حياتي ووظيفتي في القصر..

الملكة: أنتِ بيت سري وعيناي من ورائي فأخبرني..!!..

تصنَّعت **راحيل** الخجل: مولاتي الملك عنده من العشيقات ما لا يحصى..

الملكة بغضب: ماذا...ماذا..!!

راحيل: مولاتي..عندما يسافر الملك إلى الخارج..هل تعرفين ماذا يفعل هناك..؟

أطرقت الملكة وبدأت تفكر بقولها، وقالت بصوت خافت لا يكاد يُسمع: أنا لا أعرف ماذا يفعل هنا فكيف إذا كان في الخارج..؟

أجابتها **راحيل** وكأنها تجيبها عن تساؤلاتها: أرأيت يا مولاتي..؟..

الملكة: كلامك صحيح...ولكن هل رأيت الشاه في حالات مسيئة..؟

راحيل: مولاتي...عند سفرك إلى فرنسا، جمع وصيفاتك من حوله ومارس معهن الرذيلة والفجور...

صاحت الملكة بغضب: أقسم بالله سأطردهن..

راحيل بهدوء: مولاتي خففي من حدَّتك..فإن طردتهن اليوم فسيأتي بغيرهن غداً، ولن تعرفي عنه أي شيء بعدها..

شعرت الملكة بأن عقلها بدأ يخونها، فقالت لها مستسلمة: وماذا أفعل أكاد أجن...؟

راحيل: كما قلت لك دعيه في مجونه، والتفتي إلى نفسك، فأنت ملكة أيضاً، ولا ينبغي أن تبقي معلقة بين السماء والأرض..!!

الملكة بعصبية: أنا لا أفعل كفعله.. وهذا العمل لا يليق بي كملكة...

راحيل: مولاتي..أتبقين هكذا تأكلين بنفسك دون أن يشعر بك..؟.

الملكة: الأمور لا تجري هكذا يا **راحيل**...إنَّما هي إحدى اثنتين إما الصبر على بلائي أو الفراق..وهذا فات أوانه..

صمتت **راحيل** دون أن تنبس ببنت شفة...

* * * * *

حطت طائرة **عميرو** وبنيامين في مطار كراتشي، وكان في استقبالهم السفير الإسرائيلي، الذي توجه بهما إلى السفارة بسيارة مظللة تخفي من بداخلها..وما إنْ استقرَ بهم المقام، وقدَّم السفيرُ واجبات ضيافتهما أمر بتصويرهما، ولما حلَّ المساء عاد بهما إلى المطار، وأعطاهما جوازات سفر جديدة تحمل الجنسية الهندية، وألبسهما لباساً إسلامياً، وقال لهما: باركما العزير...وودعهما متمنياً لهما التوفيق والنجاح..

* * * * *

هبطت الطائرة في مطار بغداد الدولي، وبعد ساعة خرجا من المطار، واستقلا سيارة أجرة إلى النجف..

انطلقت السيارة بسرعة..وبعد ساعتين من الزمن توقفت بهما أمام المقام فنزلا منها..وما إن رآهما المتسولون حتى اجتمعوا عليهما أرتالاً وجماعات..فحاولا الابتعاد فلم يُفلحا..إلى أن خرج إليهم علي التميمي شاتماً..ونظر إلى لباس الزائرين فأعجبه نظافتهما ونضارتهما، فتقرَّب إليهما سائلاً: من أين الزائرون..؟

عميرو: بلكنته الإيرانية..نحن من كشمير..

علي: يا هلا بزوار العتبات المقدسة ومشى أمامهما..إلا أنَّ **عميرو** استوقفه: نريد آية الله مهدي ميرزا..وبعد ذلك نؤدي طقوس زيارتنا على أحسن وجه..

علي: هو في الداخل فهلمَّا إليه..

عميرو: لا...فليأت هو إلينا..

أظهر علي دهشته: لا ينبغي للإمام أن يأتيكم..هو يؤتى ولا يأتي..!

تقدم **عميرو** وبنيامين على مضض وسارا وراءه...وما إن نظرا إليه حتى تقدما نحوه وقبّلا يده..

نظر **مهدي** ميرزا إلى **عميرو** فأكبره وأجلسه إلى جانبه: أرى في وجهك الوضاءة والحسن..

عميرو بتواضع مصطنع: هذا نوركم يا مولاي..

مهدي: هل لكما من حاجة فنقضيها..؟..

عميرو: نعم عندنا حاجة مهمة وخطيرة..

مهدي: هات ما عندك..

عميرو: المقام هنا لا يسمح بهذا الحديث...

أحسَّ **مهدي** بأهمية ما يحملانه: لا بأس، وأشار على علي التميمي: خذ ضيفينا إلى بيت الضيافة وسأوافيكم بعد قليل..

علي: حاضر يا مولاي..

انطلق **عميرو** وبنيامين وراءه وهما يتأملان الجموع الزاحفة والمنبطحة أمام المقام، فوجدا المقبّل للأعتاب والمتمسح بالنافذة والأخشاب والباكي أمام الأغراب..فأخفيا بسمة كادت أن تفضحهما...!!

دخل **آية الله مهدي** إلى ضيفيه: نحن وحدنا الآن...!!

نظر **عميرو** إلى علي التميمي بعينين عرف منها مهدي قصده، فقال لعلي: اذهب وجهّز لنا طعام الغداء، وقف مع الطباخين لحين انتهائهم..

علي: لكن يا مولاي..!!

مهدي بحزم: افعل ما قلت لك..فعندنا ضيوف كرام وجب علينا إكرامهم..وأنا من سيقوم على خدمتهم ... فما كان من على إلا الإذعان لطلب سيده، فانطلق إلى عمله مخلياً الجو لمولاه وضيفيه .

رمق **مهدي** ضيفيه بعينين حادتين وقال لهما: ها..وماذا بعد..؟

عميرو: سماحة الإمام نحن أتينا في مهمة خاصة بك وحدك..وهي على درجة عالية من الأهمية والسرية.. وقد انتدبنا كبار العلماء من أجلها، وتمَّ اختيارك دون سائر المجتهدين في هذا العالم..

أعاد **مهدي** جلسته لهذا الإطراء وأخذته العزة والكبر: أكمل...أكمل..

عميرو: إن إيران يا مولاي تعيش حياة مزرية، فحالة الفساد الملكي والظلم الديني الذي يصبه الشاه على شيعتكم أكبر من أن يحتمله إنسان عاقل مثلكم...

مهدي: أرى نغماً لا أحبه..فالشاه إنسان عاقل، وقد رأينا منه حسن الخلق والحرص على المقدسات والمناسبات الدينية، وتقديمه الذهب الخالص للأضرحة والمقامات..

عميرو بخبث: بالتأكيد هذا حاله المعلن، ولكن ما خُفي عنكم كان كبيراً وكبيراً جداً..

عقد **مهدي** حاجبيه ورمقه بنظرات فيها التساؤل: من أنتما..ولماذا أتيتما..ومن أرسلكما..؟

عميرو: ستعلم كل شيء في أوانه..!!

مهدي: عليَّ أن أعرف مع من أتكلم أولاً..!!

عميرو: نحن علماء درسنا في باكستان والهند، وتعلمنا أصول المذهب وأحكامه على أيدي كبار الآيات...

مهدي: ولكني لم أرَ وجهيكما قبل الآن...!!

عميرو: ربَّما خانتك الذاكرة..!!

مهدي: أنا لا أنسَ أبداً..ثم نظر إلى عميرو: ارفع عمامتك عن رأسك..

عميرو: لا حاجة لذلك..فما كان من مهدي إلا أن تقدم نحوه ليرفعها بنفسه..وما إن وقعت عيناه على شعره الطويل حتى قال له: أنت لست من شيعتنا..!!

أجابه **عميرو** على الفور: نعم.. نحن موسويون ..

لم يستغرب **مهدي** ما رأى بل ظلَّ هادئاً وقال له: دعنا نلعب على المكشوف دون مواربة ولفٍّ ودوران..

عميرو: لقد اختصرت عليَّ الطريق...نحن أتيناك بمهمة خاصة جداً، وهي تستلزم منك التفكير الجدي..وإلا سنلجأ إلى غيركم في تنفيذها..

شعر **مهدي** بخطورة وأهمية ما يطرح فقال باهتمام: تفضل تكلم..

عميرو: سماحة الإمام منذ كم مائة عام وأنتم قابعون في مجالسكم، تأكلون وتتمتعون وتنامون دون هدف أو عمل يعود على مهديكم بالراحة، ويحفِّزه للخروج من غيبته الكبرى..؟

همهم **مهدي**: نعم...نعم..أكمل..

عميرو: أما آن لكم أن تخرجوا من قمقمكم، ليرى النور إمامكم المنتظر..؟

مهدي: وكيف نتحرك ونحن مطوقون بأحكام لا تسمح لنا إلا بمهمات دينية

سطحية..

عميرو: أعرف كل ما ذكرت..ولم يغبْ ذلك عن ذهننا أبداً..

مهدي: أنتم تعلمون أننا ملزمون بالولاية الخاصة وليس لنا غيرها..

عميرو: نعم...نعم أعرف ذلك..ولكن ما المانع أن تتحركوا في الولاية العامة..وتكون لك خاصة دون الأنام من رجال الأديان..

بدأت النشوة تظهر على وجه مهدي، فعرف عميرو أنه أصاب صميم شخصيته: نحن نتطلع إلى جعلكم إمام المسلمين كافَّة، وسنقيم لكم دولة عظيمة، لتنشروا مذهبكم بين الدول الإسلامية جميعها..لأن ذلك سيمهِّد بالتأكيد إلى خروج مهديكم..

مهدي: نحن ننتظر خروجه ليقيم الحق ويبطل الباطل..!!

عميرو: أتريد للمنتظر أن يخرج بين دول تحمل له الضغينة والحقد والكراهية، وتعمل على استئصاله..؟..

مهدي مستهجناً قوله: فما العمل إذن...؟

عميرو: عليه أنْ يخرجَ ليجد دولة عظيمة تقوم على راحته، وتحارب أمامه..ليتفرغ إلى أعدائه ويقيم الحق والعدالة لآل البيت الأطهار، ويأخذ حقه ممن ظلمكم وظلم أجداده الأئمة..!!

مهدي: ولكن الشاه يقوم ببناء دولة عظيمة...ثم دعني أسألك: ما الفائدة التي ستجنونها أنتم من وراء ذلك كله..؟

عميرو: سؤال وجيه جداً ودعني أقول لك بصراحة...نحن نريد دولتنا..وأنتم تريدون مهديكم والقصاص من أعدائه، فمصالحنا مشتركة في هذه النقطة، والنقطة الثانية والأهم، نحن من سيتحمل بناء دولتكم، ونعمل على حمايتها إلى أن يشتدَّ عودها وتستوي على سوقها..

عميرو: لكن كيف سأخرج إلى الناس بنظريات رفضها علماؤنا عبر العصور

الماضية..؟

عميرو: دعنا نناقش الأمور من بدايتها..فقل ما عندك، وسنقول لك كيف تعمل في هذا المجال..

مهدي: ليس هناك دليل قطعي في آثار الأئمة المعصومين ومروياتهم، يدل على وجوب طاعة الفقيه طاعة مطلقة في دائرتي الأحكام الخاصة والعامة سواء بسواء، وإنما هذا مقصور على المهدي المنتظر فقط..!!

عميرو مظهراً الثقة الكبيرة: الأمر سهل جداً، نُغيِّرُ الأحكام ونقول : إنَّ الفقيهَ المتمكن والمجتهد ينوب عن الإمام لحين خروجه، فأين المشكلة في هذا الأمر..؟..

مهدي: وهناك أيضاً أمر خطير، فإثبات الولاية العامة للفقيه ينتهي لا محالة إلى التسوية بينه وبين الإمام المعصوم، وهذا ما لا تؤيده حجة من عقل أو نقل في كل مصادرنا..

عميرو: وهذا الأمر أيضاً بسيط ولا يحتاج إلى التفكير؛ لأننا سنقول إنَّ الفقيهَ الذي اجتمعت فيه الكفاءةُ العلمية، وصفةُ العدالةِ يتمتع بولاية عامة، وسلطة مطلقة على شؤون العباد والبلاد باعتباره الوصي على شؤونهم في غيبة الإمام المنتظر.

مهدي: لكن هذه الفكرة لم يقلْ بها علماء المذهب المحدثين ولا القدماء، لأنهم خصّوا الفقيه العادل الذي بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق بالولاية الخاصة فقط..

نظر إليه **عميرو**: يا سماحة الإمام ألا تريد أن تكون حفيد المعصوم..؟

مهدي بثقة: أنا حفيده بالفعل..!!

عميرو: الحفيد يرث من الأب والجد صفاتهما، فالعصمة تنتقل منه إليكم، فكما أن المهدي يتمتع بولاية عامة، فأنتم أيضاً تتمتعون بنفس تلك الولاية، ولا فرق بينكما على الإطلاق..وهذه الخاصية تبقى في نسلكم إلى أن يقوم قائمكم، وتسلمونه القيادة بيده دون أن يعترض عليه أحد من العامة أو الكفرة أو المرتدين..

قطع علي على المجتمعين نقاشهم: مولاي الغداء جاهز...

أشار **مهدي** عليه أن يأتي بالطعام إلى الغرفة..وقال لضيفيه: علينا أن نُكمل حديثنا بعد الطعام...

* * * * *

تقوقع **كاهانا** على نفسه في البيت لا يكلم أحداً، ولا يخرج منه إلا لأمر ضروري تفرضه عليه جولدا..

حتى استاءت من تصرفه الغريب..فاقتربت منه حاملة بيدها سكيناً..وما إن رآها حتى ارتعشت أوصاله: أتريدين قتلي يا حبيبتي..؟..

نظرت جولدا إلى السكين بيدها: إن لم تقف فوراً وتأتي ورائي إلى المطبخ فسأبقر بطنك بها..هيّا...ورائي..!!

مشى على الفور منطلقاً خلفها، ووقف أمامها كالذليل: ماذا تريدين مني يا امرأة..؟

جولدا: أخبرني ما بك..فمنذ أن سافر **عميرو** وبنيامين وأنت صامت حزين..؟

امتلأت عيناه بالدموع..وما إن رأته حتى تقدمت إليه وربتت على كتفه بحنان مصطنع: أخبرني ما الذي أحزنك إلى هذا الحد..؟

بدأ **كاهانا** بالبكاء: أنت من فعل بي هذا...كنت العالم الأوحد في الكنيس وقد سحب **عميرو** البساط من تحت قدميَّ، وهو الآن في مهمة خارج البلد، وأنا قابع كالكلب الأجرب في هذا البيت الممل..!!

جولدا: وما الذي فعلته أنا..هل منعتك من السفر..؟

كاهانا تصرفك معي وسطوتك، جعلت مني رجلاً مذبذباً لا يتابع عمله، ولا يقرأ ولا حتى يفكر..والجميع ينظرون إليَّ على أنني محكوم منك، ولا رأي لي إلا طاعتك والخنوع لك..

اغتاظت جولدا من كلامه وقالت غاضبة: يا حقير ومنذ متى أتحكم بك..ألا يكفي ما أقوم به من عمل خدمة لك ولقرفك..؟

كاهانا: هذا هو ما كنت أحدثك عنه..حتى الكلام تمنعينه عني..وعليَّ الطاعة دون تفكير أو نقاش...وهذا ما أوصلني إلى هذا الدمار المخزي..

لما سمعت جولدا منه هذا الكلام ، تغيَّر لونها وتقدمت إليه وتَفَلَتْ في وجهه: يا عديم الرجولة والرأي، ألم تسمع أنَّ الفَرَسَ من الفارس...وأنت لست فارسي وإنما فرسي... ثم أعطته بعض البصل: قطّع البصل واخرس ولا أريد أن أسمع صوتك بعد الآن...

أذعن **كاهانا** إليها وتناول البصل والسكين من يدها وبدأ بالعمل..فزاد غاز البصل من غزارة دموعه...

* * * * *

اتكأ الجميع على الوسائد وراحوا يرتشفون الشاي، مادِّين أرجلهم مسترخين.. فقال لهم الإمام **مهدي**: عليكم أن ترتاحوا قليلاً..

عميرو: رأي سديد سنخلد إلى النوم ساعة واحدة فقط ولنتمّ بعدها حديثنا..

مهدي: دع الأمر إلى المساء..عند عودتي من المقام..!!

عميرو: عفواً سماحتكم لا وقت لدينا، وعلينا أن ننهي الأمر فنحن على سفر، والجميع ينتظرون جوابكم وإلا...

وما إن سمع **مهدي** كلامه حتى قال له على الفور: سأكون عندكم بعد ساعة تماماً..

طلب **عميرو** من علي إيقاظهم في الوقت المحدد..

لما أطبقت تمام الساعة تقدم علي على رؤوس أصابعه وقال للضيفين: دخل وقتكم أيها السادة الأفاضل ..

فجلسا على الفور وأخذا بالتهامس، وما هي إلا دقائق حتى أطلَّ مهدي عليهما وجلس بالقرب منهما، وقال: لقد فكَّرت بقولكما ورأيت أنَّ الأمورَ تستحق التضحية؛ ولكن ينتابني خوف شديد من القادم، فالشاه ليس بالرجل الضعيف الذي

يستسلم بسهولة، وكما تعلمان أن جيشه يُعدُّ الخامس في العالم من حيث القوة والعدة والعدد، ونحن لا نملك ما ندفع به عن أنفسنا..

أشار **عميرو** على بنيامين أن يتحدث..

اعتدل بنيامين في جلسته: سماحة الإمام..هل تعتقد أننا نتحدث إليكم الآن دون أن نكون قد أعددنا للأمور عدتها، وأحطناها بكل مستلزمات النجاح والحبكة الكاملة..نحن نعمل منذ سنين في هذا المجال وقد جهزنا لكل شيء..من إعلان البيان وإلى صكوك الغفران..فلا تشغل بالك بأي شيء، وما عليك إلا أن تسمع منا وتقوله بلسانك لمن في الخارج من شيعتكم..

مهدي: وكيف السبيل إلى هذا الإعلان..وماذا سنقول للعامة والعلماء..؟

أخرج بنيامين ورقة من جيبه بعد أن وضع نظارته على عينيه: اسمع..!!

ركّز **آية الله مهدي** تفكيره نحوه وأنصت له باهتمام..

بدأ بنيامين بالتلاوة: عليك أن تقول للناس الآتي:

إنَّ الفقيهَ المجتهد له حق الولاية نيابة عن الإمام المنتظر، وبذلك ترتفع منزلته إلى مقام الإمام المعصوم، وهو معصوم عن الخطأ...هذه الإمامة مستمرة، طالما كان الغائب غائباً، ويترتب على هذه الولاية، أن يكون المجتهد صاحب السلطة المطلقة، ومعصوماً عن السقطات والزلات، وهو المتصرف بشؤون البلاد والعباد، ولا يحق لأحد أن يعترض عليه أبداً ولا حتى مجلس الشورى أو الفقهاء المجتهدين..

شعر **مهدي** بالارتياح لتلك المهمة المطلقة، التي طالما حلم بها وتمناها لنفسه منذ كان يافعاً..ثم قال له: وماذا أيضاً..؟

بنيامين: هذه المرتبة كبيرة جداً بحيث تفوق الأنبياء والرسل..!!

مهدي: ماذا تقول..تفوق الأنبياء والرسل..؟

تبسّم **عميرو** وأعاد لنفسه الحديث: يا سماحة الإمام إنَّ الأنبياءَ والرسل لم يكملوا رسالات السماء، ولم ينجحوا في إرساء قواعد العدالة في الأرض، ومهديكم

وحده من سيقوم بإكمالها وإتمامها على أكمل وجه، وأنتم الخطوة الأولى نحو هذا الإتمام..

شعر بنيامين بقوة السحر الذي غامره: وأيضاً عليك أن تعلم أن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون..وأنت صاحب هذا المقام الرفيع..ونحن من سيُخضِع لك الكون وذراته ومن عليه..وعلى الناس أن يعلموا..وهذه مهمتكم بالطبع: إنَّ الأئمةَ وأنت واحد منهم..لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة...!!

بدت على وجه **مهدي** الوضاءة والسرور، فقال دون وعي منه: قد استخرجت من نفسي مكنوناتها..؟

بنيامين: وللإمام مقام لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل...وتعاليم الأئمة كتعاليم القرآن يجب تنفيذها واتباعها..شاء الناس أو رفضوا..لأن مقام سماحتكم فوق مقام البشر...ثم قال له: ما رأيك..؟ نريد جواباً الآن..وإلا دعنا وشأننا لنتدبر أمرنا..!!!

مهدي والنشوة ظاهرة على وجهه: أدعكم بعد كل ما قلتموه..؟..فأنا موافق على كل طروحاتكم..ثم قال بعنجهية وتكبر: هذا ما كان يشغلني طوال السنين الماضية...!!

نظر **عميرو** وبنيامين بعضهما إلى بعض وعرفا تأثير ما وقع عليه...

بدأ **مهدي** بالتمايل مكثراً من حركته، مغيِّراً جلسته بين الفينة والأخرى ثم قال: يبدو أنَّ الجلوس على الأرض قد أصبح مُتعِباً، ثم نهض وجلس على إحدى الكنبات القريبة منه..

تبسَّم الضيفان وشاركاه جلوسه..

مهدي: عندي استفسار يقلقني جداً..كيف سنفعل مع الشاه..؟

عميرو: ألم نقل لك اترك الأمر لنا، فقد أعددنا لكل شيء عدته، وما عليك إلا

أن تخرج إلى الناس وتبدأ بحملتك لتوعيتهم..على أن نرى النتائج خلال فترة قصيرة جداً..

مهدي: لكن الناس يحتاجون إلى وقت طويل..

عميرو: الناس كالغنم تستطيع أن تتحكم بعقولهم كما تشاء، وما عليك إلا الكلام ونحن من سيروِّجُ لك الفكرة في الأوساط الإيرانية..

بنيامين: عليك أن تستخرج أفكاراً مما قلناه، وتسجّلها على أشرطة، وترسل بها إلى شيعتكم في قم وبقية المحافظات، وحبذا لو كانت نيرانية..واستخرج منها عقائدهم القديمة وسخّرها في خطبك..

مهدي: ومن سينشرها هناك..؟

عميرو بثقة مفرطة: الشعب هو من سينشرها فلا تقلق...فالناس جميعاً يمشون خلف علمائهم دون تفكير..

مهدي: من هذا اليوم سأبدأ بالعمل..

عميرو: هذا ما نريده بالضبط..السرعة في العمل والتفاني في الهدف...

مهدي: وكيف سيكون اتصالنا بعد ذلك...؟

عميرو: أنا أو بنيامين..ثم أخرج من جيبه قلماً وكتب عليه رقم هاتف خارجي: ما عليك إلا أن تتصل بهذا الرقم وهو من سيصل إلينا ويبلغنا بطلبك..

مهدي بخوف: أهذا الرقم في إيران..؟

عميرو: لا إنه في أوربا..

تنهد **مهدي**: هذا أفضل..

عميرو: عليك قبل الاتصال أن تكون قد قطعت شوطاً طويلاً في مهمتك..لأن وقتنا من ذهب ولن نأتيك إلا إذا رأينا نتائج عملية وملموسة على الساحة الإيرانية..وإلا سنضطر مرغمين إلى تكليف غيركم ليقوم بهذه المهمة السهلة..

أجابه **مهدي** بثقة: ماذا...!! سترون النتائج قريباً...

عميرو: لا أظن أنكم تحتاجون إلى مال الآن، وإن احتجتم فلا بأس سنقدمه لكم..

شعر **مهدي** بالسعادة عندما ذُكر المال: بالتأكيد سنحتاج..

عميرو: معك صك مفتوح في هذا الشأن...

مهدي: هل المال معكم الآن..؟

عميرو: لا..بل سنؤمِّنه لك في غضون أربع وعشرين ساعة..

مهدي: وكم المبلغ..؟

عميرو: كم تحتاج...؟

مهدي: الكثير...

أخرج **عميرو** من جيبه قلماً وورقة: اكتب حاجتك، ولكن ضع توقيعك وبصمتك على هذه الورقة..

مهدي: ما هذا..؟

عميرو: وصل أمانة بالمال الذي ستأخذه..

مهدي: هل أوقع على المبلغ قبل استلامه..؟

عميرو بحزم: من وثق بكلامنا في ولاية الفقيه وقنع به وآمن..عليه أن يثق بنا في باقي الأمور..!!

مهدي ميرزا بخنوع: نعم...نعم..صدقت ثم وقَّع بأسفل الورقة وقال: أحتاج إلى خمسة ملايين في الوقت الحاضر..

أعاد **عميرو** الورقة إليه: اكتب أنك استلمت عشرين مليوناً..!!

صاح **مهدي**: ماذا..عشرون مليوناً وأنا طلبت خمسة ملايين فقط...!!

عميرو: هذه طريقتنا، ولا تنسى...ثلاثة أضعاف قليلة أمام ما ستجنيه قريباً، ولن تدفع من جيبك أي شيء؛ لأن مال إيران وثرواتها ستكون بيدك بعد ذلك..

مهدي: ولكن هذا ربا..!!

ضحك **عميرو** بخبث: نحن اليهود لا نتعامل إلا بما يمليه عليه ديننا، فالربا من غير اليهودي فرض علينا، واسمع لما يقوله كتابنا في سفر التثنية الآية ٢٣ منه: بل أقرضوا الغريب بالربا...فهل تريد منا أن نخالف معتقدنا..ونحن من سيقف معكم حتى النهاية..؟

تناول **مهدي** الورقة على مضض، ودوَّن عليها ما أملاه عليه..وفي الصباح الباكر انطلق **عميرو** وبنيامين عائدين إلى الهند، حيث طلب عميرو من أحد حكمائهم هناك أن يوجه أمراً إلى الشاه، بإبطال الحجاب في الأماكن العامة والمدارس والكليات، ويصدر قرارات تضيّق على رجال الدين في قم بعض الأحكام التي عاشوا عليها طوال حياتهم..ثم عادوا مغادرين كما أتوا..

وفي الطريق سأله بنيامين: حكيم رأيت منك اليوم عجباً..!!

عميرو: أتقصد ما طلبته من الحكيم بشأن الشاه..

بنيامين: نعم..

عميرو: أردت أن تظهر الأمور على طبيعتها عند حصول ثورة داخل البلاد..ولا شيء يثير الملالي إلا إذا تعدى أحد على حدودهم..فلم أجد مادة خصبة إلا الحجاب، وإبطال لبعض الأحكام التي تخصهم..

بنيامين: أنت بحق حكيم.. أنت بحق حكيم..

ضحك **عميرو** لقوله: هكذا يكون النجاح...وبتلك الأمور تستقيم الخطة..ولهذا قلت لأرائيل : إن الطبخة لم تنضج بعد..وكنت قد أرسلت بهذا الطلب في رسالتي إلى الحكماء في النمسا، وطلبي الآن للتذكير ليس إلا؛ لأنني أردت أن تجري الأمور بسرية تامة حتى لا تخرج إلى الملأ، وخاصة ممن لا سلطان له على بيته..فكيف سيكون سلطانه على حفظ السر..

بنيامين: صدقت..

عميرو: تعجبني نباهتك في كل الأمور...

تبسم بنيامين لهذا الإطراء..

* * * * *

ازداد حزن الملكة واستسلمت له، ولم تعد تُلقي بالاً لما يفعله زوجها، فصارت تستغل خروجه أو سفره خارج البلاد لاستقبال الضيوف، فتقيم حفلاتها في القصر لتنسى ما تعانيه، وراحيل معها تواسيها وتقوم على خدمتها..

في إحدى الأمسيات جلست الملكة تحدث راحيل بما تلقاه من راحة بعد كل حفلة تقيمها..وأنها أحسَّت بالفرق بعد أن تركت الأمور تنحى نحو هذا المنحى..

راحيل: مولاتي كوني على طبيعتك، وقدمي لنفسك ما يفرحها ويخرجها من حزنها...

الملكة: أحسنت..كل يوم تثبتين لي محبتك..وسأكافئك على إخلاصك ثم أمسكت بيدها ودخلت بها إلى غرفتها وأخرجت من قاصّتها سبيكة ذهبية: هذه هديتك عندي..وسيكون لك غيرها..

برقت عينا **راحيل** بما حصلت عليه وبدأ قلبها يخفق بشدة، فوضعت القطعة الذهبية عليه وقالت: اهدأ يا قلبي المعذب فقد جئتك بالدواء..

فما كان من الملكة إلا أن ضحكت وأشارت إلى قلبها: عندي لك من هذا الدواء الشيء الكثير...حتى تتوقف عن الخفقان..!!

* * * * *

مضت على زيارة **عميرو** وبنيامين إلى آية الله مهدي ميرزا أربعة أشهر، بدأت خلالها الأمور تأخذ صفة الجدية، فانقلبت الموازين وبدأ الناس يتداولون الخطب الحماسية لآية الله مهدي ميرزا، واشتعلت الأمور، وبدأ الشاه ورجال أمنه وجيشه بقمع المظاهرات المؤيدة للطروحات الجديدة، وسالت الدماء في الشوارع، وعُلِّقت أعواد المشانق للمعارضين، وكثر اللغط والقيل والقال..

كان اليهود ينظرون إلى الأحداث من بعيد، ولا يحركون ساكناً، إلا عندما يُرسِل

مهدي ميرزا بطلباته المالية التي كانت لا تتأخر عنه أبداً..والتي ساعدت كثيراً في إشعال الشارع الإيراني، وإلهابه بمسميات دخيلة راجت في عقول الناس والشباب على حد سواء، الذين كانت تستهويهم عباراته التحررية من قبضة الشاه الحديدية.. وظلَّت هذه الأفكار تتداولها الألسن والمجتمعات، إلى أن أصبحت بديهيات مطلقة لابد من الأخذ بها..فقامت المنظمات السرية على أثرها، وأخذت على عاتقها نشر تلك الأفكار بعد أن زينتها بزينة آل البيت والمنتظر، وتمهيد الطريق لخروجه..حتى قال الناس وأشاعوا بينهم: إنَّ المنتظرَ عالق بين السماء والأرض، مادا يده إلى الناس ليأخذوا بها..

* * * * *

سقوط الشاه

في وقت متأخر من الليل رنَّ جرس الهاتف في بيت **عميرو**..قامت راحيل على الفور: آلو من تريد..؟

المتصل: نريد الحاخام **عميرو**..

انطلقت راحيل على الفور إلى غرفة أبيها، الذي كان جالساً وكأنه ينتظر هذه المكالمة بفارغ الصبر..فتناول الهاتف من يدها على عجل وهو يلهث: نعم...نعم..فهمت..إلى اللقاء..

مع إشراقة الشمس اتصل ببنيامين: علينا أن نسافر اليوم إلى المكان السابق..

بنيامين: أنا جاهز..وبعد قليل أكون عندك..

استقلا الطائرة كالمرة السابقة وسافرا إلى الهند ومنها إلى العراق..وتوجها من فورهما إلى النجف..وما إن وقعت عينا مهدي ميرزا عليهما حتى اعتنقهما مقبِّلاً ومرحِّباً، وسار أمامهما إلى بيته، والحرس يحيطون به من كل مكان وهم مدججون بالسلاح..والناس يكبرون ويهللون عند رؤيته...

لما جلسوا قال له **عميرو**: كيف رأيت الأمور..؟

مهدي ميرزا: لم أكن أحلم بتلك المكانة العظيمة لولاكما..

عميرو: ليس هناك شيء ببلاش يا مهدي..أليس كذلك..؟

مهدي: بالطبع..ولن أنسى لكم هذا الفضل ما حييت..!!

عميرو: والآن لندخل بالمفيد...

مهدي: أين سنصل بعد ذلك..فالأمور بدأت بالتشعّب، وأخشى أن تخرج عن السيطرة، وقد وصلنا القمة في مسعانا..وليس بعد القمة إلا الانحدار والزوال..

عميرو: معك حق...عليك أن تعود إلى إيران..فقد آن الأوان لرجوعك..

وما إن سمع بإيران حتى صاح والخوف باد على وجهه: إيران..ماذا تقول..هل تريدني أن أُقتل..؟

عميرو بهدوء: هوّن عليك..ستعود على متن طائرة يحيط بك العالم بأجمعه، وسترحب بك الشعوب الإيرانية وتفتح لك صدورها..

مهدي: ولكن كيف وأنا هنا لا آمن على نفسي من القتل..؟

عميرو: عليك أن تغادر إلى أوربا فور وصول إشارة منا، ونحن سنمهِّدُ لك طريق العودة بعد ذلك..

مهدي: كيف..لم أفهم..؟

عميرو: نفّذ ما نقول..ودع الأمور تسير وفق ما خططنا له..!!

مهدي: أريد أن أفهم فقط..

عميرو: هل غدرنا بك سابقاً لنتخلى عنك الآن..؟

مهدي بتواضع وخنوع: الحق..لا..

عميرو: إذن دع الأمور تسير، ونحن من سيطلب من إحدى الدول استضافتك عندها لحين عودتك إلى إيران، وحاول أن تُجهِّزَ نفسك للسفر منذ الآن..

مهدي بخوف: والشاه..

ظهر على **عميرو** الغضب فصاح به: قلت لك ألف مرة نحن سنتدبر الأمر، وما عليك إلا التنفيذ فقط..

أطرق **مهدي** مذعناً مستسلماً لقوله...

* * * * *

أخرج **عميرو** من صندوقه الحديدي الصور، التي طالما احتفظ بها وأمعن فيها النظر، وأجلس ابنته إلى جانبه واضعاً يده على كتفها: لقد جاء الوقت المناسب الآن..

راحيل بخوف: هل من جديد يا أبي..؟

عميرو: لقد دقَّتْ ساعةُ الحقيقة..وخلال ساعات معدودة، سترين الأمور تسير

على غير الحال الذي تعرفينه..

راحيل مرتعشة: لقد أخفتني..فهل من جديد..؟..

فما كان منه إلا أن قرَّبها إلى جانبه مرة أخرى، وأخذ يشرح لها دورها الذي ستقوم به، ثم أخرج آلة الكاتبة من صندوقه ونفض عنها الغبار، وصار يملي عليها...وهي تكتب ويداها ترتعشان..وما إن انتهت حتى قالت: أبي هذا الكلام خطير جداً..!!

عميرو: لا تخشي شيئاً وقومي بعملك كالمعتاد، وعندما تصلك إشارتي عليك بتنفيذ ما أمرتك به دون تلكؤ أو تأخير..فالوقت يمر بسرعة، ونخشى أن يتداركنا الزمن وهذا ليس في صالحنا..

أذعنت **راحيل** لقوله وذهبت إلى النوم بخطوات متثاقلة..وأحسّت بليلتها كأنها أطول ليلة مرت في حياتها، وظلّت في حالة ارتعاش حتى الصباح..

وما إن دخلت القصر حتى سمعت إطلاق نار كثيف، وأعمدة الدخان واللهب تتعالى في كل سماء طهران، وعبارات التنديد والتمرد والانقلاب على الشاه تعمُّ الشوارع، فانتابها الخوف..وهي في حالتها تلك خرجت الملكة من مخدعها، وعلى وجهها حالة من الذهول والخوف، بحيث أفقدها النطق، فنظرت إلى أعمدة الدخان المتصاعدة من شتى أنحاء البلاد، فأصيبت بالارتعاش..فخرج الشاه وراءها مصفرَّ الوجه، وعلامات التعب ظاهرة على عينيه، منذرة بعدم نومه منذ ليالٍ..فتماسك قليلاً مظهراً الجلادة والقوة واللامبالاة بما يجري: ماذا هناك..؟

وهو في ذهوله دخل فادي وقدم إليه ظرفاً..ففتحه الشاه على عجل ونظر ما بداخله، وبدأ وجهه يتغير وظهر عليه ظلل من الألوان ثم أعادها إلى مكانها..فسألته الملكة: ما هذا..؟

الشاه بعصبية: لا شيء...

ولما أصرّت صاح فيها منزعجاً: قلت لك لا شيء وكفى..ألا تفهمين..؟

فما كان من الملكة إلا أن خطفت الظرف من يده، وفتحته بسرعة، فتناثرت منه بعض الصور على الأرض..وإذا فيها صور **الشاه** مع وصيفات القصر..

انقضّت عليه آخذة بتلابيبه: أيها الجاحد الخائن..

دفعها **الشاه** إلى الأرض: اغربي عن وجهي الآن..ثم انطلق إلى غرفة مكتبه مسرعاً..

ركضت الملكة وراءه شاتمة...وفي هذه اللحظة رنَّ جرس الهاتف...فأنصت الجميع ليعلموا من المتصل وكأنهم على موعد مع القادم..

الخادمة موجهة كلامها للشاه: عفواً يا مولاي..الاتصال لراحيل...

أخذت **راحيل** الهاتف على عجل، وعلا وجهها الاصفرار، وارتعشت أصابعها، وقالت أشبه بالصمت: نعم يا أبي..حاضر..

وما إن أطبقت الهاتف حتى وجدت السفير الأمريكي مع الشاه في غرفته الخاصة..وبعد لحظات خرج الشاه بخطى سريعة وهو يقول: هذا لن يكون...ولن أُسلِّمَ البلد لهؤلاء الأوغاد.

السفير الأمريكي: لكن الأمر ليس كما تفكر به..وإنما هي فترة وجيزة فقط وتعود بعدها، ريثما تنحل الأمور، وينسى الشعب تلك الصور المنشورة في الشارع الآن..

الشاه بعنجهية ولؤم: لقد بلّغت رسالتك ودعني أتصرف كما يحلو لي، فهذا شعبي وأنا أدرى الناس بتسييسه..

قلب السفير شفته السفلى مبدياً عدم ارتياحه لهذا القرار، وتوجه نحو الباب، وقبل خروجه التفت إليه: إن غيّرت رأيك فاتصل بي كي نخرجك سالماً من هنا..

تقدمت **راحيل** إلى الملكة وقالت لها: عليك أن تقنعي الشاه بالمغادرة..

التفتت إليها الملكة بسرعة، وقد ارتسم على وجهها الغضب: أرى في كلامك نبرة آمرة..

راحيل بهدوء وسكينة: جلالة الملكة الأفضل لك أن تقنعيه..فالبلد ليس لكما

الآن..أفهمت...؟

أطبقت الملكة بيديها على رقبتها وضغطت عليها بشدة: أتقولين لي هذا الكلام أيتها اليهودية الحقيرة..؟..

أمسكت **راحيل** بيديها، وأنزلتهما عنها بعنف، وأخرجت من جيبها مجموعة من الصور ورمتها في وجهها..

انحنت الملكة وتناولتها، فرأت نفسها في أوضاع فاضحة، فارتعدت فرائصها، نظرت إليها **راحيل** لترى أثر وقعها عليها...ثم قالت لها بلؤم: معك عشر دقائق..لتغادري القصر بمن معك، واحملي ما شئت من ذهب ومتاع، ولكن لا تتجاوزي العشر دقائق، وإلا سيرى العالم هذه الصور وتكون نهايتك ونهاية زوجك إلى الأبد..

مشت الملكة بخطوات متثاقلة تجرُّ قدميها جرا ، والدموع تنهمر من عينيها بغزارة، فدخلت إلى زوجها بعد أن أخفت عنه الصور وقالت له: علينا بالمغادرة فوراً وإلا ستدوسنا نعال الناس في الشوارع..واترك الأمر إلى أمريكا، فهي من ستعيد الأمور، وتهدئ لك الأوغاد...

الشاه: ولكن..!!

ارتمت الملكة على صدره وأخذت بالنحيب: لا تقل لكن...هيّا بنا الآن.. أرجوك... أرجوك..

أذعن **الشاه** إلى طلبها وتناول الهاتف مرتعشاً: ألو سعادة السفير...الشاه معك.

السفير: هلو جلالة الشاه..

الشاه: أنا جاهز...

السفير: عشر دقائق وتكون سيارات السفارة على بابك..

لم يمضِ إلا دقائق معدودة حتى وصلت السيارات والحرس يحيط بها من كل جانب، فصعدت العائلة الملكية إلى السيارات، وراحت الملكة تنظر إلى قصرها نظرة

مودع، والدموع تسيل على خديها..ثم أجالت بنظرها نحو وصيفاتها، فرأت الجميع في حالة وجوم وحزن إلا **راحيل**، التي لم تستطع أن تخفي بسمتها..فنظرت إليها ورفعت إليها يدها ملوحة لها باستهزاء وغبطة..لكن الملكة تفلت عليها..فردت عليها راحيل بقبلة وضعتها على كفها، ونفخت بها نحوها وبدأت بالضحك...

* * * * *

لاح للموكب الملكي مظاهرات قريبة في أحد الشوارع المؤدية إلى المطار..فبدأ رجال الحرس الملكي بإطلاق النار الكثيف نحوهم، فتجندل العشرات متوسدين الأرض..وبدأ الغاضبون بالتراكض نحو الموكب الذي زاد من كثافة نيرانه..ولما رأى حرس السفارة الأمريكية، والحرس الملكي الجموع المتقدمة، عادوا أدراجهم إلى القصر..بعد أن اتصلوا بعدّة مروحيات لتقلهم..

ظلوا قابعين بسياراتهم إلى أن حطت الطائرات في المكان المخصص لها في القصر..فاستقلوها وانطلقوا نحو المطار..فوجدوا طائرة على مدرج الإقلاع تنتظر القادمين، وما هي دقائق حتى انطلقت إلى عنان السماء..وأخذت بالابتعاد شيئاً فشيئاً، والشاه وزوجته وأولادهما ينظرون من النافذة، لا يستطيعون إخفاء دموعهم..

شعر **الشاه** ببدء كربته ومحنته فأخذ بالنحيب..هذه المرة دون أن يخفي حزنه ودموعه عن عائلته..فتقدم إليه أولاده فاعتنقوه..فضمَّهم إليه بشدة والألم يعتصر قلبه..فأمسكت الملكة بيده مخففة عنه مصابه، فاعتنقها وقال بصوت ضعيف غلبه حشرجة بكائه: لقد ضاع كل شيء..لقد ضاع كل شيء...ولم يبق لنا إلا الغربة والكربة..

نظرت إليه الملكة بعينيها الدامعتين الممتلئتين بآثار كحلها الذي سال على خديها: وأين حلفاؤنا...ألم يقولوا لك : إنها مسألة أيام وسنعود..ألم يعيدوك إلى الحكم قبل الآن..بعد الانقلاب الذي قام به محمد مصدق؟

الشاه: كانوا في حاجة إليَّ آنذاك..أما الآن فوجدوا عند الملالي مصلحتهم..

الملكة: لا أنت مخطئ يا عزيزي..فحلفاؤنا معنا...!!

الشاه بألم ويأس: إنها كذبة كبيرة يا عزيزتي..إنها كذبة كبيرة...وهي مؤامرة كبيرة أُعدَّت لنا بليل..كنا نحن ضحاياها...!!

الملكة: لكنك كنت نِعْمَ الوفي لهم، ولا يمكن أن يتخلوا عنك في هذه المحنة..!!

الشاه: لو أرادوني لما أوصلوا الأمور إلى هذه النتيجة...إنَّما كانوا يحفرون لنا خندقاً عميقاً طوال تلك السنين...وجهزوا للأمر جهازه..وقد رأيت الصور..فمن كان يجرؤ عليها إن لم تكن وراءها جهة قوية وسلطة كبيرة..ومخابراتهم كانت تعمل إلى جنب مخابراتنا، بل هم المسيطرون على جميع الأمور..فهل خرجت تلك الجموع دون علمهم ودون تدبيرهم...؟..وأيضاً الصور التي التقطوها...هل كانت صدفة..؟

صمتت الملكة سارحة بما فعلته راحيل، وكيف أنها مثَّلت عليها دور الوصيفة المخلصة..نظر إليها **الشاه**: ما بك...؟

الملكة: معك حق فقد كان القصر يعجُّ بهم..وأغلبهم لم يكن لنا يد في توظيفهم وتقريبهم إلينا..

الشاه: كنت مسلِّماً لهم كل شيء، حتى اختيار من يكنس القصر..وعامل التنظيف والحرس والوصيفات، والطباخين وكل شيء..وكل شيء..ولم نصحو إلا على حتفنا والسكين على رقابنا...وأنت تعلمين أن جميع قراراتي كانت بمشورتهم وبأمر منهم..وهم من طلب مني إبطال الحجاب وتقييد بعض الأحكام..ورغم اعتراضي..إلا أنني وافقت على مضض، بعد أن طمئنوني بصوابها..وبأنهم سيقفون معي عند فساد الأمور..لكنهم خدعوني وتخلوا عني...

الملكة: تناسى الماضي للحظات وفكر بالحاضر...فما العمل الآن..؟

الشاه: علينا أن نقيم في المنفى وليس لنا غيره..

الملكة: أفي أمريكا..؟

الشاه: بالتأكيد..وهل لنا غيرها..؟

وهما في حديثهما اقترب منه كابتن الطائرة الأمريكي وأعطاه الهاتف: جلالة الشاه مكالمة لك من البنتاغون..

أمسك **الشاه** الهاتف بيد مرتعشة: أنا الشاه..وبدا على وجهه الاصفرار وبدأت ضربات قلبه بالازدياد ثم سقط الهاتف من يده..فهرع الطبيب إليه وبدأ بفحصه وقام بتمديده على السرير واضعاً الأوكسجين على أنفه وفمه..وبدأت الملكة بالنحيب، وأصيب جسدها بالارتعاش وأولادها من حولها يبكون..نظرت إلى الطبيب بعينين متوسلتين: أرجوك أخبرني..؟

الطبيب: إنها ذبحة قلبية..أرجو أن ينجو منها..

توجهت الملكة على عجل إلى الكابتن: بماذا أخبرت الشاه...وأخذت بالصياح..؟..

أمسك الكابتن بيدها وأجلسها إلى جانبه: أنا قائد للطائرة وليس لي إلا طاعة الأوامر..

الملكة: وما الذي جرى..؟

الكابتن: جلالة الملكة أنت امرأة قوية وعليك أن تستعدي لكل شيء سيء...لقد رفضت أمريكا استقبال الشاه..

أجابته الملكة على الفور: فإلى أوربا إذن..!!

الكابتن بهدوء: يؤسفني إخبارك أن أوربا رفضت استقبالكم أيضاً...!!

وما إن سمعت الملكة بذلك، حتى انقضَّت عليه وشدته من رقبته: أنتم من أزلتم حكمنا، ودمرتم حياتنا، وتآمرتم علينا، والآن تتخلون عنا..!!

الكابتن: سأحاول الاتصال بهم الآن لأعلم الجهة التي ستستقبلكم..

لم تنتظر الملكة اتصاله فخطفت الهاتف من يده على الفور: ألو سيادة الرئيس..أنا الشهبانو غادة فرج..

الرئيس: من أين تتكلمين..؟

الشهبانو: من على متن الطائرة الملكية..وبدأت بالنحيب: سيادة الرئيس لقد تخلّى عنا العالم..ونحن بين السماء والأرض وليس لنا أحد..

الرئيس: بلادي مفتوحة لكم فأهلاً وسهلاً بكم..شعرت الملكة ببعض الهدوء، فكفكفت دموعها، وقالت للكابتن: توجه إلى القاهرة فوراً..

الكابتن: علي أنا أسأل رؤسائي أولاً..

تصنعت الملكة السكينة والهدوء وعادت إلى رشدها: تفضل..

وبعد لحظات سألته: كيف الآن..؟

الكابتن: أنا متوجه الآن إلى مطار القاهرة..

هزّت الملكة رأسها وعادت إلى زوجها آخذة بيده بلطف مخففة عنه مصابه..

* * * * *

لما علمت الجماهير بمغادرة الشاه للبلاد ثارت ثائرتها، فنزلت إلى الشوارع وبيدها الزجاجات الحارقة، وجعلت من وجهتها القصور والوزارات والمؤسسات الملكية فأشعلت النيران فيها، فماجت البلاد بالفوضى العارمة، وراح ضباط الجيش الكبار يصدرون أوامرهم إلى الجنود وآمريهم، بإطلاق النار عليهم..فانطلق الآلاف منهم بأسلحتهم الرشاشة ودبابتهم ومصفحاتهم، وأخذوا يفرقون المتظاهرين بقوة السلاح تارة.. وبالاعتقال تارة أخرى..لكن الأمور ازدادت حدتها مع خطاب مهدي، طالباً من الجماهير القبض على قادة الجيش، والأجهزة الأمنية، وأعطى الضباط الصغار الأمان على أنفسهم ومراتبهم...

استمر الحال إلى أن أعلن مهدي عودته من منفاه، قادماً من باريس على متن طائرة خاصة أقلّته من هناك..

توجه ملايين البشر إلى المطار لاستقباله، رافعين صوره مهللين ومكبرين للنصر الذي أنجزوه في فترة زمنية بسيطة..

وما إنْ أطلَّ من طائرته حتى لوَّح لهم بيده .. فصدحت الأصوات مدوّية عالية باسمة.. وتوجه من فوره إلى البيت الذي أُعدَّ له خصيصاً..

وفور جلوسه اجتمع برجال دينه، ووجه إليهم أوامره باعتقال جميع ضباط الجيش، ومحاكمتهم فوراً.. وأمر بتشكيل عشرات اللجان القضائية لهذا الغرض..ووزَّع المعتقلين عليهم بالتساوي سواء بسواء..

جرت المحاكمات في البيوت والمدارس والحسينيات...فكانت تصدر الأحكام وتنفذ على الفور فوق أسطح المباني أو بالقرب منها، والناس يتجمعون حولهم مهللين ومكبرين..وأقاموا حلقات الدبكة والرقص فوق الدماء والجثث..

* * * * *

أُلقيَ القبض على فادي قائد الحرس الملكي، وسلطاني محمد قائد الجيش، وهشام بوشهري رئيس المخابرات العامة...وتحولوا من فورهم إلى حسينية موسى الجواد .

استدعى آية الله محمد الطوساني الضباط الثلاث...فجيء بهم مقيدين، بعد أن عُصبت أعينهم برباط أسود..قد تورمت وجوههم، وتمزقت ثيابهم، وسُلِخت ظهورهم من التعذيب..

سألهم آية الله محمد بتهكم وسخرية: أنتم أركان الشاه على ما أعتقد..؟

لم يرد عليه أحد...فأعاد السؤال مرة أخرى، فلم يحصد إلا الصمت..فأشار إلى أحد حراسه برأسه فتقدم إلى فادي وضربه على ظهره بعمود من الحديد، فوقع على الأرض يتخبط من الألم..

قهقه محمد عالياً: لا تريد أن تجيب..ها..ولكن بين أحضان الملكة تتأوه أليس كذلك...؟..ثم صاح بأعلى صوته: اذهبوا به..فقد حكمنا عليه بالإعدام فوراً...!!

تقدم إليه أحد الحراس فسحبه من رجليه، وما إن وصل ساحة الحسينية، حتى رماه بعدة رشقات من رشاشه..

كان سلطاني محمد وهشام يرتجفان خوفاً لصوت الرصاص..لكن آية الله محمد سألهم: ها..وأنتما..

هشام: مولاي أنا كنت عبداً مأموراً ليس لي إلا الطاعة..!!

آية الله محمد: لا بأس قد سمعنا قولك، وعرفنا حجتك..وهذا لا يمنع أن تلحق بصاحبك فصاح مزمجراً: أيها الحقير ابن الحقير، حكمنا عليك وعلى سلطاني بالإعدام فوراً، على أن ترمى جثتيكما إلى الشارع بعد ذلك..

تقدم إليهما الحراس..ولما توسطا ساحة الحسينية فُتح عليهما وابل من الرصاص فسقطا بلا حراك..ثم سُحبت الجثث الثلاث ورمي بها إلى الناس، الذين كانوا ينتظرون نتيجة الحكم..وما إن رأوهم حتى تقدموا إليهم فمزقوهم إرباً إرباً...ومنهم من قضم قطعة من لحمهم ثم رماها..وبعد ذلك خرج إليهم آية الله محمد مبتسماً لهذا العرس الجماهيري الكبير..

* * * * *

جلس الحاخامات في معابدهم وكأن الأمر لا يعنيهم..وأقاموا احتفالاتهم على حين غفلة من الناس مقدمين التهنئة لأنفسهم..

كان المواطنون اليهود يستمتعون بعروض الضيافة، دون أن يعلموا من وراء تلك الكارثة، التي ألّمت بالبلاد والعباد...لكن حاخاماتهم يتبادلون النظرات الخفية، دون الإفصاح عما يجول في خاطرهم..وراحيل ضمن تلك الجموع تفرح لفرحهم..

لما انتهى الصخب توجهت مع أبيها إلى البيت وسألته: أبي وماذا بعد ذلك..؟

تبسّم **عميرو** بخبث: المشوار مازال في بدايته يا بنيتي..!!

راحيل: وماذا عن عملي..هل أبقى في البيت..؟

عميرو: مهمتك لم تنتهِ بعد، فاصبري فالأمور مازالت ساخنة..وعندك عمل كبير، ولكن ليس الآن..!!

نظرت إليه بفخر وأخذت برأسه: لو أعرف ما يدور في عقلك هذا...

تبسّم **عميرو** مرة أخرى، ونظر إليها مبدياً حبه الشديد واعتنقها مقبلاً: يا بنيَّة أنت خليفتي من بعدي...انظري إليَّ وتعلمي مني الصبر والهدوء والتفكير، ولا تخرجي سرك إلى غيرك..فَسِرُّ النجاح بما أطبقت عليه شفتاك..فإن خرج منهما فلم يعدْ سِرا، وسيشيع بين العباد وسيصبح بعد ذلك أثراً بعد عين...!!

راحيل: أنا مثلك يا أبي تماماً..

تنهّد **عميرو** تنهيدة طويلة: الفرق بيننا وبين غيرنا من الشعوب..هذا..مشيراً إلى فمه..وهذا..مشيراً إلى رأسه...فإذا فكرت بهذا، وأطبقت هذا، فستنجحين وتنالين السعادة..

راحيل بسعادة: نعم يا أبي فأنت حكيم بني إسرائيل..

تبسّم **عميرو** مرة أخرى: أنا واحد من ملايين بني إسرائيل، وما أنا إلا أصغرهم..وعندنا قدرات وكفاءات لن يصل العالم إلى أنصافهم ولا إلى أحذيتهم..والعالم يا بنيتي خُلِقَ لنا بكل مقدراته، والناس عبيدنا وقد شبههم رب بني إسرائيل بالخراف الضالة..

راحيل باستغراب: لقد قرأت في التوراة عن ذلك، ولكن لم أفهم معناه كما فهمته أنت.. والذي أعرفه أن تسمية الخراف قيلت فينا نحن بني إسرائيل..

عميرو بثقة: هذا تحريف وأنت مازلت صغيرة.فلا تلتفتي إلى هذا الكلام..وإنَّما قيلت في غيرنا من الشعوب..والخراف تحتاج إلى من يسوسها، وإلا فالسبع سيأكلها، ونحن من سيسوسها..وما ترينه هو أول الغيث..ألا ترين الخراف في الشوارع الآن..؟..

راحيل: نعم يا أبي ولكن أشعر بالمرارة لأجلهم...!!

ظهر على وجه **عميرو** الغضب: لا أريد أن أسمع منك هذا القول بعد اليوم أو أرى هذا الإحساس، فهذه البداية فقط..وغداً سترين العالم العربي ملطخاً بدمائه..ومن بعده العالم كله..إلى أن تسود أمتنا عليه وتستولي على كنوزه..ونجعل

من أطفالهم ونسائهم خدماً لنا..

راحيل: هل هناك تفكير وخطط غير التي فعلناها في إيران..؟

صمت **عميرو** للحظات ثم قال: ألا تجهِّزينَ لنا الطعام، فأنا أتضور جوعاً بعد هذا الظفر..؟..

راحيل: أراك تتهرب من الإجابة..؟

عميرو: أنا جائع فهيّا جهزي لنا الطعام..وكفاك ثرثرة..!!

* * * * *

زوبعة في فنجان

اهتزَّ العالم للأخبار الواردة من إيران، التي تتحدث عن حفلات التعذيب التي عمَّت البلاد جميعها، والإعدامات التي كانت تنفذ بمحاكمات شكلية...وينتج عنها مجازر علنية، ينفذها رجال العمائم والملالي...وأضحى الهرج والمرج منتشراً في أوساط الناس، وانتهى إلى انتهاك الأعراض ومصادرة الأموال الخاصة والعامة، والآيات قابعون في مجالسهم، يُساق إليهم الناس سوق الدواب، لتنفيذ أحكامهم فيأخذون أموالهم وحياتهم...

واليهود ينظرون إلى الأمور بمنظارهم الفوقي..بعد أن أصدروا أوامرهم إلى رجالهم المسيطرين على الشبكة الإعلامية العالمية، بتزوير الحقائق، وإظهار الأمور بالمنظار السلبي كما يرونه..واستطاعوا تحويل الأنظار عن الجرائم التي تُرتكب بحق الأبرياء على أنها قصاص البريء من الظالم..فانقلبت الموازين...وبدأ العالم يتقبل أفكارهم الجديدة، مسلِّطاً سهامه على العهد البائد، واسما إياه بالفاسد تارة، والظالم تارة أخرى..حتى هدأت الأمور وعاد العالم إلى حالة ركوده التي كان عليها، لا يتلقّى إلا ما يُلقيه عليه ساسته، وما تديره أجهزة اليهود في أقبيتهم المظلمة..

* * * * *

بعد شهر من انتهاء الفوضى التي عمَّت البلاد..طلب عميرو من ابنته الاتصال بالحاخامات للقائه في بيته..

عندما استقر بهم المجلس نادى على ابنته لتجلس معهم..

نظر بعضهم إلى بعض لهذا التطور المفاجئ..لكن عميرو بادرهم بالقول: لقد وصلني للتو أن راحيل ستكون خليفتي من بعدي في المسائل الخاصة والعامة..وصفتها الآن مستمعة ومنسِّقة لاجتماعاتنا وللمواضيع التي سنطرحها..

اعترض **كاهانا**: لماذا راحيل بالذات...أتريد أن تخلفك امرأة..؟

عميرو: أنت آخر من يتكلم، فإن رضيت بما سمعت..وإلا فالباب أمامك، لن يمنعك أحد من الخروج..!!

أطرق **كاهانا** صامتاً لمّا رأى الجدية في قوله، وأذعن للأمر على مضض..!!

نظر إليه **عميرو** فرأى هدوءه وانصياعه: لقد انتهينا من الخطوة الأولى وأمامنا الآن خطوات عديدة..

بنيامين: أظن علينا أن نتوجه إلى مهدي ميرزا...

عميرو: أحسنت قولاً..فقد أعطيناه الوقت الكافي..ولا نريد إضاعة المزيد..فطريقنا في هذا المجال قائم على معادلات محسوبة، تستلزم منا التحرك بسرعة..

أرائيل: هل تظن أنهم سيقبلون بنا بعد أن أصبحوا على دفة الحكم، وأحسّوا بدفء الكرسي..

عميرو بثقة: نعم..وسيسمعون وينفذون رغم أنوفهم..

كاهانا بعصبية: وإن رفضوا..؟

نظرَ إليه **عميرو** بازدراء: من صعَّد الحمار إلى السطح، هو من سينزله ويهوي به إلى مكان سحيق..

تدخلت **راحيل** في الحديث..لكن أباها أشار عليها بالصمت والاستماع فقط..فأطرقت صامتة تنظر إليهم وتسجّل ما تسمع على ورقة..فما كان من أبيها إلى أن أشار إليها قائلاً: سجّلي في عقلك، واتركي الورقة والقلم لغيرنا..فامتثلت لقوله ورمت بالقلم والورقة وراءها، وأخذت بالاستماع دون أن تبدي أي تعليق أو مداخلة..

عميرو: علينا أن نشكل وفداً، ونتوجه إلى مهدي ميرزا مباركين له بنجاح ثورته..

أحسَّ **كاهانا** بالفرح: ومن سيترأس الوفد..؟

عميرو باستهزاء: جولدا..

ضحك الجميع من قوله، فأصيب **كاهانا** بالخجل ولم يبدِ أي رد..لكن عميرو قال: **كاهانا** يسأل أسئلة تافهة، وكأنه لا يعلم من سيذهب..بالطبع سيكون وفدنا القادم مكوناً منا جميعاً، وسوف أرأس الوفد ويكون نائبي بنيامين..وعلى الجميع أن لا يتكلموا في حضرة الإمام أبداً، والكلام مقصور عليَّ فقط وسيساعدني بنيامين..بعد أن نتقاسم الحديث والأدوار مسبقاً فيما بيننا..

أرائيل: معنى ذلك أننا كالمتاع لا قيمة لنا..

عميرو: لا تقل ذلك..فكلام واحد عن الآخرين، يركِّز الأفكار، ويُعلِم المستمع أننا متوافقون على رأي واحد..وإن تكلمنا منفردين، فسوف تميع الأمور، ولا يفهم المقابل ما نريد لتعدد الجهات المتكلمة..ثم دعني أقول لك شيئاً..ألا تعلم أن أكبر أولاد يعقوب هو من تكلم مع يوسف عندما حجز أخاهم بنيامين عنده..ولم يتكلم الجميع حتى لا يقعوا في التناقض، ويسيء الفهم عند المستمع..

أذعن الحاخامات إليه وقالوا: معك حق في ذلك..ثم نظروا إلى كاهانا الذي كان صامتاً فقال بنيامين له: تعلَّم من حكمائنا..ولا ندري كيف سولت لك نفسك أن تكون كبيرنا..؟

لم يعر كاهانا لكلامه أي اهتمام بل ظلَّ صامتاً ينتظر قراراتهم النهائية..

عميرو: سأقوم باتصالاتي هذا اليوم وراحيل ستقوم بالتنسيق معكم وتخبركم عن وقت الزيارة..

* * * * *

مع الصباح الباكر اتصلت راحيل بالحاخامات في بيوتهم، وطلبت منهم أن يكونوا مستعدين في تمام الساعة السادسة مساءً..

في الوقت المحدد، كانت ثلاث سيارات ليموزين سوداء اللون مظللة النوافذ

تقف أمام بيوتهم، فخرجوا إليها على عجل دون أن يلحظهم أحد من الناس، وانطلقت بهم في شوارع خاصة، تتقدمهم سيارة أحد الملالي بعمامته السوداء، دون أن يعترض طريقهم أحد..

حطّت السيارات داخل القصر، بعد أن أبعدوا الحرس عنه فدخل الحاخامات، وكان في انتظارهم مهدي ميرزا، وعلى كتفيه عباءة بنيّة اللون، واضعاً عمامته السوداء، مرخياً بعضها خلف ظهره..وما إن رآهم حتى وقف إليهم، وتوجه نحوهم باشًّا في وجوههم، ومعانقاً لعميرو وبنيامين..ومصافحاً البقية..ثم سار أمامهم وأجلسهم بالقرب منه..

نظر **عميرو** للمكان وتأمله من تحت نظارته..وصار يلمس القواعد التي يجلس عليها، ثم يشمُّ يده وكرر هذا الأمر مراراً وتكراراً، ناظراً إلى الفراش الوثير، المطرز بالطريقة الفارسية، وقد أُدخل عليه بعض التحسينات الهندية، فاكتسب رونقاً محبباً لكل من نظر إليه..مما استرعى انتباه مهدي ميرزا: أراك تتأمل المكان ولا تتكلم معنا..؟..

عميرو: دوام الحال من المحال وسبحان مغير الأحوال..!!

أظهر **مهدي** بسمة مصطنعة: أهو الحسد إذن..؟

رمقه **عميرو** بنظرات ثاقبة وعقد بين حاجبيه وقال بحدةٍ: الحسد..سماحتكم يعلم من أوصلكم إلى هذا المكان..

ظهر على وجه مهدي الغضب، لكن ألجم نفسه: نحن لا ننكر فضلكم ومشورتكم..ولا تنسَ أنَّ شيعتنا هم من قاموا بالثورة وقدموا دماءهم لتنجح..

نظر إليه **عميرو** ممعناً النظر به ليسمع كل ما عنده..لكن مهدي عاجله بالقول: نحن نشكر لكم تخطيطكم، وسهركم على نجاحنا، وأنتم عبر التاريخ القديم، ومن ثم الجديد، أثبتم إخلاصكم لشيعتنا..

عميرو بجدية وحزم: سماحة الإمام...قلت لك سابقاً : هذا ليس ببلاش..فعندنا

مصالحنا وهي من دفعتنا إليكم..والآن دعنا ندخل في المفيد..

مهدي: هات ما عندك..؟

عميرو: بعد أن انتصرت ثورتكم بجهودنا ومباركة العالم لكم..آن لكم أن تفوا بما اتفقنا عليه..

مهدي: لا بأس...أنا عند وعدي..

عميرو: أولاً عليكم أن تتحركوا بتصدير ثورتكم إلى الخارج، وتعملون وفق منهج مبرمج في سبيل تحقيق ذلك..!!

مهدي: هذا الأمر يستلزم منا دراسة وقواعد عمل..

عميرو بجدية: هذا الأمر قد حُسم عندنا منذ زمن بعيد..وما عليكم إلا أن تأخذوا به وتنفذوه كما هو دون اعتراض..لأن إعداده قد أخذ منا وقتاً طويلاً..

مهدي مستهجناً: ولكن علينا أن نتدارسه معاً..فالشعوب الأخرى لن تتقبل منا الأمور بهذه الطريقة..

عميرو بحزم القائد ناسياً كبر سنه وتقوس ظهره: عندنا دراسات مستفيضة عن كل الشعوب العربية..وقد دخلنا إلى مكنونات أنفسهم وتفكيرهم، وكيفية قيامهم وجلوسهم وطعامهم..حتى دخلنا إلى غرف نومهم..ووضعنا المعادلات التي تتجانس معهم..

مهدي مندهشاً: أراكم قد وضعتم كل شيء في دراستكم، وحسبتم لكل شيء حسابه..!!

عميرو: نحن لا نضيع وقتاً..ولا ندع للصدفة مكاناً..فقد خططنا للأمور من كل الزوايا والأضلع..ولن نقبل الخسارة أو الفشل..ثم سأله: كيف وجدت تدبيرنا لكم..ألم تمضِ الأمور وفق المنهج الموضوع له دون تلكؤ أو إبطاء..؟

مهدي: بلى..!!

عميرو: وهكذا بقية الأمور..

مهدي: وما المطلوب مني الآن..؟

أشار **عميرو** على بنيامين أن يتكلم: كما يعلم سماحتكم أننا دولة فتية، بين مجموعة من الدول عمرها مئات السنين أو أكثر من ذلك، وهي تُحيط بنا من كل جانب..ونحن مهما كبرنا أو تقوينا نبقى أمامها ضعافاً..خاصة وإن شعبنا متشرذم في بلاد العالم..ولكي نجعله يطمع في الوطن الجديد، علينا أن نؤمِّن له أرضاً هادئة وراحة واعدة..وهذا الأمر لن يكون، إلا إذا أشعنا في البلاد المجاورة حالة من الفوضى والهذيان الديني، الذي يستأصلها ويضعف شأنها ويجعلها خانعة خاضعة ذليلة لشعبنا وأمتنا..

أمعن **مهدي** ميرزا لكلامه: وما المطلوب منا في هذه الحالة، ونحن أمة ما زالت ضعيفة..ويلزمها سنوات طويلة من العمل المضني لتقف على قدميها، وقد ترك الشاه البلاد فقيرة بعد أن استولى على كل ثرواتها وصيرها له ولعائلته المالكة..؟

أخذ **عميرو** الكلام مرة أخرى: نحن الآن سنتولى أمر بلادكم ونهضتها..وما عليكم إلا أن تفكروا بتصدير ثورتكم..على الأقل إلى البلدان المجاورة لنا كسوريا، والأردن، ومصر، ولبنان..هذه في المرحلة الأولى، أما المراحل التي بعدها، ستكون بقية البلدان الإسلامية الأخرى كالسعودية والبحرين والإمارات واليمن وغيرها..

مهدي: أتقصد أن نتحرك أولاً في حاضرة بني أمية..؟

عميرو: لقد أصبت الهدف..ابدأ بالشام أولاً...

مهدي: لماذا الشام أولاً..العراق أقرب إلينا وفيه شيعتنا ومقدساتنا..

استاء **عميرو** من جداله: العراق بيدنا متى شئنا..ولكننا الآن بصدد الدول المجاورة لنا، وهي ستكون أشد فتكاً عليكم وعلى دولتكم أيضاً..!!

مهدي مستغرباً: مالهم ولنا..ونحن بعيدون عنهم..!!

عميرو منزعجاً: أنت تعلم أن تلك الدول سنية المذهب، وعندها أفكار تختلف عنكم وعن دينكم اختلافاً كلياً..وسوف ترى في دولتكم خطراً محدقاً بها

وبدينها..فتعمد على تقويض دولتكم ومحاربتها بالمتطرفين ورجال الدين..

مهدي: وما الوسيلة إذن..؟

عميرو: أترك لك دراسة الموضوع على طاولتكم عدة أيام، وسأعود إليك مع بنيامين لدراسته كي تكونوا قد استوعبتم الأمر من منظاركم الديني، ومن سيعترضه من الأمم الأخرى..كي أوفِّر على نفسي وعليكم الشرح الطويل، والنقاش العقيم..فلعل الأمور تكون أكثر استيعاباً لكم..

مهدي: نعم أصبت وأنا من سيرسل لكما سيارة لتقلكما إلينا..

عميرو: وهو كذلك..ثم غادروه مودعين..

* * * * *

الغربـــاء

استقر **الشاه** وعائلته في الديار المصرية بعد أن تمَّ علاجه وتحسّنت صحته..

كانت فيلتهم من الفيلات المتميزة في أساسها وعمارتها، محاطة بالحرس من كل مكان، مما أضفى عليها مظهراً ملكياً ولكن بلا شعب يهتف، ولا ضابط يطيع..فكانوا كسائر الناس إلا فيما يملكونه من مالٍ وكنوزٍ ثمينة...

كانت الملكة تجلس أغلب أوقاتها في حديقتها الغناء، سارحة متأملة مسترجعة للماضي..فتحنُّ إليه بدمعتها الحارة التي تسقط على خديها، فتمسحها بسرعة حتى لا تسترعي انتباه أولادها، الذين كانوا ينظرون إليها بحزن بعد أن ضاع ملكهم، وذهب عهدهم..وليس لهم الآن إلا البقاء في البيت والتأمل في الأطلال البائدة والتاريخ المؤلم...

وكم مرة أمسكت بيد زوجها وخرجت به إلى الحديقة لتعيده إلى طبيعته الضائعة..فكان يخرج معها على مضض منه مسايراً إياها، مكابراً على مصابه، ضاغطاً على جرحه، مظهراً الجلادة وقوة التحمل..لكن ظلمة الليل خير ساتر له ولأحزانه المكبوتة، فيلجأ إلى غرفة نومه وحيداً بعد أنْ يُغلقَ عليه بابه مظهراً النوم، فيكثر من بكائه بعد أن يضع على وجهه وسادته كيلا يُسمع صوته، مستسلماً لأحزانه مطلقاً لها العنان..فيظلُّ هذا حاله لساعات طوال..إلى أن تثقل أجفانه وينطفئ سعاره..فيترك لجسده الاستسلام وينام بضع ساعات، ليصحو في الصباح الباكر وعيناه متورمتان ووجهه مصفر ينظر إلى البعيد اللامتناهي..ثم يعود إلى غرفته ويجلس مع الملكة مسلِّماً كل واحد أحزانه للآخر..

تقدمت إليه الملكة وألصقت نفسها به مخففة عنه أحزانه: علام أنت حزين لقد خرجنا بشيء لم نكن نحلم به، ولم يتغير علينا إلا المكان فقط..؟

الشاه: لقد ذهب الجاه والخدم والحشم..ولم يبقَ لنا إلا أن نجلس في بيوتنا ننتظر أجلنا..

الملكة ببشاشة مصطنعة: لا تتذكر ماضي المُلك وتذكر ما قبله يا عزيزي..

الشاه: وما كان قبله..؟

الملكة: تذكر أنك كنت ضابطاً في الجيش..لا حول لك ولا قوة ونحن لسنا أبناء ملوك كسرى ونحن من صنع المُلك بأيدينا وصدّقنا أنفسنا..فعلام هذا الحزن..؟

الشاه: المُلك سحرٌ غريب يجري في العروق مجرى الدم..ولم أعد أستطيع العيش بدونه..فأنا أحَسُّ بنفسي ميتاً الآن..ولا أشعر ببهرجة الحياة ولا بالمال الذي جنيناه..

الملكة بهدوء وسكينة: عد إلى رشدك يا عزيزي...أنا أقدِّرُ حالتك، ولكن ليس في اليد حيلة، فملكنا أصبح من الماضي، ولن يذكرنا أحد إلا بالسوء، إلى أنْ تشرقَ على إيران شمسٌ جديدة، تُعيد المُلك إلى نصابه وهذا سيكون ببركة ولدك..

الشاه بحزن وألم شديد: الذاهب لا يأتي..والماضي لا يعود، وكل كائن سيجري له ما كُتب عليه..ونحن كُتب علينا الزوال والهوان..ولن نرى عودة لما كان مهما طال الزمان..!!

الملكة: طالما أنك بهذه القناعة فسلِّم أمرك للقدر، واستسلم للواقع، ولنعش حياتنا الجديدة، بعيداً عن الحكم والسلطان..فنحن لا نريد من الدنيا إلا العيش بأمان..

الشاه بألم شديد: ليتني أستطيع يا عزيزتي..فلا أبات ليلة إلا على حزن، ولا أستيقظ إلا على ألم..ثم سقطت من عينه دمعة فأراد أن يخفيها، فمنعته زوجته: أطلق لنفسك عنانها، ودعها تُخرج ما بداخلك، فلعل دمعة ساخنة تطفئ نار لهيبك وحرقتك، وتقلل عنك محنتك..وتمنع المرض عن جسدك..

فما إن سمع كلامها حتى انسكبت دموعه غزيرة لا تنقطع..فشاركته أحزانه فألصقا برأسيهما وأخذا بالنحيب معاً..

* * * * *

بدأت جولدا بتحضير الغداء، وكاهانا يعمل تحت يدها، وكأنه خادم مطيع قد استأجرته لخدمتها، وهو يقف بجانبها ينظر إليها نظرات متسول يطلب حسنته..وهي لا تعيره أي اهتمام إلا إصدار الأوامر: اغسل المواعين.. اكنس الأرض..انشر الغسيل..أخرج القمامة من البيت..سلّك المجاري..

كان **كاهانا** متعدد المواهب، فلا يكاد يقوم بعمل إلا ويأتي غيره..وبعد الغداء تجلس إلى تلفازها، وبيدها المكسرات، وكاهانا قائم على خدمتها يلبي طلباتها..فلا يجلس إلا وأمر آخر يصدر..ولا يأتي الليل إلا وقواه قد خارت وكلَّ جسده، ونعست عيناه، وانشلَّ تفكيره، فيرمي بنفسه على فراشه كالجثة الهامدة، منتظراً اليوم الثاني ليكرر عمله من جديد..

* * * * *

لكل قضمة مضغ مختلف

أعطت **راحيل** أباها فنجاناً من الشاي وجلست إلى جانبه: بابا لماذا لا أذهب معكم إلى الإمام..؟..

ضحك **عميرو** لكلامها: أتريدين أن يغتصبك...؟

راحيل بدهشة: ماذا..يغتصبني..!!

عميرو: نعم يا بنيتي..فهؤلاء الأقوام يحملون في جعبتهم الدينية كمًا هائلاً من الفساد الخُلقي والدنس الديني..فإن رآك فسيقع عليك لا محالة..

راحيل: وهل ستسكت له يا أبي..؟

عميرو مبتسماً: لِمَ لا..وقد سكت لمن سبقه..!!

أحسّت **راحيل** بالخجل واحمر وجهها: لكن يا أبي ذاك **الشاه** وهذا ليس إلا..

عميرو: كلهم سواء وكلهم خرج من أم واحدة..فالشاه ليس شاهاً، والإمام ليس إلا صنيعتنا..بل هو أفضل ممن سبقه..على كل حال هوني عليك، فالأيام القادمة ستفرج لنا عن أشياء كثيرة، وربما تلتقي به فيما بعد، وتوجهي إليه الأوامر أيضاً..وهو من سيطيعك ويلتمس رضاك إلى أن ترضي..

راحيل: لماذا يا أبي لا نكيد له كما كدنا للشاه وزوجته..فتأخذ عليهم ما يهددهم وقت الحاجة..

ضحك **عميرو** حتى دمعت عيناه: لا زلت صغيرة على الاستيعاب يا بنية..فليس الجميع يؤكلون بنفس الطريقة..ولكل واحد مضغ مختلف عن الآخر..فالشاه النساء..والشهبانو الصور المفبركة..أما الإمام فهذا لن ينفع معه هذا ولا ذاك؛ لأن ديانته تبيح له فعل ذلك، وعن طيب خاطر من أئمتهم جميعهم..

راحيل: من تقصد بالأئمة..ألسنا من صنع الإمام وسنَّ لهم الأحكام..؟

عميرو: بلى...بلى...لكن الزمان اختلف عما مضى، والآن نحن نتطلع إلى أكثر من ذلك فإن صورناه مع الغانيات..فسترين الشعب مسروراً بما يرى؛ لأن إمامهم يطبِّقُ شريعتهم ووصية علمائهم وأئمتهم...هذا لا يُجدي..لا يُجدي..ولكن لا تخشي شيئاً، فنحن أخذنا عليه أكثر من ذلك بكثير وما عليه إلا الطاعة العمياء، ورقبته معقودة بحبل نهايته بيدنا، نسحبه متى شئنا، وندعه متى شئنا، وليس له إلا السير خلفنا والاستماع إلى كلامنا..

شعرت **راحيل** بالزهو لقول أبيها: ليتني أستفيد من حكمتك وتدبيرك يا أبي..

عميرو بثقة: ولماذا إذن أبقيتك قريبة مني..أليس لهذا الأمر..؟

راحيل: ولكن يا أبي ديننا ينظر إلى النساء نظرة انتقاص..وهذا ما يُخيفني من المستقبل..

عميرو: يا بنية ألم أقل لك أنك مازلت صغيرة على فهم الأمور..نحن من وضع مقاييس النساء في الماضي، ونحن من يزيلها الآن، ونحن من يعيدها إلى سابق عهدها مرة أخرى، والزمان يتغير وأحكامنا وثوابتنا تتغير وفق ما نحب ونرجوه لمصلحتنا..أفهمت الآن..؟

راحيل بصوت خافت: بلى يا أبي..بلى يا أبي...!!

عميرو: أحسنت يا بنية..ولا تخشي شيئاً فلن أخرج من الدنيا إلا بعد أن أضع بداخلك ما ورثته عن أجدادي عبر حياتي..واعتنقها مقبِّلاً...فما كان من راحيل إلا أنْ ارتمتْ بين أحضانه كأنها طفلة صغيرة تنشد الدلال والحنان من أبيها..فضحك أبوها لفعلها وربت على ظهرها: أنت وحيدتي ونور عيني..ونظرة منك تشعرني بالسعادة والهناء وأنت من بقي لي من الدنيا..!!

* * * * *

المؤامرة

مضت الأيام سريعاً على الإمام فأرسل سيارته إلى عميرو وبنيامين اللذين كانا متهيئين لقدومها...

انطلقت السيارة مسرعة ووقفت داخل البيت المخصص للقاء..فنزلا بهدوء وروية فوجدا الإمام واقفاً بردهة المنزل ينتظرهما..وما إن وقعت عيناه عليهما، حتى تقدم إليهما بخطىً سريعة مرحباً بهما، ودخلوا جميعاً إلى غرفة الاستقبال، وطلب الإمام من سكرتيره إبعاد الحرس عن الباب، وطلب عدم إدخال أحد إليه أو تحويل المكالمات أثناء وجود الزائرين..

أُعجب **عميرو** من حسن تصرفه: أحسنت صنعاً..الآن بدأت الأمور تسير نحو الطريق الصحيح..

مهدي مظهراً السرور: هذا بعض ما عندكم أيها الحاخام..!!

عميرو مبتسماً: وهذه واحدة أخرى أيضاً..أحسنت ...أحسنت..!!

ضحك **مهدي**: نعود إلى كلامنا السابق..

عميرو: نعم هذا أفضل..وأخبرنا إلى أين وصلت بالأمور..؟

مهدي بهدوء الواثق من نفسه: أستمع إليكم أولاً..ثم نتعامل وفق النقاش ونحدد نقاط الالتقاء..ونوازن بينها بما تعود علينا وعليكم بالفائدة التي نرجوها معاً..

عميرو: لا بأس..أريد أن أسمع جوابكم عما تكلمنا به سابقاً..

سأله **مهدي**: تصدير الثورة..؟

عميرو: وهل هناك غيرها..؟

مهدي: نعم..فالواقع يفرض علينا تصدير ثورتنا نحو الدول العربية والإسلامية..

قاطعه **عميرو**: وليس غيرها..

مهدي: نعم وليس غيرها؛ لأن عدونا هم أهل السنّة..وهم من سلبونا حقنا..نعم...نعم سلبونا حقنا..وخير وسيلة..هو اجتثاث جذورهم من قيعانها وجزٌ ناصيتهم إلى الأبد..

عميرو: هذا ما كنت أود سماعه، ولكن كيف السبيل إلى تحقيقه...هنا باب القصيد..؟

مهدي: أعندكم أفكار حول هذا الأمر..؟..

ضحك **عميرو**: ألم نقل لك في السابق أننا وضعنا الأمور بدقة متناهية، وما عليكم سوى التنفيذ..ونحن وإياكم سنحصد النتائج...

مهدي: فلنستمع إذن..

عميرو بجدية: هذا ما أود سماعه منك...ولكن قبل كل شيء سوف أطرح عليك بعض الأسئلة في باطنها جواب عن خططنا التي سنسير عليها..

أصيب **مهدي** بالدهشة وانتابه حب الفضول: هاتِ ما عندك..فأنا أحب الألغاز..؟..

عميرو: هذه ليست ألغازاً، فلكل سؤال جواب في باطنه..وأنتم قائمون على الباطنية، وراح يضحك بصوت عالٍ، فما كان من مهدي إلا أن شاركه ضحكاته...ولما هدأ **عميرو** قال له: السؤال الأول: أي شيء أحب إلى نفوس الناس في كل الأزمان والدهور..؟

فكّر **مهدي** مليا وقال: هناك أشياء كثيرة، فعلى سبيل المثال: المال واحد منها..

فعاجله **عميرو**: والنساء أيضاً..

أجابه **مهدي**: نعم والنساء أيضاً...!!

عميرو: أحسنت..والسؤال الثاني: أتعلم كيف كان هلاك بني إسرائيل..؟

مهدي على الفور: بالنساء والذهب...!!

صاح **عميرو** فرحاً: رائع...رائع..أحسنت الجواب..وأظن جدالنا قد انتهى إلى

هنا..

مهدي مندهشاً: ولكن أين الجواب..؟

عميرو: في باطنها استخرجه بنفسك..!!

مهدي: الأفضل أن نتحدث به معاً لننتهي منه الآن..كي يتسنى لنا التحرك نحو العمل بجدية وقناعة..

عميرو: لا بأس كنت أتمنى أن تستخرج الأمور بنفسك؛ لأنها ستكون أكثر واقعية من قولنا..ولكن ليكن لك ما أردت...جواب السؤال الأول والثاني موجود في القرآن...

مهدي: وكيف..؟

عميرو: ألم يقل القرآن: زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث..؟

مهدي: نعم..هذا ما نُقل إلينا..وما أدري أصحيحة هذه الآية أم أنها محرَّفة كباقي الآيات..؟

عميرو: عليك أن تجيبني عن سؤالي..

مهدي: نعم هي كما قلت..!!

عميرو: هذا جواب سؤالك..وطريقك إلى قلوب الناس وانتزاعها من صدورهم..النساء والمال...

مهدي بتعجب واستغراب: أتريد أن نقدِّمَ للناس نساءنا وأموالنا..؟

عميرو: هذا ليس ببلاش..وما ستقومون به ليس بعيداً عن دينكم ومعتقدكم..فعندكم المتعة وهي أساس مؤسس عندكم لا تحيدون عنها، وفاعلها من ذكر أو أنثى في الجنة مع الأنبياء والصالحين..بل ويسبق الأنبياء في الأجر والمكانة الرفيعة..وبها تكونوا قد أوجدتم طبقة تأخذ به وتلتزمه ديناً واعتقاداً، وتعمل من أجله، وتبيع كل شيء في سبيل الوصول إلى نشوته ووصاله...

شعر **مهدي** الجدية في كلامه: أنت على حق..!!

عميرو: ولا تنسى أنَّ المتعةَ خرجت من عندكم، ومن جدكم مزدك...وجاء الإسلام، فهذبتم أحكامها وطوعتموها لأهدافكم، ونسبتم لها الأحاديث والآيات، وسننتم لها الأحكام، وهذبتم مسالكها ومسمياتها، وجعلتم منها حقيقة كائنة إلى يوم الدين..!!

مهدي بفرح وسرور: أحسنت قولاً..!!

عميرو: وعلى هذا الأساس، عليكم أن تستغلوا حاجة الناس إلى الشهوة، ونحن بدورنا سنبث أفلاماً جنسية مهمتها إثارة الشهوة وإخراجها عن مضمونها الفطري..فيأتي إليكم الناس صاغرين مسلِّمين متمنِّين ودَّكم وودَّ نسائكم..

عقد **مهدي** بين حاجبيه وقال متسائلاً: المحير في هذا الأمر، كيف توصلتم إلى هذا الحل..ونحن من سبقكم إليه..؟

أظهر **عميرو** التواضع ونظر إليه من تحت نظارته: سأحكي لك قصة، حصلت لنا قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام..

مهدي بانتباه شديد: نعم كُلِّي آذان صاغية..!!

عميرو: يُحكى أن عابداً من بني إسرائيل كان يعرف اسم الله الأعظم..فأراد أعداء نبينا أن يستفيدوا منه، ويجندوه ضد موسى وجيشه..فحاولوا معه بكل وسيلة إغراء من مال وجاه...لكنه رفضها جميعاً، فأرسلوا له أجمل بناتهم، فجلست عنده تخدمه، فأظهرت محاسنها أمامه إلى أن وقع في الخطيئة..فجاؤوا إليه مهددين بفضح أمره أمام الناس، فخشي من ذلك، وأذعن لهم ووعدهم أن يدعو على موسى وجيشه بالدمار...ولما التقى الجمعان، وقف العابد ليدعو الله باسمه الأعظم، فانقلب دعاؤه بعكس ما أراد، فأخذ يدعو على نفسه ومن معه..ولَّما رأى هذا الحال دعا زعماء القوم إليه وقال لهم: قد رأيتم انقلاب الأمر علينا وليس لنا إلا الحيلة..فأرسلوا بالنساء والفتيات ليختلطوا بجيش موسى، فهنَّ من سيكفيكم المعركة فكان له ما أراد، فوقع

الجيش على النساء وانتشرت الفاحشة واستطاع رد الجيش على أعقابه..

أحسَّ **مهدي** بدهاء **عميرو** وحكمته فيما قاله: إنها والعباس حكمة عظيمة..!!

أجابه **عميرو**: نحن نأخذ ضالتنا من أجدادنا، وحكمتنا تنبع من أفعالنا وتجاربنا القديمة، ولهذا نحقق أهدافنا بسهولة ويسر..

مهدي: اعتبر هذا الأمر منتهياً..

عميرو بحزم: دعني أكمل لك المعادلة، فإن استطعت أنْ تنشرَ النساء بين عامة الناس، وهذا أمر سهل ويسير؛ فإننا نجّتث عقيدتهم من جذورها، فيصبحون كالحيوانات ليس لهم إلا شهواتهم..

أما الأمر الآخر: أنت تعلم الفقر المدقع في بلاد الشام، وهذه حالة شائعة عندهم، فعليك أن تقدم بعض المال فينجرّون وراءك كالكلاب الجائعة..

مهدي: ولكن...!

عميرو: لا تقل ولكن..أنتم الفرس بخلاء الأمم..إذا دفعتم اليوم ديناراً فستحصلون عوَضَهُ غداً قِنطاراً، أنسيت دول الخليج الغنية بالنفط والثروات والكنوز..؟..والمقدسات التي سوف تديرونها بمعرفتكم، وتفرضون على الناس ما تشاؤون من ضرائب حج وعمرة أو زيارة..!!

شعر **مهدي** بالفرح العارم: يا لك من داهية..!!

عميرو ضاحكاً: هذا بعض ما عندكم..ولكن عليك أن تعلم أنَّ لنا نصيب الأسد من تلك الدول بعد ذلك..

مهدي: كفاك تواضعاً...ولكن بقي شيء واحد فقط...ما هي مصلحتكم في كل هذا..؟

عميرو: هناك مصلحتان..واحدة لنا وواحدة لكم..أما مصلحتنا فهي تشييع الناس من حولنا وهذا بالتأكيد سيكون حصناً لنا، وسدا منيعاً لدولتنا..والأمر الآخر: إقامة دولتنا من البحر إلى النهر..

مهدي: ونحن أين مصلحتنا في كل هذا..؟

عميرو: أولاً نشر المذهب الشيعي، وجر الناس وراءكم، واعتناق مذهبكم، والاستيلاء على ثرواتهم، وإعادة ملككم المغتصب، وقهر الأمم السنية التي اغتصبت فاطمة حقها وقتلت ابنها، وتقوية دولتكم، وتسييس الناس معكم، والتمهيد لظهور مهديكم، وإعادة خلافة أئمتكم..أتريد المزيد..؟

مهدي ضاحكاً: هذا يكفي الآن، لقد أشعرتني بالعزة والفخر..لولا أني أخاف على نفسي لسرت وراءكم ونهلت من حكمتكم وتدبيركم..!!

انتابت **عميرو** العنجهية والفخر: ولكن سماحتكم تعلم أن جدنا الأول هو من أسس مذهبكم ووضع أحكامكم..

أمسك **مهدي** بيده وقال له بصوت خافت: على رسلك يا عميرو لا يسمعنَّك أحد من الناس فنحن ننكر وجوده..ونقول : إنه أكذوبة اختلقها أعداؤنا السنّة...!!

عميرو بصوت خافت: نعم أعلم هذا ولكن هذا بيننا..واحفظ لي هذه السقطة..

مهدي لا بأس..وانفضَّ الاجتماع على نية التواصل المستمر والتشاور في كل الأمور.

* * * * *

نهاية حزينة

مضت الأيام والشهور سوداء مريرة على الشاه وأسرته، فحالة البؤس سيطرت على كل حياتهم..واستفحل المرض في جسده، وصارت صحته تزداد سوءا يوماً بعد يوم..وأصيب جسده بالنحول..وخَسِرَ الكثيرَ من وزنه..والملكة لا تفارقه..فقبل النوم تجلس بجانبه إلى أن تَذْبُلَ عيناه ويغط في نومه...فتسللُّ من غرفته على رؤوس أصابعها، وتغلق الباب من ورائها، وتبعد الجميع عن غرفته حتى لا يزعجه أحد...

كان **الشاه** يفضِّل النوم وحيداً مختلياً مع أحزانه بعيداً عن سكان بيته، لذلك طلب من الشهبانو أن تنام في غرفة مستقلة..

في صباح يوم الجمعة خرجت إلى حديقتها كعادتها كل يوم، لترتشف فنجان قهوتها مع زوجها..فمدت قدميها على كرسي بجانبها وحلَّقت بذكرياتها بعيداً..وحاولت أنْ تسترجع الجميل منها فلم تسعفها ذاكرتها..فمصابها غطَّى على كل جميل في حياتها...فسيطرت عليها لحظة حزن شديدة..وظلَّت على هذا الحال لأكثر من نصف ساعة، ولم تصحُ إلاَّ على صوت الخادمة تقول لها: مولاتي هل أحضِّر طعام الإفطار..؟

استيقظت الملكة من غفوتها وذكرياتها: لم أشربْ القهوةَ بعد..وأنا أنتظر الملك ليشربها معي...

الخادمة: مولاتي صار لك أكثر من نصف ساعة جالسة وأنت سارحة..وجلالة الملك لم يستيقظ حتى الآن كعادته كل يوم..!!

شعرت الملكة بحرارة أشْعلت جسدها، ولبستها من رأسها حتى أخمص قدميها، فوقفت على الفور، وهرعت مسرعة نحو غرفة الملك..ولحقتها الخادمة وقد أفزعها تصرف الملكة..

دخلت الملكة إلى غرفة زوجها فرأته نائماً على جنبه الذي تركته عليه بالأمس.. فهزته بهدوء وحنان: محمد...محمد..لكن الملك لا يرد..أعادت الكرة مرة أخرى، فلم تحصد إلا الخيبة...فكشفت عنه غطاءه، وأخذت بيده فرأتها باردة..فوضعت يدها على جبينه فرأته كذلك..

شعرت الخادمة بأن مُصاباً قد أصاب الملك، فصاحت مولولة: مولاي جلالة الملك..!!

وقفت الملكة من فورها تنظر إليها مستغربة، ولم تشعر بما نزل بها من بلاء فظنَّت نفسها في حلم مزعج..ثم تراجعت عدَّة خطوات إلى الوراء ورمت بنفسها على كرسي بجانبها وهي تنظر إليه..قد أخذتها الصدمة وذهبت بها في غيبوبة مؤقتة..لم تشعر بها إلا مع ارتفاع صيحات العويل...فنظرت إلى الخادمة: ويلك ما بك..ستوقظين الملك بصوتك..؟

عرفت الخادمة بأن الملكة بغير وعيها..فتقدمت إليها: مولاتي...مولاتي...!!

فما كان من الملكة إلى أن سرحت بعينيها بسقف الغرفة وراحت تُقلِّبُ الأثاثَ وما فيها إلى أن وصلت إلى سرير الملك..فنظرت إليه وبدأ وجهها يتغير، وظهرت عليه ألوان مختلفة بين الأصفر والأحمر والأزرق...فتقدمت إليه وهزته بعنف...محمد...محمد..لكن محمد لم يسمعها، فقد نام نومته الأبدية، وبدا وجهه مائلاً بلونه نحو الاصفرار...ولَّما لم تسمع منه أي ردٍ صاحت بأعلى صوتها، هزت أرجاء فيلتها، فهرع الأولاد والخدم والحشم نحوها، فوجدوا الملك مسجىً في سريره والملكة جالسة إلى جانبه، قد شقَّت ثوبها ولطمت وجهها..ثم تحركت على عجلٍ، ورمت بنفسها فوقه تضربه بقبضتيها دون أن تشعر: إلى من تركتنا..إلى من تركتنا...؟..

فما كان من رئيس الخدم إلا أن اتصل بالطبيب الخاص، الذي وصل إليهم بسرعة وأخذ بمعاينته...ثم غطى وجهه وتراجع إلى الوراء..ووجه كلامه إلى الملكة: مولاتي

جلالة الملكة البقاء لله وحده...يبدو أن الوفاة وقعت قبل سبع ساعات من الآن..

ارتمت الملكة مرة أخرى عند قدميه وأخذت تندب: ليتني مت معك...ليتني مت معك..!!

فما كان من الطبيب ورئيس الخدم إلى أن أخذا بيديها، وأرجعاها إلى الخلف مخففين عنها مصابها..وسألها الطبيب: متى تركت جلالته..؟

الملكة والدموع في عينيها: في الثانية عشرة ليلاً..

الطبيب: هذا وقت وفاته يا مولاتي..وما إن سمعت منه ذلك حتى انتابتها موجة بكاء حادة سقطت على إثرها إلى الأرض مغشياً عليها، فحملها الخدم إلى غرفتها، وحقنها الطبيب بالمهدئ .. ثم غادر إلى عمله بعد أن كتب واقعة الوفاة..للقيام بإجراءات الدفن..

* * * * *

لجان الثورة

بعد حملة من المجازر الكبيرة في صفوف الجيش الإيراني السابق، وتصفية الحسابات مع رجاله الموالين له..أسَّسَ آية الله مهدي مجلساً شكلياً للثورة، انتقى أعضاءه الذين يتوافقون معه في الرأي والطائعين له طاعة عمياء...وفرز منهم عدة لجان، الأولى: لجنة نقاء الثورة والثانية: حرس الثورة والثالثة: لجنة تصدير الثورة وجعل عليهم آية الله محمد الطوساني..وانتدب آية الله أحمد المرشدي ونائبه آية الله سعيد الطبطبائي إلى بلاد الشام..وأنشأ جهازاً للمخابرات وجعل عليه باقر آبادي..ووزَّع المهام الثورية على الجميع..ولما أرادوا الانصراف قال لآية الله أحمد المرشدي: أنت ابق هنا...

أحمد المرشدي: أمرك يا مولاي..

وما إن صفى الجو لهما حتى قال له: نحن نعرف حرصكم وتضحياتكم في سبيل إعلاء ثورتنا وإقامة دولتنا..والتجهيز لظهور منتظرنا صلوات الله عليه...

آية الله **أحمد**: أنا في خدمتكم يا مولاي..!!

آية الله مهدي بتكبر وعنجهية: أحسنت...أحسنت..والآن علينا أن نتحرك في تصدير ثورتنا خارج حدود دولتنا..ولا أقصد العراق فقط، وإنما إلى كل أنحاء الدول الضالة، ممن أنكر علينا حقنا..

آية الله **أحمد**: هل هناك فكرة لدى سماحتكم حول كيفية ذلك..ونحن مازلنا في طور الإنشاء ولم نضع حجر الأساس لدولتنا..؟..

مهدي: أعلم ذلك وعلينا أن نسير وفق خطط محسوبة..على أن تتوافق مع البناء تماماً..ثم سأله: هل يكتمل البناء دون مواد لقيامه أو رجال لتشييده..؟

أحمد بخنوع واستسلام: لا يا مولاي...

مهدي: وأنا اخترتك لأصعب مهمة دون إخوانك الآخرين..

استحوذ على **أحمد** حب المعرفة: ما هي يا مولاي..؟

ضحك **مهدي**: هل كنت سارحاً..؟..ألم أعيّنك رئيساً لنشر دعوتنا في بلاد الشام قبل قليل ورئيساً لتصدير الثورة...

أحمد: العفو يا مولاي فقد أخذني التفكير بعيداً..فنسيت..!!

مهدي: لا بأس..أول شيء ستقوم به تجهيز نفسك مع نائبك آية الله سعيد الطبطبائي، وتحضِّران مستلزمات الدعوة لتأمين نجاحها...

أحمد: مولاي اعذرني إذا ظهرت أمامك غبياً..فأنت تعلم أن هذا المنصب حديث أو مستحدث..وأريد أن أفهم تلك المستلزمات وحاجاتها..؟

ظهر على وجه **مهدي** الامتعاض: لا تجعلني أغير رأيي فيك..وأقول : إنني أسأت الاختيار..ولكن سأقول الأمر لمرة واحدة ولن أكرره..وأنت عليك أن تجول بداخله وتعمل ضمن نطاقه..!!

أحمد: نعم يا مولاي ..

مهدي: إنَّ نشرَ دعوتنا يستحق منا التضحية بكل شيء..وأول شيء يستلزم نجاحنا هو نشر دعوتنا في دول النواصب..وإذا سألتني كيف..أقول لك: بالمال والنساء..

اعترضه **أحمد**: مولاي لا ضير في النساء، فهنَّ خُلقن لتلك المهمات..وهنَّ متعتنا ونحن نستخدمهن في أي شيء يفيدنا..

مهدي: أحسنت..هذه واحدة قد فهمتها..فعليك أن تذهب إلى الشام مهد بني أمية، وتغوي شبابها وتقربهم إلينا من خلال المتعة...

أحمد: لكن المال يا مولاي شيء نفيس وخاصة في هذه الأيام...!!

مهدي: أنا أعرف حرصك، وهذا ليس غريباً عنا نحن أبناء فارس..ولكن علينا أن ندرك الأمور بمنظار بعيد لا بمنظار آني..فالمال سيأتي أضعافاً مضاعفة بعد أن

نستولي على دولهم، ونسخرها لنا ديناً وثروة، وننطلق منها نحو بقية الدول..وعلينا تحرير مقدساتنا في العراق، وهذه مهمة آية الله محمد الطوساني والجيش والمخابرات..ومن ثَمَّ الاستيلاء على مكة والمدينة...أتعلم لماذا المدينة أيضاً..؟

أحمد: لا يا مولاي...!!

مهدي: لنمهِّد لمهدينا طريق محاسبة صنمي قريش أبي بكر وعمر..عندما يخرجهما من قبريهما ويصلبهما..وأنت تعرف القصة..

أحمد: بلى يا مولاي ومن منا لا يعرفها ويحفظها عن ظهر قلب، منتظراً الساعة التي تحين فيها الحقيقة، ونرى جسديهما يُحرقان وينسفان في اليمِّ نسفاً..!!

مهدي: لا أريد أن أخوض معك بالتفاصيل وعليك التحرك ضمن هذا الإطار..وأريد قريباً أن أسمع عنك أخباراً طيبة..

شعر آية الله **أحمد** بالفرح الشديد، فما كان منه إلا جلس بالقرب منه وقبَّل يده: مولاي سأنطلق خلال أسبوع إلى هناك..

مهدي: باركك الأئمة..واعمل جاهداً فالغائب ينظر إليك من عليائه..واجتهد في سعيك لتنال رضاه وتكون جندياً في حماهُ..!!

أحمد: لن تسمع عني إلا ما يسرك يا مولاي..!!

* * * * *

اتصل الحاخام **عميرو** بآية الله مهدي..وطلب موعداً للقائه في المساء...وقفت راحيل بالقرب منه وقالت له: أبي...عليَّ أن أرافقك لأرى مهديا عن قرب وأقرأ أفكاره..

عميرو: وهل ننتظر حتى تقرأين أفكاره..؟..لقد اختير من بين مئات الآيات، بعد تمحيص ودراسة دقيقتين..فنحن نعرف كيف يفكر، وبأي يد يأكل، وماذا يحب، وماذا يكره، وأي المؤثرات التي تثيره، وعلى أي جنب ينام..وكيف نقوده..فلا تهتمي بتلك الأمور..قد قلت لك سابقاً :إننا لا نترك للصدفة مكاناً في قاموسنا أبداً، بل نسير

وفق منهج مبرمج، واضح المعالم، سرّي الخطوات...ولكن لا بأس ستكونين معنا هذا المساء..!!

فما كان من **راحيل** إلا أن اعتنقته فرحة وقبَّلته..لكنه بادرها بالقول مازحاً: لكن أخشى أن تقعي في حبه..ثم ضحك مقهقهاً..!!

رفعت **راحيل** أنفها مكشرة كمن شمَّت رائحة كريهة: أقع في حبه..وهل أنا مجنونة...؟

عميرو مبتسماً: أنا حذرتك..!!

في الوقت المحدد انطلقت السيارة إلى موعدها..وما إن وقعت عينا مهدي عليهم حتى استرقت راحيل جميع نظراته، فبادلته نظراته باندهاش...!!

جلس الجميع في غرفة مستقلة وأبعد مهدي الحرس عنهم كعادته، وبدأ ينظر إلى راحيل بين الفينة والأخرى..وعميرو يرمقه من تحت نظارته ويُخفي بسمته خشية أن يراها..

قطعت الصمت كلمات **عميرو**: كيف حال سماحتكم .. ؟

وقبل أن يجيبه سأله: من هذه الفتاة..يا عميرو..؟

تبسّم **عميرو** بخبث: إنها ابنتي..

همهم بصمت: لماذا هي معنا..؟..

لم تتمالك **راحيل** ازدراءه فقالت: أنا ضمن الوفد الذي تراه..وكنت سابقاً أعمل في القصر وصيفة الملكة غادة..

اصفرَّ وجه مهدي لِمَا سمع..لكن **عميرو** قال له: كانت ابنتي ضمن الخطة التي استهدفت الملك وعرشه..!!

تدخلت **راحيل** مرة أخرى وبعصبية واضحة: أنا من أعطاك صور الشاه فأشعلت الثورة..وأنا من صور الملكة أيضاً...وأنا من أشار عليهما بالرحيل عن البلاد..

أطرق **مهدي** صامتاً، وحدَّق بنظره إلى الأرض للحظات ثم رفع رأسه ناظراً إليها

بعينين شاكرتين: أنا آسف ما قصدت الإهانة وإنما...!!

قاطعته **راحيل**: سماحة الإمام لا تنظر إلى صغر سني، ورقاقة عظمي..فصبي بني يهود يفوق عقل شيخ جليل..وعالمنا ملك على الأكوان، والإنسان والجماد والحيوان..فلا تستغرب أن ترى أمثالي يصنع الإنسان ويهدم البنيان...!!

لم ينبس **مهدي** ببنت شفة، وإنَّما ظلَّ محدِّقاً بها مستمعاً لقولها، وعميرو يسمع كلامها ويبتسم لعبارتها القوية، ثم ينظر إلى وجه **مهدي** الذي سحرته ببيانها وسحر جمالها..

وبعد دقائق مرت على **مهدي** كأنه حلم طويل، قال لها مبتسماً: لقد سحرني بيانك، وهالني جمالك وعقلك..وكنت أنظر إليك وأنا أفكر في نسائنا اللواتي لا يفهمن من الحياة إلا الفراش والمتعة..

قاطعه **عميرو** بالقول ليخفف وطأة كلام ابنته عليه: سماحتكم كفيتم النساء عقلاً وتدبيراً، فدعهن لخدمتكم ودفء فراشكم..

مهدي موجهاً كلامه لـ**راحيل**: هل لك أن تعملي عندنا كمستشارة...؟..

ضحك **عميرو**: ابنتي تعمل معي، وإن احتجتها في مشورة فلن تتأخر عليك بها..ثم نظر إلى راحيل: أليس كذلك يا بنيتي..؟

راحيل: بالطبع يا أبي..

عميرو: ونعود الآن إلى عملنا الذي أتينا من أجله..

مهدي: تفضل..

عميرو: كيف سارت الأمور..؟

مهدي: أتقصد الشام..؟

عميرو: نعم..

مهدي: شكَّلتُ قبل أيام لجاناً للدولة..ومنها لجنة إلى بلاد الشام وخلال يوم أو يومين ستباشر عملها هناك..

أخرج **عميرو** من جيبه ورقة وقدمها له..

تناول **مهدي** الورقة وقرأها وسأله: ما هذا..؟

عميرو: عنوان من تتصلون به هناك، وهو من سيقوم بتأمين منازلكم، ويسهر على راحتكم، وهو أعلم بالبلد منكم..

مهدي: أهو يهودي..؟

ضحك **عميرو**: وهل نأتمن عليكم غيرهم ...لا تخف فهو من أهل البلد ولد فيها أباً عن جد..

هزَّ **مهدي** رأسه: على بركة الله إذن...!!

* * * * *

فتيات للمتعة

تدارس **أحمد** المرشدي وسعيد الطبطبائي في خطة يضعانها في مهمتهما القادمة..وبعد مشاورات وجدال طويلين..ارتأى أحمد أن يجندَ فتيات جميلات، يقمن بمساعدته في مهمته..

اعترض سعيد: لكن من أين لنا بأمثال ما طلبت...وفتياتنا يعملن في الحسينيات..؟..

حدّق به **أحمد** وقال بعصبية: فهل نستوردهن من الخارج..؟

سعيد: العفو..ما هذا قصدت..!!

قاطعه **أحمد**: أنسيت قرى قم وما فيها...؟..

ضرب **سعيد** على جبينه: نعم...نعم..لقد نسيت ذلك..ولكن كما تعلم أنهن...!!

أحمد: أتقصد..أنهن غير مناسبات..

سعيد: وغير ذلك..فلا أعتقد أن نجد فيهن من تناسب مهمتنا..فحياتهن تخبرك عن حالهن..

أحمد: أليس لديهن بنات...نحن لا نريد العجائز ولكن الفتيات الجميلات منهن..

سعيد: فكرة حسنة..ومتى نذهب إليهن..؟..

أحمد: خير البر عاجله...

انطلقت سيارة حديثة رباعية الدفع..متخطية بيوت الصفيح بقذارتها ومخلفاتها...ثم وقفت عند دكان السيد..وما إن رآهم حتى خرج إليهم مرحباً: أهلاً بكم في الجنات والجنان..وبين النساء والأحضان..

نظر إليه **أحمد** قابضاً على أنفه من الروائح الكريهة التي عمَّت المنطقة، وقال له بقرف: أنت السيد هنا..؟

السيد باحترام: نعم يا مولاي..!!

أحمد: وتعرف كل فتياتها..؟

السيد: نعم...!!

أحمد: جيد...جيد..والآن أريد أن تأخذني إلى أجمل فتيات القرية..ثم أخرج من جيبه مبلغاً صغيراً من المال وقدمه له..فتناوله السيد من يده بسرعة فقبَّله ووضعه في جيبه وانطلق أمامه..

خرجت أم شاهيناز بعد أن سمعت أصوات الواقفين على بابها، فأحسنت مظهرها داعية ربها أنْ يمنَّ عليها بزوج دسم..وما إن وقعت عيناها على القادمين..حتى رحَّبت بهم...

نظر إليها **أحمد** باشمئزاز ثم التفت إلى السيد: يا كلب أهذه من طلبت منك..؟

السيد: لا يا مولاي..فعندها عصفورة رائعة الجمال..!!

بدأ قلب أم شاهيناز يخفق بشدة..لكن **أحمد** قال لها بلهجة آمرة: أين ابنتك..؟

أم شاهيناز بتهكم: ابنتي ليست للزواج سماحة الإمام..!!

نظر إليها **أحمد** باحتقار: ومن طلب رأيك..؟..أرسلي إليها فوراً..!!

كانت شاهيناز تسمع الحديث من وراء الباب..فخرجت على الفور لمَّا رأت الشدة في طلبها: ماذا تريد منا أيها المحترم..؟

نظر **أحمد** إليها معايناً من رأسها حتى أخمص قدميها: يا للهول أتجلسين في هذه البيوت العفنة وأنت أميرة..هذا والعباس ظلم كبير..؟..

لكن كلماته لم تغيّر من استيائها في شيء، فكررت قولها بصوت أعلى: ماذا تريد أيها المحترم..؟

أحمد: نريد أن تسافري معنا إلى الشام فتمارسي مهنتك هناك..

لم تنتظر أم شاهيناز رد ابنتها: دع ابنتي وانظر إلي..أنا أمامك..وابنتي ليس لها بهذا الطريق..

أحمد: ومن سألك عن رأيك أيتها الخرقاء..؟..أنا أتكلم مع هذه الصبية...!!

نظرت إليه شاهيناز بخوف وقد انتابها القلق الشديد: أهو بالغصب إذن..؟

أحمد: لا بالرضا..

أرادت شاهيناز مسايرته: وماذا سنجني من وراء ذلك..؟

تبسَّم **أحمد** في وجهها: سيكون لك أجرك في العمل..

شاهيناز: عليَّ أنْ أفكرَ بالأمرِ...

أحمد: حتى يوم غدٍ..

شاهيناز: لا..أسبوعٍ على الأقل..

أحمد: معك ثلاثة أيام فقط..

ثم راح يتنقل بين البيوت حتى جمع بعض الفتيات وسجَّل أسماءهن..وطلب منهن الاستعداد للسفر..

التفَّت الفتيات الثلاث شيرين وشاهيناز وهزار حول بعضهن البعض، وأخذن يتدارسن ما عُرِضَ عليهن..

هزار: ربَّما تكون لنا فرصة في جمع المال لنخرج من هذا المستنقع الآسن..فسنوات قليلة...ربَّما تريحنا إلى الأبد..وكفانا جوعاً وذلاً وقهراً..!!

شاهيناز: لقد فكرت كما تفكرين تماماً...وخاصة عملنا سيكون في غير هذه البلاد..

هزار: ربما مستقبلنا يكون في الشام..وما يدريك..؟

كانت شيرين تنظر إليهن مستمعة لا تشاركهن الحديث..ولكن هزار قالت لها: بماذا تفكرين...أراك صامتة..؟..

شيرين: أخشى من المستقبل..فنحن بين أهلينا ونعاني الويلات..فكيف إذا كنا

بعيدات..؟

شاهيناز: معك حق.. ولكن لا تنسين أننا سنكون معاً ولا نفترق أبداً..

شعرت شيرين ببعض الارتياح: هل سنوقِّع معهم عقدَ عملٍ..

شاهيناز: لست أدري..ولكن الأمر سيحدد عندما نكون في الشام...وبعدها سنرى..ولا يفوتنك أن هذا الزواج غير معروف هناك..فنستطيع توفير ما نأخذه منهم..وما هي إلا سنوات نعود بعدها إلى بلادنا ونسعد أهلنا وننتشل إخوتنا..

* * * * *

حطَّتْ طائرة آية الله أحمد المرشدي في مطار دمشق تحيط به مجموعة من الفتيات الجميلات وإلى جانبه نائبه آية الله سعيد الطبطبائي..وما إن انتهت إجراءات التفتيش والجوازات حتى انطلقوا إلى شارع الأمين بحسب العنوان المتفق عليه..

ضمَّ الشارع في جنباته ثلاث طوائف، دينان اليهودية والنصرانية..وطائفة الرافضة التي لم تجد لها مكاناً تتوافق معه في ديانتها وشعائرها إلا هذا المكان..بعد أن نبذهم الشعب لمخالفتهم عقيدته ورفضهم للإسلام كما جاء به رسول الله ﷺ ... ولما وصلوا أخذوا بالسؤال عن أفيخاي بن جدعون فأشاروا إليه ... نظر إليه أحمد فرأى رجلاً متوسداً الرصيف ، قصير القامة أشيب الشعر، كبير الرأس، أمامه فرش خضار..تقدم إليه أحمد بين المصدق والمكذب..فعاجله سعيد بالقول: أرى أننا أخطأنا العنوان..فلا أظن أننا أتينا إلى هذه الحثالة من البشر..

رجع **أحمد** خطوة إلى الوراء: وأنا أيضاً لا أصدق...

وهما في حيرتهما رفع أفيخاي رأسه إليهما ورمقهما بنظرات فيها البسمة والترحاب..ثم وقف متوجهاً نحوهما: السادة من إيران..؟

تلعثم **أحمد** في كلامه لأول وهلة: وما شأنك أنت..إن كنا من إيران أم من غيرها..؟

أفيخاي بهدوء وبسمة مصطنعة: أنا أعرف وجهتكم..!!

أحمد: مستغرباً وكيف تعلم..؟

أفيخاي: أنت أخبرني أولاً...

أحمد: نعم..ثم أخرج من جيبه ورقة وأعطاه إياها: نحن نسأل عن هذا الرجل وهذا العنوان...

ضحك **أفيخاي**: لقد وصلتم أنا الرجل المقصود..ثم طلب من ابنه مزراحي أن يجلس على فرش الخضار إلى أن يعود...ثم انطلق بهم جميعاً إلى بيته..وما إن دخلوا إليه حتى قال له: عندنا بيت إلى جانبنا ستنزلون فيه...ثم سأله: أعندك مال...؟

أحمد: نعم..لماذا..؟

أفيخاي: لتدفع أجرة البيت..

أحمد: ها...نعم..الآن إن أحببت.. !!

أفيخاي: أفضل؛ لأن بيتنا صغير وعائلتي كبيرة..ثم انطلق به وقام بإجراءات الاستئجار وانتقل الجميع إليه في نفس الساعة..

عاينت الفتيات المنزل بروية..وأمعنَّ بجماله القديم وعبق رائحة الياسمين، المتدلي بأغصانه عبر أسلاك خُصصت له، وأشجار النارنج والليمون، التي أظلَّت فناء المنزل بأوراقها الخضراء، فأضفت على البيت رونقاً جميلاً لدى الجميع..وتوسطت الدار نافورة تقذف بالماء عالياً، فينتقل رذاذها مع الهواء..ناشراً الرطوبة في كل مكان..فتقع حبات مائه البارد على الوجوه وقت الحر الشديد، كأنها سلسبيل امتزج بالبرودة وعبق الزهور وأريجها..

وعلى الجانب الآخر من الفناء، انتصب درج طويل، امتدَّ إلى الغرف العليا والسطح، وعلى كل درجة منه مزهرية، زُرعت بأجمل الغرسات الوردية، والجورية، والسجاد بألوانه المتعددة، وتوسطت أوراقه دوائر أشبهت العيون بفتحتها وكحلها الأخضر..وأُسِّست الغرف بأسرَّة فردية، وإلى جانب كل سرير طاولة صغيرة عليها مزهرية بلون السرير، وإلى جانبه خزائن حائطية قديمة، فيها بعض الشقوق التي تدل

على قدَم صناعتها وجودة خشبها..بُني المطبخ في أسفل الدرج، ممتداً بطول تسعة أذرع، سُقفَ بأعمدة خشبية، توشَّحَ السوادُ لحاءها عبر السنين، عبثت فيها المكنسة مُخلِّفةً وراءها خطوطاً بيضاء...وعشش العنكبوت بين أعمدته ناسجاً بيته، مُحْكماً رباطه، كأنه يخشى أن يخرَّ على الأرض...وفي نهاية الرواق مخزن حطب بُني عليه موقد نار قديم...وعلى امتداد جدرانه رفوف عريضة عليها بعض الأواني النحاسية، ومواعين بمختلف الأحجام والأشكال...

استهوى جمال المنزل الجميع، فوقفوا مذهولين لهذه الجنة التي مثَّلها هذا البيت القديم...فهرع أحمد على الفور فاختار غرفته وغرفة نائبه، وأمر الفتيات أن يجهزن غرفهن...ثم طلب من أفيخاي بعض الطعام..فما كان منه إلا أن مدَّ يده: أعطني المال فأنا الآن وإلى آخر لحظة في خدمتك..

أذعن **أحمد** لطلبه وأخرج من جيبه بعض المال وأعطاه إياه..فانطلق على الفور ليأتيهم بالطعام..

* * * * *

زيارة العتبات

بعد أن استقر بهم المقام وتناولوا قسطاً من الراحة، طلب آية الله أحمد من الجميع الاستعداد لزيارة مقام رأس الحسين في الجامع الأموي..فتوجهوا مجموعة واحدة يتقدمهم أحمد الذي كان قد زاره قبل سنوات، وقدم له طقوسه الدينية..فاخترقوا شارع مدحت باشا العثماني، متأملين جماله الأخَّاذ وعمارته القديمة، مندهشين إلى اهتمام الأقدمين ببنائهم العمراني..وتخلله سوق البزورية وعلى جانبي الطريق، رُصِفَتْ محلات قديمة تبيع المواد التموينية إلى كل مدينة دمشق..وعلى جانبه الشرقي حمامه العثماني القديم بأحجاره الضخمة ونظافته الجمَّة..يقف على بابه شُبَّاناً مرتدين لباساً فلكلورياً يدل على قِدَمِ المكان..يصيحون مرغِّبين المارة بالاستحمام..وفي نهاية السوق كانت محلات الذهب تدل على نفسها بألوانها، عكس الزجاج بريقها، الذي مُسِحَ بعناية كبيرة منذ الصباح الباكر، ليُعطي رونقاً ذهبياً يُرغِّب الزبائن بالدخول والشراء...

وصل الجميع إلى الباب الجنوبي للمسجد..وهمّوا بالدخول فمنعهم آية الله أحمد: علينا أن ندخل من الباب الشمالي فعندنا مهمة لا بد أن نؤديها قبل ذلك..فانصاع الجميع له وساروا من خلفه...وما إن وصلوا إليه حتى دخل إلى مقبرة صغيرة على يمين الباب..ووقف عند بعض القبور..فسألته إحدى الفتيات: مولاي لمن هذه القبور...؟

أجابها أحمد بقرف: إنها قبور بني أمية..وقبر صلاح الدين الذي قضى على دولتنا في مصر..

أطرقت الفتاة مفكرة للحظة وسألته: ولماذا نزورهم إذن..؟

أحمد: لم نأتِ للزيارة، وإنما أتينا لنلعنهم ونلعن آباءهم من قبلهم..ثم أخذ

يتمتم بكلمات لا يسمعها إلا من كان قريباً منه...خشية أن يسمعه الزائرون، فتنقلب لعناته عليه وعلى من معه..ثم دخل المسجد، وتوجَّه إلى الجهة الشرقية منه، والجميع يسيرون خلفه، وما إن وصل إلى المقام حتى خرَّ على الأرض ساجداً، يتمسح بأعتابه ففعل الجميع كفعله..واشترى شريطة خضراء من أحد الواقفين على بابه، وأعطى الجميع كذلك نظير مبلغ مالي، ثم دخل إليه متباكياً..متقدماً بخشوع المجروح..فربط الشريط على القبر، وأمر الباقين أن يحذوا حذوه..ثم جلس بالقرب منه مطرقاً رأسه وظلَّ هذا حاله لنصف ساعة ثم خرج كما دخل..وجهه إلى الأمام وظهره إلى الخلف، وعاد أدراجه إلى بيته، ليجلس في فناء البيت، يستمع إلى تغريد العصافير، وصوت أوراق الشجر عندما يهزُّها الهواء...

تناول الجميع العشاء معاً..ثم طلب منهم البقاء للاستماع إليه..التفَّت الفتياتُ من حوله وحدقن به...فأخذ ينظر إليهن مقلِّباً وجوههن: إلى الآن لم أتعرفْ عليكن..فنظر إلى من كانت عن يمينه فأمعن فيها النظر متأملاً..وسألها: ما اسمك أيتها المؤمنة..؟

الفتاة: أنا شاهيناز..

ثم التفت إلى أخرى: وأنت يا طاهرتي ما اسمك..؟

الفتاة مبدية الخجل مطرقة إلى الأرض : أنا شيرين يا مولاي...فأجابها: اسم على مسمى..

ثم التفت إلى الثالثة: وأنت يا حلوتي..؟

الفتاة: أنا هزار..

أحمد مبتسماً: أراك تختلفين عن صويحباتك، فكل واحدة منكن تحمل صفة تختلف عن الأخرى..

هزار: وماذا رأيت فيَّ...؟

أحمد: أنت طويلة القامة، وفي وجهك خفة فارس، وجمال العرب..وفي عينيك بريق يعكس ما بداخلك من صحة وحيوية وحب للحياة..

ثم سأل أخرى ثم أخرى إلى أن انتهى منهن جميعاً..ثم غادر إلى النوم بعد أن قال لهن: علينا غداً أن نتوجه إلى مقام السيدة زينب لأداء الزيارة..

مع الصباح الباكر توجه الجميع إلى مقام السيدة زينب، ولما دخلوا مقامها ارتموا على أعتابها وأخذوا بالطواف حولها..ثم تعلقوا بشبَّاكها، رابطين رقابهم به، هامسين لها بأسرارهم..طالبين منها أن تلبي طلباتهم وتوفقهم في مهامهم..وبعد أن انتهوا توجهوا إلى الخلف، فجلسوا حولها بوارك، مطرقي الرؤوس، خاشعي القلوب، ودمعتهم تسيل على خدودهم، ملتمسين منها الرحمة والبركة..واستمر هذا حالهم إلى قبيل الغروب..فعادوا أدراجهم إلى بيتهم بسعادة، بعد أن نهلوا من القبور المغفرة وسلامة العقيدة..

* * * * *

اتصل آية الله **مهدي** بالحاخام عميرو، وطمأنه إلى وصول الوفد إلى سوريا، وأنه سيباشر عمله قريباً...ومن ثَمَّ أحاطه بكل الخطوات التي سيقومون بها هناك...فسأله عميرو: هل أرسلتم المال معهم..؟

مهدي: بالتأكيد ..

عميرو: وهل كلَّفت رجلاً مختصاً بتلك المصاريف..؟

مهدي: لا..

عميرو: هذا خطأ كبير..عليك ألا تترك الحبل على الغارب..فأرسل من قِبَلِك من يقوم بهذه المهمة..حتى تعلم أين تذهب الأموال وكيف تُصرف..

مهدي: لكن من أرسلته حفيظ أمين ...

عميرو: لا أمين مع وجود المال ...

مهدي: سأفعل ...

عميرو: على الفور ولا تؤخره إلى الغد..

مهدي: حسناً...حسناً..

وما إن ودعه حتى استشار محمد الطوساني فيمن يصلح لهذه المهمة، فانتدب لها على الفور عباس المشهدي..وهو أحد المقربين منه وتربطه به علاقة وثيقة لصلة القربى بينهما..فهو ابن خالته وممن وقف معه أثناء الثورة، فظلَّ محافظاً على وده راعياً ومعلّماً...وطلب منه المغادرة على الفور ليستلم مهامه المالية.

كان عباس يميل إلى البياض، مربوع القامة، كثير التلفت، أفطس الأنف، يضع عمامته السوداء دافعاً إياها إلى الخلف..وكأنه أراد أن يُظهر شعره الكثيف من تحتها، متزوج من إحدى العلويات التي يأتيها الخمس من أموال الناس، وأنجبت له مصطفى وهايدي...

استقلَّ الطائرة مع عائلته، وفي جعبته مبلغ كبير من المال، غير مال زوجته التي حرصت أن تأخذ معها أغلبه...وما إن وصلوا حتى توجهوا إلى شارع الأمين مباشرة..ونزلوا ضيوفاً في البيت الجديد وعرَّف نفسه لآية الله أحمد على أنه مندوب عن آية الله مهدي في الأمور المالية..وقدَّم له رسالة التكليف مختومة بختم الإمام..فتناولها من يده فقبّلها ووضعها على رأسه...وبدأ عباس بعمله فور وصوله..وطلب منه كشفاً بما معه وما دفعه..وبعد أن استقرَّ الأمر..توجه إلى غرفته ليخلد إلى النوم..

في نهار اليوم الثاني جاءهم أفيخاي عارضاً خدماته..وما إن وقع نظر عباس عليه حتى سأله: أنت بالتأكيد أفيخاي..

أجابه أفيخاي: نعم بكل فخر واعتزاز يا سيدي..!!

عباس: لقد أخبرني الإمام عنك..

أفيخاي: أنا في خدمتكم جميعاً..

عباس: نريد بيتاً آخر..غير هذا البيت..

أفيخاي: لا بأس..ومتى تريده...؟

عباس: اليوم إن أمكن...

أفيخاي: لماذا لا تسكن معهم..فالبيت كبير جداً..

عباس: أنا المندوب هنا، وعندي عائلة، ولا أريد الاختلاط بتلك الجموع..لأن البيت بعد أيام سيكون مزدحماً بالزائرين..

أفيخاي: لا بأس فالبيوت موجودة طالما وجد المال..

عباس: المال كثير..

برقت عينا **أفيخاي** عند سماعه بالمال: ولكن لا بد أن يكون لي أجر مقابل هذا العمل فعندي عائلة..وأنا أكتسب رزقي من عرق جبيني..!!

عباس ضاحكاً: لا بأس سيكون لك ما أردت...

شعر **أفيخاي** بأن الأمور بدأت تسير كما يحلو له..فقال له على الفور: طالما عندك عائلة لماذا لا تأتي بهم إلى بيتي الآن، فأختك فيفيان ستستقبلكم على الغداء هذا اليوم..

عباس: شكراً لك..

وجد **أفيخاي** في ذلك مناسبة جديدة للتقرب منه ومن ماله: والعزيز أنت وعائلتك ضيوفنا هذا اليوم..وفي المساء سأجد لك بيتاً يليق بك وبعائلتك، وسيكون في نفس هذا الحي..

أذعن **عباس** لطلبه نزولاً عند إصراره وتأكيده...فصاح على زوجته أم مصطفى وذهب بها إلى بيت أفيخاي..وما إن رأتهم زوجته حتى كشَّرت وجهها مظهرة امتعاضها..فتقرب إليها أفيخاي آخذاً بيدها: عندهم مال كثير..دعي تكشيرتك لغيرهم..وبشِّي في وجوههم فسيخرجون إلى بيتهم هذا المساء..وما إن سمعت منه ذلك حتى انفرجت أسارير وجهها بابتسامة عريضة، واعتنقت ضيفتها بحنان مصطنع، وأجلستها إلى جانبها، وبدأت تتجاذب معها أطراف الحديث وتشرح لها سوء الحال،

وغلاء الأسعار كمن تتسول بأغنية حفظتها لتستجدي قلوب الناس وعطفهم..فما كان من أم مصطفى إلا الاستماع إليها ومواساتها..وبعد شرح طويل وعدتها أن تساعدها...فرحت فيفيان بما سمعت: ستكونين صديقتي المقربة..

أم مصطفى: أكيد سنكون أختين..

ومع حلول المساء انتقل **عباس** وأسرته إلى بيتهم الجديد، الذي لم يبعد كثيراً عن بيت أفيخاي...

* * * * *

كان أهل الشام يميلون إلى تراثهم القديم..فكثرة مساجدهم، ووفرة علمائهم، ومدارسهم الشرعية أكثر من أن تحصى، ولا يُعكِّر صفوهم إلا هجمة العلمنة العالمية التي تغزو العالم بأسره..وعلى الرغم من كل ذلك، كان همُّ الشعب المحافظة على إرثهم القديم، الذي ورثوه عن أجدادهم..

كانت تربطهم علاقات جيدة مع بقية الأديان والأقليات، التي تجمعت في تلك المنطقة القديمة في باب شرقي وشارع الأمين والقصاع وباب توما..ولم يؤثر على تلك العلاقة دخيل قادم ولا طماع عابر..فعاشوا سوياً جنباً إلى جنب، يحترم كل واحد منهما الآخر، ويلوذ به عند الخطوب، حتى أن العديد من النصارى، كانت تأخذهم حميَّة الغيرة على الأرض والعرض..متأثرين بالمسلمين عن غير قصد منهم..فالعلاقة الوثيقة التي تربط الأبناء بالأبناء والآباء بالآباء، أنتجت تلك الحالة المستحدثة فيهم..فقبلوا بها وأوثقوا رباطها في قلوبهم وعقيدتهم وعاداتهم...لكن وجود الرافضة بينهم لم يكن له التأثير نفسه..فنزعة الكراهية التي يكنُّها الشعب ضد مخالفيه، ولاعنيه، والمتبرئين من عقيدته وقرآنه، أوجد في قلوب الناس جميعاً نفوراً واضحاً..بدأ بالزوال مع مرور الأيام وتوالي الشهور والدهور..فإخفاء الروافض لعقيدتهم، وعدم إظهارها أو الجهر بها أمام الناس، أنسى الأجيال الناشئة عقيدتهم وحقدهم وكراهيتهم نحو الآخرين، وتعاملوا معهم بحب ووئام...واستطاعوا كسب ثقتهم من خلال معاملتهم الجيدة ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم...

* * * * *

دعاة بفروج الفتيات

توجه آية الله أحمد المرشدي إلى مقام السيدة ومعه الفتيات، وقال لهن: سيبدأ اليوم عملكن المعتاد..ولكي تنجحن فيه لا بد أن تسلمن أنفسكن لي بدون تفكير أو اعتراض..فنحن في مهمة قدسية، تحتاج منا بذل الجهد والتفاني فيه..ولا نفكر إلا بنتيجة واحدة..هي استقدام من نستطيع من شبابهم إلى شيعتنا، ليكونوا لنا بعد ذلك دعاة عاملين في شتى أرجاء هذه المدينة الفيحاء..

سألته **شاهيناز**: مولاي وهل علينا أن نرمي بأنفسنا على أي أحد يأتينا..؟..

أحمد: في البداية نعم، ريثما نقف على أرجلنا..وبعدها يكون لَكُنَّ الاختيار أو الرفض..

هزّت رأسها وقالت بصوت خافت: وماذا سيكون أجرنا..؟..

ضحك باستهزاء: أتريدين أجراً يا شاهيناز..ألا يكفيك رضاء الأئمة عنك..وأنت ستأكلين وتنامين وتلهين بلا مقابل..؟..

تدخلت **شيرين**: لكن يا مولاي إنها فروجنا ولها أجر في شريعتنا..!!

أحمد: أعلم ذلك..هذا الأمر يكون في بلادنا لا في الغربة والدعوة إلى الله..!!

صمتت الفتيات وتبادلن النظرات، وظهرت على وجوههن علامات الاستياء..ولما اختلين إلى أنفسهن، صرن يتحدثن بصمت، قالت هزار: يبدو أننا في ورطة..فلم نأتِ غانيات..وإنَّما أتينا لنعمل ونكافح..

اقتربت **شاهيناز** منها وقالت محذرة: احذري أن يسمعك أحد..فستكون نهايتنا عند ذلك..

هزار بهدوء: أعرف هذا..ولكنني أفكر في الرجوع إلى إيران والمكوث عند أهلي، ولو عرفت أنني سأكون سلعة بلا مقابل، لما قبلت السفر مع هذا القواد..

وضعت **شيرين** يدها على فمها لتمنعها من الحديث: ويلك يا مجنونة ألم ترى الفتيات من حولنا ينظرن إلينا نظرات استفهام ويوجهن آذانهن نحونا..

نظرت **هزار** فوجدت الفتيات كلهن آذان صاغية قد وجهن صِوانهنَّ نحوهنَّ.. فما كان من شيرين إلا أن قالت للجميع: تعالين يا بنات فهزار تريد أن تقصَّ عليكنَّ بعض نكاتها...فما كان من الفتيات إلا أن تقربن منها، وبدأت شيرين بالحديث موهمة إياهن ومضللة عما دار من حديث صامت..

في الصباح الباكر استيقظت شاهيناز وأيقظت صديقتيها شيرين وهزار، وخرجن معاً إلى المطبخ وجلسن فيه يتحدثن بصوت أشبه بالصمت..

شاهيناز: عليَّ الرجوع إلى بلدي..فلا أريد البقاء والسير في طريق الرذيلة وأطماع الآيات..فأنا لست سلعة تتناقلها الأحضان..أنا بشر فإن كان الآيات قد سنّوا متعتهم، فليقدموا بناتهم كبش فداء لدعوتهم..لا أن يستغلوا العامة من البشر ويستثنوا أعراضهم..!!

أجابتها **شيرين** بصوت هامس: والعباس لو سمع أحد منك هذا الكلام ستكون نهايتك حتماً..ولا تنسي أن جواز سفرنا معه، ولن نستطيع السفر إلا بموافقته..

تدخلت **شاهيناز** وكانت أكثرهن شجاعة: إن كان الأمر كما ذكرتن، فما علينا إلا أن نلعب معهم لعبة القط والفأر...فلن يأخذوا منا إلا ما نريد، ونتظاهر في عملنا ولا ندع أحد يلمسنا...

شيرين: وإن أجبرك على فعل ما يريد..فما العمل..؟

شاهيناز: فليفعل..فلن يحصد إلا الخيبة والخذلان، وسأتعامل مع الزوج المفترض ككلب يقف على بابي، ولن يرى مني إلا النفور..

شيرين: يبدو أن الأمر سيكون هكذا..إلى أن يشعر أحمد بالملل فيعيدنا من حيث أتينا...

وهن في حديثهن اقترب آية الله أحمد ماشياً على رؤوس أصابعه ليسمع حديثهن..فشعرت به شيرين فسارعت إلى افتعال وضع طعام الإفطار..وما إن رآهن حتى قال: صباح الخير يا حلوين..

ردت عليه **شيرين** بابتسامة عريضة: صباح الخير سماحة الإمام..

أحمد: يبدو النشاط عليكن هذا اليوم، وأتمنى أن تبيضن وجهي في الدعوة..

شاهيناز: بالطبع سنبيِّض وجهك ونرفع رأسك..

أحمد: أحسنت...أحسنت..واليوم سأعقد عليك ليومين فقط ومن ثم الباقيات، فلا خير في فتاة لا تذوق عسيلة الإمام قبل غيره..

ارتاعت **شاهيناز** لما سمعت، وأصيبت بصدمة كبيرة، وأخذت الفتيات ينظر بعضهن إلى بعض..وعلامات الذهول مرتسمة على وجوههن..!!

* * * * *

توثَّقتْ العلاقةُ بين زوجة عباس وفيفيان، وصارت بينهما زيارات وتداخل الأبناء فيما بينهم..فتعلق مزراحي بهايدي ومصطفى بدينا...وامتدت الأواصر بينهما، وتشابك الجميع بعلاقات قوية...لكن أفيخاي في كل الأوقات ينظر إلى العلاقة نظرة مادية بحتة .. مادا يديه ويدي زوجته إلى جيوب أصدقائهم الجدد، فلا يفعل عملاً ولا يحرك ساكناً إلا إذا علم بأن مالاً سيدخل جيبه..وأخذ يحيك الخطط ليلتفَّ على ممتلكات عباس وأولاده..

في مساء يوم السبت طرق أفيخاي وعائلته بيت عباس، الذي كان جالساً في فناء المنزل، واضعاً أمامه نركيلته، قد ملأها بالتنباك العجمي الفاخر المعطر بالتفاح...وما إن رأى ضيوفه حتى وقف مرحباً بهم وأجلسهم بالقرب منه..وصاح على ابنته: حضِّري نركيلة لعمك أفيخاي...

تبسَّم **أفيخاي**: لم أشربها منذ كنت شاباً، ولكن رائحة التنباك العجمي قد فتحت شهيتي..وما هي إلا دقائق حتى انتصبت أمامه نركيلة طويلة عليها بعض

الدناديش الفضية، وبجانبها ملْقَطاً تجمعت حوله بعض الجمرات الداعمة...فسحب نفساً عميقاً وبدأ بالسعال الحاد..فاحمر وجهه وعبأ لونه وجحظت عيناه مائلة نحو الاحمرار..فما كان من عباس إلا أن انتابته ضحكات عالية: يبدو أنك غرٌّ في شرب الشيشة..

أفيخاي: لعنها الله كم هي ثقيلة...

عباس: لا بأس اسحب منها رويداً رويداً..!!

وبعد ساعــة من الراحة والاستجمام على صوت فقاعات الماء المنبعثة من النركيلتين.. سأله أفيخاي: ما هو عملك الآن..؟

صمت عباس ولم يعره انتباهاً..فأعاد عليه السؤال...لكنه لم يحصل منه على أي جواب..ولما ألحَّ عليه قال: أنا تاجر أعمل بين طهران والشام..

أفيخاي: لكنني لم أرك قبل الآن...!!

عباس بازدراء: وهل تعرف جميع التجار هنا..؟

أفيخاي: إن لم أعرف الجميع فإني أعرف أغلبهم...ولم أرك مرة في السوق، على الرغم من أنني أعمل فيه وبين التجار منذ أكثر من خمسين عاماً، والجميع يعرفونني، ويتعاملون معي، ويأتمنونني على أسرارهم..

استنشق **عباس** من نركيلته نفساً عميقاً، وصار يخرجه من فمه كالدوائر، مظهراً عدم مبالاته بما يقول، ولما طال انتظار أفيخاي للجواب: أراك صامتاً..عليك أن تثق بي فأنا معتمد من قبلكم وأتيتم إلى هنا على عنواني، فلو لم أكن أهلاً لثقتكم، لما رأيتني في داركم واقفاً معكم الآن..فلا يغرنك عملي..فليس في العمل عيب..وهو عمل أبي من قبلي..ولكن العيب من لا يعمل لدينه وأبناء جلدته..ولا تنسى أننا مرتبطون معاً بأواصر قديمة، عمرها أكثر من ألف سنة..

عاد **عباس** إلى ازدرائه والتحديق به دون أن يعره اهتمامه..فما كان من أفيخاي إلى أن انتصب واقفاً مظهراً الغضب..أحسَّ عباس بسوء تصرفه...فأقسم عليه أن

يجلس: لا عليك..علينا أولاً أن نتناول طعام العشاء ونتكلم بعده براحة أكثر..ثم صاح على هايدي وطلب منها تحضير العشاء..فتوجهت إلى المطبخ وبصحبتها دينا ومن ورائهم مصطفى...

في تلك الأثناء بدأ أفيخاي بالنقاش مع عباس: لا تظن أنَّ حديثي نابع عن طمع..لا سمح الله..ولكن عندي لك مشاريع تعود عليك وعلى عائلتك بالربح الوفير..!!

عباس: سأكون صريحاً معك..أنا أعمل مندوباً مالياً لبعثتنا هنا وهذا الأمر قد أخبرتك عنه وقت وصولي..

لمعت عينا **أفيخاي**: إذن المال كله معك..!!

عباس: نعم..ولا يستطيع أحد أن يأخذ قرشاً واحداً دون موافقتي وتقييمي لحاجته..

أفيخاي: هذا لا يمنع من أن تزيد المال..

عباس: أتريدني أن أتاجر بأموال السادة..؟

أفيخاي بخبث ودهاء: يا سماحة الإمام عباس...وما إن سمع عباس هذا الإطراء حتى اعتدل في جلسته، ونظر إليه باستعلاء الأئمة: تكلم أنا أسمعك..

أفيخاي: عليك أن تتاجر بأموالهم ودون علمهم، ولن يعلم أحد بذلك..وكل ربح سيعود عليك وعلى أولادك..

أجابه **عباس** على الفور: لكن زوجتي علوية، ويأتيها الخمس، وهي في بيتها دون أن تتعب نفسها وعقلها..والمال كثير جداً..

اقترب منه أفيخاي مظهراً الاهتمام، ووضع يديه على ركبتيه وقال هامساً: مال المرأة ليس فيه بركة..اسألني أنا...فعند أول مشكلة تصيبك تتخلى عنك وتضحي بك.. عليك أن يكون لك مالك الخاص...فالدنيا غدَّارة..ليس لها أمان..مثل النساء..!!

رمقه عباس بنظرات فيها الحيرة: معك حق في كل ما قلت..ولكن كيف السبيل إلى ذلك..؟

شعر **أفيخاي** بسحره يتسلل إليه: هناك مشاريع عدة أولها العقار...وثانيها التجارة..

عباس: أرى العقار أفضلها، فلم أسمع أن عقاراً خسر مع طول الزمان..أما التجارة فهي مذبذبة الأسعار...

تقرب **أفيخاي** إليه أكثر وقال بصوت منخفض: لا تنسى أنَّ العقارات فيها الكثير من الحرية...وصار يضحك..!!

عباس متسائلاً وقد سيطر عليه حب الفضول وأحسَّ بسهمٍ أصابه بمقتل فسأله هامساً: ماذا تقصد...؟

أفيخاي: إن اشتريت عقاراً دون علم أحد فسيكون لك بيت آخر، تشمُّ فيه نَفسكَ وتضع عن جسدك الهمَّ..وأشار بيده نحو غرفة زوجته..فنساؤنا أصبحن منتهيات الصلاحية، وعلينا أنْ نجددَ شبابنا ونعيد لها الحيوية..

لفَّ **عباس** خرطوم نركيلته عليها: أصبت والعباس..فأنا أتوق لتلك الليلة، فزوجتي كقطعة عجين فاسدة، لا أرى منها إلا ضخامة الجسد ونتانته..!!

عاجله **أفيخاي** بالقول: انظر إلى نفسك في المرآة..فأنت مازلت شاباً يافعاً..وقد قالت لي فيفيان ذلك..وشتان بينك وبين زوجتك..!!

انتابت عباس حالة من الغرور: أحقاً قالت لك ذلك...؟

شعر **أفيخاي** أنه وصل إلى مراده: بل وقالت أكثر من ذلك..

عباس مستجدياً: بلى...بلى..أخبرني وماذا قالت أيضاً..؟

أفيخاي: دعك مما قالت الآن، ولنضع أيدينا بأيدي بعضنا البعض، وننطلق لنحصد الملايين..

ولما أراد عباس أن يتكلم صاحت هايدي: بابا العشاء جاهز..وقبل أن يتوجَّها إلى

المائدة قال له عباس: ستكون جلستنا قريبة ولتكن في بيتك...

أفيخاي: غداً مساءً..ما رأيك..؟

عباس: سآتي وحدي..

أفيخاي: هذا أفضل...

* * * * *

جلست الفتيات الثلاث في صحن مقام السيدة زينب، وقرَّبن رؤوسهن بعضها من بعض وأخذن يناقشن حديث الليلة الفائتة..

شاهيناز: يبدو السيد يريد أن ينعم بنا قبل الآخرين..وأنا ما أتيت إلى هنا إلا لتأمين مستقبلي المالي...ولا تعنيني الثورة نجحت أو غارت...

شيرين: حسب كلامه فإننا سنكون غانيات بلا أجر..وهم سيحصدون ثمن أعراضنا..

تدخلت **هزار**: وما العمل...فنحن ضعيفات لا حول لنا ولا قوة...؟

كانت **شاهيناز** أكثرهن اندفاعاً وندماً على قرارها بالمجيء معهن: أنا سأهرب إلى أرض الله الواسعة، ولن يطولوا مني أبيضَ ولا أسودَ..

شيرين: هل أنت غبية..والعباس لو علم بذلك لفصل رأسك عن جسدك...وربما قتل بقية عائلتك في إيران..!!

دبَّت في أوصال شاهيناز رعشة خوف، لم تستطع إخفاءها، وحدَّقت بعينيها: أيعقل أن يعتدوا على أهلي..ولا ذنب لهم..أليسوا يدَّعون الإسلام..؟

شيرين: هذا هراء..!!..ألم ترِ أفعالهم مع رجال الشاه وزوجاتهم...؟..

زاد خوف **شاهيناز** بما سمعت: علينا أنْ نعملَ وفق قوانينهم إذن..؟

شيرين: على الأقل في الوقت الحالي..ريثما تتضح الأمور..

هزار بعصبية: هذا هراء فلسنا عبيداً عندهم..وأنا سأنام في الأزقة، ولن أُقدِّمَ نفسي لهم فريسة ينهشون منها كما يشاؤون..

شيرين: ومن قال إننا سنكون فرائسهم..بل علينا الآن أن نتعامل معهم بدهاء، وبعدها نتصرف ونبتعد عنهم...

تدخلت **شاهيناز**: شيرين معها حق في كل ما قالت...

تبسَّمت **شيرين** في وجهها: شكراً لك..

هزار: ولكن كيف سنعمل عندما يعقد علينا آية الله أحمد..وماذا سنقول له..هل نسلمه أنفسنا..أما ماذا نفعل...؟

أطرقت **شيرين** صامتة تفكر في المصيبة القادمة، ثم رفعت رأسها وقد لمعت لها فكرة فأحسَّت أنَّها وقعت على الحل: علينا أن نجامله، ولا مانع أن يعقد علينا، فربما نستطيع أن نكسب ثقته بعد ذلك..

شاهيناز: أيعقد علينا بلا أجر..هذا والعباس لن يكون..فإنه منا ونحن منه، ولا حاجة لأن نكون كماء السبيل للقادم والرائح..!!

شيرين: معك حق، ولا تنسي أنك ستكونين خليلته هذه الليلة..وعليك أن تدبري أمرك ونحن سنساعدك..

تغيَّر وجه **شاهيناز** عندما ذكَّرتها بأن ليلتها الأولى ستكون في أحضان آية الله أحمد..فسرحت قليلاً: نعم..لا بأس..سأكون خليلته هذه الليلة وغداً..وسأعمل جهدي وسترين ذلك هذا اليوم...!!

وما إن عدن إلى بيتهن وتناولن العشاء، صاح آية الله أحمد على **شاهيناز**: الدور عليك هذا الليلة يا حلوتي..فأجابته وغداً سماحة الإمام...

أحمد ضاحكاً: كما تريدين وغداً..ثم بدأ بطقوس العقد دون أن يسمي الأجر..فقاطعته شاهيناز قائلة: هل يصح عقد بلا مهر..وأنا شيعية حرة، أتقرَّب من مجتهد مثلكم ...

ظهرت على **أحمد** المفاجأة : أتريدين أجراً من إمامك...؟..وحدّق فيها بعينين حادتين..!!..

فسارعته بالقول: نعم وما المانع في ذلك..؟..فإن كنَّا سنعمل مع الغريب وفق ديننا ودعوتنا..فأنت منا ونحن منك..وهذا أجر فرضه لنا أئمتنا..أتمنعنيه وهذا لا يصح في ديننا..؟

شعر **أحمد** بالضيق: وكم تريدين..؟

نظرت إليه: أنت ومقامك..

أحمد: لقد غلبتني فمقامي كبير..ولكن لا بأس سأمهرك لليلتين عشرة دولارات..ها..ما رأيك..؟

شاهيناز باستياء: وهل يليق بك هذا المبلغ...أنت أكبر من ذلك بكثير..!!

أحمد: سأمهرك عشرين دولاراً...!!

اصطنعت **شاهيناز** البسمة: أنحن في مزاد علني..لا أقلَّ من مائتي دولار..وليس عندي غير ذلك..

صاح بها ووقف في وجهها: ماذا...ماذا...؟

شاهيناز: قد سمعت..لا أقلَّ من مائتي دولار..وهذا حقي لكي أوافق..!!

فتركها غاضباً وأشار على **هزار** وشيرين: لا بأس فعندي غيرك الكثيرات...لكن هزار أجابته: وأنا مثلها لا أقبل أقلَّ من ذلك، فليست **شاهيناز** أجمل مني..وكذلك أجابته شيرين..فوقف منتصباً والشرر يخرج من عينيه، وقد تغيَّر لونه وتعالت زفراته وصاح على بقية الفتيات من الغرفة الأخرى: من تريد أن أعقد عليها بلا أجر هذه الليلة..فأجبن بالموافقة..ثم التفت إليهن: أسمعتن...ثم أمسك بيد إحداهن وعقد عليها عقداً شكلياً ودخل بها إلى غرفته..

شعرت **شاهيناز** وصديقتها بالفرح والانفراج: هذا أول الطريق..وعلينا أن نفكر بالخلاص والعودة إلى بلادنا بعد ذلك...

أجابتها **شيرين** والحيرة على وجهها: وكيف ستعملين غداً مع أبناء النواصب..؟..

شاهيناز بثقة: إذا استطعنا التخلص من هذا القواد...سيكون مع غيره أسهل بكثير..

* * * * *

بدأ **أفيخاي** وعباس يتدارسون العمل معاً...ولم يكن همّ أفيخاي إلا الحصول على المال، وتنفيذ مهمته التي كُلِّف بها من حاخامات إيران..فصار يعمل على الجبهتين معاً..فذهب بعباس إلى إحدى الدور العربية القديمة ليشتريها له..وبعد مساومات طويلة اتفق الجانبان على الثمن، وقام أفيخاي بإجراءات نقل الملكية...وما إن اطمأن عباس على ملكه الجديد، حتى قدحت في ذهنه فكرة الزواج بأخرى..لكن أفيخاي طالبه بأجره من الصفقة..فما كان من عباس إلا أن أعطاه ألف دولار..انتاب أفيخاي الغضب والحنق: ألف دولار فقط وأنا بيت سرك ومن أشار عليك بهذا العمل..

ظهر على وجه عباس الغضب: أنت وسيط فقط..المال مالي..وألف دور مبلغ كبير جداً..

عقد **أفيخاي** بين عينيه ونظر إليه متفحصاً: لا أرضى بأقل من خمسة آلاف دولار..وإلا..

شعر **عباس** بالخوف لهذا التهديد المفاجئ: سأعطيك ثلاثة آلاف..وفي الصفقات القادمة سيكون لك نصيب أكبر..ولا تنسى أن البيت سيكون سكني الخاص..وليس للبيع في هذا الوقت..

أذعن **أفيخاي** لوعده، فأخذ المبلغ من يده ووضعه في جيبه، وصار يتحسسه بين الحين والآخر مطمئناً على وجوده..وسأله: أتريد خليلة من عندنا أم من عندكم...؟

ظهر السرور على وجه عباس: لا فرق..ولكن أُفضِّل من عندنا الآن..

أفيخاي على الفور: شيعتكم في هذا الشارع منذ مئات السنين..وما عليك إلا أن تشير إلى إحداهن فتأتيك سعياً..

عباس: أتعتقد ذلك..فأنا الذي أعرفه أن شيعتنا قد تأثروا بعادات النواصب طوال السنين السابقة..؟

أفيخاي بخبث: لا أظن...فمن في عقيدته شوكة لا بدَّ أن تنخزه...

عباس: هل فيهن جميلات..؟

أفيخاي: عليك أن تسعى..والجمال أمر نسبي بين شخص وآخر..

عباس: ألا تساعدني وتدلني عليهن..؟

أفيخاي: لماذا لا تسعى بنفسك من الفتيات القادمات من إيران..

عباس: لا أستطيع..أخشى أن يُفضح أمري..

أفيخاي: معك حق..اذهب إلى مقام سيدتكم، ولا بد أن تقع عيناك على إحداهن..

عباس: صدقت..ليس لي غير هذا الحل..

* * * * *

الصيد الثمين

مع الصباح الباكر توجه عباس إلى مقام السيدة زينب، فأدى طقوس الزيارة من طواف وتقبيل للعتبات، والهمس لها بعبارات الحاجة، وأباح لها بأسراره: مولاتي أنا عبدكم وابن عبدكم قد جفَّ الضرع، ويبس العظم، وليس لي سواك..مولاتي جودي عليَّ بضرع رطيب ووجه رحيب..ثم سالت من عينه دمعة...ثم رجع مبتعداً وجلس في صدر المكان..وأخذ ينتظر الزائرين الذين توافدوا جماعات وركباناً..فصار يتأمل الفتيات القادمات..وظلَّ هذا حاله لعدة ساعات فلم تقع عيناه على ما يريد..فغادر على أن يعود في اليوم الثاني ..

في المساء جلس مع آية الله أحمد لدراسة بعض الأمور المادية، مسترقاً النظر إلى فتيات الدار متنهداً لاعناً حظه العاثر ...

نظرت إليه **شاهيناز**، فوجدت في عينيه حسرة العشاق..فتقدمت إلى هزار وشيرين وقالت لهن مشيرة إلى عباس: انظرن إلى هذا الصندوق..فهو خلاصنا من مصيبتنا..

هزار بصوت هامس: وكيف عرفت ذلك، وأنت لم تجلسي معه أو تسمعي منه رغباته..؟

شاهيناز: انظرن إلى نظراته نحونا...ألا تجدنه ضائعاً يلتمس حضناً طرياً ينام عليه..

ضحكت **شيرين** وهزار.. !!

شاهيناز باستياء: ما الذي يضحكن.. ؟

شيرين: عباراتك العذبة التي وسمت بها هذا الأفاق.. !!

شاهيناز: والعباس لو دعاني لما ترددت..فعنده المال الذي يحل لنا جميع

المعضلات التي أتينا من أجلها...وسأعمل على استرضائه وغوايته حتى يقع على أمِّ رأسه، وبعدها سترين النتائج..

كرر **عباس** نظراته نحو الفتيات..فما كان من شاهيناز إلا أن تبسَّمت في وجهه...فصار جسده كشعلة نار هائجة..فتعطَّل عقله عن التفكير..

أمعن آية الله **أحمد** النظر في وجهه، فرأى تغير حاله: ما بك يا عباس هل أنت مريض..؟

عباس: ها...ها..لا أنا بخير ولكني سرحت قليلاً في موضوع أهمني..

آية الله **أحمد**: كما ترى حالنا الآن...علينا أن نسعى منذ الغد في مهمتنا التي أتينا من أجلها..ثم التفت إلى آية الله سعيد الطبطبائي: وأنت منذ الآن ستكون مهمتك نشر مذهبنا، واستقطاب الناس إلينا بالمال..وليكن هدفك الناس الفقراء..لأنك تعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كاد الفقر أن يكون كفراً..وقال: لو كان الفقر رجلاً لقتلته..فاختر الفقر المدقع، واضرب على هذا الوتر واستنزف عقيدتهم البالية، ليروا الفرق بين ديننا ودينهم..

سعيد: لكن يا مولاي هذا يتطلب أموالاً طائلة..!!

أحمد: هل ستدفع من جيبك..؟..الثورة أفرزت لنا مخصصات في سبيل تحقيق هذا الهدف..وأيضاً لا تسرف، وليكن كل شيء بالمعقول..فمائة دولار في البداية تكفي..فإن استطعت أن تأتي بواحد..فهو من سيكمل المهمة عنك بعد ذلك وينشر الخبر ويأتيك بالمئات..ومن لم يأتِ بالمال ففروج نسائنا كفيلة بهزِّ هاماتهم وخضوعها لنا..ثم نظر إلى عباس فرآه على غير الحال التي أتى بها: أنت لست معنا..؟..

عباس: ها..بل أسمعكم...!!

أحمد: هذا لا يكفي فالإمام والثورة ائتمناك على المال لنجاح مهمتنا..وعليك أن تشاركنا الحديث والقرارات...ليكون تقييمك صائباً..

التفت **عباس** إليهما: قرارك فيه الصواب..وتفكيرك لا يخونك أبداً..وما المانع

أن نذهب غداً إلى مقام السيدة ومن هناك نبدأ عملنا..

أحمد: لا حول ولا قوة إلا بالله..وما علاقة المقام بعملنا..؟

عباس: لا بد أن يكون هناك زائرون..ومن شتى الفئات..فهناك النواصب وغيرهم..وما علينا إلا أن ندفع ببناتنا نحوهم، فإن علقت الصنارة وهي بالتأكيد ستعلق..ننتقل من خلالهم إلى خطوة أخرى..

أحمد: فكرة لا بأس بها..ولكن علينا ألا نتَّكِلَ عليها بالكامل..ولا بد أن نسعى في مجالات أوسع..

سعيد : بالطبع..ولا تنس حليفنا أفيخاي..فهو أعلم بأهل البلد منا..

أحمد: ربما تكون على صواب..ثم طلب من مرافقه قنبر أن يدعو أفيخاي..

وما هي إلا دقائق قليلة حتى جلس بينهم: خير...لماذا أرسلتم في طلبي...؟

شرح أحمد له الوضع وطريقة العمل، ومخاوفه من السقوط وعدم النجاح..

أنصت أفيخاي إليه إلى أن انتهى من كلامه فقال له: سماحة الإمام..عندنا من شيعتكم في هذا الشارع الكثيرون..وهم سكان هذا البلد..ولهم أصدقاء ومعارف، وأولادهم في الجامعات والمدارس، وعلاقاتهم عميقة مع التجار وأصحاب المصالح..ومن شتى الفئات والطبقات..وما عليكم إلا أن تجندوا بعضهم وهم من سيأتيكم بمن تحبون، ولا تكلِّفوا أنفسكم عناء السعي..!!

ظهرت على وجه **آية الله أحمد** أسارير الانفراج، وبدت على محياه السعادة: معك حق يا أفيخاي..من ليس له أول..ليس له آخر..

أجابه **أفيخاي** على الفور: ابني مزراحي وابنتي دينا..سيتعاونان معكم بهذا الشأن ولكن...ثم صمت...!!

أصابت **أحمد** الدهشة: ولكن ماذا..؟

أشار **أفيخاي** بحركة من أصابعه...!!

فقال له: لن ننسى جهودكم أبداً، والتفت إلى عباس: عباس من سيتكفل بالمال،

فهو أمين الصندوق والمسؤول المالي..

أفيخاي: عظيم..ومتى تريدون بدء بالعمل..؟

أحمد: إن استطعت من الغد..

أفيخاي بثقة: وليكن..سأجلب لك العديد من شباب شيعتكم وبناتهم ليعملوا معكم..

أحمد: على بركة الله...

ثم وقف عباس مغادراً. وما إن رأته شاهيناز حتى سبقته نحو الباب الخارجي.. فلما وقعت نظراته عليها تسارعت ضربات قلبه، وصار يتنفس بعمق كمن أصابه اختناق..وأتاه الفرج والهواء النقي برؤيتها..فما كان من شاهيناز إلا أن عاجلته بالكلام: سماحة الإمام..رأيتك تنظر إليَّ بنظرات مريبة ثم تبسَّمت..!!

تقدم إليها ولمس يدها دون أن يشعر بفعله...فشعرت شاهيناز بارتعاشته: كأنك تلمس يد فتاة لأول مرة، وأنت متزوج وعندك أولاد..!!

تنهّد عباس بعمق: خليها على الله..ثم سألها هل ستذهبين غداً إلى مقام السيدة..؟

شاهيناز بغنج ودلال: وهل يهمك ذهابي...؟

عباس: نعم..!!

شاهيناز: إذن سأكون هناك من أجلك..

فرح **عباس** بما سمع: حسناً..سأكون هناك أيضاً..وسنلتقي..

شاهيناز: أراك خائفاً..

* * * * *

عباس: نعم فزوجتي علوية..وهما في حديثهما سمعا خطوات خلفهما، فأسرع في خطاه وفتح الباب وقال لها بصوت خافت: غداً...!!

وما إن غادر حتى اقتربت شيرين وهزار منها: ها...على ماذا انتهيت..؟

شاهيناز: أصابت الصنارة صيدها..وغداً سأراه عند السيدة..

هزار: أحسنت فعلاً..

* * * * *

نصائح أفيخاي

جمع أفيخاي زوجته وأولاده حوله وقال لهم: وثّقوا علاقاتكم مع أولاد عباس..ثم التفت إلى دينا: وأنت اشبكي ابنه مصطفى، ولا تدعيه يغيب عن ناظريك..واسحبي منه ما استطعت من مال، فأبوه يرقد على كنز عظيم..

دينا: وهل أُمثّل عليه دور العاشقة الولهانة..؟

أفيخاي: وما المانع من ذلك، إذا كان سيأتي المال من وراء ذلك..؟..ولكن عليك أن تلوِّعيه ولا تعطيه شيئاً أبداً..!!

دينا: سأعمل على ذلك يا أبي..

ثم خاطب مزراحي: وأنت أيها الخامل الكسول ألا تتحرك وتريني همتك أيضاً..

مزراحي: علاقتي مع هايدي ممتازة وبالأمس لمست يدها..ولولا أنني خشيت أن يرانا أحد لوقعت بالمحظور..

أفيخاي: إياك أن تفعل..فدعها تتلوع كأخيها، واسحب منها ما تقدر عليه..

مزراحي: أستنزفها..؟

أفيخاي: نعم..!!

مزراحي: ولكن يا أبي أحبها بصدق وهي كذلك..

أفيخاي: حبك برص وسبعة خرس..حب مالها لا نفسها..!!

أطبق مزراحي صامتاً ثم وقف مغادراً مبدياً انزعاجه مما سمع من أبيه..

أرادت أمه استرضاءه فأشار إليها زوجها: دعيه غداً سيتحسن مزاجه، ويصلح حاله، ويعلم أن المال هو كل شيء في هذه الحياة ولا شيء سواه..ثم استمر في الحديث، ولكن هذه المرة مع زوجته: وأنت يا غبية..إلى متى ستظلين على نيَّاتك، وغيرك يملك الملايين .. والعزير أنا أشك بيهوديتك ... فربما تكونين من أبناء

النصارى..!!

فيفيان بعصبية: ألا يكفي أنك يهودي..فإن كنت أنا بنت نصارى..فأنت من أحفاد السامري.. وشكلك وتكوينك لا يبعدان عن ذاك العجل..غير أن عجل السامري بريقه ذهبي..وأنت بريقك ظلامي...

حاول **أفيخاي** التخفيف من وقع كلامه عليها: لا أقصد الإهانة..

فيفيان باحتقار: وإن قصدت..ثم تركته مغادرة..ولم يبقَ أمامه إلا دينا التي تبسَّمت في وجهه: بقيت أنا فأخرج ما بداخلك من سباب وشتائم...أنا أعرف مصلحتي جيداً ولا حاجة لأساليبك القديمة..فنحن في القرن العشرين وأفكارنا متطورة جداً ولا يلزمنا مستحثاتك البالية، ثم تركته مغادرة أيضاً..

تأمل **أفيخاي** ما وصل إليه وقال في نفسه: يبدو أن العالم قد تغير بالفعل..وجيلنا غير هذا الجيل..

* * * * *

التقى عباس وشاهيناز في مقام السيدة زينب..فتبادلا النظرات..ثم لمزت له بعينها أن يلحقها إلى الخارج..وبعد لحظات وقفا معاً في فناء المقام..فقالت له: ألا تدعوني إلى الغداء..؟

أجابها على الفور: بالطبع ثم أسرع خطاه، وسارت من خلفه مخفية بسمتها العريضة..شاعرة بالظفر..ولما خرجا استقلا سيارة أجرة وقال للسائق: إلى أحد المطاعم الفخمة..فانطلق بهما إلى وسط العاصمة، ووقف بالقرب من مطعم علي بابا في شارع الفردوس..فدخلا إلى قاعة أُنيرت بأضواء حمراء خافتة أشبهت الظلمة..وعلى كل طاولة عاشقان يتبادلان الكلمات الهامسة، قد بدا عليهما الهيام...!!

جلسا على إحداها..وأخذا يتبادلان النظرات دون كلام..فما كان من شاهيناز إلا أن قالت له: سماحة الإمام..كأنك خائف..؟

عباس مرتعشاً: لا لست خائفاً، ولكن لن تصدقي أنها أول مرة أخرج فيها مع امرأة..

شاهيناز: فتاة ..!!

عباس بخجل: نعم فتاة..

شاهيناز: ولماذا كل هذا التعقيد..؟

عباس: زوجتي علوية وهي تقيدني بنسبها، ولا تريدني أن أخرج عن سيطرتها، أو أن تشاركها إحداهن في فراشها..

أدركت **شاهيناز** أنها وقعت على صيد ثمين: وما الذي يدعوك إلى أن تخبرها بذلك، وأنت رجل مقتدر..رفيع المقام وفي عنفوانك..؟

عباس: وكيف السبيل إلى ذلك...؟

أجابته على الفور: استأجر بيتاً ولا تخبرها بذلك وافعل كما تشاء..ولا تنسى أنك في الشام وبعيداً عن أعين الفضوليين في قم..!!

ظهر على وجهه أسارير السرور: صدقت..!!..ثم صمت للحظات، وهي تنظر إليه لتسمع منه البداية..ثم رفع رأسه ونظر إليها، وقال بسرعة مشوبة ببعض الخجل: أتتزوجين بي..؟

نظرت إليه ممعنة النظر بوجهه الذي أخفى الظلام لونه: ولماذا تقولها بخجل وخوف..نعم أتزوجك..ولكن هل عندك بيت بعيد عن أعين الناس حتى لا يرانا أي فضولي..؟

عباس بهمس: نعم عندي بيت كبير..!!

شاهيناز: ومتى استأجرته..؟

عباس: أعندك مكان للسر..؟

شاهيناز بفضول كبير: بئر ليس له قرار..

عباس: قد اشتريت بيتاً قبل أيام...وهو ينتظرك..ولكن لي شرط واحد..

شاهيناز على الفور: وما هو..؟

عباس: أن لا يخرج الأمر عني وعنك..

وما إن سمعت **شاهيناز** كلامه أجابته على الفور: إلا صديقتاي..!!

عباس: هل تثقين بهما ..؟

شاهيناز: ثقة كبيرة وسيكونان معنا في البيت..ولا أظنُّ في ذلك ضير..أليس كذلك..؟

بدا على وجه عباس القلق: ولكن ما علاقة ذلك بزواجنا..؟

شاهيناز: زواجنا كما تعلم مؤقت..وإن اختفيت عن الأنظار فالإمام أحمد سيعلم منهن أين ذهبت، لأنه يعلم أنهما صديقتاي..

أخذ **عباس** يفكر وشعر أنه تسرَّع فى البوح بسره، ولكن لا مجال للتراجع: على بركة الله..ولكن عندي سؤال..أو استفهام بسيط..وماذا بعد انتهاء العقد..؟

شاهيناز: لا تفكر في الأمر الآن.. فربما تعقد على صديقتيَّ...وبعد ذلك نجد حلاً فلا تقلق..!!

فرك **عباس** كفيه عندما سمع بعقده على صديقتيها..ثم نادى على النادل بأن يحضر الغداء..

ولما انتهيا عاد بها إلى مقام السيدة بعد أن تواعدا مساءً على اللقاء والزواج..

* * * * *

طلبت دينا من مصطفى لقائهما بعيداً عن البيت وأعين الفضوليين..وكان اللقاء دون علم **أفيخاي**.

جلسا في حديقة السبكي، التي كانت ملتقى عائلات دمشق وأولادهم مساء كل يوم..ليخففوا عنهم عناء الحياة وازدحامها بالهموم والأجواء الملوثة..جلس مصطفى على أحد الكراسي آخذاً بيد حبيبته...لكنها وبخفة سحبتها من يده وقالت له بابتسامة مصطنعة: لا تتماد .. فنحن في مكان عام..والناس ينظرون إلينا..

مصطفى: لكنني أحبك...!!

دينا بدلال: الحب لا يأتي بهذه الطريقة وعلينا أن نتزوج أولاً..

مصطفى: أنا على استعداد أن أتزوجك فوراً وحالاً..

دينا: الأمر ليس بهذه السهولة..فالزواج عقد ومهر وذهب وملابس وأثاث وشقة وغيره الكثير..

سكت مصطفى قليلاً: أنا سآتي بالمال..!!

دينا: ومن أين.. وأنت مازلت طالباً...وأبوك هو من يصرف عليك..؟

مصطفى: أمي علوية وعندها مالها الخاص بها..

دينا: وهل توافق أمك على هذا الزواج..؟

مصطفى: وما الذي يمنع..طالما نحب بعضنا..؟

دينا: لا..ربما تقول : إني يهودية وأنت مسلم..

مصطفى: لا ضير في ذلك، فشريعتنا تبيح هذا الزواج ولا تمنعه..

دينا: ولكن أخشى أن يرفض أبي لنفس السبب..

مصطفى: كوني مسلمة ..؟

دينا: نعم..!!

مصطفى: وأنت ما رأيك..هل ستقبلين أن يتحكم بك..؟

دينا: دعك مني الآن..وأقنع أمك بزواجنا والباقي اتركه عليَّ..

مصطفى: سأفعل والعباس سأفعل... ولو كلفني ذلك أن أتركهم وأهرب معك..!!

دينا: أما الهروب فلا...ولا تفكر فيه أبداً..فسمعتي هي ما بقيت لي من الدنيا..ولست سلعة رخيصة حتى أفر معك..

مصطفى: فما العمل إذن..؟

دينا: الأمر يتوقف على حالة واحدة..

مصطفى: وما هي أخبريني أرجوك..؟

دينا: المال هو مرهم لكل الأوجاع..فإن وجد المال فأبي وأمي لن يمنعا زواجي منك..

مصطفى: سأحصل عليه فلا تهتمي..

دينا: وإلى أن تحصل عليه فستراني أمامك، أنتظرك على أحر من الجمر..ثم أمسكت بيده وغادرا المكان عائدين إلى بيتيهما..

* * * * *

مع حلول المساء تسللت الصديقات الثلاث من البيت، والتقين مع عباس الذي كان بانتظارهن..وما إن وقعت عيناه عليهن حتىّ أوقف سيارة أجرة، وأشار عليهن بالصعود..فانطلقت مسرعة إلى بيته الجديد..ولما دخلن بادرهن عباس: علينا أن نعقد هذه الليلة...

نظرت إليه **شاهيناز**: أنا جاهزة.. ولكن علينا أن نتفق على المهر والمدة..أليس كذلك..؟

أجابها على الفور: بالطبع..فكم تريدين أجرك..؟

شاهيناز: أنت وذوقك..

عباس: أيكفي مائة دولار..؟

شاهيناز: والمدة..

عباس: شهر على سبيل التجربة..فما رأيك..؟

شاهيناز بسخرية: ماذا...ماذا..مائة دولار..أنا مازلت فتاة، وكذلك صديقتاي..فهل ترضى لابنتك هذا المبلغ..؟

شعر **عباس** بالألم يعتصر قلبه عندما ذكرت ابنته: لا تذكري ابنتي ولا تقيسي عليها..فنحن أمام عقد توافقي..إيجاب وقبول..ومدة ومبلغ..فإن قبلت وإلا فارفضي..

فما كان من **شاهيناز** إلا أن وقفت وقالت لصديقتيها: هيّا بنا يبدو أننا سلعة رخيصة لا قيمة لها..ثم التفتت إليه: لا تخف فلن أخبر أحداً بسرك..!!

وما إن سمع قولها حتى ارتعدت فرائصه، وشعر أنه في شر مستطير، فأمسك بيدها وأجلسها: على رسلك..الدنيا أخذ وعطاء..فاطلبي ما تريدين..؟

شاهيناز: ألف دور ولا أقل من ذلك...

رمقها **عباس** بعينين يخرج منهما الشرر: ألف دولار لشهر واحد يا ظالمة..؟

شاهيناز بهدوء: وكذلك صديقتاي شيرين وهزار: أجرهما كأجري تماماً..!!

عباس: لكنها أموال الآيات والدعوة..فكيف أفرط بها..؟

شاهيناز والبسمة على وجهها: لا تقل أموال الآيات والدعوة..فكل شيء بيدك، ومن يدري ماذا تنفق..ثم انظر إلى هذا البيت ألم تشتره بهذا الأموال..؟

شعر **عباس** بالندم والفزع الشديد، فتسرعه في إخراج أسراره مع أول فتاة التقى بها أشعره بالخطر المحدق به، وخاصة إذا تناهى إلى الإمام تبذيره..فما كان منه الإذعان لطلبها..فمدّت يدها لتقبض أجرها..فأخرج المبلغ من جيبه وقدمه لها بكفين مرتعشين مبدياً انزعاجه..فخطفته من يده بسرعة كمن خشي أن يتراجع في قراره، ووضعته في صدرها..ثم قالت له: هيّا قم بطقوسك..وبضع كلمات قالها ورددتها وراءه مكتفياً بشهادة شيرين وهزار على العقد، ودخل بها إلى الغرفة والبسمة ظاهرة على وجوه الجميع..

* * * * *

همست دينا في أذن أمها مخبرة إياها عن لقائها بمصطفى..فما كان من الأم إلا أن انزوت بها في إحدى الغرف: هل رآك أحد..؟

دينا: لا...

الأم: هل تواعدتما على شيء..؟

دينا: طلب مني الزواج..

أظهرت الأم الفرحة: ليس قبل المال..

دينا: بالطبع يا أمي فلا تخافي علي..

الأم: أحسنت..والآن هيّا نعود إلى مكاننا حتى لا يشعر بنا أحد..

* * * * *

أتى مزراحي بصديقه حيدر إلى آية الله أحمد..فتقدم إلى البيت بخطوات متثاقلة..ودخلا وقدمه مزراحي للسيد أحمد: هذا حيدر وهو من شيعة الشام...

لم يبلغ حيدر الثامنة عشرة من العمر أسمر اللون مربوع القامة...يرتدي بنطالاً رصاصياً وقميصاً أخضر..

تقدم حيدر إلى أحمد وتناول يده ليقبلها..فاعتنقه أحمد: أنت من الأحباب..شيعة أبى عبد الله صلوات الله عليه..

نظر إليه حيدر وفي عينيه الخجل: نعم يا سيدي فأنا من شيعتكم..

أمسك **أحمد** بيده وأجلسه بالقرب منه وصاح على قنبر: قدم لضيفنا العزيز واجبات الضيافة..

قنبر: حاضر يا مولاي...

أجال **حيدر** بنظره إلى البيت متأملاً جماله وحسن بنائه..وأحمد ينظر إليه من طرف خفي يراقب نظراته..فلاحت له إحدى الفتيات..فأمعن فيها النظر طويلاً... وأحمد ينظر إليه دون مقاطعة..ثم غادره للحظات...ودخل إلى غرفته وصار يرقبه من وراء الستارة ليرى حاله..ثم عاد إليه وجلس بالقرب منه، وتناول الطعام معه مظهراً تواضعه واهتمامه به..ثم سأله: كيف حال أبيك يا حيدر..؟

حيدر بخجل: بخير يا سيدي ..

أحمد: وماذا يعمل أبوك..؟

حيدر: أبي يعمل بالشركة الخماسية...عامل نسيج..!!

همهم **أحمد**: العمل ليس عيباً..

حيدر بخجل: نحن من الطبقات الميسورة الحال...!!

تبسَّم في وجهه وعلم أنه رأى مدخلاً إليه: بالتأكيد قد تابعت ثورة شيعتنا في إيران..

حيدر: ومن لم يتابعها يا سيدي..فهي ثورة المظلومين والمحرومين..؟

أحمد بفرح: أحسنت قولاً يا ولدي...فما رأيك فيها..؟

حيدر بحماسة: وهل لي رأي في هذا العمل العظيم، وقد انتصفنا لأنفسنا بعد مئات السنين..كان لا بد من خروج الإمام آية الله مهدي ميرزا لتحقيق ذلك..

فرح **أحمد** بجوابه: ولكن يا بني..ألا تعلم أن ثورتنا مهددة بالزوال..؟

نظر إليه **حيدر** بعينين خائفتين: ماذا تقول..؟

أحمد: على الأقل الآن..إلا إذا تحركنا في سبيل تثبيت جذورها..!!

حيدر بحيوية: وكيف ذلك..؟

أحمد: علينا أولاً أنْ نهدَّ بناء النواصب، ونقيم عليها بناء شيعتنا...

حيدر ببراءة: فلنهدم أبنيتهم من القواعد..!!

أحمد: ليس بهذه البساطة، وإنما يستلزم منا الوقت والعمل المضني لذلك..!!

أطرق **حيدر** ولم يعره أي جواب...لكن **أحمد** أضاف: إلا إذا وقف معنا أمثالك من الشباب المتحمس..

أجابه **حيدر** بحماسة مفعمة: أنا جاهز لأي خدمات تكلفني بها..!!

أحمد: أحسنت قولاً، ولكن هذا الأمر يجب أن يبقى سراً بيننا، ولا يخرج إلى الناس..على الأقل في هذه الفترة..ريثما ترتفع راياتنا بشكل علني..

حيدر: مولاي..ما المطلوب مني في هذا الوقت..؟

أحمد: أن تدعو بعض الشباب من شيعتنا ممن تثق بهم..لنتدارس عملنا سوية..

حيدر بخوف: لكن يا سيدي أخشى رجال الأمن..فالاجتماعات من هذا النوع خطيرة جداً..

أحمد بلغة الواثق: من هذه الناحية لا تهتم..فعلاقتنا جيدة مع الجهات الأمنية..

نظر إليه **حيدر** والتردد ظاهر على وجهه..لكن أحمد عاجله..لا تخش شيئاً، فرضاء الإمام وحمايته ستحفنا..ونحن لا نقوم بعمل يخل بنظام الدولة أو نطمع بما في أيديهم..نحن دعاة فقط..

ظهرت على وجه حيدر بعض الشجاعة: اعتبرني أول واحد في ركب الدعوة..

شعر **أحمد** بالراحة فحيدر لم يأخذ منه كثير عناء...ولما غادر تقدم إليه سعيد الطبطبائي: كيف الحال..؟

أحمد: يبدو أننا سنخطو خطوتنا الأولى...وتصور أن هذا الشاب بعد مئات السنين من الحفر والنحت في عقله وعقل آبائه وأجداده وإدخال المفاهيم الناصبية فيه، يعود إلى رشده ببضع دقائق قليلة..!!

سعيد: الفضل يعود إلى الآباء والأجداد، الذين زرعوا في عقول أبنائهم تعاليم الأئمة..والآن نحن من سيحصدها..ولا يفوتك ثورتنا التي أيقظت فيهم بواعث الماضي، وتراث الأجداد، وحب الانتقام من أعدائهم..!!

أحمد: صدقت..لولا ولاية الفقيه..لبقينا في التيه إلى يوم يبعثون..!!

سعيد: لا إلى يوم خروج الغائب...

أحمد بسخرية: ومتى سيخرج..؟..كأنه يخشى الخروج، أو أنه متمتع في غيبته، ولا يريد أن يعكِّرَ صفوه أحد..

ضَحكا عالياً...

ثم استدرك **سعيد**: لقد سمعتك تقول : إن علاقتنا مع الأمن قوية..فهل هذا صحيح...؟..

أحمد: بالطبع فبينهم بعض شيعتنا، واشترينا ذمم آخرين أيضاً..لذلك نعمل دون أن نلتفت للوراء..

سعيد فرحاً: لقد طمأنتني..

* * * * *

مع الصباح الباكر استيقظت شيرين وهزار وقامتا بتحضير الفطور للزوجين السعيدين...ومع ارتفاع شمس الصباح، طرقت شيرين عليهما الباب..فخرج إليها عباس وعلى عينيه أثر السهر الطويل: نعم..ماذا تريدين...؟

ناولته صينية الإفطار، ثم تراجعت إلى الخلف ضاحكة..

تناولها عباس من يدها، وأغلق الباب من خلفه، وبعد أكثر من ساعة خرج الزوجان، والبسمة العريضة على وجهيهما..!!

تقدمت الصديقتان من شاهيناز وهمستا في أذنها..ثم تعالت ضحكاتهن... وعباس ينظر إليهن وعلى وجهه علامات الرضا والسرور..ثم ارتدى ملابسه ليغادر..فسألته شاهيناز: إلى أين..؟

عباس: إلى البيت..وأرجو أن تكون حيلتي قد انطلت على زوجتي..فقد أخبرتها أنَّ لي عملاً خارج دمشق..ثم انطلق مغادراً..

* * * * *

بعد غياب الفتيات الثلاث عن البيت تلك الليلة، شعر أحمد أن في الأمر مصيبة حصلت، فأخذ يسأل عنهن سكان البيت..لكن الجميع نفى علمه بهن..وبعد تمحيص وتحقيق..قال له سعيد: يبدو أنهن فررن من البيت..

أحمد: وكيف علمت بذلك..؟

سعيد: ألم تسمع ردهن، عندما أردت الزواج بإحداهن..كان عليك أن تعلم منذ البداية أن رفضهن دُبِّرَ بليل..!!

أحمد: والآن أين سنجدهن..؟

سعيد: ربما سافرن إلى إيران..!!

أحمد: هل أنت غبي..وكيف وجوازاتهن معي..؟

سعيد: معك حق..أيعقل أن يَكُنَّ قد تزوجن من ورائنا..ويردن مفاجأتنا..؟

أحمد: وهذا لا يعقل أيضاً..فمثل هذا الزواج يجب أن يتم أمامي وأنا من

سيعقده..

سعيد: وهذا أمر مستبعد أيضاً...!!

أحمد: يبدو أنهن فررنا للعمل منفردين عنا..ألا ترى أنهن يفكرن بالمال قبل الدعوة..

سعيد: ربما..!!

أحمد: بل أكيد..!!

تشجع **سعيد**: معهن حق..فأنت قصَّرت بمنحهن أجرهن وأردت أن يعملن بلا مقابل..

أجابه بلهجة فيها استعلاء: إنها الدعوة..!!

سعيد: وهل عليهن أن يعملن للدعوة بدون مقابل...؟

أحمد غاضباً: هل هنَّ غانيات ليأخذن أجرهن...؟

تغيَّر وجه **سعيد**: على رسلك..وهل المؤمنات اللاتي نتزوجهن زانيات..ألم يأخذن أجرهن مع كل عقد نعقده عليهن..؟

أحمد بدون تفكير: وكذلك الغانيات يأخذن أجرهن مع كل ليلة حمراء..

سعيد: اتق الله يا رجل..الفرق بينهن..العقد والأجر..والمدة وأيضاً..!!

شعر **أحمد** أنه تسرع في وسمهن بالغانيات، فأراد أن يصلح الأمر: معك حق..فحالة غيابهن أفقدتني رشدي..وعلينا أن نجدهن بأية وسيلة..

انتفض **سعيد** وكأنه قد فاته شيء: ربما يَكُنَّ عند عباس في بيته..

قلب **أحمد** شفته بين النافي والمعتقد، وصاح على قنبر: اذهب إلى بيت عباس، وتأكد من خبر الفتيات..والعباس لو علم الإمام بهروبهن ستكون نهايتنا..!!

بلع **سعيد** ريقه خوفاً مما سمع: انتظر..ولا تحكم على الأمور من بعيد..؟

غاب **قنبر** لدقائق ثم عاد إليه: مولاي لم يبتن عنده ولا علم له بمكانهن..

وقع الخبر على **أحمد** وقوع الصاعقة..وتبادل النظرات مع سعيد...دون أن ينبس

ببنت شفة...لكن سعيد اقترب منه قليلاً هامساً: علينا أن نتريث، ولا حاجة أن يعلم بغيابهن أحد..وإن سُئلنا عنهن نقول: إنهن في عملهن..وينتهي الأمر..

أعجبت **أحمد** الفكرة: نعم هو ما قلت..لا ينبغي أن يعلم بذلك غيرنا...لأننا نخشى أن تصيب العدوى الباقيات فنقع في مستنقع لا نخرج منه إلا جثتين هامدتين..

* * * * *

تمكَّن **حيدر** من جلب صديقه سامر إلى آية الله أحمد، الذي كان جالساً في فناء البيت..وعندما وقعت عيناه عليهما..توجه نحوهما مرحِّباً ثم أجلسهما إلى جانبه...

كان الخجلُ هي السمة البارزة على سامر، على الرغم من كثرة شعر ذقنه، وطول قامته، وعرض منكبيه، إلا أنه ما زال في شخصية طفل، الذي ينشد الحنان من الآخرين..

تأمل **أحمد** الوافد الجديد وسأله: أأنت من الشام أم القرى..؟

أجابه سامر بخجل: أنا شامي..!!

أحمد ضاحكاً: أعرف أنك شامي..وكل من في سوريا اسمه شامي..

فَهِمَ سامر قصده فأجابه على الفور: أنا من حي الميدان أبا عن جد..

نظر إليه **أحمد** كمن يريد أن يستفهم عن مذهبه...فما كان من حيدر إلا أن هزَّ رأسه دون كلام..

ثم عاد **أحمد** إليه بنظراته الخادعة: لا بأس كلنا إخوة..!!

سامر: نعم يا سيدي...!!!

قدم **قنبر** واجبات الضيافة..ثم ابتعد..ولما رأى **أحمد** خجل الضيف وإطراقه المستمر، وقف مغادراً: عن إذنكما لدقائق..وما إن ذهب حتى أرسل إحدى الفتيات إليهما..

تقدمت الفتاة إليهما حاملة القهوة بيدها..

نظر إليها الشابان وعلى وجهيهما أثر الحياء..لكن الفتاة رمقتهما بنظرات أصابت

فؤادهما..ثم انسحبت بهدوء وعلى وجهها ابتسامة عريضة..

شعر الشابان بتعالي ضربات قلبيهما..فقال سامر ناسياً حياءه: ما أجملها..!!

حيدر: في البيت غيرها...وما هي إلا لحظات حتى عاد **أحمد** وجلس بينهما، وقال موجهاً كلامه إلى سامر: هذا بيتك الثاني، وعليك أن تأتي إلينا، وليس في هذا البيت غريب كما ترى..

سامر بخجل: متى..؟

أحمد: متى شئت..

سامر بتعجب: متى أشاء..ولو أتيت كل يوم..!!

ضحك **أحمد**: نعم كل يوم..وهل تظن أننا سننزعج من زيارتك يا بني..!!

سامر: شكراً لك يا شيخنا..!!

أحمد: العفو يا بني..وبعد برهة من الوقت استأذن سامر بالمغادرة..

ولما خلا الجو إلى **أحمد** سأل حيدر: أهو من أبناء النواصب على ما أظن..؟

حيدر: نعم يا سيدي..!!

أحمد بفرح: أحسنت بأن أتيت به، فأنتم شيعتنا ولا خوف عليكم من الضياع؛ ولكن علينا أن ننقذ هؤلاء المساكين من غيهم وضلالهم..

حيدر: هل أنت راضٍ عني يا سيدي...؟.

أحمد: كل الرضا...ثم أخرج من جيبه مبلغاً بسيطاً: خذ واشتري لنفسك ما تشاء..

تردد **حيدر** في البداية مبدياً رفضه..لكن سوء حاله وفقره دفعاه إلى أن يمد يده ويضعه في جيبه، شاعراً بالسرور والسعادة..ثم وقف يروم المغادرة..فعاجله أحمد بالقول: سيكون مصروفك علينا..مع كل جهد تبذله معنا..

نظر **حيدر** إلى داخل المطبخ بعينين حائرتين، يلتمس فيهما رؤية الفتاة..ففهم أحمد نظراته: أراك تكثر من التلفت..فهل أعجبتك الفتاة..؟

أطرق **حيدر** برأسه خجلاً..لكن أحمد تبسَّم في وجهه: لا بأس في المرة القادمة سأدخلك عليها..فظهرت الفرحة على عينيه..واستدرك: بالزواج طبعاً..!!

حيدر: لكن يا مولاي..أخشى من أبي فمازلت طالباً..!!

أحمد: لا تهتم..فزواجك علينا..يومان..ثلاثة..أسبوع..أو ساعة إن أردت..وعندها تعود الأمور إلى سابق عهدها..

لم يصدق **حيدر** قوله: إذن سآتي غداً...!!

أحمد: لا بأس وليكن معك سامر..

حيدر: لكن يا سيدي..!!

أحمد: لا تخشى شيئاً...

أذعن **حيدر** لكلامه، وانطلق يقفز عن الأرض قفزاً..فما كان من أحمد إلا أن ضحك عليه: الفتيات يفعلن فعل السحر في عقول الناس...!!

* * * * *

عاد عباس إلى خليلته قبيل الظهيرة..فاستقبلته الفتيات بحرارة مصطنعة..فقال لهن: الإمام أحمد في حالة غضب شديد لغيابكن..وهو يظن أنكن فررنم من البيت..

شعرت شيرين بالفزع وسألته: وماذا فعل..؟

عباس: لا شيء..هو خائف أيضاً من أن يصل الخبر إلى طهران..

شيرين مرة أخرى: وإن وصل ماذا سيحدث..؟

أشار **عباس** إلى رقبته...غصَّت شيرين بريقها خوفاً، وتغيَّرت نظراتها وامتلأت بالخوف..وكذلك شاهيناز وهزار التي سارعت بالقول: سنعود إلى البيت إذن..ونقول أننا كنا عندك..

أصيب **عباس** بالفزع: ماذا...والعباس إن علم بشرائي للبيت وزواجي على العلوية فستكون نهايتنا جميعاً..!!

أتاب **شاهيناز** الارتعاش: وما ذنبنا نحن..فقد تزوجنا على حكم أئمتنا..وأنت

من أخطأ..

نظر إليها **عباس** وفي عينيه الغضب والتوسل معاً: أهذا جزائي..أنني أحببتك.. أتريدين نهايتي..؟

شاهيناز: إذن ليس لنا حل إلا أن نبقى في هذا البيت حتى تنتهي المشكلة..

لم يجد بدا من الانصياع لهن..فالأمر خطير جداً...

شعرت الفتيات ببعض الراحة..فالأمور تسير نحو ما يردن..فقد وجدنَ أخيراً ملاذاً يؤويهن بعيداً عن سلطة آية الله أحمد..وجلسن يتحدثن في القادم من الأيام...

* * * * *

تحدث مصطفى مع أمه على حين غفلة من أهل البيت: أمي أريد الزواج..

ضحكت الأم بشدة: وأنت بهذا العمر..؟

مصطفى: وما المانع..ألست رجلاً..؟..

ثم ضحكت مرة أخرى: وأنت تأخذ مصروفك من أبيك..؟

مصطفى مفتخراً: أنا ابن علوية..ويحق لي أن أنجب ما يرفع رأسك..!!

سألته أمه بسخرية: ومن هي سعيدة الحظ يا ترى..؟

مصطفى: إنها دينا بنت جارنا اليهودي..!!

ضربت الأم على صدرها وانفجرت غاضبة: أتتزوج بيهودية..؟

وضع مصطفى يده على فمها: أرجوك اخفضي صوتك لا يسمعك أبي، فنقع في مصيبة كبيرة..

الأم: إذن تعلم أنها مصيبة..؟

مصطفى: لا ولكن لا أريد أن يعلم أحد غيرك..الآن على الأقل..!!

الأم بسخرية: انتبه إلى دراستك، فالوقت مازال مبكراً على هذه الأمور..

شعر مصطفى بالانزعاج وبدا على وجهه التغير..ثم تركها وفي عينيه دمعة ساخنة ألهبت فؤاده..فلما رأت حالته ترفقت به، وأجلسته إلى جانبها: سأزوجك...ولكن

ليس من يهودية..

مصطفى: ولكنني أحبها يا أماه، وهي أيضاً تحبني، وليس هناك مانع ديني يحول دون هذا الزواج..

الأم: يا ولدي بنات شيعتنا أكثر من الهمِّ على القلب..!!

مصطفى: ولكن يا أمي تعرفين شيعتنا...فالآيات لا يوفرون فتاة إلا ويغتصبونها متعة..

الأم: وكذلك اليهود...

أجابها على الفور: لا يا أمي فدينا تختلف عن بيئتنا، فهي تعيش في الشام، وقد أخذت عنهم عادات الشرف..

قاطعته أمه والغضب في عينيها: نحن أهل الشرف، وليس النواصب أبناء الكفرة الفجرة..!!

مصطفى: عفواً يا أمي لم أقصد رفع شأنهم؛ ولكن هذه عاداتهم، التي عاشوا عليها بعيدين عن شيعتنا وأحكامنا..!!

همهمت الأم: سأدرس الأمر، فإن أعجبني الحال فلا مانع عندي..!!

شعر مصطفى بالفرح الشديد، فأمسك بيد أمه يقبلها شاكراً: دينا بنت جميلة وعلى خُلق..

الأم: صحيح هي جميلة، ولكنها تخالفنا في الدين..!!

مصطفى: ولكن يا أمي هناك ارتباط وثيق بيننا وبينهم...

الأم: أعرف الكثير عن هذا الترابط..والآن انتبه إلى دراستك...هيّا اذهب الآن..

* * * * *

طلب **آية الله أحمد** من عباس شراء بعض الشقق المحيطة بالسيدة زينب، لاستقبال الزائرين الوافدين من الهند وإيران وباكستان..فما كان من عباس إلا أن استعان بأفيخاي، الذي سارع على الفور ساعياً وراء الربح والفائدة..وقام بالبحث

حتى استقرَّ على عدة شقق سكنية...فوضع يده عليها إلى أن تمَّ نقل ملكيتها إلى عباس باعتباره المسؤول المالي..

وقام بفرز الفتيات إلى تلك الشقق لإبقائهن قريبات من المقام..واستأثر بشقة فاخرة لنفسه وأثثها بأفضل الأثاث، وتركها لراحته واستجمامه واستقبال ضيوفه المقربين..

* * * * *

أحضان دافئة

عاد **حيدر** بصحبة سامر إلى آية الله أحمد..فاستقبلهم كالمرة الأولى بوجه بشوش، وقدم لهما الطعام...وأخرج من جيبه بعض المال وقدمه لهما على سبيل المساعدة..

تناول **سامر** المال برهبة وخجل..

شعر **أحمد** بما يدور في خلده فهوَّن عليه الأمر...وحدَّق بحيدر فرأى عينيه شاردتين داخل الغرف..ففهم قصده..فنادى على إحدى الفتيات: أتعجبك هذه الفتاة..؟

أطرق قليلاً وهزَّ رأسه..فقال **أحمد**: لا بأس..وعقد له عليه لمدة ساعة واحدة فقط..ثم قال له: خذها وادخل إلى غرفتها..فأصابته ارتعاشه..فما كان من الفتاة إلا أن أمسكت بيده، وسحبته إليها، ودخلت به إلى غرفتها..

أصيب **سامر** بصدمة قوية هزَّت كيانه، وصار ينظر إلى الباب المغلق على صديقه والفتاة..فشعر **أحمد** بحاله..فقال له: أتحب أن تذوق كما ذاق حيدر..؟

لم يصدق **سامر** ما سمع، فأجابه على الفور ناسياً خجله: نعم يا سيدي..!!

ضحك **أحمد** حتى انقلب على قفاه..فشعر سامر بالخجل فوقف هاما بالمغادرة..لكن أحمد سبقه بالقول: اجلس الآن..وصاح على فتاة أخرى، متوسطة القامة، بيضاء اللون، على وجهها أثر الماكياج، ترتدي عباءة سوداء فضفاضة: أتعجبك هذه..أم تحب أن نريك غيرها..؟

تلعثم **سامر** لهذه الصراحة..فلم يعد يستطيع الكلام..وأطرق صامتاً، ويداه ترتعشان، وتغير لون وجهه..فلم ينتظر أحمد جوابه، فتلفظ ببعض الكلمات، ثم قال لها: خذي زوجك الآن، ثم راح يقهقه بصوت عالٍ ..فما كان من سامر إلى وقف

بسرعة وتوجه نحوها، وكأنه في حلم جميل...!!

بعد ساعة خرج الصديقان، مطرقي برأسيهما إلى الأرض، والخجل بادٍ على وجهيهما..ثم استأذنا بالمغادرة..فأذن لهما..وفي الطريق قال سامر له: مال.. وبنات..هل أنا في حلم..؟

حيدر: عليك ألا تخبر أحداً..إلا من نثق به...!!

سامر بصوت خافت: ولماذا...؟

حيدر: لا لشيء...خشية ظنون الناس بهم ظن السوء..

سامر: وماذا تسمي ما فعلناه هذا اليوم...؟

حيدر بحذر شديد وصوت خافت: لا ترفع صوتك..نحن الشيعة عندنا أحكام لهذا النوع من الزواج، ونسميه الزواج المؤقت..وأنا وأنت الآن تزوجنا زواجاً مؤقتاً، وأخذنا فوقه مالاً..

سامر: وما المقابل...؟

حيدر: ليس هناك شيء بلا مقابل..فربما السيد معجب بك وبشخصيتك..

قلب **سامر** شفته مستغرباً: ربما...!!

* * * * *

مرَّت على عباس أيام زواجه كالسم القاتل..فهو بين زوجته العلوية ومتعته..حتى أصبح لا يعي ما يدور حوله..فتقطعت أوصاله بينهما..ولم تعد الحيلة تعمل عملها كأول مرة لتبرير غيابه المستمر..فقال لشاهيناز: لا أستطيع أن أقيم معك في اليوم إلا بضع ساعات فقط..

أخفت **شاهيناز** فرحتها بقراره وأظهرت امتعاضها: ولكن أنا حلالك كما هي..فلماذا تستأثرها بالوقت كله..ولكنني لن أمانع ...فشكرها عباس بحرارة وانطلق مغادراً..

ولما أطبق الباب وراءه، أخذت الفتيات بالضحك، فقالت شيرين: الآن قد صفا

لنا الجو تماماً، وعلينا أن نفكر بشكل صحيح ماذا نفعل..وكيف نخطُّ طريقنا بعيداً عن أولئك الأفاقين..؟

هزار: يبدو أننا غارقات في مستنقع لا يمكن الخروج منه بسهولة.. ولا بد أن نتحرك فوراً..

شاهيناز: أرى أن نتواصل مع السفارة لاستخراج جوازات ونعود إلى بلادنا..

صاحت بها **شيرين**: هل أنت حمقاء..أليست السفارة هي الآيات..أتريدين نهايتنا..؟..علينا أن نفكر في حل غير هذا..

شاهيناز: لو كانت الحدود بين سوريا وإيران متلاصقتين لكان الأمر سهل جداً..ولكن...

شيرين مقاطعة: لا تتحسري..

شاهيناز: هل نعود إليه ونخبره خبرنا مع عباس..وهما يحلان مشكلتهما بعد ذلك...

شيرين: يبدو أنك حمقاء..أتريدين أن تعودي غانية بلا مقابل..هل جننت...؟

شاهيناز والحيرة ظاهرة على وجهها: وما العمل إذن..هل نبقى هنا إلى آخر العمر، فإن انتهى عقدي وعقدكن..نعود إلى الشارع..؟..

شيرين: الأمر ليس بهذه السهولة..وعلينا الآن أن نستغل الوضع بشكل كبير..ونحصل على المال..وبعدها نستأجر بيتاً خاصاً بنا..ونستنزف عباس، مهددين ومتوعدين ليصرف علينا إلى أن نجد عملاً خاصاً بنا..

شاهيناز: أحسنت فهذا رأي سديد..

* * * * *

عمد مصطفى إلى استنزاف والدته..فكل يوم يطلب منها المال، وهي لا تبخل عليه بأي طلب..ولم يكن لطمعه حد..فدينا ومن ورائها أبواها يحثانه على المزيد، وهو ضائع بينهم وقلبه معلق عندهم...ولما طال به الهيام طلب من أفيخاي أن يتزوج

بها سراً فأجابه أفيخاي: هذا الأمر يحتاج إلى تمهيد طويل..فإن أردت الزواج سراً..فليكن ولكن..عليك أولاً تقديم المهر اللائق بدينا ومن ثمَّ البيت والأثاث ومستلزماته..!!

شعر مصطفى بثقل الحمل المطلوب..فبدأ بالتأفف وظهرت على وجهه الحيرة.. لكن نظرات العائلة اليهودية كانت منصبَّة عليه لا تفارقه، ترقب التغيرات التي تظهر على وجهه، لتغيّر مسرى الكلام بما يتوافق مع مزاجه وأماكن التأثير فيه..وفي النهاية ظهرت على وجهه أسارير الانفراج: سأحاول أن أجلب المال..

لكن **أفيخاي** استغل موافقته: لا بأس..لا مانع أن تأتي كل يوم بمبلغ تجمعه عند دينا إلى أن تستكمل جميع الطلبات..

مصطفى مسروراً وقد وجد طريقاً أسهل فى الحصول على مبلغ ضخم بوقت قياسي: هذا أفضل حلٍ..

فيفيان: أرنا شطارتك يا سبع..

مصطفى مبدياً رجولته وقوته: سترين ذلك قريباً..!!

وما إن عاد إلى بيته حتى طلب من والدته المال..فأعطته بعضه، فوضعه في جيبه ثم جلس يرقب رجوع أبيه..فطلب منه كذلك فأعطاه..فذهب على الفور إلى بيت أفيخاي وأعطاه المال، وعاد إلى بيته مسرعاً..

* * * * *

بعد أن ذاق **سامر وحيدر** طعم المال والزواج، أصبحا يكثران من التردد على آية الله أحمد، الذي كان لا يتوانى عن الترحيب بهما وإكرامهما، إلى أن جاء يوم طلب فيه من سامر التشيع نظير ما أخذ..فلم يتردد سامر على الإطلاق بالإجابة، فتشيع على الفور لاعناً جميع الصحابة، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر..مما أثار شهية أحمد ليطلب منه طلباً آخر: أنت الآن من شيعتنا وعليك أن تأتي لنا بغيرك ليتشيَّع..وستكون لك مكانتك عندنا..فجميع ما ترى من فتيات سيكن ملك يمينك..وما عليك إلا أن تشير

إلى إحداهن، لتكون عندك فى لحظة واحدة..ولن نبخل عليك بالمال طالما اجتهدت في عملك..ولك نظير كل متشيع مكافأة مجزية..

شعر **سامر** أن طاقة القدر انفتحت له..لكن أحمد قال له: عليك أن تختار الصالحين منهم..ولا نريد أن نخوض بالمشاكل مع أحد..أظنك فهمت قصدي..؟

أجابه على الفور: كما حصل معي أنا..!!

أحمد: بالضبط..!!

سامر: سأكون عند حسن ظنك..والآن أرغب في الزواج من تلك الفتاة، وأشار إلى إحداهن كانت تقف عند باب الغرفة تنظر إليهم..فما كان من أحمد إلا أن قال لها: هلمى إليَّ..فعقد له عليها وقال له: خذ فتاتك وبارك الله لكما...وكذلك فعل مع **حيدر**..

* * * * *

سفينة النجاة

بدأ الضيق يدب في نفوس شاهيناز وصديقتيها..حتى غدا البيت كالسجن بعد أن كان جنة يحلمن بها..فراحت شاهيناز تميل إلى القراءة والمطالعة..وصديقتاها شيرين وهزار تقتلان وقتيهما بالكلام والثرثرة، إلى أن أتى يوم قررت شاهيناز الخروج من البيت، لتروِّح عن نفسها عناء عزلتها..فارتدين ثيابهن وأخفين وجوههن، وذهبن إلى جبل قاسيون فجلسن يتأمل جمال دمشق من فوق الجبل..وبعد عدة ساعات غادرن المكان، وتوجهن إلى إحدى جادات المهاجرين فمررن بالقرب من مسجد الشمسية الذي كان يغصُّ بالفتيات..

نظرت هزار إليهن وقالت: ما رأيكن أن ندخل ونسمع هراءهن..فنفسي تتوق أن أسمع حديث النواصب..

أجابتها شيرين بالموافقة على الفور..ولم تكن شاهيناز لتعارض ..فدخلن جميعاً وجلسنَ بينهن..وأخذن بالاستماع...

توسطت دعاء الجزائري الحلقة وعليها السكينة والوقار..وفي يدها مصحف تتلو منه ثم تعود لتفسر ما قرأت..كانت لبلاغتها سحره الذي يدخل النفوس مع أول جملة تلقيها..

نظرت **شاهيناز** إليها فرأت الدموع تنهمر من عينيها بعد كل آية تقرأها، فلم تتمالك نفسها ففاضت عيناها بالدموع، وصارت تنشد إليها بكل جوارحها، وكذلك بدا التأثير على صديقتيها..واستمر هذا حالهن لنصف ساعة..بعدها أعلنت دعاء انتهاء درسها..

خرجت فتيات المسجد، فبقيت الصديقات الثلاث..وتوجهن إليها مصافحات..بعد أن رحبت بهن، تأملت وجوههن: كأنكن لستن شاميات..وعلى الأرجح كرديات

من مدينة عفرين..فوجوهكن ولهجتكن يدلان على ذلك..

أجابتها **شاهيناز**: نحن فارسيات من إيران..وقد تعلمنا بعض العربية عندما درسنا في مدارس قم المقدسة..

دعاء بلهفة: أهلاً وسهلاً بكُنَّ..

شاهيناز: وفيك يا سيدتي..

دعاء: هل لَكُنَّ خدمة فأقضيها..؟

شاهيناز وكانت أكثرهن تأثراً بها: نعم ولكن حاجتنا تحتاج إلى وقت طويل..

انطلقت بهن إلى بيتها: هذا بيتي، فإن أردتن الحديث فما عليكن إلا أن تأتين إلى هنا، وسنجلس معاً ونتحدث، وعندي الوقت الكافي لسماعكن..

شاهيناز: ومتى يسمح وقتك...؟

دعاء: كل يوم بعد العشاء..ويوم الجمعة من الصباح حتى المساء..

أحسَّت **شاهيناز** أن الوقت مناسب جداً..فعباس لن يكون في البيت، والليل سيغطي عليهن بظلمته فلا يراهنَّ أحد: نعم هذا وقت مناسب جداً..!!

دعاء بتواضع: تفضلن الآن..

شاهيناز: لا غداً سنأتيك..

دعاء: أهلاً وسهلاً بكُنَّ..

لما غادرن قالت **شيرين** لشاهيناز: ماذا تريدين منها...كانت نزوة وانتهت إلى هنا..؟

شاهيناز: لا ضير من لقائها ولنضيّع وقتنا معها..

شيرين: صحيح إن حديثها ممتع..ولكن لا تنسي أنها ناصبية..!!

شاهيناز: كفانا استماع من طرف واحد..فنحن نسمع الآيات منذ خُلقنا، فما وجدنا إلا الدمار والرذيلة والاحتقار..ثم أريد أن أسألك: أين مكاننا في هذه الحياة..غير أحضان هذا وفراش ذاك..ألسنا محتقرات كالدواب..لا بل الدواب أفضل

منا بكثير..!!

سكتت **شيرين** هنيهة ثم قالت: والله معك حق..فنحن منحطات..فالآيات يستغلون أجسادنا لشهواتهم، تحت مسميات الدعوة إلى الله وتطبيق أحكامه..أي أحكام هذه..إنه الزنا..؟..فكم مرة نظرت إلى نفسي باحتقار عندما أجدها لا قيمة لها إلا بمقدار الشهوة التي أمنحها للآخرين..وإن قصَّرت...ينتابني السباب والشتائم وربما الضرب..وأخيراً يخرج إلينا آية الله أحمد، لنعمل من أجل الدعوة..وأي عمل..إنه الزنا والتنقل بين أحضان الشاذين والقذرين..ثم نزلت من عينها دمعة..!!

اعتنقتها **هزار** مقبِّلة: والله معك حق في كل ما قلت..ولن أتأخر عن زيارة هذه الشيخة، فلعلنا نجد عندها طريقاً يخرجنا من محنتنا..

تبسمت **شاهيناز** بوجهها: الآن أنت أختي..!!

* * * * *

كانت والدة **سامر** ترقب التغير الذي أصاب ولدها..فأصبح يكثر من التغيب عن البيت وفي سرحان دائم..مهملاً دراسته، فأخذت ترقبه على حين غفلة منه..ولما عاد أبوه في المساء قالت له: ابنك سامر على غير ما عهدناه، فهو يكثر من الخروج، وأصبح هاملاً لدراسته، وأغلب الأحيان أراه سارحاً..!!

أصيب الأب بالذهول: يا أم سامر لعله عاشق ثم تصنع الضحك..!!

أم **سامر**: كفاك استهزاء..وعليك أن تراقبه..!!

أبو **سامر**: وهل أنا فارغ لهذا الهراء..فعندي أشغالي..لا وقت عندي..؟

أم **سامر**: وماذا أفعل أنا..فنظر إليها وتركها دون أن يعرها أي اهتمام..

عقدت الأم العزم على مراقبته بنفسها..فلما خرج سارعت ومشت خلفه ترقبه من بعيد..وظلَّ هذا حالها لأكثر من ربع ساعة إلى أن وقف عند باب آية الله أحمد..ولما دخل اقتربت من أحد الجيران وسألته: بيت من هذا..؟

الجار: بيت آية الله **أحمد**..

الأم: هل هم أُناس طيبون..؟

الجار: أحسن الناس ديناً وأخلاقاً..!!

تنفست الأم الصعداء وقالت في نفسها: لقد ظلمت ابني..يبدو أنه مع أُناس متدينون..ثم عادت إلى بيتها مرتاحة البال..وأخبرت أباه بما رأت فقال: ألم أقل لك أنك مخطئة..

الأم: معك حق..!!

* * * * *

تمكَّن **سامر وحيدر** من استقدام بعض الشبان إلى أحمد، الذي أعجبه نشاطهم..وقدَّم لهم ما قدمه لسابقيهم..واستطاع تشييعهم بسهولة...إلى أن أتى يوم طلب منهم أحمد ألا يأتوا إلى بيته الخاص، وعليهم أن يتوجهوا إلى مقام السيدة زينب، ليقدموا لها طقوس الزيارة، والتذلل، والدعاء أولاً..

استجاب الجميع له..ولم يكن لهم همٌّ إلا الزواج والمال..حتى أصبحوا كالخاتم في أصبعه، يأتمرون بأمره، وينتهون بنهيه، طالما تعلق الأمر بشهواتهم وتلبيتها..وهذا أمر ميسور بالنسبة لأحمد، الذي كان جواداً كريماً فيه، لا يبخل به عنهم..

* * * * *

إفشاء السر

مع غروب الشمس غادر عباس البيت، فتوجهت الفتيات الثلاث إلى الشيخة دعاء الجزائري، وقفت شاهيناز أمام باب بيتها وطرقته بأدب مفتعل..وبعد لحظات خرج رجل مسن ، مقوَّس الظهرِ، على وجهه تجاعيد الشيخوخة، فنظر إليهن: أهلاً وسهلاً..ثم عاد إلى الوراء: تفضلن...!!

دخلت الفتيات، وتوجهن إلى الصالون، وصرن يتأملن المكان ومحتوياته المتواضعة..وهن كذلك دخلت عليهن دعاء بفستانها الطويل الداكن، حاملة بيدها واجبات الضيافة، وقالت لهن مبتسمة: هذا فنجان أهلاً وسهلاً..

تبسّمت الفتيات لحسن استقبالها، وطريقة حديثها، ولهجتها الشامية، التي طالما أحببن سماعها..ثم جلست بالقرب منهن دون أن تسألهن عن شيء..

بدأت **شاهيناز** بالحديث: لن نطول عليك في حديثنا..وعليك أولاً أن تعلمي أننا شيعيات المذهب..

أخفت دعاء دهشتها وأحبَّت أن تجاملها: كلنا مسلمون يا عزيزتي..لكن شاهيناز سألتها: هل تعلمين شيئاً عن المذهب الشيعي..؟

دعاء: الشيء القليل..!!

نظرت إليها **شاهيناز** وفي عينيها حيرة ظاهرة: كيف لا تعلمين عن المذهب إلا القليل..؟

دعاء: لسبب واحد أننا في مجتمع كله سنّي..ولم نتعرض يوماً إلى مذهبكم ولا إلى أحكامه..اللهم إلا في المواريث وبعض الأحكام الفقهية..!!

شاهيناز: أتعلمين أن كمال العلم لا يكون إلا إذا عرفت ما عند الآخرين..حتى تستطيعي أن تفرقي بين الخطأ والصحيح، وتقارني بين العقيدة التي تحملينها وبين

غيرها..؟.

دعاء: معك حق..وأرى فيك بعض السمات الطيبة والثقافة العالية..!!

قاطعتهما **شيرين**: نعم إنها تطالع كثيراً هذه الأيام...!!

شاهيناز مصححة: لا أنا لا أطالع، ولكن علماءنا أعطونا بدايات العلم، وصبوها على مذهب أهل السنّة...

دعاء باستغراب: ما لهم ولنا..لنا مذهبنا ولهم مذهبهم..؟

شاهيناز بأدب: أنت لا تعرفين عن مذهبنا إلا القليل كما قلت..فهل تدرين أنك وكل أهل السنّة عندنا كفرة..وهل تعلمين أن تفكير علمائنا منصب على قتلكم، وتشويه دينكم، والقصاص من كل سنّي على هذه الأرض مهما صغر سنه أو كبر..

ظهر على وجه دعاء الدهشة: ألهذا الحد..؟

شاهيناز: بل وأكثر ..آه لو تعلمين سبب وجودنا في بلدكم الآن..!!

ظهر على وجه دعاء الدهشة: وما سبب وجودكن ..أخبريني بربك..؟

نظرت **شاهيناز** إلى شيرين: أخبريها يا شيرين فقلبي يكاد يتمزق...

تقدمت **شيرين** إلى الأمام، كمن أرادت تحسين جلستها، وتتحفز إلى قول شيء خطير: نحن هنا لكي نفسد شبابكم وبناتكم وأمهاتكم..

دعاء باستغراب: وما علاقتنا .. ونحن لم نخطئ ، أو نحاربكم ، أو ننتقد مذهبكم..؟

تدخلت **هزار** مقاطعة: دعيني أخبرها بطريقتي...نحن أمامك الآن، أتينا في مهمة إغواء الشباب ليتشيَّعوا..ومع الآيات المال الكثير لشراء الفقراء واستقطاب الناس..

دعاء: أتقصدين الوقوع بالزنا..؟

ضحكت **هزار** من قولها: عندكم اسمه الزنا، ونحن نسميه زواج المتعة، أو الزواج المؤقت..!!

دعاء: يا للهول..فما هو زواج المتعة...؟

أظهرت **هزار** الجدية: عقد بين رجل وامرأة لوقت معين، يتفقان عليه نظير مبلغ من المال..وهذا الزواج له أحكامه وقوانينه..فاليوم أنا في حضن رجل، وغداً في حضن آخر، وهكذا دواليك..

صرخت دعاء دون أن تنتبه إلى نفسها: هذا الزنا بعينه...!!

هزار: قلت لك هذا قانون الآيات..أما عندكم فالمرأة لها بيتها الخاص بها، وزواجها على التأبيد ولا يصح أن يكون مؤقتاً..

قاطعتها دعاء: هذا العقد باطل عندنا..فمجرد وجود المدة يبطل العقد..!!

هزار: أنتم تحترمون المرأة وتقدسونها..لكن في مذهبنا المرأة محتقرة ، وسلعة رخيصة، للغادي والرائح.. يرمى بها متى شاء ، عدا الشذوذ المخيف ، والأمراض الجنسية التي تنتج عنه..

دعاء مندهشة: على هذا فللرجل أن يفعل ما يشاء طالما دفع نظير شهوته..

هزار: تماماً كما قلت لك..فمذهبنا مليء بتلك الأحكام، أتريدين أن أذكر لك بعضها..؟

دعاء: يا حبذا..فأنا أشعر بالفضول...

هزار: سأبدأ معك بما يجوز للرجل من المرأة..

دعاء بشغف: أنا أستمع..

هزار: إن المتعة خير الطاعات ، وأفضل القربات ، فنسبوا إلى النبي ﷺ : من تمتع بامرأة مؤمنة كأنما زار الكعبة سبعين مرة ، وروى الصدوق عن الصادق: إن المتعة ديني ودين آبائي ، فمن عمل بها عمل بديننا ، ومن أنكرها أنكر ديننا واعتقد بغير ديننا.

دعاء والدهشة على وجهها: يا للهول..!!

هزار: والمتعة محصورة بالمؤمنات فقط، ولا يجوز وطء أية امرأة ما لم تكن مؤمنة.

دعاء: وإذا امتنعت إحدى الفتيات عن فعل المتعة فما جزاؤها..؟

هزار: كافرة...وخرجت عن الملّة...ومن فعلها فله أجر عظيم سأسمعك عن هذا الأجر..

نسبوا إلى النبي ﷺ : من تمتع مرة أمن سخط الجبار، ومن تمتع مرتين حشر مع الأبرار، ومن تمتع ثلاث مرات زاحمني في الجنان.

قاطعتها دعاء متسائلة: وإذا تمتع أكثر من ثلاث مرات..فهل تعلو درجته أكثر من ذلك؟

هزار: بالطبع فنسبوا إلى النبي ﷺ : من تمتع مرة كانت درجته كدرجة الحسين، ومن تمتع مرتين فدرجته كدرجة الحسن، ومن تمتع ثلاث مرات كانت درجته كدرجة علي بن أبي طالب ، ومن تمتع أربع فدرجته كدرجتي .. وهناك من الشذوذ ما يشيب له الولدان ..

دعاء بدهشة كبيرة : وهل هناك شيء آخر..؟..

لم تتمالك **شاهيناز** نفسها : دعيني أخبرك بشيء عن شريعتنا ..

دعاء بلهفة: نعم أخبريني..!!

شاهيناز: نسبوا إلى أبي عبد الله أنه قال عندما سُئل عن الرجل يأتي امرأته في دبرها فقال: لا بأس...وقوله أيضاً: هي لعبة الرجل يلعب بها كيف يشاء...

شهقت دعاء لما سمعت وضربت على صدرها: هذا كلام حيوانات...!!

لكن **شاهيناز** استمرت في قولها: لقد تعلَّمتُ رواية عن الرضا عندما سأله رجل: هل تؤتى المرأة من خلفها، فقال: هو حلال ولا بأس به...

فلما سمعت دعاء كلامها أجابتها : هناك أقوال متواترة للنبي ﷺ عن حرمة هذا الفعل ، فقد حفظت أن رسول الله ﷺ قال : « لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها » .

وفي قول آخر عن النبي ﷺ: إن الله لا يستحيي من الحق (قالها ثلاث مرات) لا

تأتوا النساء في أدبارهن »...!!

شاهيناز هذا شيء قليل مما حواه مذهبنا، حتى أنهم يجيزون وطء المرأة في دبرها أثناء الصوم..وقالوا: لا غسل على الفاعل أو المفعول..

وضعت دعاء يديها على رأسها، وأطرقت صامتة ولا تقول إلا: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..وظلَّ هذا حالها لبضع دقائق..والفتيات يتأملن ما آلت إليه من كآبة..ثم رفعت رأسها وسألتهن: هل وقعت إحداكن بتلك المتعة..؟

فما كان من **شاهيناز** إلا أن قالت: أنا فقط..حدث هذا منذ ثلاثة أسابيع..ونحن الآن في حيرة من أمرنا كيف ننسحب من هذا المستنقع..؟

دعاء : يجب أن تكُنَّ على قناعة أولاً بسوء هذا العمل، ومن ثَمَّ نلتمس الطريق الصحيح..

أجابتها على الفور: وكيف السبيل إلى ذلك..؟..ونحن أتيناك إلى هنا من أجل هذا الأمر بالذات..فإن كان عندك حل فساعدينا على الخروج من مستنقعهم..وعليك أن تعلمي وتُحذِّري من حولك، أنَّ هناك مؤامرات تُحاك ضد بلدكم، لأخذ شبابكم، وفساد بناتكم، ونشر التشيع في كل بيت..فآيات إيران قد انتدبوا لجاناً خاصة لهذا البلد وغيره، لنشر ثورتهم بفروج النساء وشراء الفقراء...

دعاء : بارك الله بكُنَّ، وعلينا أن نتواصل لنجد حلاً، وسأعمل منذ اليوم على إبلاغ مشايخنا وعلمائنا بما جرى معكن..

شاهيناز: نحن نشكرك كثيراً، ونتمنى أن تجدي لنا حلاً في مصيبتنا، فعقدي لم يبقَ له إلا أسبوع واحد ، وإن طال الأمر أكثر من ذلك، فستقع شيرين ومن بعدها هزار..

دعاء بحزم الواثقة من نفسها: لا تخافي، سأبذل كل ما أستطيع للوقوف معكن..ولكن علينا التواصل يومياً لنجد حلاً..!!

شاهيناز: أنا مستعدة أن أجلس أمام بابك..إذا كان هناك أمل..

دعاء: بالتأكيد هناك أمل..وأمل كبير جداً، فاحرصن على أنفسكن من الضياع..وحافظن على أعراضكن..

بكت **شاهيناز** لموقفها وحنانها، فتقدمت إليها واضعة رأسها على صدرها وأخذت بالنحيب..فما كان من دعاء إلا أن ربتت على كتفها بحنان الأم، وأشعرتها بدفء مشاعرها واهتمامها بها..

* * * * *

جزاء المخالف

شعر **سامر** بلذة المال الذي يتقاضاه من آية الله أحمد، فأراد أن يزيد من نشاطه، ليحصل على المزيد، فما كان منه إلا أن يدعو أحد أصدقائه..وأخبره الخبر..

كان صلاح من الشباب المتدين، واسع الثقافة...أصابه حب الفضول، عندما سمع من سامر بوجود آية من آيات الشيعة في حيِّهم..فتوجه معه..وما إن وقعت عينا أحمد عليه حتى تقدم إليه مرحباً وسأله: ما اسمك يا بني..؟

الشاب: صلاح..

أحمد: على اسم الفاتح صلاح الدين..

صلاح: نعم ..!!

همهم **أحمد** بكلمات غير مفهومة ثم رمقه: أتريد الزواج..ولم ينتظر رده فصاح قنبر: أحضر حميدة خاتون من عندك..وبلحظات كانت حميدة واقفة أمامه..ثم أشار إليها: أتعجبك هذه الفتاة..أم تريد أن أريك غيرها..؟..

أصيب صلاح بالصدمة: بهذه البساطة..!!

أحمد: نعم...!!

صلاح: وماذا تسمي هذا الزواج...؟

شعر **أحمد** أن الذي أمامه جاء مسفِّها لا متمتعا .. فقال على الفور: ماذا تريد..؟

صلاح: جئت لأرى هذا الهراء، وهذا الزنا الفاضح في حاضرة الشام..لقد أخبرني جدي عنكم وعن فسادكم وكفركم، ولم أصدق ذلك حتى رأيته بنفسي..ثم وقف ليغادر..لكن غضب أحمد كان شديداً جداً، فأشار إلى قنبر، الذي ضربه على أمِّ رأسه بعصىً غليظة، فوقع على الأرض فاقداً وعيه..

نظر **سامر** إليه، وانتابته رعشة أفقدته السيطرة على نفسه..رمقه أحمد بعينين

ملؤهما الغضب الشديد: إلى أين ستذهب بعد أن أتيت لنا بهذا الحقير..؟

بدأ **سامر** بالتلعثم: أنا...أنا..!!

صاح فيه: أنت ماذا...لماذا أتيت به إلى هنا..؟..فهذه النوعية لا حاجة لنا بها..ثم طلب منه أن يبقى ليواري جثته..

نظر **سامر** إلى صلاح: لكنه يا سيدي مازال يتنفس ولم يمت..؟

فما كان من آية الله أحمد إلا أن أشار إلى قنبر، الذي عاجله بضربة ثانية وثالثة حتى هدأت نفسه، وتوقف قلبه، وسال دمه حاراً على جسده..بدأ سامر بالارتعاش الشديد، ولم يعد يقوى على الوقوف..

اقترب **قنبر** من آية الله أحمد هامساً في أذنه..فرد عليه: نعم هو كما قلت..ثم خاطب سامر: هيّا لنقوم بدفنه..

سامر بخوف وقد علا وجهه الصفرة: وماذا أفعل..ثم وقف ليحفر له بأحد الأحواض القريبة..

صاح به **أحمد**: ليس هنا..!!

سامر بخوف: وأين إذن...؟

أحمد: سأريك أين الآن..ثم صاح على إحدى الفتيات: اجلبي لي ساطوراً، وسكيناً حادة، ومنشار الحديد..وما هي إلا لحظات حتى كان أمامه ما طلب..فقال لسامر: اختر أي الأشياء تريد...؟

أصيب **سامر** بالخوف: لا أريد أي شيء منها..!!

أحمد: لا خيار لك..ثم أعطاه المنشار: علينا أن نقطعه أوصالاً ونرمي به بعيداً..

سامر: ألا تعفيني من هذه المهمة يا سيدي..أرجوك..؟

أحمد: لا...عليك أن تشترك معنا لنضمن سكوتك..

سامر: أقسم بالله لن أتكلم بحرف واحد أعدكم..!!

سيطر على **أحمد** الغضب: لئن لم تفعل ما آمرك لأقتلنك...فما كان من سامر

إلا الانصياع لطلبه فتناول ساطوراً، وبدأ بتقطيع صديقه دون أن ينظر إليه..ولما انتهوا من ذلك، أخذ قنبر بتعبئته بأكياس عديدة، وانطلقا معاً ورمى بها في النهر، بعد أن ربطاها بأحجار لتستقر في أسفله، كي لا تطفو على السطح..وعادا إلى البيت وكأن شيئاً لم يكن..نظر إليه أحمد: هذا جزاء من يخالفنا ويعترض طريقنا..

تركهم سامر وهو في حالة نفسية مرعبة من هول ما رأى..!!

جلس **قنبر** أمام **آية الله أحمد**: مولاي أخشى أن يخبر بما رأى...

أحمد بثقة: لا تخف فهو مشترك معنا بهذا الفعل...وكذلك لا دليل لديه...ولا تنسى أن علاقتنا بالأمن قوية..!!

قنبر: لكن يا مولاي عندي سؤال..

أحمد على الفور: قل ما تشاء..

قنبر: لماذا قتلناه..ألم يكن من الأفضل أن نتركه يذهب..

أحمد بغضب: يا غبي..عليك أن تقيس الأمر بمقياسين..الربح والخسارة..فأيهما أفضل أن نطلقه ليفسد علينا الناس..أم نقتله وندفن معه السر..؟

قنبر مقلباً رأسه: لا بل قتله أفضل..!!

أحمد: ألم تسمع عن الخناقين في زمن العباسيين..؟

قنبر: أنت تعلم يا مولاي أنني لا أقرأ التاريخ..

ضحك **أحمد** وقال: لقد كانت شيعتنا يخنقون الصبيان في ذلك الزمان..فأصيب الناس بالرعب، وانتشرت الشائعات بينهم..حتى أن الناس صاروا يأوون إلى بيوتهم قبل مغيب الشمس، وتبقى الشوارع صافية لشيعتنا، يجولون بها كيف شاؤوا..ونحن فعلنا اليوم كفعلهم..إلا أننا غيرنا الاستراتيجية، فبدل الخنق، استعملنا الذبح والتقطيع، وصار يضحك بصوت عالٍ ...

* * * * *

دخل **سامر** إلى بيته وتوجه من فوره إلى غرفته، وأغلق الباب من خلفه، وأخذ بالبكاء الشديد، مسترجعاً ما جرى..وظلَّ هذا حاله لساعات طوال، ثم ثقلت عيناه فنام في مكانه، ولم يصحُ إلا بعد منتصف الليل، بعد أن انتابته كوابيس مخيفة..فجلس في فراشه مرتعداً، تعيده ذكرياته إلى ما حدث..وظلَّ في حالة ذهولٍ، وكأنه في كابوس طويل لا يريد أن ينتهي..

لما أشرقت الشمس قام من فراشه وجلس في فناء المنزل سارحاً مهموماً..خرج أبوه ليجده أمامه فسأله: أراك مستيقظاً مبكراً على غير عادتك...!!

نظر إليه بعينين شاردتين ثم أطرق إلى الأرض..

ارتاع الأب من نظرات ولده، فتقدم إليه واضعاً يده على كتفه: خير يا ولدي..كأنك لم تنم..أأنت مريض..؟

رفع **سامر** رأسه ببطء، وحدقتا عينيه لا تستقران على حال..أصيب الأب بالخوف فهزَّه بقوة: ما بك..؟..لكن **سامر** سقط على الأرض فاقداً وعيه..فحمله على الفور إلى غرفته، وصاح على زوجته..فالتفَّت العائلة من حوله..فانطلق أبوه إلى طبيب الحي..الذي فحصه بدقة..فلم يجد فيه أي مرض عضوي أو جسدي..فقال لأبيه: يبدو أن ابنك تعرض لصدمة قوية...

ظهر على وجه الأب الفزع..فقال له الطبيب: لا تخف سأعطيه إبرة مهدئة وبعدها سيخرج سليماً...

* * * * *

لم تستطع عائلة صلاح النوم بعد غياب ولدها..فأخذوا يبحثون عنه في المستشفيات، وأقسام الشرطة والأمن والمخابرات..لكن دون جدوى..وظلَّ هذا حالهم لعدة أيام، وسألوا عنه الجيران ومن رآه آخر مرة، ومع من كان يمشي..لكن الأمور سارت على غير ما يريدون..وسامر ينظر إليهم من بعيد وحالته النفسية مدمَّرة...وظهر على جسده النحول من كثرة التفكير..وكان أكثر ما يؤلمه عندما يرى

والدته تبكي، هائمة على وجهها في الشوارع والأسواق، تكلم هذا وتسأل ذاك..

وجاءته مرة تسأله عنه: هل رأيت صلاح يا ولدي..؟

فما كان من **سامر** إلا بكى لقولها..فأخذت بكتفيه تهزه بشدة: أكيد أنت تعرف أين هو..

لكن **سامر** نظر إليها بعينين دامعتين: لا والله لا أعرف مكانه..ولكني بكيت لبكائك عليه...فما كان من أم صلاح إلا أن اعتنقته، وضمته إلى صدرها..ثم عادت إلى الشارع تسأل عن ابنها..

* * * * *

بعد أيام من غياب سامر عن آية الله **أحمد**...أرسل له صديقه حيدر ليأتي به..فجاءه على خوف..فجلس أمامه، وصار ينظر إلى مكان ذبح صديقه..فضربه قنبر على ظهره ضربة قوية: أين تنظر والإمام يكلمك..؟

سامر بخوف ورعدة: لا...كنت سارحاً في بعض شأني..!!

تأمل **أحمد** وجهه: أراك نحيلاً..ثم صاح على إحدى الفتيات أن تحضِّرَ له طعام العشاء..

لكن **سامر** قال له: شكراً فلا أستطيع الأكل..

أحمد بحزم: إن قال لك الإمام شيئاً..فعليك أن تسمع قوله وتطيع أمره..ثم التفت إلى حيدر: أليس كذلك...؟..

حيدر على الفور: نعم يا مولاي..!!

ثم تناول بضع لقيمات عن غير رضا منه..وهو يلتفت بين الفينة والأخرى إلى المذبح..حتى تقيأ طعامه...فنظر إليه أحمد متأففاً: لعنك الله أفسدت علينا طعامنا...ثم تركه وانطلق والقرف ظاهر على وجهه..

* * * * *

بعد أن غادر **سامر** جلس قنبر بجانب آية الله أحمد: مولاي إن حالة سامر تنذرنا بالخطر المستطير..ووجهه يدل أنه سيضعف..!!

أحمد: لا أظن ذلك فهو مشترك معنا بالقتل..

قنبر: لكن يا مولاي أخشى أن يصحو ضميره ويريد أن يريحه فنقع في المحظور..

أحمد: وماذا ترى..؟

قنبر: لقد أخبرتني عن الخناقين..فلماذا لا نحيي هذا التراث معه..؟

أحمد: هذا حلٌّ سنقوم به في حال الضرورة فقط..!!

قنبر: مولاي أخشى ألا نجد الوقت لكي نفكر بعد ذلك..

أحمد: الأمن معنا ولا تخف من ذلك..

قنبر: أنا لا أخشى الأمن..وإنَّما أخشى ثورة الأهالي علينا..فدرهم وقاية خير من قنطار علاج..

سرح **أحمد** مفكراً للحظات: أصبت في قولك...واترك الأمر الآن..سأخبرك بما ستفعل وقتها...!!

* * * * *

تصدير الثورة

تتابعت وتيرة الأحداث في إيران..بين نقاء الثورة وحملة الإعدامات في صفوف المعارضين ورجال النظام السابق..

كان الحاخامات ينظرون إلى الأحداث من وراء حجاب ويديرون المعركة من وراء جدر..متحسسين مصالحهم أينما وجدت..

ولما أعيى **مهدي** المناطحات الداخلية التي كانت تجري بين مؤيد للثورة ومعارض لها..وما فتح عليه من معارك خارجية وتبنيه لمجموعات شيعية أصولية همها إقامة دولة إمامية..وتطبيق تعاليمهم التي ورثوها عبر تاريخهم..رفع سماعة الهاتف: ألو الحاخام عميرو...

ردت عليه راحيل: نعم..لحظة..!!

عميرو: من على الهاتف يا بنيتي..؟

راحيل: جاءني صوت الإمام مهدي...

أسرع عميرو بخطواته وتناول الهاتف وهو يلهث: سماحة الإمام...بعد زمان..!!

مهدي: هل نلتقي اليوم..؟

علم عميرو بأن هناك خطبا دعاه إلى الاتصال به فأجابه على الفور: وهل لي إلا انتظاركم..

مهدي: ستكون السيارة عندكم خلال ساعة..

عميرو: لا بأس سأكون جاهزاً...ثم طلب من ابنته مساعدته على ارتداء ملابسه...ولم تمضِ لحظات حتى كان جاهزاً منتظراً قدوم السيارة..

تركته راحيل ودخلت غرفتها وارتدت ملابسها..ولما وقعت عينا أبيها عليها قال

لها: هل ستذهبين معي..؟

راحيل: أنسيت أنني معك على طول الخط..؟..

تبسم عميرو: لا بأس..أفضل من ذهابي وحدي..

مضى الوقت سريعاً..وعميرو مطأطئ رأسه مشرع أذنيه..ثم وقف: هيّا لقد وصلت السيارة..فما كان من راحيل إلا أن نظرت من النافذة لترى صدق حدس أبيها..فخرجا معاً...

حطَّت السيارة داخل البيت..ثم دخل مهدي على ضيوفه، وجلس بالقرب منهما، وعلى وجهه أمارات التعب..

سأله عميرو مبدياً اهتمامه: ما بك أيها الإمام...؟

مهدي: لقد أرهقتني مشاكل الدولة..فلا تشرق شمس يوم جديد حتى تظهر معه مصيبة كبيرة..فأعداؤنا يحيطون بنا من كل مكان..!!

عميرو: كأنك استدعيتني لتقول شيئاً آخر..لا لتفضفض عما في قلبك..

نظر إليه **مهدي** وقال في نفسه: ما أشد ذكاءك...ليت عندي ثلاثة من أمثالك..

ولمَّا لم يجبه أعاد عميرو عليه كلامه..فنظر إليه مهدي وفي عينيه شكوى: إذا بقينا هكذا نبحث في أماكننا فلن تستقيم لنا الدولة، ولن يشتد عودها، وستسقط مع أول هزة تعترضها..

عميرو: ما هذا التشاؤم فنحن معك ونلتزمك من أي عاصفة تأتيك..

مهدي: إذا أردت لدولتنا القيام والنجاح، لا بد من نقل معركتنا إلى الخارج..

تبسم عميرو بخبث: وهل توصلت إلى حل لهذه المعضلة..؟

نظر إليه **مهدي** بطرف خفي: لا بد أنْ أحركَ شيعتنا في كل مكان لهم تواجد فيه..في العراق..في باكستان..في الهند..في اليمن...في البحرين..في السعودية..في أفريقيا..

نظر إليه عميرو بعينين محدقتين: أتقول البحرين...البحرين المحافظة الرابعة

عشرة لإيران..أما العراق فعلى حسب علمي المتواضع أنكم تقومون بواجبكم فيه خير قيام..وفي سوريا زرعتم خلاياكم فيها..!!

قاطعه **مهدي**: كان هذا بناءً على رغبتكم..

عميرو: نعم بناءً على رغبتنا وهي من تهمنا الآن؛ لأنها دولة مواجهة معنا، ولا طاقة لنا في مقارعة الدول العربية جميعها..لذلك سعينا إلى استنزافهم على المدى الطويل، من خلال ما اتفقنا عليه..أما الدول الباقية والبعيدة عنا، فستكون بالتأكيد دول مواجهة معنا بعد حين من الوقت؛ لأن حدودنا ستكون موازية لهم بعد استيلائنا على الدول المجاورة..

مهدي: أنا أوافقك في كل ما قلت..ولكن علينا أن نثير البلبلة في تلك البلدان..

عميرو: أفصح أكثر..

مهدي: أنا أفكر بدعم شيعتنا في تلك الدول..ونتركهم في حالة مواجهة مع تلك الأنظمة..فمن لا يأتي بالسياسة، نأتيه بالمجالس النيابية، ومن لا يأتي بالانتخابات، نأتيه بالاشتباكات وإثارة القلاقل..فنستنزف قواه..فإذا جاءت ساعة الحساب، تكون أجهزته في حالة موت سريري..فننقضُّ عليها بسهولة ونحقق هدفين معاً..

تأمل عميرو كلامه وبدا على وجهه الإعجاب بما سمع: لأول مرة أرى عندك خططاً مستقبلية..وقد تشبَّهت بنا..فنظراتك تخطَّت حدود بلادك..وهذا شيء جيد..!!

فرح **مهدي** لهذا الإطراء: أنت توافقني إذن..؟

عميرو: بالتأكيد، طالما الأمر لن يتعدى حدود الدعم المالي البسيط، ونترك تلك الفئات تلتقط زادها من موائد الناس ودول العالم..ولكن ليكن اهتمامك الأول بتلك الدول القريبة منا؛ لأن الخطر سيأتي منها في الوقت الحالي..أما ما ذكرت فلنعمل فيها على نار هادئة..

مهدي بسعادة واضحة: سيكون هذا شأننا..

عميرو: وكيف حال نشاطكم في الشام..؟

مهدي: الأمر يسير على قَدَمٍ وساق..

تبسم عميرو: يصلني تقرير كل يوم من هناك..وعليكم أن تشدوا الهمَّة أكثر فلا وقت لدينا..نحن نعمل ضمن جدول زمني لا يجوز لنا أن نتخطاه..

مهدي: لن نتخطاه..فقر عيناً..ثم نظر إلى راحيل: لماذا لا تعملين معنا..؟

تصنعت راحيل البسمة: هذا شرف لي سماحة الإمام..ولكنني الآن في طور دورة تدريبية في المعاملات الدولية..!!

مهدي: خسارة أن تكون مثلك بعيدة عن واقع دولتنا..

راحيل: سماحة الإمام أنا ابنة أبي، أعمل معه في خدمتكم وخدمة دولتنا، ولن أتأخر عنكم طالما تعلق الأمر بمصالحنا المشتركة..

بشَّ بوجهها: أنت ذكية حقاً..ومثلك لا يليق به إلا المراتب العليا..

راحيل بدبلوماسية: شكراً سماحتكم..!!

* * * * *

طرقت **شاهيناز** الباب..وما هي إلا لحظات حتى خرج أبو دعاء..فأدخلهن على الفور..

تقدمت إليهن دعاء مرحِّبة...وفي عينيها نظرات تنطق عما في نفسها...

أحسَّت الفتيات بتلك النظرات، فبدأت شيرين بالكلام: هل أتينا في وقت غير ملائم..؟

أجابتها دعاء على الفور: لا..وإنما...!!

شيرين: كنا صريحات معك إلى أبعد الحدود..فلماذا لا تكونين معنا بنفس الصراحة، ثم وقفت تهمُّ بالمغادرة..فما كان من دعاء إلا أن أخذت بيدها: سأكون صريحة معكن جداً..فقد سمعت كلامكن قبل أيام..ولا أخفيكن أنني قد نقلته بتفاصيله إلى الدكتور شاهر إسماعيل..

سألتها **شاهيناز**: هل هو طبيب..؟

دعاء : لا.. إنه أستاذ القانون في كلية الحقوق..وهو على درجة عالية من العلم والدين والفضيلة..وهو بالمناسبة أستاذي في الكلية..

سألتها **شاهيناز**: هل أنت طالبة...؟

ضحكت دعاء: كنت طالبة..وتخرجت منذ سنوات، ولكن تربطني حتى الآن علاقات وثيقة مع المدرسين..فقد نهلت منهم العلم..وهم من دفعوني لأكون مدرِّسة للفتيات..

شاهيناز: كأنك تطلبين منا لقاءه..؟

دعاء: أنت ذكية حقاً..وقد اختصرت عليَّ الطريق..نعم..هناك أستاذان يودّان لقائكن..!!

أبدت الفتيات بعض التحفظ من إفشاء سرهنَّ..لكن دعاء شعرت بما في داخلهن من هواجس وخوف، فعاجلتهن بالقول: اطمأنن..فليس هناك ما يخيف..وأنا أشعر بكن..ولن يتجاوز حديثنا باب الغرفة أبداً..!!

تنفست الفتيات الصعداء وقلن: لا بأس ومتى سنلقاهما..؟

دعاء: على الفور إن أردتن..

نظرت الفتيات إلى وجوه بعضهن البعض..وأجبن: لا بأس..!!

غمرت دعاء الفرحة فقامت من فورها وأجرت اتصالاً هاتفياً..ثم عادت إليهن وراحت تتبادل معهن الأحاديث..وبعد نصف ساعة دخل الأستاذان..

كان الدكتور **شاهر** إسماعيل ممشوق القوام، أبيض اللون، معتنياً بهندامه..مرتدياً بذلة بنية اللون وربطة عنق توافقت مع هندامه، فتطابقت ألوانها جميعاً، متزوج وعنده ولد واحد متخلف عقلياً، يبلغ من العمر عشر سنوات..وكان وراءه الدكتور مؤيد حبنكة، أبيض اللون، على جبينه أثر السجود، طويل القامة، يضع على رأسه كوفية عربية، مرتدياً دشداشة رمادية، وفوقها عباءة خفيفة، صُنعت من صوف البعير، متزوج

وعنده طفلان صغيران أكبرهما لم يبلغ من العمر ثلاث سنوات..

جلس الجميع في الغرفة التي عمَّها السكون لدقائق، إلى أن تكلمت دعاء فقالت موجهة كلامها لضيفيها مشيرة بيدها نحو الفتيات: هؤلاء من أخبرتكما عنهن..!!

رفع الدكتور **شاهر** رأسه إليهن وقال موجهاً كلامه لهن: أرجو أن أسمع منكن القصة من بدايتها..

سيطرت **شيرين** على الحديث كعادتها..وبين الفينة والأخرى تشاركها شاهيناز وهزار إلى أن انتهين من كل الاستفسارات المطروحة..

ظهر على وجهيهما الاستياء..فقالت شاهيناز: ما المطلوب منا في هذه الحالة..هل نعود إلى أحضانهم ..وربما يقتلوننا..؟..

ظهرت على وجه الدكتور **شاهر** البسمة: وماذا تردن منا أن نفعل..هل أنتن نادمات من هذا الطريق..؟

رمقته **شاهيناز** بنظرات ملؤها الألم والحسرة: أهذا سؤال تسأله..؟..فلو لم نكن نادمات لما رأيتنا هنا الآن ولا أفشين سرِّنا...فإن كان لنا مكان عندكم..وإلا فدعونا نذهب..فأرض الله واسعة لا حدود لها..

مؤيد: نِعْمَ الجواب و نِعْمَ الاتكال..ولكن اطمأنن فلن ندعكن فريسة لتلك الضواري..وسنسعى إلى إخراجكن اليوم إن شاء الله..!!

انتابت الفتيات فرحة غامرة، ظهرت في أعينهن فبرقت بها...ثم وقف الأستاذان وقال مؤيد لهن: أبقين عند الأخت دعاء بضعة أيام ريثما نقوم بما يلزم..

لكن **شاهيناز** شعرت بالإحراج: أخشى أن نثقل على أهل البيت بوجودنا..!!

ضحكت دعاء في وجهها على الفور: صحيح نحن فقراء..لكننا لسنا بخلاء..وخاصة إذا ما تعلق الأمر بديننا وبوطننا..فأنتن في بيوتكن إلى أن يأذن الله لكُنَّ بالفرج..

شيرين: علينا إذن أن نأتي بحاجاتنا..

دعاء: أهي لازمة...؟..

تدخل **مؤيد** حبنكة: دعيهن فليذهبن..وخاطباهن: احذرن من التأخير أو أن يراكن أحد..ولا تخبرن بمكان وجودكن لأي مخلوق..

شاهيناز: نعم..لن نتأخر...ساعة على الأكثر...!!

شاهر: على بركة الله..

وقبل أن يغادرن ارتسم على وجه شاهيناز الحزن والكآبة..

رمقها إسماعيل فعرف أنَّ هناك خَطْبًا..فطلب منها أن تفصح عما بها..لكنها التزمت الصمت وسالت من عينها دمعة ملتهبة، تبعتها دمعات غزيرة..فاقتربت منها دعاء وقالت لها بحنان: ما بك يا حبيبتي..؟

التزمت **شاهيناز** الصمت..لكن هزار تدخلت قائلة: شاهيناز خائفة على أهلها في إيران..

عقد إسماعيل بين عينيه، وظهرت على وجهه الجدية: أما هذا الأمر فلا تخشونه..

هزار بتعجب: وكيف..؟

إسماعيل: ليس في يدهم أي شيء يفعلونه..فأنتم في الشام، وهم في إيران، ولا سلطة لهم عليكن..

هزار: وهل يفهمون ذلك..؟

إسماعيل: لا بد أن يفهموا..فالأمر خاص بكن..وإن لم يفهموا فالزمن كفيل بإفهامهم..وليس في أيديكن شيءٌ تفعلنه..فإما الرجوع إليهم..وإما الابتعاد عنهم..

أجابته **شيرين** على الفور: لا..البعد أفضل..والله يتولى أهلنا..

تدخلت **هزار** والحسرة ظاهرة على وجهها: مستقبلنا مظلم قاتم، لا أمل لنا فيه..!!

إسماعيل: الأمل عند الله، لا ينقطع رجاء من استعان به..ولا تنسي أننا عبيد له..وكلنا عند الله سواء..

هزار بألم: السواء كائن في حفرة الموت، أما في هذه الدنيا ففيها الغني وفيها الفقير، فيها السقيم وفيها السليم..غيرنا تمتع بدنياه، ونحن غلبت علينا شقوتنا، لكن أملنا بالله أن يأخذ بأيدينا، وينتشلنا من براثن الرذيلة والضلال..وليس أمامنا غيره سبحانه...

إسماعيل: هذا ما كنت أود سماعه..عليكن أن تتكيفوا وفق الواقع الجديد..

فما كان من الفتيات إلا الإذعان والقبول..ثم غادر الجميع كل في حاجته..

* * * * *

جلس الدكتور **شاهر** على مائدة الطعام ليتناول عشاءه، وجلس إلى جانبه ابنه فؤاد وزوجته اعتدال...تناول ملعقته وسرح للحظات..

نظرت إليه زوجته: يلي آخذ عقلك يتهنى...

تبسم ورفع رأسه: لا شيء...ولكن حدث اليوم شيء غريب جداً..!!

شعرت اعتدال بالفضول: ما هو..؟

تنهد تنهيدة طويلة: لا تشغلي بالك...!!

ازداد فضول اعتدال: شغلت بالي أكثر..تكلم...

قاطع فؤاد كلامهما: أريد الطعام يا أبي...

شاهر: حاضر...وتناول من أمامه بعض الأرز، ووضع فوقه قليلا من اللحم بعد أن أزال عنه العظم: تفضل يا بابا..

اعتدال: تكلم..!!

شاهر: بعد العشاء أخبرك...والآن دعينا ننهي عشاءنا..

أذعنت اعتدال وأخذت تتناول طعامها بهدوء، مسترقة النظر إلى زوجها بين الفينة والأخرى..وهو سارح مشغول عن طعامه...

بعد أن انتهوا من طعامهم، جلس في الصالون يرتشف فنجان القهوة..فجلست بجانبه بعد أن وضعت ولدها في فراشه: هيَّا..تكلم...

أخذ **شاهر** يسرد عليها قصة الفتيات...فما كان منها إلى أن ضربت على صدرها: أفي بلاد الشام يجري هذا..؟

شاهر: هذا ما أهمني...أعرفت لِمَ كنت سارحاً ومشغول البال..؟..

اعتدال: معك حق هذا الأمر لم نسمع به من قبل..!!

شاهر: أتدرين لماذا...؟

اعتدال باستغراب: لماذا..!!

شاهر: لأن الباطنية لم تكن لهم دولة...ولكن بعد قيام دولتهم في إيران أظهرت رأسها وبدأت تلدغ كل من حولها.

اعتدال: ولماذا الشام دون غيرها..؟.

شاهر: تلك البداية فقط وسيعمُّ سوادهم الدول جميعاً إن لم يجدوا من يقف في طريق زحفهم..

ظهر على وجه اعتدال الخوف: ألهذا الحد هم خطرون..؟

تنهد **شاهر** بألم: ربما أكثر مما تتصورين ...إنهم يريدون دين الأمة وعقيدتها...

اعتدال: كفى...كفى..لقد أخفتني..!!

* * * * *

الطواف الأخير

بعد أيام أتى **حيدر** بصديقه سامر إلى مقام السيدة زينب، وأدَّيا طقوس الزيارة..وأثناء طوافهما رمقَ سامر آية الله أحمد، الذي كان جالساً محدِّقاً بنظره نحو الفتيات..ولما رآه ركَّز نظره عليه..وسامر فعل مثله، والخوف ظاهر في عينيه..فنظرات أحمد كانت من الحِدَّة بحيث أفقدته التركيز بطقوسه التعبدية..ثم صرف نظره وطأطأ رأسه إلى الأرض، فمرت من أمامه صورة صديقه الذي قطَّعه إلى أوصال..ثم صورة والدته الهائمة على وجهها في الشوارع، ناحبة على ولدها، فسيطرت عليه حالة حزن منعته من إتمام طوافه، فجلس في أقرب مكان ناشداً الراحة..لكن نظرات أحمد ظلَّت تحملق به..ثم هزَّ رأسه..فتوجه قنبر نحوه: خير...خير..ثم أمسك بيده بحنان وساعده على الوقوف: عليك أن ترتاح قليلاً في الخارج...ثم خرج به متوجهاً إلى شقة أحمد..

تردد **سامر** لأول وهلة من الدخول متوجِّساً خيفة..فجثة صلاح مازالت ماثلة أمام عينيه..لكن قنبر بخفة ورشاقة دفعه إليها، وقبض على رقبته...وأجلسه على كرسي، ووضع على فمه لاصقاً وأوثقه بقوة..ثم أدار المذياع بصوت عالٍ..ثم خرج بعد أن أحكم إغلاق الباب..وعاد إلى المقام..تأمل أحمد وجهه فأشار له قنبر بإشارة يفهمها..وظلَّ هذا حال الجميع لأكثر من ثلاث ساعات...

دخل **أحمد** و**قنبر** و**حيدر** إلى الشقة..فوجدوا سامراً في حالة إعياء...قد بال في ثيابه من شدَّة الخوف..نظر إليه أحمد واقتلع اللاصق عن فمه: يا حقير..قتلت صديقك..ولا تريد أن تنسى..

نظر إليه بعينين متوسلتين: سيدي أنا...أنا..!!

فما كان من **أحمد** إلا أن صفعه على وجهه بقوة: أنت ماذا...لقد أطعمناك وألبسناك وصرفنا عليك...وتذوقت فروج نسائنا فأكثرت..والآن ومع أول هزة نسيت

كل شيء..

سامر: سيدي...أنا أعاني من وجع الضمير ليس إلا..ولا تنسى أنني مشترك معكم في الجريمة..!!

وما إن سمع **أحمد** قوله حتى صفعة مرة أخرى: أتقول جريمة يا كلب يا حقير..؟

سامر بخوف: عفواً أقصد...أقصد..!!

أحمد: لا حاجة لهذه التعتعة...ولكي نُخلِّص أنفسنا من همِّك، لا بد أن تلحق بصديقك..فمثلك لا يناسبنا في دعوتنا، وكفاك ما أخذته..

ارتعدت فرائص **سامر** خوفاً، واصفر وجهه: سيدي أقسم لك أنني لن أتكلم بحرف واحد، وسأكون خادماً عند قدميك..!!

نظر **أحمد** إلى **قنبر**..ثم تركه وغادر عائداً إلى بيته...

فما كان من **قنبر** إلا أن أعاد اللاصق إلى فمه..وغادر الغرفة وجلس مع حيدر وقال له: علينا أن نتخلص منه الآن..

حيدر مبدياً الشجاعة والطاعة: فلنتخلص منه إذن، ولِمَ الانتظار..؟

قنبر: أنا أفكر في وسيلة سهلة، لا تكلفنا عناء قتله وتقطيعه، ومن ثَمَّ رميه في المزابل..

لمعت في ذهن **حيدر** فكرة: لماذا لا نحفر له قبراً ونخرجه من هنا حياً..ونوهمه أننا عفونا عنه وندفنه بعدها..

ضحك **قنبر**: فكرة لا بأس بها...

* * * * *

مع اشتداد حلكة الليل، وانقطاع الناس إلى بيوتهم، أخرج قنبر وحيدر سامرا من البيت، وصعدا به إلى السيارة، التي توجهت إلى مقبرة بالقرب من السيدة زينب...فلما رأى سامر شواهد القبور، عرف أنها النهاية، فوقع على الأرض لا يقوى

على الوقوف..لكن قنبر دفعه إلى الأمام ليسير، لكن دون جدوى، فأخذ بنحره بعصىً كانت بيده..ولما أعياه ضربه على رأسه فأفقده وعيه، ثم حملاه وتوجها إلى أحد القبور المتطرفة فألقيا به حيّا ، وما إن بدأ التراب ينهال عليه، حتى بدأ بالصياح، فعاجله قنبر برمي التراب على وجهه بخفة وسرعة..وراح صوته يخبو رويداً رويداً مع كل حفنة تراب سقطت عليه..إلى أن انقطع نهائياً، وخلال ربع ساعة انتهى الصديقان من تسوية التراب عليه..وقاما بتمويهه..ثم غادرا المقبرة وكأن شيئاً لم يكن..

* * * * *

عاد عباس إلى بيته الخاص، ليجده خالياً على عروشه..فراح يدخل من غرفة ويخرج من أخرى، وحالة من الحيرة قد أخذت منه كل مأخذ...ثم أسرع خطواته إلى الخارج..فوجد أفيخاي يهمُّ بطرق الباب..فسأله على الفور: هل رأيت الفتيات..؟

أفيخاي: لا..

أغلق عباس الباب وراءه وهو في حالة من الذهول، وأخذ يحدث نفسه: إلى أين ذهبن..فعقدي لم ينتهِ بعد...أحسُّ بمصيبة ستنزل علي..لا...لا..فربما عدن إلى بيت الدعوة..فانطلق إليه مسرعاً يسابق الريح، وضربات قلبه تزداد حدتها مع كل خطوة يخطوها..لما ينتظره هناك..ولما طرق الباب وأجال بنظره في ربوعه..ولم يجد لهنَّ أثرا تنفس الصعداء، فلما رأت حالته إحدى الفتيات سألته: ما بك..؟

عباس: لا شيء..كنت مستعجلاً بعض الشيء..!!

قلبت الفتاة شفتها غير مبالية فتركته وانصرفت..جلس قليلاً أمام نافورة الماء ليهدئ من روعه...ثم خرج وتوجه إلى مقام السيدة زينب وهو يحدث نفسه: ربما ذهبن إلى هناك للزيارة...ولما وصل أجال بنظره متفحصاً الوجوه...فلم يجد ضالته..فهدأت نفسه بعض الشيء، ثم رمى بجسده على الأرض، وأطرق مفكّراً..ولمَّا تأخر الوقت عاد إلى بيته، وصار يتخبط في مكانه، لا يدري ماذا يفعل..وظلَّ هذا حاله عدة أيام إلى أن شعر باليأس، واستسلم للأمر الواقع، وعاد إلى عمله كما

كان..شاعراً ببعض الراحة، وكأن كابوساً ثقيلاً كان جاثماً على صدره وانصرف.

توجه والد **سامر** إلى مخفر الشرطة ليبلغ عن اختفاء ولده...دوَّن الضابط البيانات الأولى عن اختفائه..وسأله عن أصدقائه..وبعد تمحيص طويل..توجه الضابط إلى بيت صديقه حيدر، الذي لم يكن موجوداً فيه آنذاك، وما إن عاد حتى أخبرته والدته بسؤال الشرطة عنه..فهرع على الفور إلى آية الله أحمد ليخبره..فما كان منه إلا أن قال له: لا تخف...اذهب إليهم وأنكر أنه كان معك..وقل هو صديقي بالمدرسة كباقي الطلاب..ولا تزد على ذلك..

بعد أن قدم **حيدر** إفادته..عاد إلى البيت...غير أن والدة سامر تذكرت تردد ولدها على بيت الآيات..فأخبرت الشرطة بذلك..لكن الضابط قال لها: يا امرأة أتتهمين العلماء، ألا تخجلين من نفسك..؟..

لكن الأم توسلت إليه أن يتحقق منهم..وبعد طول استجداء..ضعف أمام طلبها وذهب إلى بيت أحمد بصفة عادية، حاملاً بيده دفتراً صغيراً ليدوِّن عليه بعض الملاحظات...فطرق الباب، فخرجت إليه إحدى الفتيات، فارتاعت لمَّا رأته وقالت له: لحظة من فضلك...ثم خرج إليه قنبر: تفضل سيادة الضابط..

دخل الضابط وفي عينيه حالة من التأسف والخجل لهذا الإجراء..فلقيه آية الله أحمد بلحيته الطويلة وهيبته الظاهرة: خيراً ماذا تريد..؟

الضابط بخجل: عفواً من سماحتكم..عندي بعض الأسئلة...شعر أحمد بأن في الأمر مصيبة قادمة: لا بأس..تناول ضيافتك وسأعود إليك حالاً..ثم خرج من عنده، واتصل بأحد الضباط الكبار...وعاد إليه حاملاً الهاتف بيده وقدمه له: يريد العقيد شوكت أن يتكلم معك..

شعر **الضابط** بالخوف، فأخذ الهاتف على الفور ووضعه على أذنه، وتجمعت حبات العرق على جبينه: حاضر...حاضر سيدي..!!

التفت إلى **أحمد**: عفواً من سماحتكم..لعن الله النساء..ثم غادر البيت

بخطوات سريعة..

كانت عائلة **سامر** تجلس في مركز الشرطة، منتظرة نتيجة التحقيق..لكن الضابط قال لهم: اذهبوا إلى بيوتكم، فقد ارتكبتم جريمة نكراء بحق ضيوفنا..ثم ثار غاضباً: لقد وضعتموني في موقف..ثم صمت: هيّا...هيّا..عندما نصل إلى أي شيء سنخبركم به..

فما كان من العائلة إلا الانصياع له، ودموع الأم على خدّيها..قد رمت بثقلها على كتف زوجها الذي لم يكن أحسن حالا منها..وعادوا جميعاً إلى البيت..

* * * * *

زواج شرعي

اعتنت عائلة دعاء بالفتيات أشدَّ الاعتناء..فلم تشعرهن بالغربة، وكأنهن في بيوت أهلهن...وواجبات الضيافة كانت تتمُّ دون إحراج أو تكلّف..حتى شعر كل من في البيت أنهم عائلة واحدة..وكذلك فعلت الفتيات..فلم يترفعن عن مساعدة دعاء ووالدتها العجوز، التي كانت تقول لهن: أنتن بناتي..وتضفو عليهن الحنان والرقة..إلى أن أتى يوم اجتمع فيه الدكتوران شاهر ومؤيد معهن...كانت الفتيات في حالة خجل عندما وقعت عيونهن عليهما..اللذان سرعان ما خفف عنهن قول شاهر: كيف حال دعاء معكن..؟..

شاهيناز والخجل ظاهر على وجهها: لم أكن أتوقع أن أجد لي عائلة بعد عائلتي..ولكن كانت عائلة دعاء أشد حنانا من أهلي..

تبسَّم من قولها: الآن سندخل بالجد..أنتن تعلمن أن الأمور لا تسير بهذه السهولة..أقصد بدون زواج..وقد أتيت أنا والدكتور مؤيد، لنعرض عليكن أمراً، فيه مصيركن ومستقبلكن..

شعرت الفتيات بالخوف، وظهرت على أعينهن الدهشة مما سمعن...لكن شاهر قال: ليست الأمور كما يتبادر إليكن..!!

شاهيناز: دكتور أنا خائفة من العودة إلى السابق..

تبسَّمت دعاء في وجهها مخففة عنها خوفها وقلقها: تريثي قليلاً يا عزيزتي، حتى تسمعي كل الكلام...

شاهر: أرى أن تتزوجن فهي الوسيلة الوحيدة في حل معضلتكن...

شعرت **شيرين** بالانفراج، وظهر على وجهها أسارير البهجة والسرور..فلم تتفوه بكلمة واحدة..لكن مؤيد شعر بما في داخلها: الحقيقة هناك بعض الشبان ممن نثق

بهم..وحالتهم ميسورة ليس أكثر..فإن راق لَكُنَّ ذلك..فسنسير بإجراءات الزواج..ثم توقف عن الكلام ليسمع منهن الجواب..فكانت شيرين كعادتها أجرأهن: أنا موافقة..

شاهر: بهذه السهولة...دون أن تتعرفي على الشاب المتقدم...

شيرين: طالما قَبِلَ بنا على هذه الحالة..فأنا موافقة وفوراً..

شاهر وقد علته الفرحة: بارك الله فيك...ولكنَّ للشاب شرطاً صغيراً..

شيرين على الفور: فليشرط كما يشاء، طالما كنت بعيدة عن الآيات...

شاهر: سنأتي به غداً..ولكن ما رأي شاهيناز وهزار..؟

أطرقت شاهيناز ملياً ثم رفعت رأسها: وأنا مثلها..

ثم سارعت **هزار** بالقول: وأنا كذلك...

مؤيد: أحسنتن ..وغداً سيكون بداية الطريق..وعليكن نسيان الماضي تماماً، ورميه وراء ظهوركن.. وانظرن إلى المستقبل بإشراق...وما إن غادر الضيفان حتى جلسن ملتفين حول بعضهن، يتكلمن بصوت أشبه بالهمس، ودعاء بينهن..وحالة من السعادة الكبيرة ظاهرة على وجوههن..

* * * * *

بعد أن غادر **شاهر** ومؤيد البيت خلا إلى نفسيهما، يتحدثان عما يجري وراء كواليس القادمين من إيران..وأخذا يفكران بما سيفعلانه لإيقاف هذا الزحف..ووصل إلى سمعهما اختفاء شابين في ظروف غامضة..فأحسّا أن الأمور خرجت عن الدعوة والتشيع، بل أن هناك مجموعات مجرمة، انتهجت عدة طرق لنشر معتقدها..لكن الأدلة لم تكن كافية على أنهم وراء الاختفاء..ولكن ظلّت الظنون في عقليهما... فاقترح الدكتور شاهر نشر الوعي بين الناس، ليحذروا تلك الهجمة السوداء..فقررا توعية الناس بدءا من الجامعات، وانتهاءً بالحلقات العلمية والمدارس الخاصة..وبدآ بدراسة الفكرة حتى رسخت في نفسيهما، وقررا الاستعانة ببعض الأغنياء والتجار، ممن يجدون فيهم شعلة غيرة على وطنهم وأبنائهم ..فقصدوا أبا زيد الصالحاني وأبا

هاني الميداني اللذان كانا في شبابهما عاملين في السوق..وبعد سنوات من الضنك والشدة، عوَّض الله أبا زيد بمال كبير ورثه عن عمه..فلم يتنكر لصديقه أبي هاني، الذي عمل معه كشريك مضارب، حتى اشتهرا بسخائهما..

كان أبو زيد قصير القامة، بدين الجسم، يضع على عينيه نظارة سميكة، تدل على قصر نظره..وأما أبو هاني فكان قصير القامة أيضاً، أقل بدانة من شريكه، يلبس قميصاً طويلاً يصل إلى نصف ساقيه خاكي اللون..دائم التبسم كثير الحركة..ينظر إلى الجميع بطرف خفي..يظن الناس أنهما أخوان لا صديقان..للتشابه الكبير بينهما...

فرح الشريكان بزيارة هاتين الشخصيتين اللامعتين.. وهرعا على الفور فقدَّما لهما كأسين من العرقسوس البارد... وبعد لحظات سألهما أبو زيد: خير إن شاء الله أرى في أعينكما كلاماً...؟

أخذا يشرحان لهما قصة التشيع وحالات الرذيلة التي بدأت تدب في أوساط الشباب...شعر أبو زيد بالألم الشديد: أنا جاهز لكل ما تأمرانه..

شاهر: نحن نفكر في بناء صروح علمية لأبنائنا، لتوعيتهم من هذا الزحف القادم نحو بلادنا..

أبو زيد: أنا لا أعرف عما تتكلم..أعطني أرقاماً أعطيك أموالاً..!!

ضحك الدكتوران..وأخذ الحديث الدكتور مؤيد: نريد أن نفتح مدارس لطلابنا..هذه المدارس تحتاج إلى داعمين لها..

أبو زيد: الآن فهمت...لا تهتم أنا متكفل بمدرسة وبطلابها وبنائها وكل مصاريفها..وهذا شريكي مشيراً إلى أبي هاني معي، ولا حاجة لأن تسألوه، لأنني أعرف رأيه..

فما كان من أبي هاني إلا الضحك: كما قال أبو زيد : لا حاجة لرأيي فأنا موافق سلفاً..ثم أخرج أبو زيد دفتر شيكاته، وأعطاه لشاهر: اكتب الرقم كي أوقع عليه..لم يتمالك شاهر نفسه، فسالت دمعة على خده، فرحاً لما سمع ورأى من إقدامه وكرمه،

وقال له: سنأتيك بعد أن نجد المكان المختار لهذه المدرسة...ثم ودعاهما وانطلقا في وجهتهما..

* * * * *

قبل أن يخلد **مؤيد** إلى نومه، توجه إلى غرفة طفليه..ورمقهما بعينين مفعمتين بالحب والحنان، طابعاً قبلة على جبينهما، وعاد إلى فراشه، ليجد زوجته جالسه أمام المرآة.

جلس على سريره وتناول كتاباً وأخذ يقرأ...اقتربت منه: ألا يكفي أنك تقرأ طوال اليوم...أنت الآن في مملكتي وطاعتي واجبة عليك..!!

ضحك من كلامها: أنا ملكك الآن..ولكن إن خرجت من هذه الغرفة، فليس لك عندي طاعة..

يسرى: ماذا...طالما أنك على ذمتي فأنت ملكي..

ضحك **مؤيد** مرة أخرى: لا بأس أنا ملكك..

يسرى بجدية: ماذا تقرأ..؟

مؤيد: أقرأ بعض الفقه والعقائد..

يسرى: دع الكتاب الآن..ما رأيك أن نسهرَ على التلفاز هذه الليلة..فأولادك نائمون والسكون يعمُّ البيت..

قاما وجلسا في الصالون، يتسامران ويأكلان المكسرات...وأخبرها عما أهمه طوال الأيام الماضية..

أنصتت له مظهرة الدهشة والاستغراب: لم أسمع بهذه الأمور منذ خُلقت...وأين كانوا قبل الآن..حتى يخرجوا إلينا ببدعة لا نعرفها..

مؤيد: ظهرت هذه البدعة مع قيام ثورة الملالي في إيران..وابتدعوا لها أحكاماً جديدة لم تكن موجودة قبل الآن..

يسرى: يا للعجب..وأين علماؤهم..ألا يمنعونهم..؟

مؤيد: عن أي علماء تتكلمين...جميعهم شربوا من كأس واحدة..!!

يسرى: أليس فيهم من يأخذ على أيديهم..؟

مؤيد: من سيفعل ذلك..وهم ينظرون إلى الأمور من باب ثورة المظلومين والمحرومين..!!

يسرى: هل لهم أي تأثير علينا وعلى بلادنا..؟

مؤيد: إلى الآن لا..ولكنهم يعملون على ذلك..

يسرى: ما لنا ولهم...دع الخلق للخالق...!!

مؤيد: إن تركناهم فلن يتركونا..لقد جاؤوا إلى بلادنا لنشر معتقداتهم..

يسرى: وليكن...طالما لن يتعدوا حدودهم...

مؤيد: لو كان الأمر كما ذكرت، لما فكرت فيهم على الإطلاق..ولفعلت كما قلت..لكنهم جاؤوا لنشر معتقدهم بين الناس، وحملوا معهم نساءهم وأموالهم...

يسرى: يا للهول...وهل الشام ينقصها فساد أكثر مما هي عليه...؟..

مؤيد: الفساد عندنا الآن مختبئ في قمقم لا يخرج رأسه، إلا بعد غياب الناس وانشغالهم، أما فسادهم فهو في وضح النهار، وتحت مسميات ألبسوها لباس الدين والفضيلة والطاعة والعبادة...!!

يسرى: أشعر بالخوف...دع غيرنا يمنعهم..ما أنت إلا رجل واحد..ولا تنسى عندك كتل لحم بحاجة إليك..

مؤيد: هذا كلام خطير..فبلادنا بحاجة إلينا..والمثقفون فيها قلّة قليلة، قياساً ببقية الشعب..فإن تخليت أنا سيتخلى غيري، ولن نجد من يوقف زحفهم نحو بلادنا وبيوتنا وأعراضنا..أفهمت الآن..؟

أطرقت يسرى صامتة ثم رفعت رأسها: لا أدري ماذا أقول لك...افعل ما تراه..ولكن احسب لكل خطوة تخطوها..

مؤيد: كل شيء بأمر الله...

* * * * *

الثأر للحسين

أصدر آية الله محمد الطوساني أوامره إلى ميليشياته بالتحرك إلى الأهواز.. .سارت جحافلهم بسيارات الجيب المكشوفة التي طُليت مسبقاً بالطين، رافعين أعلاماً سوداء..واضعين على جباههم أشرطة سوداء أيضاً كتبوا عليها يا لثارات الحسين...وما إن وصلوا إلى مشارف المدينة أوقفهم محمد وقال فيهم: بعد دقائق سنكون داخل المدينة..ربما يستغرب البعض أننا قدمنا عليها وأهلها يشكلون نسبة كبيرة من شيعتنا..ولكن الذي عليكم أن تدركوه أنهم عرب..ولا ينبغي لعربي أن يطأ أرض إيران مهد الحضارة الفارسية...التي أسقطها أجدادهم...وعليكم الآن أن تغيروا خارطة وجودهم..فالبندقية وتكسير العظم تدفعهم إلى خارج الحدود، ومن بقي منهم فهو مباح الدم والمال والعرض...ثم صعد إلى سيارته وانطلقوا مسرعين..وما هي إلا دقائق حتى طوّقوا شوارعها وبدؤوا بحملة تفتيش واسعة للبيوت، فأخرجوا أهلها منها وعزلوا الرجال عن النساء..ثم وقف محمد يتلو عليهم أوامره وأحكامه، وانتقى منهم عشرين رجلاً، أسند وجوههم إلى الحائط..ثم أوقف من رجاله عددهم..وصاح: ارمي..فانهالت عليهم الطلقات النارية غزيرة..فسقطوا يتخبطون بدمائهم...ثم تقدم أربعة من جنوده، فوضعوا عدة جثث بعضها فوق بعض..فارتقاها محمد صانعاً منها منبراً..وما إن صعد حتى تعالى تهليل جنوده..فأشار إليهم بكبر وعنجهية أن يهدؤوا: هذا أول دم ننتصف به من العرب..والأيام القادمة ستشهد المزيد...حتى نرى بلادنا حرة عزيزة نقية في عرقها وأرضها..ولن يقف نزيفهم حتى يخرجوا من بلادنا..ثم نزل بهدوء المتيقن بالنصر..وتوجه إلى سيارته..وانطلقوا جميعاً بعد أن اعتقلوا المئات من الشباب، وكدسوهم في سياراتهم العسكرية..وانطلقوا مخلفين وراءهم عاصفة غبار وجثثا هادمة...

وما إن ابتعدوا حتى تقدم الأهالي نحوهم بنحيبهم ولطمهم، فارتمت الأمهات والزوجات والأخوات على هامات القتلى..فمنهم من أخذت بكفيها الدماء ولطخت بها وجهها ووجه أطفالها..وهي تقول لهم: لا تنسوا ما فعل المجوس..ثم حملوهم إلى بيوتهم، وحالات العويل انتشرت في كل أنحاء المدينة، فأصيب الناس بالخوف الشديد..وبدأت بعض العوائل الميسورة بالإعداد للرحيل إلى الدول المجاورة هرباً من الموت..لكن شيخ القرية منعهم قائلاً: لمن تتركون الأرض والعرض والمال..؟..هذه أرضنا وهذه مساجدنا وهنا ولدنا وبها سندفن..فلا تهربوا من قضاء الله، واحملوا سلاحكم وادفعوا عن أرضكم بدمائكم..فالرب واحد والعمر واحد ولن ينقص أعماركم سلاح قاتل أو رجل مجرم..فكل شيء بمقدار وأجل..لكن خطبته لم تكن مؤثرة فيهم كما كان عهده بهم سابقاً..فلون الدماء ورائحة البارود..لم تزل تزكم أنوفهم..فساروا مغادرين لا يلوون على شيء..

* * * * *

استمرت العلاقة بين دينا ومصطفى..حتى أن أفيخاي وفيفيان سمحا لابنتهم بلقاء مصطفى في بيتهم وتحت أنظارهما...فكان أفيخاي يجلس قريبا منهما غير بعيد، مسترقاً النظر إليهما...فإن تمادت الأمور واشتدت اللوعة على وجهيهما يجلس بينهما..إلى أن جاء يوم طلب مصطفى من أفيخاي أن يعقد له على دينا..فما كان من أفيخاي إلا أن قال له: أتريد أن تتزوج ابنتي دون مقابل..؟..وهل ترانا من أبناء الشوارع ومن الطبقات المعدمة..؟..ابنتي لن تخرج من بيتي إلا كما تخرج الأميرات..نحن أبناء يهود خير شعوب الأرض قاطبة..!!

فلما سمع مصطفى قوله شعر باليائس فتغير وجهه: عمي أفيخاي أنا أحبها..!!

أفيخاي مظهراً الغضب: أنت تعلم أنني لا أمنع زواجكما، ولكن الأصول تتطلب أن تأخذها كباقي البشر..لا كالسبيَّة التي لا أهل لها..!!

مصطفى باستجداء: اطلب مني أي شيء لأفعله..؟

أجابه على الفور: لا أقل من المهر وبما يليق بها..

مصطفى: لكنني لا أملك إلا مصروف يومي..وأنا آتيك به على الفور..

نظر إليه بخبث: خذ من أبيك وأمك..فعندهما مال كثير..وأنت وحيدهم..

مصطفى: أبي لا يملك إلا مال الآيات..أما أمي فمعك حق، عندها مال الخمس، وأنا أتحايل عليها لتعطيني بعضه..

أفيخاي: ألا تعلم أن أباك..ثم سكت...

شعر مصطفى أن في الأمر سرا : أكمل عمي أفيخاي..؟

أحسَّ أفيخاي بالندم في تسرعه..لكن مصطفى أصرَّ أن يعرف ما يخفي..فلم يحصد إلا الخيبة..وصار أفيخاي يدير الحديث بما ينسيه سقطة لسانه: حاول مع أمك اليوم وغداً وحتى إلى أبعد من شهر، فدينا بانتظارك..وهي أيضاً تحبك ولا تستغني عنك...

شعر مصطفى ببعض الراحة..ثم همَّ بالانصراف، فأخذت دينا بيده وأجلسته ستبقى معنا على العشاء هذا اليوم...فتغير وجه أفيخاي..وأشار إليها أن تتركه يغادر..لكن مصطفى جلس منتظراً عشاءه، وأفيخاي ينظر إليه متحرِّقاً..

* * * * *

وائل وشاهيناز

بعد عدة أسابيع من الانتظار، وصل الدكتور مؤيد وزوجته إلى الفتيات..فلما طرق الباب خرجت دعاء لاستقبالهما؛ لأنها كانت على موعد معهما..بدا على وجه الفتيات القلق..فجلسن قريبات من بعضهن...وبعد أن تناول فنجان القهوة قال لهن: بناتي أنا أعلم أنكن حريصات على السترة والزواج الحلال..وقد سعيت مع الدكتور شاهر في هذا الموضوع..وكنا نرغب أن نجد لَكُنَّ أزواجاً من شباب الجامعات..لكن الأمور سارت على غير ما نحب..ثم توقف عن الكلام..

بدا على وجه الفتيات الخيبة والحزن..فنظرت إليه شيرين: عفواً نحن شاكرات على كل ما فعلتموه من أجلنا..ولا نخفيك أننا عشنا هنا أجمل أيام حياتنا..التي أشعرتنا بإنسانيتنا وقيمتنا بعد أن كنا ضائعات..وبعد أن وجدنا هذه الحياة الجديدة، لم يعد يهمنا غير ديننا..فلا تتعب نفسك وتحمّلها عناء الإخفاق..

أطرق مؤيد إلى الأرض مخفياً بسمته العريضة: لقد استعجلتِ في الرد..وما قلتيه شيء طيب .. وهذا بحد ذاته دافع قوي لما سأقوله..

أنصتت الفتيات ليسمعن منه .. فقال: هناك بعض الشبَّان ممن يرومون الزواج، وهم من بيئة محافظة .. ثم سكت قليلاً .. !!

احمرَّ وجه الفتيات بما سمعنه وأطرقن إلى الأرض خجلاً وحياءً؛ لكن شيرين أخذت زمام الكلام: الفقر ليس عيباً يا سيدي..!!

مؤيد: هل أنتن مستعدات للقادم..؟

شيرين مرة أخرى: نعم..واعذرني على جرأتي..فلا أهل لنا ليتحدثوا عنا..!!

سبقها **مؤيد** بالقول: نحن أهلكن ولا نفعل إلا ما فيه مصلحتكن..

كسرت **شاهيناز** حاجز صمتها: لكن..أنت تعرف ظروف زواجي..والذي

أعلمه أن الشعب السوري شديد الحرص على زواجه الأول..!!

مؤيد: فهمت قصدك..وهذا الأمر في بالنا..

شيرين: أما أنا **وهزار** فلا مشكلة عندنا..!!

مؤيد: أعرف ذلك..وإن شاء الله لا مشكلة مع شاهيناز أيضاً..وعريس الليلة لشاهيناز..فما كان من شاهيناز إلا أن أخرجت ما معها من مال وما تلبسه من مجوهرات بسيطة، ووضعته أمام الدكتور مؤيد: هذا كل ما أملك..ربما يساعد في زواجي..

شكرها مؤيد وأعادها إليها: هذا الأمر بينك وبين زوج المستقبل..ولا علاقة لنا بذلك ولا نتدخل بينكما..شعرت شاهيناز بالخجل من تصرفها..لكن مؤيد خفف عنها بقوله: عملك هذا يدل على حرصك وشرفك ودينك..ففرحت لقوله وأعادت مقتنياتها إلى جيبها..

صار **مؤيد** يبتسم بين الحين والآخر والفتيات مستغربات..وبعد لحظات طُرِقَ البابُ..وقفت دعاء وقالت: من يأتينا في هذا الوقت..؟..ولما همَّت بفتحه أشار عليها مؤيد أن تجلس وترسل أباها الذي كان جالساً معهم، قد غلب على عينيه النعاس..فقام من فوره وفتح الباب..فظهر شاب طويل القامة، نحيل الجسم، أسود الشعر، أسمر البشرة، يرتدي بنطالاً عسلياً، وسترة رمادية، معتنياً بشعره أشد الاعتناء..وعلى وجهه بسمة خجولة لا يستطيع إخفاءها..

نظر إليه والد دعاء متأملاً إياه من رأسه حتى أخمص قدميه: ماذا تريد..؟

الشاب بصوت لا يكاد يُسمع: وائل...أنا وائل..!!

الأب: تشرفنا..وماذا تريد يا سيد وائل..؟

وائل مرة أخرى: أنا وائل يا عمي...!!

الأب بزهد: قلت لك تشرفنا..

صاحت دعاء من خلف الباب: بابا دعه يدخل..فما كان من الأب إلا الامتثال:

تفضل يا سيد وائل..وراح يبتسم...

مشى خطواته بارتعاش وجلس في الصالون ينتظر الدكتور مؤيد..وأطرق برأسه إلى الأرض خجلاً وحياءً..محدثاً نفسه: أين أنت يا دكتور..أحسُّ بنفسي أذوب كالشمعة..وما هي إلى لحظات حتى خرج إليه مرحباً..فلما نظر إليه عادت إليه نفسه وانتظم حاله..

نظر إليه **مؤيد** وابتسامة كبيرة على وجهه: أراك خجلاً..

وائل بخجل: لا تحرجني..؟

مؤيد: أتريد أن ترى عروسك..؟..

وائل مبتسماً: إن لم يكن هناك مانع..!!

هزَّ **مؤيد** رأسه...لحظات وستراها..ولكن اضبط أعصابك وانظر إليها جيداً..ولا تنسى أنني أخبرتك عن ظروفها وحالها..

وائل: لا...لا لم أنسَ...وبعد دقائق دخلت شاهيناز وفي يدها فنجان القهوة، فتناوله منها بيدين مرتعشتين، وأطرق برأسه إلى الأرض..لكن شاهيناز بادرت بالنظر إليه..فلما وجد مؤيد حاله قال له: انظر إليها جيداً فلا ضير في ذلك..!!

رفع رأسه قليلاً واسترق النظر إليها بسرعة، كمن يسرق شيئاً، ثم عاد مطرقاً إلى الأرض..فما كان من مؤيد إلا أن أخذ بذقنه ورفع رأسه إلى الأعلى وهو يقهقه: انظر يا أخي فهذا حلال..فما كان منه إلا أن أعاد استراق النظرات..ولكن هذه المرة بشجاعة أكثر، وعلا وجهه أسارير السعادة..ثم وقفت شاهيناز مغادرة..فسأله مؤيد: كيف رأيت..؟

وائل على الفور: هل أنا في حلم..أنا موافق على الفور..!!

ضحك **مؤيد** وطلب من أبي دعاء أن يستوضح رأي شاهيناز..فعاد مبتسماً وهزَّ رأسه..فعلم مؤيد أن الأمور سارت على خير ما يرام...فقال موجهاً كلامه لوائل: توكلنا على الله احزم أمرك وجهز بيتك..وستكون البنت عندك...

شعرت **شاهيناز** بأن الدنيا بدأت تضحك لها..فعريسها شاب خجول..وهذا ما أعجبها فيه..فتقدمت إليها الفتيات مهنئات...

* * * * *

اعتزل مصطفى في غرفته أياماً لا يكلم أحداً، فلم ينتبه له إلا أخته هايدي، التي ما فتئت تجالسه مستفهمة عن حاله...فأعلمها بخبره مع دينا...فما كان منها إلا أن قالت له: تزوجها..

لكن مصطفى رد بحسرة وتنهيدة طويلة: كيف..؟. وأبي يرفض حتى الاستماع إلي وأمي كذلك..

هايدي: أمك تحبك، وأنت وحيدها وقلبها معلق بك..وأنا سأساعدك في هذا الأمر..

مصطفى: ومتى..؟

هايدي: الآن إن أردت..وأخذت بيده ودخلت به إلى غرفة أمها، التي كانت على وشك النوم..

نظرت الأم إلى ولدها بحنان وأجلسته إلى جانبها طابعة قبلة على خده..فاعتنقها بكلتا يديه وراح يبكي بحرقة...فرفعت رأسه بيدها: ما بك يا قرة عيني..؟

نظر إليها بعينين ذابلتين قد ملأهما الدموع، وطأطأ رأسه صامتاً..لكن هايدي تدخلت: إلى متى سيبقى أخي بهذه الحالة ... ؟

الأم مستغربة وعلى وجهها علامات الاستفهام: لست أفهم..ماذا يجري ..؟

هايدي: لماذا لا تزوجين أخي من دينا ... أليست جميلة..أليست أنيقة .. ألا يهمك حياة أخي..هل تريدين أن تفقديه من أجل عادات بالية .. ؟

الأم: أنا لم أرفض.. ولكن عليه أن ينتهي من دراسته أولاً..

هايدي: عن أي دراسة تتكلمين، وعنده ما يكفيه من مال..؟..أنت علوية..ولا ينقطع عنك المال..فلماذا لا تعطينه ما يكفيه..وتفرحين به وبأحفادك..؟..

الأم: هذا يوم مناي أن أرى أحفادي..ولكن أباك يرفض أن يتزوج بيهودية..!!

هايدي: أتقولين..أبي يرفض ومتى كان لأبي كلام عليك..لا والعباس فالأمر كله بيدك..

تدخل مصطفى: أمي أنت تعرفين أنني بارع في التجارة..والدراسة لا تستهويني..فأعطني مبلغاً وسأضاعفه لك بسرعة..

ضحكت الأم حتى اغرورقت عيناها بالدموع: لقد أصبحت كبيراً..ولكن لا مانع عندي أن أعطيك ما أردت..

لما سمع مصطفى كلامها ارتمى عليها مقبلاً يديها ورأسها..!!

ضحكت الأم وأخرجت مفتاح صندوقها، وتناولت منه مبلغاً كبيراً وأعطته إياه: شُقَّ طريقك..

تناوله مصطفى على عجل ووضعه في جيبه...وقبَّل يدها وانصرف فرحاً..

في صباح اليوم الثاني غادر البيت متوجهاً من فوره إلى بيت أفيخاي..الذي ما إن رآه حتى عبس في وجهه..لكن مصطفى لم يعره أي اهتمام، فدخل البيت دون استئذان..وركض مسرعاً إلى دينا، التي كانت تجلس على كرسي في فناء المنزل، مستظلة بشجرة الليمون..قد قطفت منها واحدة تشم رائحتها..فتناولها بيدها واعتنقها..لكن أفيخاي صاح به: ألا تخجل من نفسك...؟

فلم يجبه مصطفى وأخرج المال من جيبه ورفعه عالياً: عمي أفيخاي..هل بعد هذا المال ترفض زواجي من دينا..؟..

لم ينتبه أفيخاي لما قال، فعيناه تعلقتا بالمال، وصار يدور معه أينما دار. فهرول إليه مسرعاً..ليأخذه منه..وكذلك فيفيان فعلت كفعله...فوقفت دينا حاجزاً بينهما: المال لي أنا..وجاء من أجلي..

ضحك مصطفى: هذا المال من أجل التجارة..!!

دينا: لا بأس فأبقيه عندي..فما كان منه إلا الامتثال لها..فوضعته في صندوقها

الصدفي، وأقفلته ووضعت المفتاح في صدرها..

نظر الوالدان إليها..ففهمت ماذا سيقولانه: هذا المال جاء من أجلي أنا..ولن أفــرط به..

تقدم إليها أبوها وقال بصوت ناعم وحنان مصطنع: بنيتي الغالية..سوف أتاجر لكما به..والأرباح ستعود إليكما، وأنا لا أريد إلا سعادتكما..!!

عبست دينا بوجهه: أبق بعيداً عنا ونحن بألف خير..وكفاك ما أخذته منه..

لكن **أفيخاي** لم ييأس فقال مهدداً: إذن لن أسمح لك بالزواج..

ضحكت دينا مستهزئة: سأتزوج به سواء وافقت أم لم توافق..ولكن الأفضل لك أن توافق وتقف معنا..

أفيخاي: سأخبر والده بذلك وهو من سيتصرف..

لمَّا سمعت فيفيان هذا التهديد صاحت بوجهه، وأخذت بتلابيبه: أيها الجاحد أتريد أن تخرب علينا حياتنا بطمعك..والعزيز إن فعلت لنغادر البيت ولن ترانا بعد اليوم..أفهمت..؟

ارتعدت فرائصه لما سمع...وشعر أن الأمور ستخرج من يده، ففكر في تسوية الأمر بعيداً عنهم ودون علمهم..فجلس على كرسي بالقرب منهم ، وصار ينظر إلى الماء الخارج من النافورة سارحاً بما سمع، ومفكِّراً بخطط جديدة...وظلَّ هذا حاله لدقائق، ثم غادر البيت عائداً إلى عمله..بعد أن ساء مزاجه، وانقلب حاله..فجلس على فرش خضاره..وراح يكلم نفسه بصوت خفي، والناس ينظرون إليه والبسمة تعلو وجوههم: والله قد جُنَّ أفيخاي..

* * * * *

في الغسق الأخير من الليل، استيقظت اعتدال فزعة على صوت شخير زوجها، الذي كان متعرِّقَ الوجهِ، عالي الزفير...هزته بخوف ورعشة: شاهر...شاهر...

فتح عينيه والعرق يتصبب من جبينه: ما بك..فؤاد بخير...؟

اعتدال: لا تخف إنه بخير...لقد أخفتني..فهذه أول مرة أراك بهذه الحالة..!!

شاهر: اسكتي يا اعتدال..لقد رأيت كابوساً أفزعني وهزَّ كياني..كأنه حقيقة..

تَفَلت عن شمالها ثلاث مرات: تفَّ عن شمالك ثلاث مرات..واستعذ بالله من الشيطان الرجيم..

فعل كما قالت له..ثم وضع وسادة خلف رأسه وارتفع قليلاً وتناول كأس ماء وأخذ منه رشفة، ثم نظر إلى زوجته: لقد رأيت كابوساً..

اعتدال: خير إن شاء الله...أخبرني به..؟

شاهر: رأيت أفعى كبيرة جداً، ولها قرنان وعلى رأسها شعر أسود...!!

استدارت عينا اعتدال: ها..وبعدين..؟

شاهر: رأيتها تنقضُّ على الناس، وتدخل بيوتهم، وتبتلع الشباب منهم...

أشارت اعتدال إليه بيدها: كفى...كفى أرجوك..!!

شاهر: ما بك..؟

اعتدال: الأفعى في المنام عدو..أدعو الله أن يبعدها عنا وعن أولادنا..

شاهر: خير إن شاء الله..وليس كل منام يُفسر كما رأيناه..فربما فيه بعض الخير..ما يدريك..؟

يسرى: لا أعتقد..المنام ظاهر من عنوانه..مخيف...ومرعب..

* * * * *

عباس وأفيخاي

مع انتهاء وقت العمل، توجه أفيخاي إلى بيت عباس..فطرق الباب، فخرجت إليه هايدي: تفضل عمي أفيخاي...

جلس **أفيخاي** في الصالون وركَّز نظره نحو الباب، الذي فُتح فدخل منه عباس واضعاً على كتفيه عباءته..وجلس بالقرب منه وسأله بهمس: خير هل عادت الفتيات..؟

أفيخاي: لا ولكن أريد منك بعض المال..

تأمل **عباس** وجهه: أأنت مجنون..؟

أفيخاي: لا أنا صاحي تماماً..ولا تدفعني أن أخبر الآيات عن فعلك وسرقة أموالهم..

شعر **عباس** بالخطر المحدق..فتغير وجهه وتجمَّع العرقُ على جبينه فمسحه بيده: أتهددني..؟

أفيخاي بوقاحة: نعم والعزير..!!

فما كان من **عباس** إلا أن أخذ بتلابيبه وهزه بعنف: أيها اليهودي الحقير..أتريد إذلالي..افعل ما بدا لك..ثم وقف يجره إلى الباب..

سمع من في البيت الجلبة...فخرجت زوجته: دعه يا عباس إنه ضيفنا، ووالد زوجة ابني...

طار صواب عباس لَمَّا سمع كلامها، وعرف أن المياه تجري من تحته..فشرع يدفعه بعنف زائد حتى رماه على الأرض..

نظر **أفيخاي** إلى زوجته: علوية..زوجك تزوج عليك واشترى بيتاً لغانياته... وسرق أموال الآيات التي استأمنوه عليها..

صُعقت الزوجة لما سمعت وهرعت إليه على الفور، وقبضت على لحيته: أيها الجربوع الحقير..أتتزوج على علوية..؟..وأنت من العامة..ثم سحبته إليها بقوة، فانتزعت عنه عباءته..فشعر بغضب شديد فدفعها بيده، فسقطت على الأرض وارتطم رأسها بحافة الحوض، فسال دمها غزيراً فهرع جميع من في البيت إليها ونقلوها إلى المستشفى..فأصيبت بارتجاج..ووضعت تحت العناية المشددة..

جاءت الشرطة الجنائية للتحقيق بالموضوع فأخبروهم أنها سقطت على الأرض من تلقاء نفسها...

عاد مصطفى إلى البيت والدمعة في عينيه، فتقدم إلى أبيه، الذي كان جالساً يحتسي فنجاناً من القهوة فقال له: لقد قتلت أمي وهي في حالة خطر..

نظر إليه عباس بلا مبالاة..ثم ارتشف من فنجانه وكأن الأمر لا يعنيه، ثم أدار له ظهره وغادر البيت...

جلس مصطفى وحيداً غارقاً في همومه..وبعد ساعة من الزمن سمع طرقاً خفيفاً على الباب..فسار بخطى ثقيلة..فوجد دينا..فقال لها بصوت ضعيف قد ملأه الحزن والأسى: تفضلي..

دخلت إلى البيت وأجالت بنظرها فيه فوجدته خالياً على عروشه، والصمت القاتل يحفه من كل جانب، إلا من أوراق الشجر التي كانت تهتزُّ بين الفينة والأخرى مع نسمات الهواء العليل، التي كانت تهب عليها..وسألته: خير ما الذي جرى...؟

مصطفى: إنه أبوك..فجَّرَ قنبلة في البيت وأصاب بها أمي..!!

ضربت دينا على صدرها مستفهمة..ولما قصَّ عليها القصة، لمعت في ذهنها فكرة، فقالت له بخبث: حبيبي عليك أن تفكر بالأسوأ، والبركة فيك وبأختك هايدي..

مصطفى بلا اهتمام: ماذا تقصدين..؟

دينا بصوت هامس وكأنها تخشى أن يسمعها أحد: أمك علوية، وعندها مال

كثير..فإن جرى لها شيء لا سمح الله، فسيأخذه أبوك..وتبقى أنت وهايدي فقراء..وسينفقه على ملذاته...

شعر مصطفى بصحة قولها فسألها على الفور: وما العمل إذن..؟

دينا: عليك إخراج مالها من البيت الآن وفوراً..فإن عاد أبوك لأخذه فلن يرى شيئاً..

استيقظ مصطفى من غفوته، وهرع على الفور، وفتح صندوق أمه، وأخرج المال والمجوهرات ووضعه في حقيبة: هذه أمانة عندك، وإياك أن يراها أبوك أو أمك، أو أن تتركي المفتاح بيد أحد غيرك..

أخذتها دينا من يده بسرعة: لا تخف هي بأمان، وعليك أن تفكر بأمك الآن...اذهب إليها..وعندما تعود ولن تجد المال ستتهم أباك به..ويبقى المال معنا ونتزوج...

خرج الحبيبان من البيت..فتوجهت دينا إلى بيتها، وأخفت المال على حين غفلة من أهلها، وعلَّقت مفتاحها في رقبتها لا تفارقه ولا يفارقها..وتوجه مصطفى إلى المستشفى فرأى هايدي جالسة بفنائها، تلطم باكية، قد شقَّت ثيابها، ونشرت شعرها..فتقدم إليها مرتعشاً وجلس بالقرب منها: ما بك...؟..

صاحت مولولة: لقد ماتت أمي...لقد ماتت أمي...فهرع على الفور إلى غرفتها ليراها..لكن الطبيب منعه: هي الآن في الثلاجة..وذهب به إلى غرفته، وكتب له شهادة الوفاة ليتمكن من دفنها..

عاد إلى أخته فضمها إلى صدره، مظهراً الجلادة، ودموعه على خديه غزيرة..وعاد بها إلى البيت..وجلس واضعاً رأسه على رأسها، وأخذا بالنحيب..!!

لم يعد أبوهما إلى البيت إلا بعد منتصف الليل..ففتح الباب ودخل بخطوات هادئة..فوجد البيت في حالة هدوء تام..فشعر براحة كبيرة، وقبل أن يدخل إلى غرفته، سمع أنيناً صادراً من غرفة هايدي فدخلها..فوجدهما جالسين في الظلمة، قد

تورمت عيناهما..سألهما بلا مبالاة: ما بكما..وأين والدتكما...؟

صاحت به هايدي: لقد قتلتها..لقد ماتت..!!

لما سمع قولها ارتعشت يداه، واصفر لونه، واقترب منها غير مصدق ما سمع: ويلك..هل أخبرت الشرطة بما جرى..؟

انفجرت بوجهه: هذا الذي يهمك فقط..أما قتلك لأمي فلا قيمة له عندك..!!

اقترب منها: حبيبتي..قرة عيني..كان حادثاً..لم أقصد إيذاءها...

رفع مصطفى رأسه: اطمئن فلن يصيبك شيء، وسجلت الوفاة على أنها سقوط وليس هناك جريمة...

تنفس **عباس** الصعداء: علينا أن ندفنها غداً في مقبرة السيدة زينب..

* * * * *

عش الزوجية

دخلت شاهيناز مع زوجها وائل إلى بيتها ، فاستقبلتها أمه وأخواته بحفاوة بالغة..ولما جلست أمعنت نظرها في أرجاء المنزل، وشقوقه الكثيرة، التي كانت ممتدة على جدرانه وسقفه الخشبي، بعمدانه القديمة التي تقوست عبر عشرات السنين، وفي وسط غرفتها زُرع عمود ممتدٌّ إلى الأعلى سانداً السقف من أن يخرَّ على الأرض..وفي زاويتها اليمنى مدفأة قديمة وتوسط الغرفة سرير خشبي، وإلى جانبه خزانة ببابين قد مال أحدهما على الآخر، معبِّراً عن امتعاضه وانتهاء صلاحيته..وتوسط أرض الغرفة بساط صُنع من وصلات القماش الزائدة عن البيت، بألوانه المتعددة وغير المتناسقة...وعلى أحد الجدران مرآة دائرية صغيرة، أُلصقت على الحائط، وبجانبها كرسي جديد من القش..

تابعت الأم وأخواته نظراتهن إليها..فأحسسن بالخجل من فقرهن..لكن سرعة بديهية شاهيناز أخرجتهن من إحراجهن: أشعر أنني في جنة..فهذا بيتي وأنتم عائلتي..ثم اقتربت من والدته وقبَّلت يدها بحنان: أنت أمي الآن..وهؤلاء مشيرة إلى أخواته..أخواتي..

فما كان من الأم إلا اعتنقتها وقبلتها: لن تشعري بالغربة معنا..

لما خلت الغرفة أخرجت ما كان معها من مال ومجوهرات قليلة، وقدمتها لزوجها: استعن بهذا المال على تحسين حال البيت وشراء ما يلزم..

شعر وائل بالحرج: معنى ذلك أن البيت لم يعجبك..

أجابته **شاهيناز** على الفور: بالعكس أعجبني كثيراً، وهذا المال لنجدد فيه بعض الأشياء ليس إلا..!!

رفض وائل أخذ المال..لكن **شاهيناز** أصرَّت عليه: هو دين عليك..ومتى تحسَّن

حالك تعيدهم إلي..فأخذهم على مضض..

* * * * *

لم يكتفِ **أفيخاي** بما فعل، بل عاد إلى بيت عباس بعد انتهاء فترة الحداد..فطرده عباس من البيت وقبل أن يخرج قال له: سأذهب إلى آية الله أحمد، وأخبره خبرك، وإخفاءك للفتيات..فارتاع عباس وتقدم إليه باشا في وجهه: على رسلك يا أفيخاي الدنيا أخذ وعطاء...ثم أجلسه على الأريكة .. ومصطفى وهايدي ينظران إليه..وشعرا أن في الأمر ريبة، فترك مصطفى البيت على الفور وتوجه إلى بيت أفيخاي، وجلس مع دينا وراحا يتهامسان وفيفيان تنظر إليهما وتبتسم ..

مصطفى: علينا أن نخرج من هذا البلد فوراً..فإني أشعر بمصيبة كبيرة ستنزل علينا..وإذا عرف أبي باختفاء المال ستكون نهايتي..

شعرت دينا بالخوف: وماذا بيده أن يفعل..والدولة فيها قانون..؟

مصطفى بتهكم: أبي لا يعترف بالقانون..وشيعتنا لم تأتِ إلى هنا باسم القانون..وإنما أتت لمهمة تسعى لإنجازها...!!

دينا: ما هي تلك المهمة..؟

مصطفى: اسألي أباك ليخبرك..

دينا والدهشة ظاهرة على وجهها: ألهذا الحد الأمر خطير..؟

مصطفى: ليس خطيراً بمعناه المعروف..وإنَّما بالمال الذي سيخرج من أيدينا..

دينا: علينا أن نغادر هذا البلد إذن..!!

مصطفى: وأنا أفكر في هذا الأمر..

دينا: سنغادر إلى إسرائيل ما رأيك...؟

صاح مصطفى: إسرائيل مرة واحدة...!!

دينا: نعم وبكل بساطة..

فكَّر مصطفى ملياً ثم رفع رأسه: عليَّ أولاً أن أسافر إلى إيران، قبل أن تنكشف

الأمور عند الآيات وبعدها نغادر من هناك..

دينا: وماذا عندك في إيران..؟..فلنغادر إلى قبرص..ومن هناك إلى إسرائيل مباشرة..

همس مصطفى بأذنها: هناك مال لوالدتي، سآخذه ونغادر بعدها..

لما سمعت بالمال برقت عيناها وعلت وجهها ابتسامة عريضة: إن كان الأمر كذلك فلا مانع عندي..

مصطفى: جهِّزي نفسك للسفر..

دينا: ومتى قررت...؟

مصطفى: على الأغلب غداً..

دينا: أنا جاهزة..ولكن أخشى على أبي..

مصطفى لا تخشي عليه..فهو كالشيطان..

ضحكت دينا لقوله..ثم تركها وانصرف..

* * * * *

لم يمض أسابيع قليلة على زواج شاهيناز، حتى تزوجت شيرين بحسان، وهو شاب مكافح يعمل في أحد محلات بيع المواد الكهربائية في حي المزرعة...كان حسان مربوع القامة، أبيض البشرة، مشرب بحمرة..دائم التبسم معسول الكلام..كان أفضل حالاً من صديقه وائل.. فعنده شقة جديدة في حي الميدان ورثها عن أمه..

لم تكن **هزار** أقلَّ حظاً من صديقتها **شيرين**، فتزوجت من عماد..وهو شاب مربوع القامة أيضاً، ظهر على رأسه الصلع المبكر..أسمر اللون حسن الهندام..حسن العِشْرة..يعيش في بيت عائلته الكبير..أفرز له أبوه غرفة في الطابق العلوي، وأثثها له بأثاث فاخر..ولم يتوان عن إلباس عروسه بالمجوهرات النفيسة..

كانت الفتيات يتعاملن مع حياتهن الجديدة بكثير من الخنوع والمودة مع من كان حولهن..حتى أحبهن الجميع..

كان همهن وشغلهن الشاغل حضور درس شيختهم دعاء، التي لم تنقطع عن دروسها منذ أكثر من ثلاث سنوات..كان للدكتور شاهر والدكتور مؤيد..أثرهما الكبير على فكرها وثقافتها..فنذرت نفسها لمسجدها وطلابها، والفتيات المحيطات بها..وخصصت لكل واحدة منهن زيارة كل ثلاثة أيام..حتى أنهن كنَّ يتحايلن عليها للبقاء..إلا أنها كانت خفيفة الظلِّ بطبعها وتقول: لا تكثر زيارتك على أمك وأبيك فيكرهونك...

* * * * *

بعد أن استقرَّ زواج الفتيات، قام مؤيد وشاهر بدعوتهم على الغداء، إكراماً ومحبة واحتفاءً، واستقبلن بحفاوة ومحبة..وأخذت زوجتا مؤيد وشاهر على عاتقهما تعليمهن فنون الطبخ الشامي، وقالت لهن اعتدال: البيت بيتكم، وليس لكم أي عذر..وأشارت إلى ابنها فؤاد..وهذا فؤاد لا خوف منه..فهو كما ترون كالطفل الصغير..

شيرين: الله يحفظكم..أنتم أهلنا..

اعتدال: هي مناسبة أيضاً كي نتعلم منكم بعض الحلويات الفارسية..فقد سمعت أنها لذيذة جداً..

هزار: أنا مختصة بها..ويسرني ذلك..

اعتدال: يا حبذا..وتواعدن على التواصل...

* * * * *

قبل الظهر طرق مصطفى باب دينا بعد أن أخبرت والديها عن خططها..التي لاقت مباركة كبيرة منهما..وخاصة بعد سماعهما بأمواله التي سيأخذها من إيران..

أخبر مصطفى دينا بموعد سفرهما...فما كان من أفيخاي إلا أن قال: على بركة الله..وأنا أنتظر رحيلكما وسألحق بكما إلى قبرص..

استغرب مصطفى لهذا التطور المفاجئ، فعاجله أفيخاي بالقول: سنغادر إلى

بلادنا..وكفانا ذل وفقر..!!

لم يكن لمصطفى خيار الموافقة أو الرفض..وإنما كان همه منصباً على حبيبته دينا، وسفره خارج البلاد..

وقبل الموعد بساعتين جلس مع أخته هايدي وأخبرها الخبر..فانزعجت لما سمعت، وراحت تبكي بصوت خافت: أتتركني وحدي..ولم يعد لي في هذه الدنيا غيرك..؟

انتحب مصطفى قليلاً: الحقي بي إلى هناك وسنغادر معاً..

هايدي مستغربة: وهل سيسمحون لك بالإقامة في إسرائيل..؟

مصطفى: لم أفكر بالأمر، وإنما تركته لدينا، فهي ستتصرف معهم، وإلاَّ سنبقى في قبرص ونعيش هناك...

هايدي: سافر يا أخي وسألحق بك مع أبي..

قبّل أخته وضمها إلى صدره بحرارة كبيرة..وتركها وانصرف..

* * * * *

بعد أن اطمأن أفيخاي على سفر ابنته..عاد إلى عباس ليستنزف منه المال من جديد..لكن عباس هذه المرة قال له: سأعطيك بعض المال شريطة أن تغلق فمك إلى الأبد..

انتابت **أفيخاي** الفرحة: نعم سأغلق فمي نهائياً..

أخرج **عباس** من جيبه خمسة آلاف دولار: هذا كل ما معي..خذهم واغرب عن وجهي..

صاح أفيخاي: ماذا...ماذا...خمسة آلاف..لا أقل من عشرين ألفاً، وإلا سأذهب الآن من فوري وأفضح أمرك..فعندك فضيحتان..الأولى إخفاء الفتيات..والثانية: سرقة الأموال..وأنت تعرف النهاية مشيراً إلى رقبته..

تعرَّق وجه **عباس** وعلم أن منافسه ليس سهلاً، ففكر في الأمر، ورأى أن يعطيه

عشرة آلاف..وبعد جدال طويل رضخ عباس إلى إعطائه خمسة عشر ألفاً..فأخذها أفيخاي..وخرج مسروراً..

* * * * *

جلس **عباس** ينتظر ابنه مصطفى، الذي تأخر عن البيت..بعد أن تجاوزت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل..ولما طال انتظاره..جاءته هايدي: أبي..!!

نظر إليها **عباس** مستفسراً عن حالها: ما بك..ألا تذهبين إلى النوم لقد أصبح الوقت متأخراً..؟

هايدي: أبي...مصطفى سافر مع دينا إلى إيران..وما إن سمع بذلك حتى هرع على الفور إلى صندوق زوجته الصدفي، فكسر قفله فرآه خاوياً على عروشه..فأصابته نوبة غضب حادة..وأراد اللحاق به؛ لكن ابنته منعته قائلة: أبي اهدأ ولنسافر نحن أيضاً..فأفيخاي لن يكتفي بما أخذ، وسيخبر الآيات عاجلا أم آجلاً..وتكون بعدها نهايتنا..

حدَّق بها دون أن يتكلم..فقالت: خذ ما بقي من مال الآيات، ولنغادر إلى بيروت ومن هناك إلى قبرص فنلتقي بأخي ونعيش بعيداً..

أجابها **عباس** ويداه ترتعشان والغضب ظاهر على وجهه: أنسرق أموالهم..؟

فأجابته على الفور: وماذا تسمي إعطاءك المال لأفيخاي..وماذا تسمي شراءك للبيت دون علمهم..؟..فلنسرع ونصفِّي أمورنا ونهرب..ولا تنسَى أننا من عامة الناس، ولا يغرنك تقربك من آية الله مهدي..فهو يسعى وراء مصلحته..

ظهر على وجه **عباس** بعض الارتياح، ولعبت الفكرة في رأسه: علينا أن نصفِّي أمورنا على حين غفلة من الناس، ونغادر إلى بيروت..رأي سديد يا بنيتي..

هايدي: أنا أنتظر اتصالاً من أخي، يخبرني بسفره، حتى لا يتم اعتقاله هناك..

عباس: أحسنت يا بنيّة..

* * * * *

لما حطَّت الطائرة على أرض مطار طهران، كانت راحيل بانتظار دينا، التي تربطهما أواصر القربى من جهة الأم..فتوجه مصطفى إلى بيته..وراح يجمع ما يقدر عليه من مال...

صادف أن آية الله **مهدي** ميرزا كان يوم وصولها في زيارة سرية لعميرو..فلما وقعت عيناه على دينا، أخذ يتأملها من رأسها حتى أخمص قدميها..وراح يلحن لها بالكلام..فابتعدت عنه إلى الداخل ولم تعد تخرج..

تمكن مصطفى من تصفية أموره المادية..ثم سافر مع حبيبته إلى قبرص..وما إن وصل حتى اتصل بأخته ليخبرها بوصوله سالماً..فشعرت بالسعادة تغمرها...فلما عاد والدها مع حلول المساء..أسرعت إليه وأخبرته الخبر..فقال لها: علينا أن نصفي أمورنا، ونغادر فوراً قبل أن ينكشف أمرنا...

بعد مضي ثلاثة أسابيع، تمكن عباس من التجهز للسفر دون علم أحد، وانطلق من محطة الحافلات بعد منتصف الليل مغادراً إلى بيروت...ولما وصل قام على الفور باستئجار شقة بعيدة عن أعين الناس...

* * * * *

استغرب **آية الله أحمد** من غياب عباس عنه ليومين متتالين..فأرسل قنبر إلى بيته...الذي عاد سريعاً وهو يلهث: مولاي..لقد سافر...!!

ظهرت على وجه **أحمد** الدهشة: وأين سافر...؟

قنبر: ربما إلى إيران يا مولاي..

أحمد: لو كان إلى إيران لأخبرنا..لا...لا..ربما انتقل إلى بيت آخر..اذهب لعمك أفيخاي واسأله...

وما إن سمع أفيخاي باختفاء عباس، حتى أسرع إلى آية الله أحمد: سيدي..عباس غادر البلاد بأموالكم..

حدَّق فيه بعينين حادتين: ويلك وما أدراك..؟

أفيخاي: لقد طلب مني شراء بيت له..والذي لا تعرفه أيضاً أنه احتفظ بثلاث فتيات في هذا البيت..!!

صاح غاضباً: الفتيات الهاربات كنَّ عنده طوال تلك المدة...؟

أفيخاي: نعم يا سيدي..لقد تزوج بإحداهن، وأمهرها مبلغاً كبيراً بآلاف الدولارات..إنها أموالكم وأموال الدولة..

أحمد بغضب: ولماذا لم تخبرنا وقتذاك..؟

أفيخاي: لأنني ببساطة لم أكن أعرف ذلك..ولكن الآن بعد أن جاءني قنبر وأخبرني بسفره ربطت الأحداث...وعرفت القصة..

تناول **أحمد** الهاتف: ألو حضرة النقيب..خذ هذا الاسم وأخبرني إلى أين غادر...ثم أغلق الهاتف وبدأ ينفخ من شدة الغضب، وينظر إلى الأرض بعينين محدقتين..وقنبر واقف أمامه، ينتظر أوامره..وسعيد الطبطبائي يخفف عنه: على رسلك..فربما مازال موجوداً في البلد..ولا تصدق هذا الأفاق..مشيراً إلى أفيخاي..الذي كان يخفي بسمته عن الجميع..

رفع **أحمد** رأسه: لست أدري من الأفاق..لقد خدعنا الحقير وسرق أموالنا..والعباس لئن تمكنت منه لأجعلنَّه عبرة لغيره..

بعد مرور أكثر من ساعتين رنَّ جرس الهاتف، فرد عليه على الفور..فظهر على وجهه التلون والغضب الشديد..حاول التظاهر بالهدوء: حضرة النقيب..هل يمكن استرداده..؟

النقيب: في حالة واحدة فقط..

أحمد: ما هي..؟

النقيب : ألا يكون قد غادر لبنان .. فعندها يمكننا اعتقاله على أي منفذ حدودي..

أحمد: وهل يتأخر الأمر حضرة النقيب..؟

النقيب: هذا يتوقف على موعد سفره..وعيون استخباراتنا...

أحمد: ابذلوا جهدكم..وسيكون لك الحلاوة..

النقيب: اهدأ..وسيكون لك ما أردت..

* * * * *

عاد **أفيخاي** إلى بيته قلقاً بعد سماعه للمكالمة بين أحمد والنقيب..نظرت إليه زوجته فرأت تغيراً في وجهه فاقتربت منه: أهناك شيء..؟

أفيخاي: الأمر أكبر من ذلك..

بدا على الزوجة القلق: كيف..؟

أفيخاي: عباس سافر إلى لبنان..والأمن سيقبض عليه عاجلاً أو آجلاً..وعندها سيعلم الآيات أننا وراءه ..وعلاقاتهم وثيقة جداً بالأمن..

بدأ وجه فيفيان يتغير، وعلامات الخوف دبّت في أوصالها: وما العمل إذن..؟

أفيخاي: علينا أن نغادر البلد فوراً قبل القبض عليه..

فيفيان: إلى أين..وهذا بلدنا..وهنا بيتنا..ولمن ستترك أملاكنا..؟

أفيخاي: سنصفي كل شيء...كل شيء..

فيفيان: هل ستتمكن من ذلك في الوقت المناسب..؟

أفيخاي: الله يستر...غداً سأذهب وأعرض بيتنا للبيع..وعليك أن تأخذي جانب الحيطة والحذر فلا تخبري أحداً بسفرنا..ودعي الناس يكتشفون ذلك بعد رحيلنا..

* * * * *

نزلت دينا ومصطفى في أحد فنادق نيقوسيا..وبعد أن أخذوا قسطاً من الراحة، توجها إلى البحر للاستجمام..

كان مصطفى في حالة قلق شديد على أخته ووالده..فحاول الاتصال بهما لكنه لم يحصد إلا الخيبة..وبعد أسبوعين من وصولهما، اتصلت والدة دينا وأخبرتها أنهم سيأتون إلى قبرص خلال أيام قليلة، وطلبت منها استئجار شقة لهم..

شعرت دينا بنفسها تطير من الفرح..فضمَّت مصطفى إلى صدرها..لكن فرحتها لم تنتقل إليه..بعد حالة القلق التي سيطرت على عقله وتفكيره ,وراح ينتظر جرس الهاتف ليطمئنه على عائلته...

فأخذت دينا بيده وانطلقت به إلى الخارج...

* * * * *

افتتاح المدرسة

قام الدكتوران مؤيد وشاهر ومعهما دعاء في وضع اللمسات الأخيرة على المدرسة..وحالة من السرور والفرح ظاهرة على وجوههم جميعاً بما أنجزوه...ثم بدؤوا يضعون المناهج لها..

ضمَّت المدرسة طابقاً واحداً وفي وسطه ساحة كبيرة..توزعت قاعاتها حولها.. وفي نهاية الرواق..بُني مطبخ صغير لتقديم وجبات سريعة للطلاب أثناء دراستهم.. وأوكلوا مهمته إلى إحدى العجائز..التي جمعت إلى جانبه حانوتاً فيه بعض الحلويات الخفيفة..

مع مرور الأيام التحق بالمدرسة العشرات من الطلاب..فأخذ الدكتور شاهر والدكتور مؤيد على عاتقهما التدريس فيها، وانتقوا بعض المدرسين لمساعدتهما.. وسارت الأمور على خير ما يرام..وبدأت علامات الرضا تظهر على وجوه أبناء الأحياء المجاورة..فتقدم إليهم ميسورو الحال وقدموا تبرعاتهم عن طيب خاطر منهم.

* * * * *

تمكَّنَ أفيخاي من تصفية أموره المادية..واستقل ليلاً مع عائلته طائرة متوجهة إلى نيقوسيا على حين غفلة من الناس.. كان في استقبالهم عند وصولهم دينا ومصطفى.. فتوجهوا من فورهم إلى الشقة ثم أخلدوا إلى النوم بعد ليلة طويلة تسامروا فيها حتى الفجر...

في الساعة العاشرة من صباح اليوم الثاني، استيقظ أفيخاي..وأيقظ ابنته دينا بهدوء، وخرج بها إلى البحر..وسألها: هل أتى بكل ماله من إيران..؟

دينا باستياء: ألهذا أيقظتني..؟..نعم ..أغلبه..

أفيخاي: هل المبلغ كبير..؟

دينا بثقة: كبير جداً..

أفيخاي بجشع: كم هو..أخبريني...أخبريني..؟

شعرت دينا أن الأمور لن تمرَّ على خير إن أخبرته، فهي تعلم نفسية أبيها وطمعه: لن أخبرك..وأمواله في البنك الآن وهي باسمه..!!

ضرب **أفيخاي** على جبينه بشدة: أيتها المجنونة..لماذا لم تبقِ المال معك..كنا أخذناه وسافرنا وتركناه وحده هنا..

حدَّقت به وقالت بعصبية: لن أتركه، وسأتزوج به برضاكم أو بغير رضاكم..فأنا أحبه يا أبي..

أفيخاي: لعنك الله يا غبية..لا تحبيه بل أحبي ماله..!!

حاولت دينا السيطرة على عصبيتها، لكن طمع أبيها أخرجها عن هدوئها: أبي اسمع.. عليك أن تعلم أن هذا المال لي ولمصطفى..ولن أعطيك منه قرشاً واحداً..وكفاك ما أخذت..وإلا والعزير سنذهب معاً ونتركك، ولن ترى وجهي بعد ذلك..

أفيخاي: لا...لا..يجب أن نكون معاً..وسأذهب اليوم إلى سفارتنا للتحضير إلى سفرنا.. وعلى الأغلب لن يرضوا بدخول مصطفى معنا إلى إسرائيل..

ظهر على دينا القلق فأظهرت رباط الجأش: وليكن...فسأبقى معه هنا..وسافروا وحدكم..فإما أن يقبلوا بنا جميعاً وإلا فلا..!!

انزعج **أفيخاي** لعنادها، وعلم أنها لن تتراجع عن قرارها أبداً، فاستسلم مرغماً عنه.. وعادا إلى الشقة واستعد للقاء السفير..

استقبلهم السفير وهنأهم على سلامتهم..ثم سألهم عن مصطفى فأخبرته دينا..ف ترك القلم من يده: عندنا مشكلة..فلا أظن أن تقبل دولتنا بغير مواطنيها..

دينا مستجدية: سعادة السفير...سيكون زوجي، وإن كان هناك أي إجراء يلزم لدخوله الوطن فلن يتردد..

طأطأ السفير برأسه، وراح يفكر ثم رفع رأسه: هذا الأمر ليس بيدي...عليَّ أن أستشير الخارجية أولاً..ثم سكت للحظات: لكن عندي فكرة ربما تفيد في تسهيل سفره..

دينا على الفور: ما هي سعادة السفير..؟

السفير: عليكما أن تتزوجا أولاً..وهناك أمر آخر..ثم رمق مصطفى بنظراته...فما كان من دينا إلا أن قالت: الزواج أمر سهل..وأعتقد يمكننا إجراءه في رواق السفارة..

السفير: صحيح..ولكن هناك أمر قد يساعدكما بشكل كبير على تخطي الإجراءات..

ظهر على دينا الملل: أخبرنا سعادة السفير..؟

فما كان من **أفيخاي** إلا أن تدخل على الفور: لا يمكن أن نأتي بمصطفى معنا..افهميها..!!

تغيَّر وجه مصطفى، وظهر عليه أثر الإحراج، وراح يحملق في أفيخاي، والحقد يملأ قلبه...لكن السفير سارع ليخفف تلبد الأجواء، فقال موجهاً كلامه إلى مصطفى: عليك أن تتهود..

لما سمعت دينا كلامه سارعت بالرد: لا مانع عنده..

قاطعها السفير: دعي مصطفى هو من يقرر..

نظر إليه مصطفى: إن كان ذلك يساعد في زواجي من حبيبتي دينا..ثم تناول يدها..فلن أمانع حتى لو رميت بنفسي في النار..

أومأ السفير برأسه، وطلب من سكرتيره أن يأخذ الجميع إلى الحاخام ليعقد لهما..وخلال أقل من ساعة..تهوَّد مصطفى وعقد على دينا..وغادروا السفارة، وأفيخاي ينظر إليهما، والحقد والكراهية ظاهران على وجهه لا يكاد يخفيهما..وتقرب على الفور من مصطفى: لن تلمس يدها إلا في تل أبيب..أفهمت...!!

حملق مصطفى في وجهه: فليكن...سأنتظر حتى لو صعدنا إلى القمر أو

المريخ.. ثم أمسك على يدها وانطلقا راكضين إلى الشاطئ ولم يعودا إلا مع غروب الشمس..

* * * * *

جلس المدرسون في القاعة في جلسة عامة حضرها جميع الطلبة..كان الدكتور شاهر أول المتحدثين: أبنائي الطلبة إن من فضل الله علينا، أن سخَّرَ لنا من يقوم على رعاية العلم والعلماء...فالله تعالى جعل في هذه الأمة الخير إلى يوم القيامة..وخصَّ هذا البلد بالمعجزات، فكان بدايته مهداً للأنبياء ومنتجاً للعلماء..وفي آخره فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى، ونزول المسيح عليه السلام..وقتل الدجال واليهود في باب لدٍّ، وإقامة دولة الإسلام على ربوع الأرض جميعاً..ومن منبع هذه الأرض الطيبة، خرجتم لتنهلون العلم وتعيدون حضارتنا العظيمة..وأحفادكم سيرفعون راية الإسلام على سرايا القدس، وفوق مئذنته لترفرف مع التكبير والتهليل..ونحن إذ نبني هذا الصرح العلمي، نؤكد على هذه الخاصية العظيمة...وفي هذا الزمن من القرن العشرين، خرجت إلينا جحافل كسرى من جديد، بعد أن استنهضتها الباطنية وأيقظتها لتنخر في جسد الأمة العربية والإسلامية بمعول هدمها..غايتها اجتثاثه من جذوره، واستبداله بمفاهيمها القديمة، وأحكامها الإباحية، مستخدمة آل البيت شعاراً لها..والدكتور مؤيد سيتحدث إليكم عن بعضٍ منها، ليتسنى لنا وضع أيدينا على الجرح النازف في هذا الزمن..

اعتدل الدكتور مؤيد في جلسته: أبنائي..ربَّما وصل إلى سمع البعض منكم، أنَّ أبناء فارس قد بدؤوا يغزون بلاد العرب..حاملين معهم إمكاناتهم المادية، والمعنوية، والإباحية، لنشر مذهبهم الباطني في بلادنا حاضرة السنُّة والجماعة..هذه الفئة، كانت منذ الأزل، ومازالت تضمر للإسلام وأهله الحقد الدفين..أتدرون لماذا..؟..لأن الفاتحين الأوائل قد أخرجوهم من ظلمتهم، وعبادتهم للنيران والإيوان الكسروي..وعندما لم يستطيعوا ردهم، عمدوا إلى دخول الإسلام ظاهراً ليحدثوا فيه تدميراً..

فكان ابن سبأ أول من أنشأ مذهبهم..بعد أن دخل الإسلام ظاهراً، ليفعل فيه ما يشاء دون أن يتهمه أحد..فقال بألوهية سيدنا علي بن أبي طالب..ثم بأحقيته بالخلافة دون أبي بكر، ومن بعده عمر وعثمان..ثم قال بعصمة الأئمة من بعده..فأوجد اثنى عشر إماماً.. وتفرَّعت عنهم فرق أخرى، كانت منها النصيرية والإسماعيلية والدرزية وغيرها.. وأعطى لكل منها مبادئ وصل جميعها في حبل واحد.. فمن لم يرقه الإمامية.. اعتنق النصيرية ومن لم يجد ضالته في النصيرية، يجدها عند الإسماعيلية أو الدرزية... وهكذا دواليك..ثم أشعل نار الفتنة بين المسلمين.. فقُتل الخليفة عثمان ومن قبله عمر بن الخطاب..واتخذوا من يوم مقتله عيداً يحتفلون به كل عام..وبنوا لقاتله أبي لؤلؤة المجوسي مقاماً يحجُّون إليه ويدعون له ويشكرونه على جريمته بحق عملاق ديننا...

إخواني بعد هذه المقدمة البسيطة عن تلك الفئة الضالة..يمكننا أن ندخل في تفاصيل مذهبهم، لنبين للناس في كل أنحاء العالم من هم الباطنيون، وماذا يريدون من بلاد المسلمين وأبنائهم...وسوف نستعرض في اللقاءات القادمة جانباً مهماً من عقيدتهم، وارتباطها الكامل باليهودية العالمية منذ الأزل وحتى يومنا هذا..كما سنبين لكم الترابط الوثيق بينهم وبين الديانة اليهودية، من حيث العديد من الأركان، التي أقاموا عليها مذهبهم...واليوم نكتفي بهذا القدر..ونطلب من طلابنا السعي الحثيث في دراسة مبادئ تلك الفئة..لأنكم بالتأكيد ستكونون علماء المستقبل، وسيقع على عاتقكم مهمة الدفاع عن أرضكم وعرضكم ودينكم والسلام عليكم..

أطرقت القاعة بالصمت، وأصيب الجميع بالذهول لما سمعوا..وبدأ الطلاب يخرجون من أماكنهم متوجهين نحو أساتذتهم، مستفسرين عن العديد من الأمور..ولم تنتهِ الجلسة حسب الموعد المخصص لها..وإنَّما امتدت لأكثر من ساعتين..!!

وقفت يسرى وراء الباب منتظرة زوجها حتى يعود...فلما فتح الباب رآها في

وجهه: ما بك..؟

يسرى: كنت مشغولة البال..وأحسُّ قلبي كالنار المشتعلة..!!

مؤيد مندهشاً: هل من جديد..؟

يسرى: أليس اليوم كان موعد فتح المدرسة..؟

مؤيد: بلى..وما المشكلة في ذلك..؟

يسرى: لا أدري..فمنذ خروجك وأنا أشعر بالخوف..!!

مؤيد: لا عليك..لا شيء يستحق خوفك..

يسرى: هؤلاء مجرمون..وقد قلت لي: إن بعض الشباب فقدوا..والشبهة تدور حول رجال الدين..

ضحك **مؤيد**: البلد فيها قانون..ونحن نعمل في ضوء النهار..وليس هناك شيء غامض فيما نفعل..

يسرى: هذا ما يخيفني..أتوسل إليك دعك من هذا الطريق، والتفت إلى أولادك الصغار..فليس لهم غيرك في هذه الدنيا..

مؤيد: يا للعجب...وأين إيمانك..وأين يسرى التي أعرفها..أين إقدامك وقوة عزيمتك..؟

يسرى: فقدت كل شيء...أنتم أغلى عندي من كل شيء..فدعك من هذا الطريق أرجوك..

مؤيد: فات الأوان يا عزيزتي...أنا أعمل الآن؛ لأضمن لأولادي حياة آمنة ومستقبلا مريحا..

يسرى: إن صممت على رأيك..سأموت قبل أواني..

ضحك وقال مازحاً: إذاً ستخلين الطريق لغيرك..

حدّقت به وأخذت بتلابيبه: ماذا قلت..أعد علي..لم أسمع جيداً..؟

مؤيد ضاحكاً: قد سمعت ما قلت..

يسرى: والله إن تزوجت عليَّ لأقتلنك...!!

أجابها ضاحكاً: إذاً..افعلي الآن..

فما كان من يسرى إلا أن ارتمت على صدره، وفاضت عيناها بالدموع: أقتل نفسي قبل أن أفكر في ذلك...أنت حياتي وعيني وكل شيء لي في هذه الدنيا..عيناي لم ترَ رجلاً قبلك..ولن ترى بعدك..ثم ضربته على صدره بكفها، وابتعدت عنه بعينين دامعتين..!!

* * * * *

المصارحة

وصل إلى **آية الله أحمد** خبر افتتاح المدرسة وما قيل فيها..فاجتمع مع آية الله سعيد الطبطبائي يتدارسان المستجدات..

أحمد: يبدو أن أخبارنا قد وصلت إليهم بسرعة...لكن الذي يحيرني كيف علموا بنا، ونحن مازلنا في أول الطريق..وأتباعنا لم يتجاوزوا العشرات..

فكّر **سعيد** للحظات وعقد بين حاجبيه: أعتقد أنَّ هناك ارتباطاً بين كل ما جرى..

أحمد: أفصح أكثر..

سعيد: هروب الفتيات..لم يكن حادثاً عابراً...وعلى الأغلب السبب يتحمله عباس الذي كانت له اليد في هروبهن..والأمر الآخر: سرقته للأموال الذي شاع في أوساطنا..

أحمد: سرقته للأموال لم تخرج عنا...أما هروب الفتيات..فربما..

سعيد: بل أنا أجزم أنهن السبب وراء تلك الحملة المسعورة..فهنَّ يعلمن عن أهدافنا..واعذرني أن أقول لك: إنك أخطأت في تعاملك معهن..وتتحمل جزءًا كبيراً من المشكلة..

حدَّق فيه بعينين غاضبتين: ماذا تقول..وما علاقتي بهذا الأمر..؟

سعيد بهدوء: ألست السبب في هروبهن..أردت أن يعملن في الدعوة بلا مال ولا أجر..أيعقل هذا...؟

أحمد: هذه الثورة لهنَّ كما هي لنا، وعليهن التضحية بشيء لنجاحها..

تبسم **سعيد** بسخرية: وأنت ألا تتقاضى أجراً نظير وجودك هنا..؟..

أحمد: بلى...وهذا حقي، فأنا أقتل نفسي في سبيل الدعوة، ونشر مذهبنا،

وتحقيق رغبة إمامنا..

سعيد: أنا لا أختلف معك..ولكنك تأخذ نظير ذلك راتباً شهرياً..!!

أحمد: أنا سيد، ويحق لي الخمس من المال أيضاً..

نظر **سعيد** إليه والسخرية بادية على وجهه: لولا تفانيك في خدمة الأئمة.. لأخرجوك من هذا الخمس..ولشككوا في نسبك..فأنت تعلم أنَّ أغلب نسائنا كان لهن الباع الطويل في التمتع..وهذه مصيبة نزلت علينا..

صاح به: ماذا...تقول مصيبة..؟..

سعيد: لم أقصد الإساءة أو التنكر..وإنَّما البيان..فأنت تعلم حالنا وحال نسائنا، واختلاط الأنساب بين هذا وذاك..وكذلك أنا وأنت...ثم سكت..!!

أحمد مبدياً انزعاجه: ما بنا أنا وأنت..؟

سعيد: هل تعتقد أنَّ أمهاتنا لم يتمتعن في حياتهن..؟

أحمد: بالطبع لأنهن من نسل طاهر..والمتعة خصصت للعامة، وحُرِّمت على نسائنا..

ضحك **سعيد** مستهزئاً: أتدري..أن جميع نساء السادة عندهن من الشبق ما عند غيرهن أو ربما يزدن..؟..وهنَّ يتمتعن أكثر من العامة بكثير..وقد رأيت بأمِ عيني العديد منهن، يلتقطن الشبان من على باب المقامات ليقضين معهم ساعة حمراء..وأنا لا أخفيك قد تمتعت بالعديد منهن..ولا أريد أن أذكرهن لك..

ظهرت على وجه **أحمد** الدهشة، وانتابه الأسى: ربما يكون ذلك..ولكنهنَّ فئة قليلة لا تذكر..!!.

هزَّ **سعيد** رأسه نافياً..!!

لكن **أحمد** قال له: بل نعم..

سعيد: مع الأسف أنت تسد ضوء الشمس بالغربال...لا أريد أن أفتح الموضوع وأذكر الأسماء..

أصيب **أحمد** بالإحباط: أخبرني إن كنت صادقاً..؟

سعيد: أُفضِّلُ الاحتفاظ بالسر لنفسي..

أحمد بإصرار: لا أخبرني..

سعيد متردداً: ألا تنزعج..؟

أحمد: لا..

سعيد: فاسمع إذن..رأيت زوجة عباس تتمتع مع أحد الآيات في قم..

أحمد مندهشاً: يا للهول..علوية وتتمتع..!!

سعيد: أتريد المزيد..؟

أحمد بشغف: نعم..هاتِ ما عندك..

سعيد: الأفضل أن لا تسمع..

أصرَّ **أحمد** عليه أن يستمر..

سعيد: هل أنت متأكد من رغبتك بالسماع..؟

أحمد: نعم بالتأكيد...

سعيد: ولو كان فيه إساءة لك..!!

فلما سمع كلامه زاد إصراره على المعرفة فقال له مرتعداً: نعم..!

سعيد: زوجتك..

أحمد: ما بها..؟..

سعيد: رأيتها تدخل غرفة الإمام آية الله مهدي..وبقيت عنده أكثر من ساعتين..

تغيَّر لون وجهه، وأطرق برأسه ثم رفعه: إن كنت صادقاً، فإمامنا أدرى بجواز ذلك أو عدمه..ولكن لا بد أن أخبرك أنا أيضاً، فابنتك زينب تتمتع منذ أن كانت في الثانية عشرة من عمرها..

صُعِقَ **سعيد** لما سمع: أنت تكذب..تريد أن ترد فضيحتك بفضيحة..!!

فما كان من **أحمد** إلا أن قال: والعباس..لقد رأيتها بنفسي..وهي لا تتردد أن

تتزوج في اليوم مرة ومرتّين وثلاثة..

نظر إليه **سعيد** بعينين يملأهما الحقد والضغينة: كفانا تشهير ببعضنا..إنّما أردنا من وراء نقاشنا معرفة الأسباب في المصيبة التي نزلت علينا..!!

أحمد: هذا أفضل..ولكن عليك أن تعلم..كلنا سواء..فلا تضربني بأحجارك بعد الآن..

سعيد: هذا يكفي...ولنعد إلى حديثنا...أنا أقترح أن نرسل إلى آية الله محمد الطوساني بتفاصيل ما جرى معنا..وبالتأكيد سيجد لنا عذراً عند الإمام..

أحمد: صدقت: فهروب عباس بالمال، ومساعدة الفتيات في هروبهن، يساعدنا كثيراً، ويقيل عنا سبب الانتكاس الحاصل..

ثم اتفقا على رفع كتاب إلى آية الله محمد..

* * * * *

الوطن الجديد

بعد أكثر من ثلاثة أشهر جاءت الموافقة بدخول مصطفى مع زوجته إلى تل أبيب، بعد التزكية التي أرفقها السفير في الطلب..فقاموا على الفور بالحجز على خطوط العال الإسرائيلية..فعمَّت الفرحة الجميع، إلاَّ مصطفى الذي كان قلقاً على أخته وأبيه..فسار وراءهم على مضض، وقلبه معلَّق في بيروت على أمل أن يصله منهما أي خبر يريح قلبه..

مع الصباح الباكر، هبطت الطائرة في مطار تل أبيب..وبعد انتهاء إجراءات المطار..تحرزوا على مصطفى للتحقيق معه..

لم يخفِ **أفيخاي** فرحته بما أصابه، ففرك كفيه: وقعت ولن تخرج منها..وسيبقى مالك لنا..وستبقى في السجن حتى تموت فيه..!!

فلما رأت دينا سعادة أبيها، صاحت بأعلى صوتها في الضابط: إليك عنه..فلن تحتجزه وأنا على قيد الحياة...عليك أن تأخذني معه..هل فهمت..؟..وإلا دعنا نعود من حيث أتينا..لقد ظننا أننا سنلقى المعاملة الطيبة والمحترمة في بلادنا..ولكنكم أسوأ من العرب..!!

ربت **الضابط** على كتفها برقة: لا تهوّلي الأمر..بضعة أيام فقط ويعود إليك..

دينا بحزم وعصبية: ولا لحظة واحدة...

الضابط: أرجوك اهدأي..

دينا: إن كنت مصراً سأبقى معه..وأخبر رئيسك بذلك..

تناول **الضابط** التلفون: ألو..نعم سيدي..وصلوا ولكن زوجته ترفض تركه عندنا للتحقيق..

وبعد دقائق قال لها: لا بأس بإمكانه الذهاب معك، شرط أن يأتي للتحقيق..وهذا

إجراء روتيني...لا اعتقال..!!

عادت دينا إلى طبيعتها وهدوئها، وأمسكت بيد زوجها: هيّا إبراهام..

نظر إليها **الضابط**..فسارعته بالجواب قبل أن يسأل: هذا اسمه الجديد...أعندك مانع..؟

ضحك **الضابط**: لا..سَمِّه ما شئت..ثم نظر إلى إبراهام: حافظ على زوجتك فلن تجد في إسرائيل مخلصة مثلها..

ضحكت دينا وأجابته مازحة: لقد ورثت المكارم عن أبناء عمومتنا..

الضابط مبتسماً..أهكذا إذن..؟

دينا ضاحكة: نعم هكذا...!!

* * * * *

أصيب آية الله محمد الطوساني بصدمة قوية، عندما قرأ رسالة بعثتهم في الشام..وحمل الرسالة وقدمها إلى آية الله مهدي ميرزا، الذي جُنَّ جنونه لما حدث، فأصدر أوامره إلى شيعته في لبنان أن يتحسسوا وجوده، ويعتقلوه أو يقتلوه...

كان آية الله محمد ينظر إليه ويبلع ريقه من الخوف..فهو من زكّاه عنده..فأراد أن يخفف عن الإمام غضبه: مولاي..شيعتنا لن يتركوه يسرح ويمرح بأموالنا..وسيعيدونها ونقيم عليه الحد...

مهدي: اقسم بالعباس، وبإمامنا الغائب، أن أقتصَّ منه قصاصاً لم يذقه أحد من العالمين.. وسأجعل من ابنته هايدي ألعوبة يتمتع فيها الصغير والكبير، وعلى مرأى منه..

حاول محمد أن يخفف من غضبه: مولاي..الأمر لا يستحق غضبك، فهو أقل وأحقر من أن يزعجك..

مهدي: لقد سرق مالنا..وشتت بناتنا، وفضح أمرنا، وكشف مخططنا..وتقول لا يستحق..ثم صاح فيه: اغرب عن وجهي الآن..كلكم سواء...كلكم سواء..!!

ثم تناول الهاتف واتصل بعميرو وأخبره الخبر وطلب منه أن يأتي إليه على الفور..

جلس عميرو ينظر إليه من تحت نظارته، غير مبالٍ بغضبه وقال له ببرودة أعصاب: ما بك أيها الإمام..؟

مهدي: ألا ترى ما فعل عاملنا عباس..وأفيخاي الذي زكيتموه لنا..؟

عميرو: أنت مخطئ..في اختيارك لعباس..كان عليك أن تستشيرنا في هذا الأمر..

مهدي: هذا أمر بسيط..ولا حاجة لأن أخبركم به..

عميرو: نحن وضعنا الخطط لَبِنَةً لَبِنَة..ونسبة الخطأ عندنا معدومة..

مهدي بسخرية: أتقول خططكم..؟...فما بال أفيخاي، وتآمره علينا، وزواج ابنته من مصطفى وسرقة أمواله...!!

عميرو بهدوء الواثق وبسمة مصطنعة: سأشرح لك الأمر..أما أفيخاي فهذا تصرف شخصي منه، ولم يخرج عن المخطط..وما قام به لا يخرج عن التجارة والشطارة.. ولا تنسَ أنه هو من أخبر عاملكم عن سرقة عباس وتهريب الفتيات..

الأمر الآخر: أفيخاي قد استشارنا في السفر وبما فعل، ونحن لا نتدخل في أمور مواطنينا وأعمالهم..وعليكم أن تراجعوا حساباتكم، وتدرسوا أخلاق وأمانة رجالكم وعمَّالكم..

مهدي: معك حق في كل ما قلت..كان علينا أن نستوضح سبب مجيء مصطفى ودينا إلى هنا..فربما منعنا تلك الكارثة..

عميرو: كنت على علم بذلك منذ الوهلة الأولى..

أصيب **مهدي** بالدهشة وقال مستغرباً: ولماذا لم تخبرني إذن..؟!!

عميرو: ببساطة..هذا الأمر خارج نطاق عملنا أيضاً..ولا نتدخل في الأمور الشخصية..وأنا من أعطى تزكية مصطفى لإسرائيل..

مهدي: أهو هناك الآن..؟

عميرو بهدوء: نعم وقد تهود..وصار مواطناً إسرائيلياً..

مهدي بتهكم: هكذا إذن..!!

عميرو: وهل هناك ما يمنع..؟

مهدي بتهكم مرة أخرى: لا...!!

عميرو: هدئ من روعك، وانظر للأمور ببساطة..ولا يليق بإمام أمة أن يخرج عن طبيعته وهدوئه..فالسياسة تحتاج الكياسة..والناس في الخارج ينظرون إليك كمخلِّص لهم..فإن وجدوا منك الحرص الزائد على المال، واهتمامك بالصغائر استصغروك..وانتقصوا قدرك، وزهدوا بإمامتك..وذهبوا إلى غيرك..فأظهر لهم الكرم..وارفع لهم شعار الحب والمصلحة العامة..يحبك الناس ويفدونك بأرواحهم..

نظر إليه **مهدي** وقد عادت نفسه إلى هدوئها: أنت رجل حكيم..وقلَّ نظيرك في هذا العالم..

تبسم عميرو بوجهه وأشار إلى راحيل: وابنتي حكيمة بني إسرائيل..وهي نائبة عني بعد وفاتي..

نظر إليها **مهدي**: كنت أتمنى أن تعمل عندنا كمستشارة..لكنها رفضت..

تبسّمت راحيل بدبلوماسية: سماحة الإمام..قلت لك سابقاً، سأكون ممتنة أن أقدم لكم خدماتي...ولكنني الآن في طور بناء شخصيتي الجديدة..فكما تعلم أنني نشأت في بيت الشاه سابقاً، وعملت فيه لسنوات طوال..وقد تغيرت الآن سياسة العالم..وهو يحتاج إلى عقول أكثر دراية بالحركات الأصولية والقومية والحزبية..

مهدي: أحسنت..كم أتمنى أن تكون نساؤنا بنصف عقلك واتزانك..ولكنهن غارقات في الأحضان..

ضحكت راحيل من قوله: يكفيهنَّ ذلك..

مهدي مستغرباً قولها: ماذا تقولين..؟

تدخل عميرو في الحديث: تقصد راحيل أنكم أكثر حنكة منهن، ولا تحتاج البلاد إلى المزيد..

هزَّ **مهدي** رأسه عن غير قناعة منه...ثم وقف عميرو وراحيل وغادرا إلى بيتهما..

* * * * *

عاد الكابوس إلى شاهر مرة أخرى، فاستيقظت زوجته فزعة: ما بك..؟

شاهر: الكابوس نفسه يا عزيزتي...!!

اعتدال: لقد أخفتني..إذا تكرر الكابوس أكثر من مرة..فهذا يدل على شيء سيحدث أو تنبيه للقادم..!!

شاهر: صدقت..وهذه المرة الثالثة يأتيني...

اصفر وجه اعتدال لما سمعت: عليك أن تذهب إلى أحد العارفين وتخبره الخبر..!

شاهر: لا يستحق ذلك...فربما قد أثقلت بالعشاء قبل النوم..

اعتدال: لا...لا علاقة بالعشاء..فتكرار المنام بنفس التفاصيل فيه دليل على صحته..

شاهر: سأحاول أن أسأل أحد المفسرين عنه..

اعتدال: هذا أمر لا يؤخر..افعل ذلك غداً..

شاهر: لا بأس..سأقوم الآن لأشرب بعض الماء البارد..

اعتدال: ابقَ في مكانك وسأجلبه لك..

شاهر: الله يسلمك..لكني لا أريد أن أتعبك..أخلدي إلى النوم، سأعود إليك في الحال...

اعتدال: لا والله..ثم وقفت وتوجهت إلى براد الماء وملأت كأس ماءٍ وقدمته له.

* * * * *

عين الآيات

استطاعت عيون **آية الله أحمد**، التجسس على المدرسة الجديدة ومناهجها... كان غالب أحد الطلاب الملتحقين بها، بناءً على طلب من آية الله أحمد..فكان كل يوم يرفع إليه تقريراً بما جرى تدارسه مدعوماً بتسجيل..

أدار **أحمد** التسجيل، وراح يفكر في كل كلمة قالوها..وإلى جانبه آية الله سعيد وقنبر..وبين دقيقة وأخرى تظهر على وجهه تعابير الألم والحنق..ثم أغلقه وقال موجهاً كلامه لسعيد: أقسم بالعباس الفتيات هنَّ من فضح أمرنا ونشر سرنا..وكل هذا بسبب الكلب عباس..!!

سعيد : الرأي كما قلت .. وإذا لاحظت قول شاهر ومؤيد عن المتعة والمال والتشيع.. يدل بما لا يقبل الشك، أن جهة ما قد أخبرتهم عن نشاطنا..فإن لم تكن الفتيات فمن يكون إذن..؟

أحمد: علينا أن نستوضح الأمر..

قاطعه **سعيد**: طالبنا غالب هو من سيأتي بالخبر..واطلب منه أن يستعلم عن الفتيات..فإن وجدهن..فلا بدَّ..مشيراً إلى رقبته..

أحمد: بالطبع فلن يكون مصيرهن إلا ما ذكرت..ولكن قبل كل شيء علينا ملاحقة هذا الكلب..وإرجاع أموالنا منه..وإقامة عليه حد الإمام..

سعيد: ألم ترسل إلى إمامنا آية الله **مهدي** ميرزا بشأنه..؟

أحمد: بالتأكيد..كان الأمر أمامك..ولكن علينا أن نستبق الأحداث، ونرسل من يأتينا بخبره قبل أن يغادر لبنان..

سعيد: ألم يعدك النقيب بذلك..؟

أحمد: وعدني..ولكن علينا أن نحتاط للأمر أيضاً..وسأرسل إلى أتباعنا وشيعتنا

هناك ليستطلعوا وجوده..وسأضع جائزة قيّمة لمن يأتينا به أو بخبر عنه..

سعيد: بالتأكيد سيقوم الإمام بإرسال من يقوم بذلك أيضاً..

أحمد: صحيح..وزيادة الحيطة أفضل..

سعيد: علينا أن نُكثِّف جهودنا في تشييع الناس..لأنني أرى أن هذا الشعب لا يساق بسهولة..

أحمد: سيساق رغم أنفه وأنف أجداده السفلة..فعندنا المال والنساء والغواية بأنواعها...وأقسم بالعباس، ألا يأتي عليهم سنوات قلائل حتى ترى أبناءهم وبناتهم على أبوابنا يستجدون المتعة..فحالة العهر مستأصلة فيهم..وبناتنا سيكُنَّ حافزاً لهم لا أكثر..

سعيد: كلامك طيب..وأملك أطيب..ولكن لا يأتي ذلك بالتمني..إنَّما بالعمل والجد..

أحمد: بالطبع...بالطبع سيكون لنا ذلك..!!

لم تكن مهمة **قنبر** إلا الاستماع وهزَّ الرأس..وتنفيذ ما يُطلب منه..فحالة الإجرام ظاهرة على وجهه الأسمر الممتلئ بالجروح..وجشعه الكبير الذي لا يستطيع أن يخفيه، وحبه للنساء، وشذوذه الذي دفع بالفتيات إلى الهروب منه عندما يرونه، وإدمانه على المخدرات...لكن أحمد كان يكرمه بواحدة كل ليلة ويقدم له الهيروين..وهذا ما أهّله ليكون عبداً مطيعاً له في كل شيء..ومنفذاً لإرادته دون نقاش أو تفكير..

* * * * *

أرسل **شاهر** سعداً إلى مقام السيدة زينب، ليستطلع له الأمر عن قرب..كان سعد طالباً مجدّاً متوسط الطول، أبيض اللون، مؤدباً، حسن الهندام، علت جبينه سمة السجود..ذكياً..لم يبلغ من العمر الثامنة عشرة..

دخل مقام السيدة، وأخذ يتأمل الزائرين، ففعل كفعلهم، وطاف كطوافهم. .

مسترقاً النظر إلى أصحاب العمائم السوداء، الذين جلسوا في صدر المقام، يتأملون الرائح والغادي..وفي طوافه الأخير، لمحه غالب الذي كان يروم بالدخول..فعاد أدراجه إلى الخارج مسرعاً، وعلى وجهه علامات الفزع...ثم استقلَّ الحافلة عائداً إلى بيته...

مع حلول الظلام وانتهاء وقت الزيارة..عاد إلى شقة آية الله أحمد..وطرق بابه..

كان **أحمد** يتناول عشاءه مع إحدى بنات المتعة..فلما سمع طرق الباب قال غاضباً: لعنك الله يا قنبر على هذا التوقيت السيئ..أهناك أحد يأتي في هذه الساعة من الليل..؟

فتحت الفتاة الباب، وظهرت له بلباس نومها الشفاف..ثم عادت إلى أحمد: بالباب شاب يريد رؤيتك..!!

وقف **أحمد** على مضض، وحالة الاستياء على وجهه..وما إن رآه حتى قال له بلؤم: ماذا تريد في هذه الساعة..؟

غالب: أريد أن أخبرك...

فلم يدعه يكمل كلامه: ألا يؤجل ما ستقوله إلى الغد..أم هو إزعاج فقط..؟

بدا على وجه غالب الخجل لهذا الاستقبال السيئ فأطرق برأسه: عفواً..سأعود غداً..

صاح فيه: أبعد أن أزعجتني تريد أن ترحل..أخبرني..هيّا..ماذا تريد...؟

نظر غالب إلى داخل البيت..لكن أحمد سبقه بالقول: الوقت ليس للاستقبال..أخبرني بحاجتك من هنا..؟

غالب بهمس: لقد رأيت اليوم ظهراً في المقام أحد طلاب مدرستنا..وعلى الأغلب أنه مرسل للتجسس علينا..

لم يتمالك **أحمد** نفسه فسحبه إلى الداخل بسرعة: أخبرني ما هي القصة..؟

جلس غالب على كرسي بالقرب من الباب، وظلَّ أحمد واقفاً يستمع إليه..إلى

أن انتهى..فسأله هل رآك..؟

غالب: لا أعتقد يا مولاي..

أحمد بسرور: ممتاز..راقبه جيداً في المدرسة، وحاول أن تأتيني بكل ما يجري هناك..؟

غالب: سأفعل ذلك يا مولاي...

ثم فتح له الباب: تصبح على خير..

خرج غالب من عنده يجر أذيال الخيبة..وراح يحدث نفسه: لقد أتيتك في هذا الوقت لآخذ مكافأتي لهذا الخبر، لكنك استقبلتني بذل واحتقار..ولكن لا بأس عليَّ أن أتابع الأمر حتى نهايته..

* * * * *

عاد **حيدر** إلى نشاطه وحالته الأولى، فأخذ يتردد إلى مقام السيدة زينب، ويجلس بالقرب من آية الله أحمد..

كان لنشاطه الواسع في تشييع العديد من أصدقائه مكانته الكبيرة عنده..فحالة الثراء ظاهرة على ملابسه وهندامه، وعطره الباريسي الفاخر..حتى أن آية الله أحمد كان لا يبخل عليه بأي شيء، فإخلاصه له وتكتمه على أسرار البعثة، جعله مقرباً وموثوقاً به إلى أبعد الحدود..

بعد أن استفحل أمرهم، وانتشر سرهم ونشاطهم..عمد آية الله أحمد على تكليفه بالتجسس على طلاب المدرسة، ليستعلم عن الفتيات شيرين وهزار وشاهيناز..

سأله: كيف السبيل إلى ذلك ولا معرفة لي بأحد من طلابها...

أحمد: علمت أنهم لا يمانعون من حضور بعض المحاضرات لغير المنتسبين..

حيدر: سأقوم بالمطلوب..ثم قبَّل يده وانصرف..

حاول **حيدر** أن يجد له سبباً للحضور فلم يفلح..فأخذ يرتاد المدرسة ويجلس بالقرب منها..وظلَّ هذا حاله يراقب الداخل والخارج..فلم يحصد إلا الخيبة، فعاد أدراجه إلى آية الله أحمد وأخبره الخبر..حتى ظنَّ الأخير أن الفتيات قد اختفين في غير هذا المكان..لكن ظنونه ظلَّت تدور حول المدرسة...

* * * * *

الوقوع في المصيدة

اقترب غالب من **سعد** في فسحة المدرسة مبتسماً: السلام عليكم..

سعد: وعليكم السلام ورحمة الله...

غالب: ها...كيف ترى حالك في الدراسة..؟

سعد: بخير والحمد لله..لكن المنهج مكثف..وأشعر أن المتابعة خارج المدرسة أفضل..

غالب: أعندك وقت لكل هذا..؟

سعد: ليس في اليد حيلة..فالعلم يحتاج إلى متابعة حثيثة وإلا ضاع كل شيء..ونحن هنا لمهمة واحدة.. هي وقف التشيع وبيان الحق للناس..

أظهر غالب الاهتمام: صدقت...وماذا ستفعل بعد تخرجك..؟

سعد: أهذا سؤال تسأله..بالطبع العمل في حقل التدريس..

غالب: والآن ماذا تعمل..؟

سعد: لا عمل لدي الآن سوى الدراسة..

غالب: ألا تعمل في مجال الدعوة..أم أنك تنتظر التخرج..؟

سعد: بالطبع لا بد من العمل، ولكن على نطاق ضيق..

غالب مبدياً اهتمامه: هل التقيت بأحد المتشيعين الشباب..

سعد: إلى الآن لم ألتقِ، ولكن بودي أن أناقش أحدهم..

غالب: وأنا أيضاً...ثم أعلن الفرّاشُ انتهاء الفسحة فعادا إلى قاعتهما...

ومع انتهاء الدوام الرسمي، وقف غالب منتظراً صديقه الجديد..لكن الدكتور شاهر طلب من سعد البقاء..

لما فرغت القاعة من طلابها، اقترب سعد من الدكتور الذي بادره بالسؤال: ماذا

وجدت بالأمس..؟

سعد: لم أرَ شيئاً..فقد طفْتُ كما قلت لي، وجلست بالقرب منهم فلم أجد إلا فتيات وشبانا يأتون إلى شيخهم المسمى أحمد..فيعطونه قرآناً فيقرأ لهم بضع كلمات ثم يبتعدون..

لما تأخر خروج **سعد**، اقترب غالب من القاعة بهدوء، فسمعه يتكلم مع الدكتور شاهر..فأنصت لحديثهما..

شاهر: ارجع إليهم مرة أخرى وحاول التأكد من نشاطهم..ولا تُكلِّم أحداً وإن كلمك أحدهم قل إنك شيعي من منطقة الأمين..

سعد: سأفعل..ثم همَّا بالخروج فأسرع غالب بالمغادرة...وتوجه من فوره إلى أحمد الذي كان جالساً في صدر المقام يتفحص الزائرين بعينيه..وما إن وقع نظره عليه حتى أشار إليه بالاقتراب..فقال له غالب هامساً: عليَّ بعد الآن ألا آتي إلى هنا..فعيون الدكتور شاهر تعمل في المقام...

قال له **أحمد** على الفور: اخرج الآن قبل أن يراك أحد، وسألقاك في الشقة بعد قليل..

خرج غالب مسرعاً وتوجه من فوره إلى شقته، ووقف بالقرب منها..وبعد دقائق جاءه قنبر ففتح له بابها: انتظر السيد..

جلس **أحمد** على الكنبة، يتأمل الشقة مقلِّباً ستائرها وأثاثها الفاخر..ثم وقف ومشى على رؤوس أصابعه كمن يعتقد بوجود أحد فيها ويخشى أن يراه..فدخل إحدى الغرف، فرأى فيها غرفة نوم بيضاء، وعلى سريرها قميص نوم نسائي...ثم فتح أحد المجرات..فرأى مجلات فاضحة..فصار يقلبها..فسمع صوت قنبر قريباً من الباب، فعاد إلى مكانه على عجل، وجلس مطأطئ رأسه إلى الأرض..!!

دخل **أحمد** وجلس بالقرب منه، وراح يتأمل وجهه وينظر إلى غرفة النوم..لكن غالباً كان أكثر منه براعة في التمثيل..فأظهر الأدب..فقال له أحمد: حدثنا الآن..

سرد غالب عليه ما رآه وما سمعه...فبدأ وجه أحمد يتغير..وحالة الانزعاج ظاهرة عليه..ولما أتمَّ كلامه قال له: طفح الكيل وزاد الحد..ثم صاح على قنبر الذي كان يعدُّ الشاي...

هرع **قنبر** إليه: لبيك مولاي..!!

أحمد: هناك من يتجسس علينا..ولا نعلم نيته نحونا..

أجابه **قنبر** على الفور: التقطيع يا مولاي..

أحمد: لا..علينا أن نحقق معه أولاً..

قنبر على الفور..لكني لا أعرفه..

نظر **أحمد** إلى غالب: غالب من سيدلك عليه، وأنت تعرف الباقي..

قنبر: أنا خادمك يا مولاي..وتواعد مع غالب في اليوم الثاني..على أن يجلسه في إحدى غرف المقام القريبة من الباب الرئيسي، ليشير إليه عند وصوله...

* * * * *

جلس غالب في مكانه المخصص، يرتشف الشاي بهدوء وروية...وظلَّ هذا حاله لأكثر من ساعتين..ولما أصابه اليأس همَّ بالمغادرة، وما إن فتح الباب حتى لمح سعداً وفاروقاً وهو أحد طلاب المدرسة أيضاً..

كان فاروق شاباً لم يبلغ من العمر الثامنة عشرة من عمره أيضاً، نحيل الجسم، أبيض البشرة، قصير الشعر، يرتدي بنطالاً رصاصياً وقميصاً أبيضَ..يحمل بيده كيساً من النايلون فيه بعض الكتب..وبيده الأخرى زجاجة عصيرٍ..فقال غالب في نفسه: يبدو أن جلستهم ستطول..

راح **قنبر** ينظر إلى الغرفة فرأى إشارة غالب يرفع يده مشيراً إليه بأصبعيه السبابة والوسطى..

تأمل **قنبر** الوافدين من بعيد..وتقدم إلى غالب فسأله: أهما اثنان..؟

غالب: نعم..!!

قنبر: عظيم..يبدو أن صيدنا ثمين هذا اليوم..فدخل المقام بهدوء، وجلس فيه منفرداً، وراح ينظر إليهما بين الفينة والأخرى دون أن يلحظا نظراته...وبعد أكثر من ساعة، اقترب منهما مبتسماً: السلام عليكم..

تأمل **سعد** وجهه وأجابه على الفور: وعليكم السلام...

قنبر: أأنتم من هذا الحي..؟

سعد: لا..ولكن بالقرب منه..

أجابه فاروق على الفور: نحن من حي المقداد..ولكن لماذا تسأل..ولهجتك تدل على أنك لست من هذا البلد..؟

تبسّم **قنبر** ونظر إليه بوجهٍ يقطر سمًّا: أنا إيراني جئت زائراً..وبيتي قريب من هنا..

نظر إليه **سعد** باشّا في وجهه: أهلاً وسهلاً بك..لا تؤاخذ صديقي..فهو دائماً هكذا..

قنبر: لا عليك...ولكن أحببت أن أتعرف عليكما فربما...من يدري.. تحتاجان إلي..

شعر **سعد** بأن الأمور تسير كما يشتهي..فاقترب منه: وبماذا ستخدمنا..؟

همس **قنبر** بإذنه: إذا أردتم المتعة..فعندي ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين...!!

نظر فاروق وسعد أحدهما إلى الآخر..فأجابه فاروق على الفور: وما المقابل نظير ذلك..؟

قنبر: لا شيء...إحياء سنة الرسول صلوات الله عليه..

فاروق: وهل الفتيات في هذا المقام الطاهر..؟

قنبر: بالطبع لا..فإن أحببتما..فتعالا معي..ولا حاجة للزواج الآن..فربما غداً أو بعد أسبوع..هذا الأمر عائد إليكما...

سعد مظهراً الدهشة: بدون مقابل..يعني ببلاش..!!

قنبر: وهل هناك بلاش في الزواج..وإنَّما مهر وعقد وغير ذلك..؟

أراد فاروق أن يرى مكانهم: هيّا بنا الآن..

لكن **سعداً** قال له: تريث..سنأتي غداً..وتحت إصراره نزل عند رأيه فسارا معه..فأخذهما إلى خلف مقام السيدة، وأدخلهما إلى أحد بيوت البساتين المحيطة به..

كان بيتاً طينياً عالي الجدران، فيه غرفتان يفوح منهما رائحة مخلفات البقر..فقالا له: هل أتيت بنا إلى حظيرة حيوانات..

فما كان منه إلى أخرج مسدسه: اجلسا على الأرض وأيديكما فوق رأسيكما..ثم خرج حيدر من إحدى الغرفتين وبيده رشاش ناري موجه نحوهما...

أصيب الصديقان بالخوف الشديد، وانتابتهما رعشة قوية..وحاول سعد أن يستجمع أفكاره ليعمل الحيلة معهما..لكن دون جدوى، فالخطب أشدُّ عليه من كل تفكير..وبسرعة كمّاهما وأوثقاهما وألقيا بهما في الحظيرة...وقنبر ينظر إليهما: أتريدان المتعة يا كلاب..؟..ثم أتى بثلاث بقرات وأدخلها عليهما، وقال: استنشقوا روثهما وتمتَّعا بها..ثم تركهما وانصرف، وترك عندهما حيدراً، الذي جلس في فناء البيت ينفث دخان سجائره..

* * * * *

دخل **قنبر** المقام فوقعت عينا آية الله أحمد عليه..فأومأ له برأسه..ففهم أن الصيد قد وقع في المصيدة..فظلا في المقام حتى وقت متأخر من الليل، ثم غادرا على حين غفلة من الناس، وتسللا إلى البيت تحت جنح الظلام...فأمعن فيهما النظر: من أرسلكما..

فاروق: لا أحد..أتينا زائرين..

همهم **أحمد**: أرسلكما الدكتور شاهر للتجسس علينا..وقد وقعتما بالفخ...

سعد: نحن أتينا للمتعة وليس لغير ذلك..ولا نعرف شاهراً ولا غيره...!!

حدَّق بهما ووجه كلامه إلى **قنبر**: خذهما من هنا...

تقدم **قنبر** وحيدر وأوقفاهما وأصعداهما إلى سيارة لاندكروز وأخفضا رأسيهما بعد أن شدَّا أعينهما برباط أسود..

* * * * *

بينما بدأ **شاهر** بإلقاء دروسه كالمعتاد، راح يُقلِّبُ نظره بين الطلاب متأملاً الوجوه..فلم يجد سعداً وفاروقاً...ولما انتهى من درسه، جلس في غرفة الإدارة.. فدخل عليه الدكتور مؤيد فوجده في حيرة من أمره فسأله: خير..أراك قلقاً..؟

شاهر: لم يأتِ اليوم سعد..وبينما هما في حديثهما..طُرِقَ البابُ..فدخل والدا سعد وفاروق..وما إن رآهما حتى انتابته الهواجس..فاجتماعهما معاً في نفس الوقت، ينذر بمصيبة قد حصلت..فخرج من وراء مكتبه ورحَّبَ بهما، وأجلسهما بالقرب منه..

كان وجهاهما يعبران عمَّا بداخلهما..فزاد قلق شاهر ومؤيد..فقطع والد سعد الصمت: دكتور ولدانا لم يعودا إلى البيت منذ الأمس...

أخذت **شاهر** لحظات من السرحان، وبدا على وجهه الخوف..لأنه يعلم أين ذهبا..لكن أحب أن يطمئنهما: ربما يكونان عند أحد أصدقائهما..فلا تقلقا..وأنا الآن سأبحث عنهما..ثم خرج من الغرفة وبدأ يسأل الطلاب..لكنه أصيب بخيبة أمل كبيرة، فلا أحد يعلم أين ذهبا..ثم عاد إلى الإدارة وقال لهما: انتظرا حتى المساء..فإن لم يعودا فما علينا إلا إخبار الشرطة..

ظهر على وجه والد سعد علامات التعب من سهر ليلة أمس: لا يمكن أن ننتظر حتى المساء علينا الإبلاغ عن اختفائهما الآن...!!

فكَّر **شاهر** ملياً: طيب لا بأس اذهبا وبلِّغا الأمن..وقولا: إنهما كانا في زيارة السيدة زينب...

أصيب الوالدان بالصدمة: ماذا يفعلان هناك...؟

لم يتمكن **شاهر** من إجابتهما وإنما قال: ربما أرادا كتابة بحث عن المقامات في

البلد..

غادر الوالدان متوجهين إلى مركز الشرطة، وبعد أن دوَّن الضابط إفادتهما قال: لا نستطيع القيام بأي إجراء قبل مضي أربع وعشرين ساعة على اختفائهما..

صاح والد فاروق: ماذا...أليس هناك قانون..؟

الضابط وقد أصابته الحميَّة فصاح به: اخرجا الآن ولا تعودا قبل الغد... هيّا...هيّا..

فما كان من الوالدين إلا أن خرجا والألم يعتصر قلبيهما..فعادا إلى شاهر وأخبراه الخبر..

فهدَّأ من روعهما..

* * * * *

عندما غادر الوالدان اختلى شاهر ومؤيد معاً لدراسة الموضوع...قال مؤيد: أعتقد أن أحد جواسيس الآيات يتجسس علينا..!!

شاهر: لا أظن ذلك...!!

مؤيد مستغرباً: بماذا تبرر غيابهما منذ الأمس إذن..ونحن نعلم أين وجهتهما..؟

ازداد القلق عند **شاهر**: أشعر بعقلي قد توقف عن التفكير..ولست أدري ما أفعل..فحالة الضغط الشديد أفقدني توازني وتفكيري..

مؤيد: دكتور..ألا تذكر أن شابين قد فُقِدا قبل أشهر..والمؤشرات كلها تدل على جهة واحدة..!!

اتسعت حدقتا عيني **شاهر**: أتقصد..؟..

مؤيد: ومن غيرهما..أنا وأنت نعلم تمام العلم أين ذهبا..ولا أحد سوانا..إلا أن يكون هناك شخص غيرنا يعلم بذلك..فإن لم يكن..فكيف اختفيا..؟..وإن كان هناك شخص جاسوس..فالمسألة محلولة، فقد أخبر عنهما الآيات وهم من قام...!!

قاطعه **شاهر** بألم: أرجوك لا تقلها...لا أستطيع تصور هذا الأمر..فإن جرى

لهما أي مكروه فلن أسامح نفسي أبداً...

مؤيد: هوِّن عليك..فأنا مشترك معك في ذلك..ولم يكن أمامنا خيار غيره...

شاهر: الذي يقلقني أن يكونا قد قُتلا...

شعر **مؤيد** بالخوف: لا تقل ذلك..إن شاء الله سيعودان..

شاهر: يا رب..!!

* * * * *

الامتحان

في اليوم الثالث دخل عليهما آية الله أحمد وآية الله سعيد وقنبر...

نظر إليهما **أحمد** والحقد والكراهية ظاهران على وجهه: فأخذ بذقن سعد ورفعه إليه بقوة: يا كلب..أتيت لتتجسس علينا..

سعد مرتعداً: لا أقسم لك..!!

همهم بلؤم: فلماذا أتيت إذن..هل أتيت لتتعبد في مقام السيدة الطاهرة..؟

سعد: نعم..أردت المتعة..فقد سمعت أنها منتشرة فيها..

أحمد: وتكذب أيضاً..

سعد: لا والله لا أكذب..ثم التفت إلى فاروق: واسأل فاروقاً..

قبض **أحمد** على شعر فاروق بشدة: واسمك فاروق...كيف وفّقت بين السيدة وفاروق..

فاروق والخوف الشديد ظاهر على وجهه: أبي من سماني..ولست أنا..حتى أنني لا أحب هذا الاسم..

ثم عاد بنظره إلى **سعد** مهمهماً: أتقول: إنكما أتيتما من أجل المتعة..؟

سعد: نعم يا سيدي...!!

صاح بغضب: قنبر..اذهب فائتني بفتاتين الآن...

شعر **سعد** بخطورة الأمر، وراح يفكر كيف سيتخلص من هذه المصيبة التي ورّط فيها نفسه..

جلس **آية الله أحمد** وآية الله سعيد ينتظران عودة قنبر..

وبعد مضي أكثر من ساعة..دخلت مع قنبر فتاتان شابتان جميلتان..لم تتجاوز أعمارهما العشرين عاماً...قد التحفتا بعباءتهما السوداء..تقدم أحمد من سعد

وفاروق مشيراً إلى الفتاتين..فليختر كل صاحبته..نظرت الفتاتان لحالهما..فتبسمتا ووجهتا الكلام إلى أحمد: مولانا..أتزوجنا من هذين البائسين..؟..

أحمد: يدَّعيان أنهما أتيا للمتعة..ولا نريد أن نردهما خائبين أليس كذلك...؟

تقدمت إحداهما وبفمها لبان..فأخرجته من فمها ووضعته في فم فاروق، وأخذت بيده: أنا أريد هذا النحيل..وتقدمت الأخرى وأخذت بيد سعد وأنا أرضى بهذا..ولكن مولاي كم المدة..؟

أحمد: إلى الغد فقط..وإياكما أن تفكّا وثاقهما..

ضحكت إحدى الفتيات: ولكن يا مولاي..كيف سيتمكَّنان منا وهما في حالتهما هذه..؟

أحمد: هذا شأنكما..ثم ببضع كلمات دفع بهما إلى الغرفة وقال لحيدر: ابق متيقظاً..

ثم غادر الجميع البيت عدا حيدر وقنبر، الذي أشار عليه أحمد أن يساعد حيدر في المراقبة بعد أن همس في أذنه ببضع كلمات..

دخلت الفتاتان فنزعتا لباسهما تماماً، وتقربتا إليهما بغنج ودلال وميوعة..حاول الشابان الابتعاد عنهما..لكن الفتاتان كانتا أكثر حيوية فاستعملن معهما حالة من الهجوم الجنسي..وتمكنتا من نزع لباسهما فأصبحا عاريين تماماً..

كان **حيدر** وقنبر ينظران إليهم من شق الباب..وحالة الجنون أخذت منهما كل مأخذ..فلم يتمكَّن قنبر من الصبر، فدخل إلى الغرفة وانقضَّ على إحداهن..وكذلك فعل حيدر...

نظر فاروق وسعد بعضهما إلى بعض وتنفسا الصعداء..فقد جاء من يخلصهما من الوقوع في الفاحشة..وبعد برهة من الزمن..قال قنبر لهما: استمرا في عملكما، ثم جلس بالقرب منهم وعادتا إلى فعلهما الأول وكأن شيئاً لم يكن..فلمَّا لم يجدا أي تجاوبٍ من سعد وفاروق..قال لهما قنبر: ربع ساعة..وإلا ستكونان في مكان لا يعلمه

إلا العباس..

شعر **سعد** بأن أمراً جسيماً سيحدث..فامتنع عن الإجابة..فقال له قنبر والزبَدُ يخرج من فمه: لتفعلن أو لتُقبرن..ثم قال للفتاتين..افعلا معهما رغم أنفيهما...

ضحكت إحداهما: ربما يكونان خجلين فاخرجا..

خرج **حيدر** وقنبر، فانتابت الفتاتان حالة من الشبق مرة أخرى، فارتمتا عليهما، ومارستا معهما الفاحشة بعنف..وقنبر وحيدر ينظران إليهما بشهوة عارمة..وما إن انتهتا من ذلك حتى خرجتا وقالتا: وقعا في غيهما..ثم طلبتا منهما المغادرة...

تقدم إليهما قنبر وحيدر، وسحباهما من رأسيهما، ثم اقتربا من حفرة عميقة بجانب البيت، ونظرا إليهما: من يحب أن ينزل أولاً..بدأت علامات الخوف على وجهيهما..فما كان من قنبر إلا أن ضرب سعد على صدغه بمسدسه فأفقده وعيه، ثم رمى به على أمِّ رأسه..فلما رأى فاروق صديقه..ارتعدت فرائصه من الخوف: أنا سأكون شيعياً..وإن شئت مجوسياً..أرجوك...أرجوك..لكن قنبر كان قلبه كالحجر الصوان..فحمله وقذفه فيها...ثم بدآ برمي التراب عليهما وبعد أكثر من ساعة غادرا البيت..

كان سقوط **سعدا** قبل فاروق مريعاً فمات على الفور..لكن فاروقاً انكُسرت ساقه، وانخلع كتفه، وشُجَّ رأسه شجاً عميقاً وأخذ ينزف بشدة، وبقي على قيد الحياة لدقائق يصارع الموت، إلى أن خرجت روحه إلى بارئها...

* * * * *

تحركت الشرطة باتجاه السيدة زينب، فسألت عن الشابين، لكنها لم تجد لهما أي أثر، فالجميع أنكر رؤيتهما..وآية الله أحمد ينظر إليهم بطرف خفي ثم .. تناول الهاتف..وتكلم لدقيقتين ثم تقدم من الضابط وقال له منزعجاً: تفضل تكلم...

الضابط مستغرباً: مع من..؟

أحمد بعنجهية رافعاً صوته: تكلم وبعد ذلك اسأل..!!

أخذ **الضابط** الهاتف من يده وحالة من الدهشة مرتسمة على وجهه: ألو من..؟..حاضر...حاضر...حاضر سيدي..!!

ثم تقدم إلى **آية الله أحمد** معتذراً، وانطلق مغادراً..وفي الطريق سأله أحد مساعديه: سيدي ما الذي جرى..؟

الضابط: أتاني اتصال من الداخلية بوقف التحقيق، ومغادرة المكان المقدس..

المساعد: لكن يا سيدي هناك شخصان مفقودان..والشبهة أنهما فقدا هنا..

الضابط: لا حيلة لنا إلا طاعة الأوامر ثم عادا إلى مخفريهما..

* * * * *

راجع أهالي **سعد** وفاروق الشرطة..فكان الرد: البحث مازال جارياً، ولا تعودوا إلى هنا، وإن توصلنا إلى أي شيء، فنحن من سيخبركم...

خرج الأهالي يجرون أذيال الخيبة، والألم يعتصر قلوبهم، وحالة من الهستريا على وجوه الأمهات والأخوات..

* * * * *

أبو زيد وآية الله أحمد

لَمَّا عرف شاهر ومؤيد أنَّ التحقيق قد وصل إلى طريق مسدود، أصيبا بخيبة أمل كبيرة..وأخذا يعملان على معالجة المسألة بطريقتهم الخاصة..فعيَّنوا بعض طلابهم، ممن يثقون بهم لمراقبة نشاط الطلاب جميعاً دون استثناء، فأفرزوا لكل عشرة منهم واحداً يتابعهم دون علم منهم..وأوصوهم بالسرية والتكتم في مهمتهم...

عملت اللجان لأكثر من ثلاثة أسابيع، فقدمت تقريراً مفصلاً عن كل طالب في المدرسة..فلم يصلوا إلى طرف خيط يوصلهم إلى شيء..

بعد أن فقدوا الأمل، قال مؤيد لشاهر: أرى أن نُرسل شاباً إلى مقام السيدة ليراقب ويستطلع الأمر..فربما نجد شيئاً يوصلنا إليهما..!!

شاهر: هذا أمر لا يمكن أن نكرره مرة أخرى...كفانا ما جرى..

مؤيد: طيب..فلنراقب الآيات هناك..

شاهر: هذا أمر معقول..ولكني أعتقد حتى الآن، أن هناك من يتجسس علينا، وينقل أخبارنا إليهم..فأخشى أن يصلهم أي خبر عن تحركنا، فنقع في مصيبة أخرى..

أصيب **شاهر** بالعجز: دعني أفكر بالأمر حتى غدٍ، فربما نتمكن من وضع خطة محكمة..

مؤيد: كما تريد..

* * * * *

بذل **شاهر** ومؤيد جهدهما في معرفة ظروف اختفاء الطالبين، لكن دون جدوى... إلى أن لمعت في ذهن شاهر فكرة: علينا أن نرسل من نثق به إلى مقام السيدة، وأن يكون هذا الواحد من خارج المدرسة ولا يعرفه غيرنا..

مؤيد: فكرة صائبة..وبمن تفكر..؟

شاهر: أنا أفكر بإرسال أبي زيد..فهو رجل أُمي...وعنده خبرة في الحياة..ولا يُشك به على الإطلاق..

مؤيد بسرور: يا لها من فكرة جيدة..وخاصة إذا كان أبو زيد هو من سيقوم بالمهمة..فمظهره يدل على البساطة، ولا يُشك به على الإطلاق..

شاهر: خير البر عاجله..لنذهب إليه فوراً..

* * * * *

عندما قصَّا عليه القصة أجابهم على الفور..فأخذ شاهر يشرح له طريقة التعامل معهم...

أجابه أبو زيد ضاحكاً: دع الأمور تسير حسب الواقع..فأنا أعرف كيف أتعامل مع الناس...فهذا عملي..ثم تركهم: سأغيب ساعتين..وهذا المرة للاستطلاع فقط..

دخل أبو زيد إلى مقام السيدة، وبدأ بالطواف، ثم تقدم إلى السيد أحمد وقبَّل يده، وأخرج من جيبه عشرة آلاف ليرة وقدمهم له: مولانا هذه الأموال ثمن ذبيحتين للسيدة..ثم تركه وانصرف..تأمل أحمد وجهه: باركك العباس..من أين أنت..؟

أبو زيد: لا أريد أن أخبرك..لكي لا يذهب أجري عند السيدة..

تبسم **أحمد** في وجهه: أحسنت...أحسنت...!!

انصرف أبو زيد كما دخل...

بعد ثلاثة أيام عاد وأخذ بالطواف والبكاء، وراح يضرب وجهه وصدغه..كانت نظرات أحمد لا تفارقه أبداً..فأشار إلى قنبر...الذي تقدم إليه: يا مؤمن الإمام يطلبك..

تقدم إليه أبو زيد بخطوات مثقلة، وقد احمرت عيناه من البكاء، وعلامات أصابعه على وجهه: ما بك أيها المؤمن..؟

نظر إليه أبو زيد بعينين دامعتين: دعها على الله فهو العالِم بحالي الغني عن سؤالي..

أصيب **أحمد** بالفضول: أخبرني فربما أستطيع مساعدتك..؟

أبو زيد: المساعد هو الله..

شعر **أحمد** بأن الرجل قد أصابه خطبٌ جسيم، فأصرَّ عليه: لا بأس..ما رأيك أن تأتي إلى بيتي وتخبرني بخبرك..؟

أبو زيد متململاً: يا مولانا ما يصنع العطار ما أفسده الدهر..

ضحك **أحمد**: الآن فهمت..ثم قال لقنبر: خذه إلى البيت وسألحق بكما الآن..

لما استقرَّ جالساً دخل إليه أحمد والضحكة تملأ وجهه: أتستنجد بالسيدة لأمر موجود..

أبو زيد: ولِمَ لا..أليست مولاتنا، وسيدتنا، وتاج رؤوسنا..

شعر **أحمد** بالسعادة لقوله: أحسنت...ولكن إلى الآن لم أعرف اسمك..

أبو زيد مظهراً حالة الاستياء: أبو رجب..

ضحك **أحمد** حتى انقلب على قفاه: ألم تجد إلا رجباً لتسمي ابنك به..

نظر إليه أبو زيد مظهراً البراءة: بحثت في كل أيام السنة، فلم أجد إلا رجباً..لكن زوجتي الملعونة أرادت أن تسميه رمضان..وهذا الاسم لا يعجبني..أتدري لماذا..؟

أحمد ضاحكاً: لماذا..؟

أبو زيد: لأنني لا أريد أن أتذكر هذا الشهر، فما إن يذهب سرعان ما يعود..فلا أريد أن أتعب أعصابي كلما نظرت إليه..

انتابت **أحمد** الضحكات حتى كاد أن يسقط على الأرض..وأبو زيد ينظر إليه وكأن الأمر لا يعنيه..لكن آية الله أحمد نظر إليه: ما أجمل طبيعتك...والآن سأخرجك من غمِّك كما أخرجتني..

أبو زيد: الله يسترها معك..أخرجني أرجوك..

التفت إلى **قنبر** الذي كان يضحك: لن يخرج من عندنا أبو رجب إلا ضاحكاً مسروراً هذا اليوم...

فرح أبو زيد وقال مخاطباً قنبر: اذهب يا أسود الوجه..

فلما سمع **أحمد** قوله كاد أن يغشى عليه من شدة الضحك..فما كان من قنبر إلا أن أسرع بخطواته..ثم عاد بعد نصف ساعة، وخلفه ثلاث فتيات جميلات...نظر إلى أبي زيد: يا أبا رجب..انظر لجمالهن..

نظر إليهن أبو زيد، ثم وقف واقترب منهن، وأخذ يشم رائحتهن فقال للأولى: رائحتك مثل العجين..ثم التفت إلى أحمد: هذه لا أريدها...فضحك أحمد حتى سالت دموعه..

ثم تقدم من الثانية، ثم ابتعد عنها سريعاً: لعنك الله ماذا أكلت هذا اليوم...وهذه أيضاً رائحتها نتنة..فانتابت أحمد الضحكات وقال له: شم الأخيرة وأخبرنا برائحتها..اقترب منها وابتعد مُكشِّراً بأنفه مسبقاً: رائحة الثوم في فمك..

نظرت إليه الفتاة مستغربة: لم أتناول الثوم منذ أكثر من شهر...

أبو زيد: لعنك الله..فمن أين أتت الرائحة إذن..هل أنا كذاب..؟

وضع **أحمد** يده على خاصرته من شدة الضحك وقال لقنبر: أين الباقيات..؟

قنبر: في أعمالهن..

أحمد: لقد فوَّتَّ علينا هذا اليوم حفلة لن تتكرر بعد الآن..ثم نظر إلى أبي زيد مخاطباً: تعال غداً سننظِّف لك الفتيات، ولن تشم منهن إلا رائحة المسك..ثم حلف عليه أن يبقى لتناول الغداء معه..

* * * * *

أعاد أبو زيد ما جرى معه لشاهر ومؤيد..وقال لهما: إن استمر الأمر على هذا الحال فأخشى أن أقع في الحرام..

مؤيد: فعلاً الأمر خطير...وخاصة إن ألزمك بفتاة..!!

أبو زيد: المشكلة الكبيرة أن الفتيات جميلات...ولا طاقة لمثلي أمامهن..ولولا أني ضبطت نفسي لوقعت في الحرام..!!

شاهر: هذه مشكلة فعلاً..

لمعت في عقل أبي زيد فكرة: الخيط أمامنا..ونحن غافلون عنه...

شاهر باستغراب: دلنا عليه..!!

أبو زيد: كما نحن نظن بوجود جواسيس لهم عندنا..فلماذا لا نبعث عدة أفراد ممن نثق بهم يراقبونهم عن بعد..فنضع في الشارع واحداً، وفي المقام واحداً، وأمام كل بيت منهم واحداً..وبالتالي نصل إلى كل معارفهم..

ظهر بعض الأمل على وجه شاهر، وبدا عليه السرور: لقد أصبت..وعلينا أن نجد أشخاصاً لا علاقة لهم بالمدرسة أو بنا..

تدخل أبو هاني: أما هذه فاتركوها علينا..فعندنا من نثق به..

مؤيد: لكن أخشى أن ينكشف أمرهم..

تدخل أبو زيد: اطمئن من هذه الناحية..واترك الأمر لنا..

شاهر: أرجو ألا يتأخر الخبر..

أبو هاني: إن شاء الله لن يتأخر..

تدخل أبو زيد: هذا يتوقف على آية الله أحمد وجماعته ونشاطهم...

مؤيد: صدقت...والآن موجهاً كلامه إلى **شاهر**: فلنعد إلى بيوتنا وعندما تصلون إلى شيء أخبرانا...

* * * * *

انتقى الصديقان بعض الشباب ممن يثقان بهم، وأرسلوهم في مهمتهم... استمرت المراقبة عدة أيام دون أن يظهر أي شيء..وفي كل مساء يقدمون تقريرهم... ولم يجدوا شيئاً غير طبيعي، فنشاطهم مقصور على المتعة والدعوة...لكن ومع تردد الكثير من الشبان إليهم..راعهم اهتمام أحمد بأحدهم، الذي كان على اتصال دائم معه دون البقية..فأخبروا أبا زيد بذلك..فما كان منه إلا أن طلب ملاحقته ليعرفوا بيته وأماكن تواجده كلها...

في مساء يوم الجمعة عاد أحدهم وأخبره بمكان سكنه...فأشار عليه بمتابعته ليعلم أصدقاءه ومكان عملهم..ومضى على هذا الحال أكثر من أسبوع، ثم عاد فأخبره بأن له صديقاً كثير التردد عليه ويدعى غالباً، وهو طالب في المدرسة الشرعية..

ضرب أبو زيد كفا بكفٍّ: أحسنت..عد إلى عملك..واتصل من فوره بشاهر، وطلب منه أن يوافيه على الفور..

وصل **شاهر** ومؤيد إليه بسرعة وعلى وجهيهما أثر الانفعال لما سيسمعانه..

لما رآهما أدخلهما إلى مكتبه وأغلق الباب، وقصَّ عليهما القصة..

كان وقع الخبر عليهما عظيماً..ثم ودعاه وانطلقا إلى المدرسة..فدخل شاهر القاعة، وراح يسترق النظر إليه بين الفينة والأخرى..فرآه يتمسح بالعلم مُظهِراً اجتهاده وتفانيه فيه...

سوَّلت له نفسه أن يحقق معه..لكنه خشي من فراره..وتوصل في قرارة نفسه، أنه يقف وراء اختفاء فاروق وسعد..لكن لا إثبات لديه إلا انتسابه إلى المدرسة، وعلاقته مع آية الله أحمد، التي زادت من شكوكه..

شعر **شاهر** بالتعب فصارح مؤيد، الذي شاركه همومه: لقد أصابني عجز في التفكير..فالشكوك حول غالب تزيد يوماً بعد يوم..ونحن نقف مكتوفي الأيدي لا نستطيع فعل شيء..

مؤيد: لقد فكرت في إخبار الشرطة..لكن منعني ارتباط الآيات بهم..

شاهر: إياك أن تفكر بذلك؛ لأنه الدليل الوحيد بين أيدينا..وعلينا أن نستشير من له باع في هذا المجال..

مؤيد: من تقصد..؟

شاهر: أبو زيد وأبو هاني..؟

مؤيد: لا بأس..ثم وقفا وانطلقا إليهما...وبعد نقاش طويل قال أبو زيد: الطريقة الوحيدة أن نتعامل معهم كما يتعاملون معنا..

شاهر: وكيف..؟

أبو زيد: فلنخطف غالباً ونضعه في مكان ما ونحقق معه..فربما نصل معه إلى شيء مهم..!!

شاهر: أخشى رجال الأمن..!!

أبو زيد: دع الأمر لي...

شاهر: وتقدر عليه..؟

ضحك أبو زيد وقال بثقة كبيرة: بالطبع..فهذا عملي..أنا لست متعلماً..لكن الحياة علمتني أكثر من القرطاس والقلم..

شاهر: على بركة الله..وبودي أن أكون حاضراً ساعة اختطافه، لأراه وأحقق معه بنفسي..

أبو زيد بثقة: غداً مساءً سيكون بين أيدينا إن شاء الله..

شاهر: سنكون عندك...

أبو زيد: أنا بانتظاركما..

* * * * *

سألت يسرى زوجها: هل عرفتم مكان الشابين..؟

مؤيد: الشكوك تدور حول الآيات..ولكن لا دليل لدينا حتى الآن..وقد أرسلنا إليهم من يستطيع التعامل معهم لنعرف مصيرهما..

يسرى بخوف: يبدو الأمور تنحى نحو الخطر..وهذه بداية الطريق...

مؤيد: يا عزيزتي..ليس في الدنيا راحة..وكل طريق فيها مليء بالحفر والمطبَّات..

يسرى: لكننا نستطيع الابتعاد عنها..لا أن نرمي بأنفسنا فيها ونقول: إن الأمر مكتوب..وحفرتها جاهزة لنسقط فيها..عليك أن تبتعد عنها أولاً، لتضمن السلامة..

مؤيد: إن ابتعدت عنها وتركتها، فهي لن تتركني، وهي ورائي حتى النهاية..فإن

سقطت أنا فسيخرج غيري ليعبد الطريق للأجيال القادمة..ولن نترك الحال للقدر..فجهدنا ومقدور الله يلتقيان ويحققان النجاح..وغير ذلك سيكون مصيره الإخفاق..

يسرى: أليس الله بقادر على تحقيق الحق..؟

مؤيد: يا عزيزتي..الله قادر على كل شيء ..لكنه سبحانه أناط نصرة الحق بعباده، فهم يعملون وعليه التوفيق..!!

يسرى: أنا غير مقتنعة بما تقول...!!

مؤيد: الإيمان ما وقرَ في القلب وصدَّقه العمل...وأنت الآن خائفة على زوجك وعلى أولادك..وهذه فطرة الله وضعها في عباده..وأنا أعرف إن داخلك مقتنع بكل كلمة أقولها..فسلمي أمرك لله...!!

يسرى بصوت خافت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

ضحك زوجها: ارفعي صوتك..لماذا تخجلين من نطقها..؟..

* * * * *

لم ينقطع عن **آية الله أحمد** توافد الشبان، الذين يرومون التشيع، نظير قضاء ليلة حمراء...فصار المقام يعجُّ بهم كل يوم...حتى أن بعض كبار السن من أصحاب الفاقة..جاؤوا مقدمين طقوسهم أمام آية الله أحمد لينالوا رضاءه، ليجود عليهم ببعض المال..ولما ازدادت الأعداد صار أحمد يستعجل تشيعهم قبل أن يقدم لهم أي امتيازات جنسية أو مالية..

بدأت وفود الزائرين القادمة من قم وباكستان والعراق والهند تتوافد بأعداد غفيرة لمقام السيدة، وتوسعت طقوسهم..فلم يفوتوا مناسبة لطمٍ إلا وأقاموها..والناس من حولهم ينظرون إليهم مستغربين هذا الحدث الغريب عن بلادهم وعاداتهم..وازدادت الأمور سوءا حتى غدا شتم الصحابة على رؤوس الأشهاد، دون خوف أو رادع..ويتوسط الحشود المحتفلة آية الله أحمد، وسعيد وقنبر، وكل من جاء في

بعثتهم..فيعطي الأمر لهم ببدء الاحتفالات..على أنغام اللطم والنوح والبكاء..حتى غدت هذه المناسبات مقبولة لدى أغلب الناس..فكان منهم البسيط، الذي لا يعلم محتواها وأهدافها، ومنهم من رأى فيها تغيّراً دخل على الدين..والكل هائم على وجهه..

* * * * *

تقدم أبو هاني من غالب الذي كان يقف على ناصية الشارع، يراقب الرائح والغادي: السلام عليكم..

غالب: وعليكم السلام..

أبو هاني: لو تدلني على مقبرة الشيخ خالد..

غالب: المقبرة تقع في حي ركن الدين..

أبو هاني: هل تتكرم وتدلني عليها..

غالب: آسف..لا أستطيع..

أخرج أبو هاني من جيبه مائة ليرة: خذ هذا أجرك..

نظر إليها غالب: لكن عندي عمل الآن...

أبو هاني: ولك فوقها مائة أخرى..ها..ما رأيك..؟

غالب: لا مانع عندي..شرط أن تعيدني إلى هنا..

أبو هاني: بالطبع..عشر دقائق فقط...

انطلقت السيارة قاطعة حي الشاغور..وفي الطريق توقف أبو هاني وقال لغالب: لحظة واحدة وسأعود..

بعد دقيقتين عاد إلى السيارة..وما إن صعد حتى دخل إليها شابان وحصرا غالباً في الوسط، ثم انطلقوا مسرعين..

بدا على وجه غالب القلق..فأصابته رعشة قوية: إلى أين نحن ذاهبون..فالطريق ليست من هنا..؟

رمقه أبو هاني في المرآة: لا تخف..عندي مشوار صغير وسنعود إلى عملنا..

بعد نصف ساعة حاول غالب التنحنح..لكن الشابين نحراه: اهدأ..ووضعا في رأسه كيساً أسودَ..ودخل أبو هاني به إلى أحد البساتين وأدخلاه إلى كوخ من القصب وشدوا وثاقه..فلما رأى حاله بدأ بالارتعاش وتغير لونه...نظر إليه أبو هاني: لن نؤذيك بل أخبرنا أين سعد وفاروق...؟

شعر غالب بخطورة الأمر، فنظر إليهم بعينين متوسلتين: أقسم بالله لا أعلم عنهما أي شيء..

صاح أبو هاني على الشابين: أين بارود..؟..

وبلحظات دخل كلبٌ أسود مكشِّراً عن أنيابه يسيل لعابه..وما إن نظر إليه غالب حتى امتلأ رعباً..

أبو هاني: ها..أتخبرنا أو أترك بارود يحقق معك بطريقته الخاصة..؟..نحن لا نريد أن نتعب أنفسنا..!!

غالب: قلت لك والله لا أعلم..

صار أبو هاني يتصنع فكَّ لجام الكلب..والكلب ينظر إلى غالب مزمجراً..فلما رأى ذلك صاح: سأتكلم...سأتكلم..

شعر أبو هاني بالارتياح: سأخرج الكلب إلى الخارج..وأقسم بالله إن لم تقل الحقيقة سأحبسه معك ليقطعك إرباً إرباً..

غالب: سأتكلم..

أبو هاني: أنا أسمعك...

بدأ غالب يقصُّ عليه القصة من بدايتها...وبعد أن انتهى سأله: وأين هما الآن..؟

غالب: لا أعلم عنهما أي شيء بعدها..

أبو هاني: إن تركناك...هل تذهب إلى مركز الشرطة لتدلي بشهادتك هناك..؟

غالب: نعم والله..!!

اتصل أبو هاني بشاهر ومؤيد، اللذين جاءا على عجل، ليسمعا من أبي هاني اعترافات غالب..

أطرق **شاهر** يفكر في العواقب التي ستنتج عن فعلهما..فشعر بالقلق..ووجه كلامه إلى مؤيد: أخشى إن ذهبنا إلى الشرطة أن ينكر اعترافه، ونقع في مصيبة كبيرة..

مؤيد: معك حق وما العمل إذن..؟

شاهر: لقد توصلنا إلى أن الفاعل هم لجان الشيعة..ولكن ليس عندنا دليل على مكان اختفائهما..ثم سأل أبا هاني: هل عرف طريق المزرعة..؟

أبو هاني: لا.. فقد أخفينا رأسه أثناء الطريق..

تنفس **شاهر** الصعداء: علينا أن نطلق سراحه الآن..!!

اعترض أبو هاني: أبعد أن اعترف تدعه يذهب..ألا نقتص منه..؟

شاهر: نحن لسنا قتلة مثلهم..ولكننا توصلنا إلى الحقيقة وعرفنا غريمنا...فأرجو أن تطلق سراحه دون أن يعرف عن المكان أي شيء..

قلب أبو هاني شفته ودفع غالباً ووضعه في صندوق سيارة كبيرة، وسار به أكثر من ساعتين لتضليله..ومن ثَمَّ رمى به على إحدى الطرقات بعد أن أخفى عينيه، وقال له: كما وعدتني اذهب إلى مركز الشرطة وبلِّغ عما قلته لي..وإلا سأقتلك وأقتل عائلتك معك.. سنأتي بك أين ما ذهبت، ولا تظن أننا لا نستطيع ذلك، فمن أتى بك مرة يأتي بك مرة أخرى..

غالب: سأذهب فوراً..

أبو هاني: سأرى..ثم انطلق مغادراً..

* * * * *

رسالة تنبيه

وصل **شاهر** إلى بيت مؤيد ليلاً وعلى وجهه أثر الصدمة: لم أكن أعلم أن الروافض قد وصلوا إلى هذه القوة من التخطيط والإقدام..!!

مؤيد: أنا أشدُّ صدمة منك..فلم يقتصروا على المال والمتعة في نشر تعاليمهم..بل تعدوها إلى القتل...!!

شاهر: لقد صارت لهم أذرع عديدة في كل مجالات الحياة..فزرعوا بعض أتباعهم في الأجهزة الأمنية..واشتروا البيوت والعمارات وجندوا أولادنا...فإن بقينا على هذا الحال سنجد بناتنا على أبوابهم يستجدونهم المتعة، كما يفعل بعض أبنائنا الآن..!!

مؤيد: وما العمل إذن..ونحن لا نملك من الأمر شيئًا..؟

شاهر: معك حق..أنا أشعر بالإحباط..فإمكاناتنا لا تُذكر أمام إمكاناتهم..ومهما فعلنا فليس في أيدينا إلا الدعوة والكلام والعلم...أما هم فبيدهم الجنس والمال ووراءهم دولتهم والعالم..

مؤيد: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..فمهما فعلنا فلن نجاريهم أبداً..

شاهر: علينا أن نأخذ بالأسباب..وندع الأمر لله تعالى فهو يتولانا..

مؤيد: لماذا لا نشرك معنا قمة رؤساء العالم الإسلامي التي ستعقد في مكة بعد أسبوع من الآن، لنضعهم عند مسؤولياتهم أمام الله..

شاهر: فكرة حسنة..وسأرفع لهم كتاباً موقعاً من العلماء المعتمدين في بلادنا..

مؤيد: أحسنت..ثم أخذا بصياغته فجاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين وبعد:

قادة الأمة الأفاضل نرفع إلى مقامكم الرفيع أسمى آيات التقدير والاحترام.. ونحيطكم علماً بأن عمائم فارس، انطلقت نيرانها من قمقم تحمل بيدها معول هدم الإسلام.. فكان أول أهدافها بلاد الشام، التي تضم في جنباتها رفات الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين..فوطأت أقدامهم أرضنا..وأخذوا ينشرون الرذيلة أينما حلوا ونزلوا.. فجعلوا من مقدساتهم بؤر فسادهم وعقود متعتهم...فأحيوا ديانتهم الإباحية بين أوساط شبابنا وبناتنا..ومن لم يجبهم بالمتعة أجابهم بالمال..حتى اجتمع لهم الكثير.. ومن استنكر فعلهم قتلوه وأخفوا جثته.. ونحن من أرض رباطكم وفسطاطكم، نناشدكم أن تشدوا العزم لمنع هذا الزحف الكبير عن بلادنا..فإن لم تفعلوا سيمتدُّ والله إلى جميع بلاد المسلمين، وسينشر مفاهيمه الباطنية بين أوساط أبنائكم، تحت عناوين براقة قرنوها بحب آل البيت، وإحياء سنتهم بالرذيلة والفاحشة، ونكران القرآن، والذم في الأحكام..وقد أودعنا أمتنا أمانة في أعناقكم..ونستجدي منكم الغيرة على إسلامكم وقرآنكم..فهل أنتم فاعلون...ألا هل بلغنا اللهم فاشهد.

التوقيع

علماء بلاد الشام

حرر بتاريخ ٢٣ / ٩ / ١٩٨١م

* * * * *

جزاء سنمار

عاد غالب إلى بيته ليستجمع تفكيره...وبعد منتصف الليل استقلَّ سيارة أجرة، وتوجه إلى بيت آية الله أحمد...ولما طرق الباب خرج إليه مستنكراً..فلما رآه ثار غاضباً: ما بك يا عدو الأئمة..كل مرة تأتيني ليلاً...؟..

نظر إليه **غالب** بعينين محدقتين: مولاي..لقد خطفني النواصب..

رمقه آية الله أحمد مندهشاً لما سمع: ماذا قلت..؟..ثم سحبه من يده بسرعة، وأدخله إلى الشقة وأجلسه أمامه: أعد عليَّ ما قلت..؟

غالب والخوف في عينيه: مولاي لقد خطفني النواصب هذا اليوم..

حاول **آية الله أحمد** إظهار الهدوء، لكن وجهه أظهر ما كان يخفيه: وماذا قلت لهم..؟

تلعثم غالب قليلاً..فصاح به: ما بك لعنك الله...؟

غالب: مولاي هددوني بالقتل إن لم أذهب إلى الشرطة...

دبَّ الخوف في أوصال آية الله **أحمد**: على هذا فقد اعترفت لهم بكل شيء...

غالب: نعم يا مولاي..فقد أتوا بكلب ليأكلني..!!

تصنَّع **أحمد** الهدوء مظهراً بساطة الأمر: هوِّن عليك يا بني..ولكن عليك الآن أن تختفي عن الأعين عدة أيام ريثما تنجلي الأمور..!!

غالب: أمرك يا مولاي...

رفع **آية الله أحمد** سماعة الهاتف: ألو قنبر تعال إليَّ على الفور..

بعد نصف ساعة طُرِقَ البابُ، فهرع أحمد ففتح الباب وقبل أن يأذن له بالدخول همس في أذنه..

ألقى **قنبر** التحية على غالب..ثم التفت إلى أحمد: مولاي سأذهب به إلى

بيتي..وسيكون بأمان..

أجابه **أحمد** دون أن ينظر إليه: لو أبعدته إلى شقة أخرى لكان أفضل..ليبقى بعيداً عن الأعين..

قنبر: حاضر يا مولاي...ثم قال لغالب: هيّا بنا...

استقلا سيارة إلى مخيم اليرموك..وانسلا إلى شقة على حين غفلة من الناس..ولما دخلا ضربه قنبر على مؤخرة رأسه بإبريق معدني، فسقط على الأرض فاقداً وعيه..فجرّه من قدميه وأدخله إلى الحمام وأحكم وثاقه..بعد أن وضع على فمه لاصقاً قوياً..ثم دخل الغرفة وأخرج من جيبه كيساً صغيراً من المخدرات، وأخذ يستنشق منه، حتى شعر بالنشوة العارمة، فاضجع على السرير وأخلد إلى النوم..

مع ضحى اليوم الثاني، استيقظ وتوجه من فوره إلى الحمام، فوجد غالباً يصارع قيوده، فاستنشق جرعة أخرى، ثم رمقه بعينين حادتين، وتقدم إليه حاملاً سكيناً، وأخذ يطعنه في جميع أنحاء جسده إلى أن فارق الحياة..فقام بتقطيعه، ولما انتهى عبّأه بأكياس سوداء..وقام بتنظيف المكان..ثم حمل بعضها إلى خارج الحي، ودفنها في مكان بعيد عن أعين الناس..وكرر الأمر حتى توزعت أوصاله في أماكن عدّة..ومن ثَمَّ عاد إلى آية الله أحمد، ناظراً إليه مشيراً برأسه..فتنفس الصعداء...

* * * * *

أصحاب القرار

بعد عدة أيام توجهت عائلة غالب إلى الشرطة لتبلغ عن اختفاء ولدها..

وصلت الأخبار إلى أبي زيد، الذي قام بدوره بإخبار شاهر ومؤيد..فأصابتهما الدهشة..

شعر **مؤيد** بالأسى فقال موجهاً كلامه إلى شاهر: أتظن أنهم قتلوه..؟

شاهر: ربما..أو أخفوه ليقطعوا صلتهم بأي دليل يدينهم..

مؤيد: أو لو كان على ملتهم...؟

شاهر: بالطبع..فهم لا يتورعون عن فعل أي شيء؛ لأنهم يعتبرون مهمتهم أعظم من كل أتباعهم..أو ربما أبعدوه بعيداً..

* * * * *

بعد أن غادرت الفتيات بيت الدكتور **شاهر** اختلت اعتدال مع زوجها: هل هناك أخبار عن الشابين..؟

شاهر: لا تشغلي بالك...

اعتدال: لا..أخبرني..فبالي مشغول عليهما...!!

نظر إليها بألم ظاهر: لقد قُتلا..!!

صاحت اعتدال وضربت على صدرها: قُتلا...ومن قتلهما...؟

طفت من عين **شاهر** دمعة: الآيات..!!

اعتدال: وهل تأكدتم من ذلك..؟

شاهر: هذه طريقتهم عندما يشعرون بالإخفاق...فالقتل سبيلهم الوحيد لتحقيق ما يريدون..لقد اعترف أحد أتباعهم أنهم اختطفوهما..لكنه لا يعلم أين هما..وعلى الأغلب تمَّ تصفيتهما، ليمحوا كل أثر يدل على فعلهم..

اعتدال: أخشى أن يصلوا إلينا، فنحن ضعفاء..وانظر إلى فؤاد كم هو متعلق بك..ارحمه يا عزيزي..فنحن بحاجة إليك ولا نريد أن نفقدك..!!

شاهر: دعك من هذا الكلام...ولا تكوني مثبطة للهمم..وانظري إلى الدنيا بمنظار جميل..

اعتدال: لقد أظلمتها بهذا الطريق..ولا أرى فيه إلا القتل والفساد والدمار..ف دعنا لحالنا واترك الأمر لغيرنا..

نظر إليها ممعناً النظر في وجهها، وانصرف إلى مكتبه دون أن ينبس ببنت شفة..!!

* * * * *

أحال رئيس القمة رسالة علماء دمشق إلى المؤتمر الإسلامي، الذي كان منعقداً في مكة تلك الفترة، لمناقشة أحوال المسلمين ومشاكلهم، بعد أن عبَّر عن امتعاضه لأحوال المسلمين، وقال مخاطباً الحضور: لقد بلغ السيل الزبى، وعلينا أن نقف وقفة مسؤولة أمام ما يجري لأمتنا وما يحاك لديننا، وعلينا أن نقف وقفة رجل واحد، أمام الفساد وما هي إلا لحظات حتى تقدم أحد الضباط إلى رئيس المؤتمر برسالة علماء دمشق، ففضَّها على الفور فتجهَّم وجهه، وامتقع لونه، وأخذ العرق البارد يتساقط على جبينه، فأطرق صامتاً لا ينظر إلى أحد.

أحسَّ الحاضرون بأن خطباً ما قد جرى، فانقطعت الأصوات، وعمَّ السكون القاعة كأنها فارغة، وتوَّجه الجميع بأنظارهم إلى المنصة، مستطلعين الخبر الذي ورد، لكن سكوتهم لم يدم طويلاً، فنهض شيخ الأزهر، وتقدم إليه هامساً في أذنه: خير إن شاء الله يا مولانا!

رئيس المؤتمر: لا أدري ماذا أقول..!!..فقد وصلني توّاً برقية من علماء الشام هزت كياني..وأحسست بخطر محتواها...

تناول العالم المصري الرسالة من يده وقرأها، فارتعشت يداه...وأعادها إلى رئيس

المؤتمر وغادر إلى مكانه مطرقاً برأسه، والحزن والألم باديان على محياه.

ازداد فضول المؤتمرين، فصاح أحدهم: أخبرونا بما يجري...؟..هل نحن على حافة الساعة..أم الشمس قد أشرقت من مغربها...؟

تعالت الصيحات هنا وهناك...وبعد برهة من الزمن، وقف رئيس المؤتمر، قد احمرت عيناه وسالت دمعات على وجنتيه، فلم يستطع إخفاءها، وأراد قراءتها فخانته حشرجة بكائه، فاستدار إلى نائبه وأشار إليه أن يقرأها.

تقدم النائب من المنصة، وفتح الرسالة وتأملها قليلاً وتحامل على نفسها، وتمثل برباطة الجأش وألقاها على الحاضرين.

وما إن سمع الحاضرون محتواها، حتى بدأت الصيحات تتعالى من أرجاء القاعة ساخطة منددة.

كان من بين الحضور آية الله شعلة الأئمة..تقدم من المنصة دون استئذان من رئيس المؤتمر، وتناول الميكرفون والعصبية ظاهرة عليه: إخواني إن مضمون الرسالة التي قُرِئت، لا تعبر بأي حال من الأحوال عن رأي علماء دمشق...والذي أعتقده أنها رسالة مدبرة مفبركة..غايتها الإساءة إلى دولتنا الإسلامية الفتية..وهل نحن إلا جزء من أمة الإسلام...إن شريعتنا أيها العلماء واحدة وربنا واحد، وما اختلفنا فيه كان رحمة لهذه الأمة، وحفظاً لها من الضياع...أليس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: اختلاف أمتي رحمة...ألا تعتقدون بهذا الحديث؟...فإن أقررتم به، فلا تنكروا علينا نحن شيعة آل البيت بما خالفناكم فيه، طالما لم يصل إلى جوهر العقيدة والنصوص الواردة... فمن أحبَّ أن يأخذ بهذا القول أخذ به، ومن أراد المخالفة، فالعلماء كما قال رسول الله: ورثة الأنبياء...فليأخذ من أراد بأي الأقوال والأحكام، التي اختلف فيها العلماء، وأما ما يجري في بلاد الشام فهو مبالغ فيه، ونحن لا ندفع الناس إلينا..بل الناس وجدوا في مذهبنا متنفَّساً لهم من العوائق الكثيرة، التي لا تنم إلا عن ضيق الأحكام أمام آيات القرآن، وما ورد عن الأئمة الأطهار...

لم يتمالك رئيس المؤتمر نفسه فصاح به: اجلس مكانك، أنت لست في إيران لتتحدث نيابة عن علماء الأمة..وأشار بيده إلى علماء القاعة..ففي قاعتنا من العلماء الكبار، من يستطيع أن يفنِّد كل حرف نطقت به...وما شعوبنا ومواطنونا بألعوبة تلعبون بها وتغيرون معتقداتها، ولا مانع عندنا أن نستحضر ما تقول وتعقد في مناظرات متلفزة يراها المسلمون جميعاً.

انتفض آية الله شعلة الأئمة، وكأن عقرباً قد لسعته، وخرج من القاعة على عجل، وبدا على وجهه الامتعاض والغضب، وسار خلفه بقية الوفد، وهم يتأملون وجوه الحاضرين، مظهرين الحقد والكراهية.

لما خرجوا وقف شيخ الأزهر مخاطباً الحاضرين: إخواني لا بد أن نستطلع ما ورد في رسالة علماء الشام من حقائق.

قاطعة رئيس الجلسة: أنا على معرفة تامة بعلماء الشام، وأخصُّ منهم أصحاب الرسالة، ولولا أنهم في وضع خطير ما كتبوا إلينا مستغيثين...فعلينا نحن علماء الأمة تقع مسؤولية وقف هذا الزحف القادم من الشرق...فوالله إن لم نقف في وجهه الآن، فلن نستطيع أن نوقف زحفه نحو بلادنا وبيوتنا وأعراضنا..فتكاتفنا الآن، واستنفار العلماء من ورائنا، سيكون أُولى اللبِنَات، التي ستمنع هذا الطوفان الخطير.

خيَّم الصمت على القاعة، فلم تعد تسمع إلا همساً، فحالة الوجوم، ووقع الخبر قد ألجم الجميع، ووضعهم في حيرة من أمرهم.

قطع الصمت أحد علماء باكستان، فوقف في مكانه وخاطب الحضور: إخواني إن امتداد هؤلاء الروافض نحو بلادنا، سيكون له أثره المدمر على شعوبنا، لما يحملونه من أفكار متحررة، طوقوها بالرذيلة والفجور مستحلين كل محرم، تحت مسميات ألصقوها بآل البيت ظلماً وعدواناً، ونحن إذ نقف هنا متأملين، ما ورد في رسالة أهل الشام..بين مصدّق بها ومشكك فيها...فإنهم الآن يضحكون علينا، ويمارسون نشاطهم في كل بقعة من أرضنا الإسلامية، وللأسف..نحن دون المستوى المطلوب

للوقوف في وجه هذا الطوفان الجارف...كيف لا..وهو الآن يملك المال والسلطة والدولة الداعمة له في المحافل الدولية...فحري بنا إخواني الأعزاء أن يأخذ بعضنا بأيدي بعض، لنجنِّد علماء الأمة وطلابها، لمكافحة هذا السرطان الغازي لجسد الأمة.

* * * * *

حساب الآيات

بعد أن عاد الوفد الإيراني إلى قم، التقى آية الله شعلة الأئمة بآية الله مهدي ميرزا، شارحاً له ما جرى معه في المؤتمر..نظر إليه مهدي دون أن ينبس ببنت شفة... وما أن أتمَّ كلامه، حتى خرج عن صمته...فجحظت عيناه، وكأن الشرر يخرج منهما وصاح به: ومن سمح لك أن تغادر المؤتمر...؟ يبدو أن الذي انتدبك في هذا الوفد، ليس على المستوى المطلوب، وأشار إلى سكرتيره: أصدر بياناً، بإحالة آية الله شعلة الأئمة إلى المحاكمة، لمخالفته الأوامر، والتصرف وفق هواه دون الرجوع إلى القيادة.

وما إن سمع آية الله شعلة الأئمة تلك القرارات، حتى رمى بنفسه على قدمي آية الله مهدي يقبلهما، وأخذ بالتباكي: مولاي...وحق الإمام الحسين وآل بيته الأطهار ما تصرفت إلا بوحي من محبتي لكم، وطاعتي لأمركم، وغيرتي على ثورتكم، وثورة الأئمة...ولو أني أعلم أن ذلك سيغضبكم، ما فعلت فعلتي التي فعلتها وأنا من الجاهلين...فكيف يتسنى لي أن أقف أمامكم، وقد نال منا أولئك النواصب...؟

هدأت ثورة الغضب عن آية الله **مهدي**: لقد قدمت عمري، فداءً لتلك اللحظة، وأنت وأمثالك تضيعونها بحماقاتكم، وقلّة عقولكم وإدراككم...عليكم أن تعلموا أن مذهبنا يعمل وفق الباطن، فنظهر الوئام ونبطن الحقد والانتقام...فنحن الحمل الوديع، ومن يريد الخير للأمة..وعندما يحين الزمان، ونتمكن من أهدافنا...سنستبدل الحمل بأسدٍ هصورٍ لا يرحم...فأهدافنا أسمى وأجلّ من أن تقف أمام تلك المؤتمرات التافهة، التي ليس لها إلى الاجتماع والانفضاض دون أفعال...لكننا أصحاب الوقائع والأفعال، فنعمل في الظل إلى أن يحين موعدنا المنتظر وخروج إمامنا العادل...وما نحن إلا جنود بين يديه نمهد له طريق الخروج، وهذا لن يكون إلا بجملة من المبادئ العظيمة، التي تعبد لنا الطريق...فغايتنا أسمى وأرفع من تلك المهاترات، التي لا

توصل إلى نتيجة...وعلينا أن نسعى منذ الآن، إلى توعية العلماء والأئمة من شيعتنا إلى أخذ جانب الحيطة والحذر في تعاملنا مع أعدائنا، ووقف منتصباً وغادر المكان يحيط به حرسه وسكرتيره وأتباعه...وأمعن النظر في أحد أتباعه هنيهة، فتقدم إليه التابع: لبيك مولاي الإمام..

آية الله مهدي: اجمع لي الآيات، أعضاء ثورتنا غداً بعد المغرب...

التابع: حاضر يا مولاي، سيكون أمرك نافذاً خلال ساعة...

هزَّ **مهدي** رأسه وأطرق صامتاً، وتوجه نحو قاعة جلوسه، وطلب من سكرتيره، إدخال الضيوف إليه.

* * * * *

بعد انتهاء أعمال المؤتمر الإسلامي، اتخذ قرارات عدة، تضمنت نصرة الإسلام، من خلال النشرات والكتيبات الصغيرة، التي تبين الوجه الناصع لهذا الدين، وكان من جملة قراراته، تشكيل لجنة متابعة لتقصي حقائق المد الشيعي في بلاد الشام، على أن ترفع توصياتها إلى رئاسة القمة القادمة لدراسة نتائجها.

* * * * *

عندما همَّ **آية الله مهدي**، بدخول قاعة الاجتماعات، استدار إلى سكرتيره، الذي كان يسير خلفه مباشرة، ووضع يده على كتفه: لا ينبغي لأحد أن يدخل علينا أبداً، وعليك أن تبعد الحرس مسافة كافية، بحيث لا يستطيعون سماع ما نقول...؟..

السكرتير: حاضر مولاي..

مهدي: هل الجميع في الداخل..؟

السكرتير: نعم يا مولاي...فقد وصلوا منذ الصباح الباكر طاعة لكم...!!

ربت على كتفه بعطف ومودة: أتمنى لك التوفيق..فأنت نِعْمَ الناصر لنا..

شعر السكرتير بكلماته كأنها بلسم يجرى في دمه، فلم يتمالك نفسه، فانقضَّ على يديه يقبلهما: فداك أبي وأمي يا مولاي، وهل أنا إلا عبدكم وابن عبدكم...

مهدي بتكبر: أحسنت قولاً...أحسنت قولاً...

وما إن فتح باب القاعة حتى تمثّل الحاضرون وقوفاً بين يديه، وعبارات المدح والثناء والتبجيل، تُسمع من هنا وهناك...فتقدم إلى مكان جلوسه ملوحاً بيده للحاضرين...

ولما استقرَّ في مكانه، أشار بيده إليهم بالجلوس والإنصات...

تسمّر الجميع في أماكنهم...وهدأت القاعة، حتى غدت كأنها خالية...

أجال بعينيه نحو الحضور، متفحّصاً حالهم وما هم عليه، من طاعة والتزام وخنوع...فأظهر ابتسامة خفيفة...لكنها لم تظهر على وجهه العابس، فحاجباه المتهدلان على عينيه قد أظهرا ما يكنه من غضب..

كان الصمت قاتلاً على الجميع...مرّت دقائق كدهر طويل، كأن على رؤوسهم الطير، فنظرات إمامهم الثاقبة سرت في أجسادهم، حتى أن العديد منهم أخذته رجفة الخوف، مما سيسمع منه...ونظر بعضهم إلى بعض، ليستفهموا سبب تجهّم وجه إمامهم...وهم في حيرتهم، بدأ **مهدي** كلامه: يا شيعة آل محمد...أنتم تعلمون أننا بذلنا كل ما نملك من دماء وأموال، حتى نصل إلى ما نحن عليه الآن...وإمامنا المنتظر عجل الله فرجه الشريف، ينظر إلينا الآن متفحّصاً حالنا، وطاعتنا والتزامنا بوصاياه...فالعدو يحيط بنا من كل جانب...وما نحن إلا بضعة رجال، أمام بحر هائج من النواصب أعداء آل البيت..فإن لم نكن على فكر أئمتنا فلا خير فينا، ولن تقوم لنا قائمة، وستنهشنا الكلاب من كل ناحية...وكما تعلمون فإن أئمتنا وضعوا لنا قواعد ثابتة لا يمكن لأحد أن يحيد عنها...ولا داعي أن نستعرضها فالجميع على علم بها وبتفاصيلها...

وهو في استرساله، رفع أحد الحاضرين يده ليتكلم..لكن الحرس أشاروا عليه بالصمت، لحين انتهاء الإمام من كلامه..لكن مهدي أشار إليهم: دعوه فليتكلم...

السائل: مولاي نحن نعلم فضلكم ونسبكم فينا، وما قدمتموه لأمتنا في نصرة

شيعتنا...ولكن يا مولاي هناك من يتحدث عن مهامكم، أثناء غياب الإمام..وهذا الأمر من الأهمية، بحيث يضفي على الأمة شعوراً بالتضحية والطاعة، فإذا استطعنا إيصال أفكارنا إليهم بالطريقة التي ترونها مناسبة...

مهدي: لا بأس...لا بأس...لكننا الآن بصدد مناقشة أمور أهم من ذلك بكثير...وغداً سنتحدث عما ذكرت...وأشار إلى سكرتيره أن يدوّن تلك الفكرة لتكون على جدول أعماله في اليوم الثاني...ثم استطرد: كما سمعتم عن المؤتمر المسمى بالإسلامي في مكة وما جرى فيه من مهاترات بين وفدنا والنواصب.

أجاب الحاضرون: نعم مولانا سمعنا بانسحاب وفدنا من هناك..

أجال بعينيه إلى الحضور: وما رأيكم بما فعل آية الله شعلة الأئمة...؟

وقف آية الله جمال الله، وكان جالساً في المقدمة: لقد أحسن التصرف...

أشاح **مهدي** بنظره عنه وطلب من آية الله الكاظمي التكلم..

عرف آية الله الكاظمي أن كلام آية الله جمال الله لم يعجبه، فقال: من الخطأ والجريمة أن يترك آية الله شعلة الأئمة المؤتمر، فنحن لا نتعامل مع أولئك النواصب وفق شريعتهم وما يدينون به، بل علينا أن نتعامل معهم وفق شريعة أئمتنا.

مهدي فرحاً: هو ذاك...هو ذاك...لا فضَّ فوك..فقد تكلمت فأحسنت...

ثم تقدم إليه السكرتير، وهمس في أذنه معلناً انتهاء الوقت المخصص للجلسة... ثم أعلن السكرتير عن موعد الجلسة القادمة، على أن تكون في اليوم الثاني وفي نفس الوقت...

* * * * *

انتهى الجزء الأول

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

تمهيد ٥
الإهداء ٦
شخصيات الرواية ٧
حكماء بلباس القدماء ١٣
شاهنشاه ٢١
مواخير عائمة على مياه آسنة ٢٣
راحيل والحكيم ٢٥
تيه وآيات ٢٩
بروتوكولات الحكماء ٣٢
مجون الشاه ٣٨
الصديقات الثلاث ٤١
فتيات على موائد الآيات ٤٧
فتات الجبل ٥٣
غيرة وشبق ٥٦
جاسوسة القصر ٥٩
موكب جنائزي ٦٧
كرم الملوك ٦٩
بائعات الحب ٧٢
تراث الأجداد ٧٤

حجاج زائرون ٧٨
مهمة سرية ٨٤
سقوط الشاه ١٠٢
زوبعة في فنجان ١١٥
الغربـــــاء ١٢٢
لكل قضمة مضغ مختلف ١٢٥
المؤامرة ١٢٧
نهاية حزينة ١٣٣
لجان الثورة ١٣٦
فتيات للمتعة ١٤٢
زيارة العتبات ١٤٨
دعاة بفروج الفتيات ١٥٤
الصيد الثمين ١٦٥
نصائح أفيخاي ١٧٠
أحضانٌ دافئة ١٨٨
سفينة النجاة ١٩٣
إفشاء السر ١٩٧
جزاء المخالف ٢٠٣
تصدير الثورة ٢٠٩
الطواف الأخير ٢١٨
زواج شرعي ٢٢٣
الثأر للحسين ٢٢٨
وائل وشاهيناز ٢٣١
عباس وأفيخاي ٢٣٨

عش الزوجية ٢٤٢
افتتاح المدرسة ٢٥٢
المصارحة ٢٥٩
الوطن الجديد ٢٦٣
عين الآيات ٢٦٨
الوقوع في المصيدة ٢٧٢
الامتحان ٢٨٠
أبو زيد وآية الله أحمد ٢٨٤
رسالة تنبيه ٢٩٥
جزاء سنمار ٢٩٧
أصحاب القرار ٢٩٩
حساب الآيات ٣٠٤
فهرس الموضوعات ٣٠٩

عمائم تهودت

ملحمة روائية

الجزء الثاني

تأليف

الدكتور/ رياض عبد الله ليلا

مكتبة ابن عباس

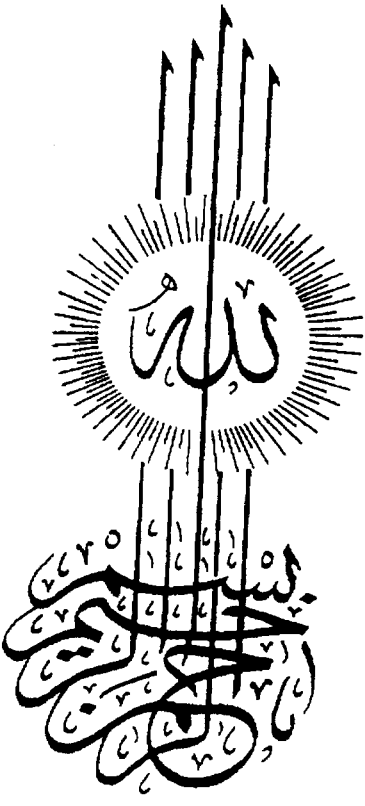

عمائم تهودت

ملحمة روائية

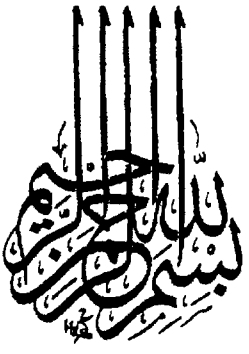

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٩٦٧٧ / ٢٠١٠

مكتبة ابن عباس

للنشر والتوزيع

سمنود - جمهورية مصر العربية ش الثورة - بجوار سنترال الدولية

المنصورة - عزبة عقل - أمام مركز شور

هاتف/فاكس: ٠٤٠٢٩٦٧٣٦٨

محمول/ ٠١٢٣٤٦١٨٩٦

تمهيـــد

مادامَتْ رِفْعَةُ الأُمَمِ في دَهَاليزِها.

مادامَتْ ظُلْمَةُ الأقْبِيةِ في قُصورِها، وأشْعَلَتْ لَهيْبَ ضِرامِها بأهلِها، وأوْقَدتْ نارَ عَدوِها بِشعْبِها، واستَبْدَلَتْ صَهِيلَ خَيْلِها بِنَهِيقِ حَمِيرِها، كان حَقا على اللهِ أن يبيدها.

وبتعبير آخر: ما عسْعَسَ الليلُ بظُلْمَةٍ.

ولا أطلَّ عارضٌ ببلدةٍ، أو غارَ طَلها بِنارِها.

ولا أطْفَأتْ عُتْمَةُ الليلِ وَمْضَةَ شُعْلَةٍ، أو تَدَحْرَجَتْ عن رؤوسٍ تِيْجَانُها.

فَكُل ذا وَمَا كانَ ذا إلاَّ بحِكْمَةِ عَادِل .

د. رياض عبد الله ليلا

خلف من سلف

أخذت **دينا** بيد صغيرها جوزيف، وتوجهت به إلى سريره، وجلست إلى جانبه تحكي له كعادتها حكاية قبل النوم.

وما إن بدأت بالقصة حتى قاطعها بقوله: ماما..لقد حكيت لي قصة جدي أفيخاي مئات المرات..أليس عندك غيرها؟

دينا: جدك أفيخاي رجل مكافح...قد حباه الله بالعقل الكبير، والحنكة في تدبير الأمور..وأنا أحب أن تكون مثله في المستقبل.

جوزيف: ماما..تكلمي لي عن جدي الآخر.

دينا: من تقصد..جدك لأبيك ؟

جوزيف: نعم...أنا لم أسمع عنه أي شيء حتى الآن؟

دينا: دع أباك يحكي لك عنه...

جوزيف: لكنني لا أرى أبي..فعمله في الليل قد أشغله عني...وفي النهار يكون نائماً..

دينا: إن أباك يعمل ليل نهار ليجمع المال لنا...فنحن بدون المال لا قيمة لنا في هذه الحياة..وأنت عندما تكبر، يجب عليك أن تكد وتشقى من أجل جمعه، فهو نصيبك في هذه الدنيا...وهو من يسعدك ويسعد أولادك من بعدك.

جوزيف وقد بدا على وجهه حب المعرفة: وهل سيكون لي أولاد..وينادونني..بابا ؟

ضحكت **دينا** وضمته إلى صدرها: بالطبع سيكون عندك أولاد وبنات ومال عظيم...

جوزيف: لكن يا أمي...متى سيكون عندي هذا المال...؟

دينا وقد استهواها تفكير ولدها: وماذا ستفعل بالمال...؟

جوزيف: سأبني سجناً كبيراً..أسجن فيه الناس..وسأحمل بيدي سوطاً أضربهم به.

دينا: ولماذا يا بني ستضربهم..؟

جوزيف: حتى يصبحوا يهوداً مثلنا...

دينا: وإن لم يفعلوا ما تريد...؟

قاطعها **جوزيف** على عجل: سأقتلهم...ونظر إلى وجه أمه، ليرى أثر كلامه عليها...فما كان منها إلا أن ضحكت، وضمته إلى صدرها: ما ضاع تعبي فيك يا ولدي..فأنت بحق سليل يهود.

وتركته في سريره بعد أن نام..

* * * *

كانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة ليلاً...هرعت **دينا** من فورها إلى المطبخ، لتعد طعام العشاء، بمناسبة مرور خمسة أعوام على زواجها من مصطفى، وقد جعلت من ذكراه عيداً يحتفلان به كل عام.

وضعت الطعام على المائدة بنفسها، بعد أن صرفت الخادمة إلى بيتها، ليخلو لهما الجو...وأخذت ترنو ببصرها نحو الباب...بعد أن ارتدت أجمل ثيابها، وتجمَّلت بأجمل حِلَّةٍ، وزاد من جمالها عبق العطور الباريسية، التي عمَّت أرجاء (فيلتها)..حتى طغت على رائحة الورود في حديقتها الغناء...

ثم استلقت على الأريكة، بعد أن انتهت من إعداد الطعام، وأحاطت طاولتها بالشموع الملونة، وأطفأت مصابيح الإنارة، لتضفي على الجو الرومانسية والهدوء...وأخذت تتخيل دخول **إبراهام** عليها، حاملاً بيده هدية زواجهما كعادته في هذه المناسبة...وهي في أحلامها أخذتها غفوة...فلم تستيقظ إلا على صوت الباب..فهرعت على الفور إليه وضمته إلى صدرها.

نظر إليها **إبراهام** باستغراب وتعجب، وبدأ يتمايل في مشيته، ورائحة الخمر

تفوح من فمه: ما بك **دينا** هل أصبت بالجنون؟

أمسكت **دينا** دمعة كادت أن تخرج من عينها: حبيبي هل نسيت هذا اليوم..؟

إبراهام: عن أي يوم تتحدثين ؟

أمسكت بيده وتوجهت به نحو طاولة الطعام: ألا يذكرك هذا الجو بشيء..حبيبي..؟

إبراهام: نعم...تذكرني هذه الشموع الذائبة بانقطاع الكهرباء...واستدرك: هل الكهرباء كانت مقطوعة هذا اليوم...؟

صاحت **دينا** غاضبة: هذا يوم زواجنا، وأنا أنتظرك منذ ساعات..وأنت ليس هنا...

إبراهام: آسف...آسف..لقد نسيت..فقد شغلني الكباريه وطلبات الزبائن... والآن عليَّ أن أنام لأصحو إلى عملي غداً.

أخذت **دينا** برأسه وهزته بعنف: وأين هديتي يا جاحد..؟

إبراهام: غداً سأشتري لك ما تريدين..ولكن دعيني الآن، لأني مرهق وبحاجة إلى النوم...فلم يكمل كلامه، حتى سقط على الأرض وراح في سبات عميق...

ضربت **دينا** بيدها على ساقها: لعن الله حظي التعيس..فمنذ أن وصلنا إسرائيل، وهو غائب عني...وتوجهت إلى غرفتها، وأحضرت بطانية ووضعتها فوقه، وعادت إلى سريرها لتنام بعد أن تركته في مكانه.

* * * *

السجن الكبير

استمر عباس متخفياً عن الأنظار، قابعاً في شقته مع ابنته، التي كانت دائمة الشكوى والحزن، لانقطاعها عن صديقاتها في الشام، وفي أحد الأيام طلبت من أبيها العودة إلى سوريا، والإقامة فيها باسم مستعار.

عباس مستغرباً: ماذا تقولين أتريدين قتلنا..؟

هايدي: ومن سيقتلنا..هل البلد بلا قانون..؟...سنعود ونشتري بيتاً في إحدى القرى النائية..ونعيش حياتنا بلا خوف...؟

عباس: وما الذي ينقصك هنا في بيروت أخبريني..؟

هايدي: أبي..أتقول ماذا ينقصني..؟...ينقصني كل شيء.. صديقاتي... حياتي التي عشتها هناك..فأنا أرى نفسي ضائعة هنا، على الرغم من السنوات التي قضيتها...فقد مَرّت عليَّ كالكابوس المخيف، الذي لا ينتهي...فأرجوك يا أبي عد بنا إلى بلادنا...!!

ضحك من قولها وراح يردد: بلادي...بلادي..عن أي بلاد تتكلمين..؟... ألا تعلمين أن بلادنا هي إيران، وليست غيرها، وما كانت سوريا إلا مكان عملنا فقط..وقد انتهى هذا العمل كما تعلمين...ولو تكلم غيرك بهذا الكلام لكان معذوراً..أما أنت فأنا أستغرب إلحاحك في العودة إلى سوريا...وتساءل وما الفرق بين بيروت ودمشق؟...فنحن على بُعْدِ عدة أميال منها فقط...وعليك أن تكيِّفي أمرك حسب الواقع الذي نعيشه.

هايدي: أبي..أنت تحبسني في هذا البيت اللعين، وتمنعني من الخروج...وأريد أن أكون معك..وأنا أصبحت كبيرة على هذا السجن...فعندما أنظر من النافذة، وأرى الفتيات يذهبن إلى المدرسة ويعدن منها...أشعر بالإحباط، وأتساءل: لماذا لا أكون مثلهن...وأحياناً أحسد أخي مصطفى على هروبه من

سطوتك!!!

تنهَّد بحرقة عندما سمع اسم مصطفى: آه يا **هايدي**..ليتني أرى مصطفى ولو للحظة واحدة...فقلبي يكاد يتمزق شوقاً لرؤيته...!!.

نظرت إليه متنهدة: الآن تذكر مصطفى..؟...ألست السبب في تعاستنا..؟...ألم تمنع زواجه ممن أحب..؟...لقد تصرَّف بحنكة وذكاء وأخرج نفسه من قبره.

ظهر على عباس الغضب بما سمع منها، ونسي شوقه لابنه، وصاح بها: مصطفى سرقني وخالف أمري.

تصنَّعت البسمة: أتقول سرق مالك...؟..أبي..هل نسيت ما فعلت أنت بمال الآيات في دمشق...ألم تبع ممتلكاتهم وهربت بها إلى بيروت...هل نسيت أن المال الذي أخذه مصطفى لأمي فيه النصيب الأكبر، وقد أعطته إياه عن طيب خاطر منها.

شعر عباس بالضيق والحنق: ألست من أشار عليَّ بأخذ الأموال، والهروب إلى بيروت ؟

ضحكت **هايدي** مرة أخرى وتمتمت بكلمات غير مفهومة...

عباس: نعم..ماذا قلت..؟

هايدي: لا شيء...لا شيء ؟

عباس: لا...لقد قلت كلاماً لم أفهمه...

هايدي: أبي لا يليق بي أن أتكلم معك بكل ما أفكر به..

عباس: لا بأس تكلمي..

هايدي: أخشى أن تغضب من كلامي..!!

عباس: لا بأس...لا بأس..فأنت ابنتي...

هايدي: تذكرت المثل القائل: جدي لعب بعقل تيس...

صاح عباس: لعنك الله على هذا المثل..

ضحكت **هايدي** حتى اغرورقت عيناها بالدموع، وتوجهت إلى المطبخ، لتضع طعام الغداء.

* * * *

وصل **أبو زيد** برفقة صديقه أبي هاني إلى المدرسة حاملاً بيده حقيبته، وما إن وصل باب المدرسة حتى سارع إليه أبو سعيد الفراش مهللاً ومرحباً... كان أبو سعيد كبير السن مقوس الظهر، رسم الدهر على وجهه تجاعيده، وترك فيه أثر البؤس وتكاليف الحياة، فقد ماتت زوجته وأولاده الصغار، عندما كان شاباً يافعاً بحريق التهم بيته أثناء عمله حارساً ليلياً في أحد المقاهي... علم **أبو زيد** بمصابه، فكان يتصدق عليه كلما التقاه...

توجه **أبو زيد** وأبو هاني إلى غرفة المدير، فوقف أمام الباب قليلاً ومسح شعره بيده، ونظر إلى هندامه.. ولما أحسَّ بتمام أموره، قرع الباب بهدوء وروية، وانتظر ليسمح له بالدخول... لكن دون جدوى، فأعاد طرقه مرة أخرى.. فلم يحصد إلا النتيجة نفسها... لم يتمالك أبو هاني نفسه، فأخذ بيد الباب وفتحه... وقال لأبي زيد: تفضل.. فلا حاجة لقرع الباب.

دخل الصديقان الغرفة، وقلَّبا نظريهما، فلم يجدا فيها أحداً... فطلب **أبو زيد** من أبي هاني أن يستدعي الفراش.

دخل أبو سعيد والبسمة لا تكاد تفارق وجهه: نعم... بماذا أخدمك..؟

أبو زيد : أين **الدكتور شاهر** ..؟

أبو سعيد: هو الآن في قاعة المحاضرات..

مشى **أبو زيد** إلى القاعة، وأخذ ينظر إلى الطلاب من وراء النافذة، و **الدكتور شاهر** يعطي محاضرته، فوجد السكينة والوقار قد عمَّا القاعة، والهدوء التام مخيم عليها فأخذته العبرة، فغصَّ بها وأراد أن يخفيها عن صديقه، لكن دمعة أبي هاني كانت سباقة في غزارتها... فنظر أحدهما إلى الآخر وتبسما... قال أبو هاني موجهاً

كلامه لأبي زيد: والله لقد أحسنت صنعاً عندما فتحت هذه المدرسة. . .وستكون في صحيفة أعمالك يوم القيامة، فهنيئاً لك.

وهما في حديثهما، قُرِعَ جرسُ المدرسة، معلناً انتهاء المحاضرات، وخرج **الدكتور شاهر** إسماعيل، ليجد أبا زيد أمامه، فاعتنقه مقبِّلاً ومرحباً به وأخذ بيده وتوجه به نحو غرفة المدير، وسأله: منذ متى وأنت هنا. .؟

شاهر ممازحاً: لا تستطيع الالتزام بالمواعيد يا أبا زيد. . .فأنت في كل مرة تأتي إلى هنا ونكون داخل القاعة. . .

أبو زيد: أنا يا شيخي أحب أن أرى الطلاب، وهم ينهلون العلم من مظانه. . !!

شاهر: أنت مُرَحَّبٌ بك في أي وقت تأتي إلى هنا. .ونحن لن ننسى يدك في إنشاء هذا الصرح الكبير. .؟

أبو زيد: دكتور الفضل لله تعالى، وقد أتيت لأقدِّم للمدرسة مستحقاتها المالية التي بذمتي، وأخرج من حقيبته دفتر شيكاته، وحرر شيكاً مصرفياً بمليوني ليرة: هذا المبلغ عن نصف السنة الحالية، وإن شاء الله سيكون النصف الثاني أكبر.

تناول شاهر الشيك، ونظر إليه: جزاك الله عنا كل خير. . .وأدعو الله أن يوسع عليك الرزق. . .واستدرك: لي طلب عندك. .

أبو زيد: أمرك فاطلب ما تشاء. .فأنا رهن إشارتك. . !!

شاهر: المدرسة لا تقوم على جهد شخص واحد. .

قاطعه أبو زيد قائلاً: وهل قصَّرت بشيء لا سمح الله. .؟

شاهر: يا أبا زيد جهودنا لا تكفي، للوقوف في وجه الحملة السوداء، القادمة من بلاد فارس، وعلينا أن نوحد جهودنا، ونتوسع في جميع بلادنا، ونفتتح فروعاً أخرى في بقية المدن والمحافظات. .فكما تعلم أن عدونا يملك الإمكانات الكبيرة، وهي إمكانات دولة. . .وما نحن أمامه إلا ذرة صغيرة أمام جبل كبير. . .لهذا علينا أن ندعو التجار، وأصحاب الثروة والمال، ليسهموا في بناء صروح السنة

والجماعة. .وهذه المهمة تقع على عاتق الجميع وأنت أولهم. .

أبو زيد: وكيف ذلك. .؟

شاهر: أنت الآن في مركز حساس، وعلى اتصال دائم مع كبار التجار. . .وما عليك إلا أن تشرح لهم الحال التى يعانيها الناس في بلادنا، وتحذرهم من ضياع الدين والعرض، وهم بالتأكيد سيشاركوننا في عملنا.

أبو زيد: والحماس باد على وجهه: أبشر يا دكتور فستجد ما يسرك قريباً. . وانتصب واقفاً ليغادر. . .لكن شاهر أشار عليه بالجلوس، ليقدم له ضيافته. .لكن أبا زيد اعتذر له: ليس بيننا كلفة. . .وتناول يده فقبلها، وغادر المدرسة مع صديقه.

* * * *

استيقظت **دينا** صباحاً كعادتها، لتجهز ابنها **جوزيف** لمدرسته التمهيدية، وبعد أن اطمأنت عليه، قامت بتحضير قهوتها، وجلست في صالون بيتها مطرقة برأسها إلى الأرض، والحزن يعتصر قلبها، وأثر المساحيق قد تركت أثرها على وجنتيها، راسمةً خطوطها الملونة، وزادها قتامة وانتشاراً دموعها قبل نومها، وهي في حالتها تلك سمعت حشرجة وسعالاً، فنظرت إلى زوجها، الذي كان متوسد الأرض، نائماً على جنب واحد، فقالت له: هل أعدُّ لك فنجاناً من القهوة يا **إبراهام**؟

مصطفى: كفي عن مناداتي **إبراهام** فلست معتاداً على هذا الاسم. . .؟

دينا: ولكنه أسمك الآن . . .

مصطفى: ما المشكلة في كون اسمي مصطفى. . .طالما أنا إسرائيلي **ديناً**. .فالاسم لا يهم . . .

دينا: لا تفسد علينا حياتنا من أجل اسم لا معنى له. . .ولا تخرجنا عن موضوع الأمس؟

إبراهام: ماذا جرى بالأمس. . .ونظر إلى نفسه على الأرض: ولماذا أنا هنا. . .؟

نظرت إليه بتهكم وازدراء: أتتجاهل فعلتك. . .ألم تسمع بعيد زواجنا. . .ألم

تأت بالأمس مخموراً. . .وبدأت بالبكاء والنحيب. . .هل نسيت حبيبتك **دينا** التي ضحَّت بنفسها من أجل حبك. . .؟. . .

ضرب **إبراهام** على جبينه مظهراً بأن شيئاً قد فاته: نعم والله. .لم أنسَ. . .

قاطعته **دينا** بقولها: وتقول إنك لم تنسَ. . .تباً لك من كاذب محتال. .

إبراهام: سأثبت لك صدقي هذا المساء. . .وعليك أن تعدي متكأً. . .!!

دينا: وما يدريني أنك ستأتي. .؟

إبراهام: هذا وعد مني، وقد نسيت هدية زواجنا في البار. . .

تبسمت **دينا** وانتابها الفضول: وماذا جلبت لي. .؟

إبراهام: هذه مفاجأة. . .!!

نهضت **دينا** وتحسن مزاجها، وهرعت إلى المطبخ لتعد له طعام الإفطار. .

دخل **إبراهام** الحمام، وبعد أن تناول إفطاره، توجه إلى غرفته وارتدى ملابسه. .وأثناء خروجه، طبع قبلة على خدِّها: أرجو أن لا تنسي أنني سأعود مبكراً لنحتفل معاً. . .وقبل أن يخرج من الباب، استدرك: أرجو أن يكون الاحتفال مقصوراً علينا نحن الاثنان فقط. . .أظنك فهمت قصدي. . .فلا أريد أمك ولا أباك معنا.

استاءت **دينا** لهذا التنبيه: ولماذا. . .هل أزعجوك بشيء. .؟

إبراهام: حبيبتي هذه المناسبة خاصة بنا وحدنا، ونريد أن نحتفل بطريقتنا الخاصة. . .وتبسَّم في وجهها. . .أظنك فهمت قصدي. .؟

شعرت بقشعريرة في أوصالها: نعم حبيبي فلن يكون غيرنا. . .فاطمئن؟.

* * * *

أبو زيد وزوجته

أطال **أبو زيد** الجلوس مفكراً بما سمعه من **الدكتور شاهر** إسماعيل. . .كانت **أم زيد** تعدُّ طعام العشاء، وتنظر إلى زوجها متسائلة عمَّا أهمه وأشغله، ولما انتهت. .وضعت الطعام أمامه فلم يشعر به، فخاطبته: ما بك يا أبا زيد. .؟ أرى في عينيك هموماً كبيرة. . .فماذا يشغلك. . .أهو المال؟

أبو زيد: لا. . .المال آخر ما أفكر به. . .!!

أم زيد: فضفض عما أهمك، فلن تجد من يسمعك مثلي. .!!

أبو زيد: المسألة كبيرة يا **أم زيد**. . .فحالة التشيع وامتداده أكبر من كل إمكاناتنا.

أم زيد: لا عليك. .فأنت فعلت ما يمليه عليك دينك وضميرك، وعلى الآخرين أن يحذوا حذوك. .

أبو زيد: هذا لا يكفي، فوراء التشيع في بلادنا دولة كبيرة وغنية. .وهي تضع جميع ما تملك في سبيل نشره، وبشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة، ونحن لا نملك إلا جهودنا الذاتية، فهي تحيط بنا من كل جانب. . .وكلما سددنا ثغرة، فتحوا لنا ثغرات وثغرات لا نقوى على سدها. .واليوم **الدكتور شاهر** طلب مني أن أستنفر التجار، لدعم مشروعنا في بيان الحق للناس.

ظهرت على **أم زيد** الحيرة: لكن هذا الأمر ليس في أيديكم، فأنتم مهما فعلتم لن تستطيعوا أن تجاروا دولة. . .والعين لا تقاوم مخرزاً.

أبو زيد: نحن علينا أن نبذل كل جهدنا، ونضع ذلك أمام علمائنا، والله هو الموفق والمعين. .

أم زيد: خطرت لي فكرة قد تفيد الدعوة. .أتمنى أن تعجبك. .

أبو زيد : ما هي..؟

أم زيد : لماذا لا تستفيدون من شاهيناز و**هزار** وشيرين...؟

أبو زيد متململاً: وكيف سنستفيد منهن...؟

أم زيد : أن يقمن بشرح ما جرى معهن، وبما كُلِّفن به من قبل آياتهن ، لنشر الفساد في بلادنا...

أعجبت **أبو زيد** الفكرة: فكرة جيدة، سوف أبحثها مع **الدكتور شاهر**، فربما يقمن ببعض التوعية للطالبات في المدرسة...ثم استدرك: لكن هذا ليس موضوعنا...وعليَّ منذ الغد الشروع في إقناع التجار وأصحاب المال لتلك الغاية العظيمة.

أم زيد : وفقكم الله..ورفع شأنكم..!!

أبو زيد : اللهم آمين..

* * * *

كانت القاعة ممتلئة عن آخرها، عندما دخل **الدكتور شاهر** إسماعيل إليها، ليلقي محاضرته اليومية، أمام طلابه..وما أن دخل حتى وقف ينظر إلى الطلاب ممعناً النظر في وجوههم وتعطشهم للعلم والمعرفة، فغلبت على عينه دمعة لم يستطع إخفاءها، فسقطت على وجنته ولحيته، فشعر الطلاب بها، فاهتزت القاعة بالصلاة على رسول الله وآل بيته وأصحابه، وقالوا بصوت واحد: فداك أبي وأمي يا رسول الله..نحن أنصار الحق..نحن أنصار الله...نحن أنصار محمد...

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

فأصابت الدكتور رعشة قوية، فقال بصوت هزَّ القاعة: أبينا....أبينا...أبينا...

الدكتور على نفسه، ومسح دموعه، ووقف على المنصة كالجبل الشامخ لا تهزه الريح، وقال: يا أحباب المصطفى وحراس العقيدة..نحن نقف هنا في هذه المدرسة الفتية، لإعلاء كلمة الإسلام وسنته التي أتى بها رسولنا الكريم ﷺ ... وكما تعلمون أننا لا نشكل إلا نواة صغيرة في هذا البلد المعطاء، ممن فهم ما يحاك لنا من أحفاد ابن سبأ...الذي أدخل على الإسلام الباطنية، وزرعها في بلاد فارس؛ لأنه وجد فيهم التربة الصالحة لتنمو شجرة خبثه وضلاله، وهم الآن داخل بلادنا، يعملون هدماً في عقيدة أبنائنا وبناتنا، وينشرون الرذيلة في المجتمع، تحت مسميات غلّفوها بآل البيت والإسلام...وهم منهم براء...ومن هذا المكان، أطلب منكم أن تشمّروا عن سواعدكم، وتجدّوا همتكم ودراستكم، كي تتخرجوا من هذه المدرسة، وتمارسوا حياتكم الدعوية، في شتى أنحاء بلادنا، فنحن الآن ضعاف لا حول لنا ولا قوة، وإنما نستمد قوتنا من قوة ربنا، الذي ينظر إلينا الآن، ويحيطنا بعين عنايته وتوفيقه...فكلما أسرعنا في تعلمنا...كنا لبنة وصخرة، تقف في وجه الطوفان القادم من الشرق...وفقكم الله لما يحب ويرضى، وسدد على الحق خطاكم...

* * * *

أحسَّ **أبو زيد** بثقل المهمة التي كلَّفه بها **الدكتور شاهر**، فأخذ يتساءل: كيف لي بمفاتحة التجار...؟...وبينما هو جالس في محله وصل أبو هاني فرآه في حيرته، فسأله: ما بك يا أبا زيد..؟

أبو زيد: الموضوع إياه..!

أبو هاني: أتقصد موضوع التجار ودعمهم للعلم..؟

أبو زيد: نعم...!!

أبو هاني: وأين المشكلة..؟...عليك بالمقربين إليك، واعرض عليهم الأمر كما سمعته من الدكتور، واشرح لهم تجربتك السابقة مع الباطنيين...فمن المؤكد أنك سترى منهم غيرة على دينهم وأعراضهم..

أبو زيد: ما يخيفني صدهم وعدم مبالاتهم..!!

أبو هاني: يا أسفي عليك يا أبا زيد..!!..ألا تعلم أن عليك البلاغ وعلى الله التوفيق..وهل تظن نفسك الغيور الوحيد على دينك...فما زال في بلاد الشام الخير وهو باق إلى يوم الدين...ألم تسمع من **الدكتور شاهر** أن الشام هي فسطاط المسلمين...وأنها مركز الجيوش الإسلامية آخر الزمان...وأنها ملجأ خيار أهل الأرض من عباده قبل يوم القيامة...هل تريدني أن أذكرك، وأنت أدرى مني بتلك الأقوال والغيبيات النبوية العظيمة....فقم بما عليك واترك الباقي على ربك فهو يتولى الصالحين، وهو أغير على دينه من عباده...

أبو زيد: لقد أرحت قلبي، أراح الله قلبك...وانتابته همَّة عالية، بعد سماعه قول صديقه: أتمنى أن تكون معي في مهمتي فكلامك فيه الخير والبركة والقبول...

أبو هاني: أنا مستعد لأقدم روحي فداءً لله ودينه...

أبو زيد: ما رأيك أن نبدأ بعمر الشامي...

أبو هاني: أتقصد تاجر الصوف...؟

أبو زيد: نعم ..هو من أردت .. فهو على اتصال دائم بالتجار في كل المحافظات... فتجارته تفرض عليه الاحتكاك بكل أصناف البشر ... ومع كل الدول..وهو محط ثقة الجميع ...

أبو هاني: أحسنت، فهذا أول الغيث..وهو ـ على حد علمي ـ رجل متدين..وقد لمست منه التقوى أثناء عملي عندما كنت كاسباً في سوق مدحت باشا..

تبسم **أبو زيد**: أما زلت تذكر تلك الخوالي يا أبا هاني..؟

أبو هاني بثقة: يلي مالو قديم مالو جديد...وهل تُنسى تلك الأيام...والله هي من صنعتنا...ولولا تلك الأيام وأحوالها لما عرفت ما يحاك ضدنا، ولما عرفت عباس...

قاطعه **أبو زيد**: نعم والله، فتلك الأيام لا تنسى..وأرى أن الله تعالى قد منَّ علينا بتلك المعرفة...حتى غدونا من أصحاب الحق والطريق السوي...

أبو هاني: علينا الآن أن لا نضيع وقتنا بالكلام...فالوقت يسبقنا...فهلمَّ بنا

نذهب إليه..

وقف **أبو زيد**، وأخذ بيد أبي هاني وتوجها معاً إلى شارع مدحت باشا للقاء عمر الشامي.

* * * *

مع إشراقة اليوم الثاني، توجه المجلس الأعلى بآياته، إلى قاعة الاجتماعات، قبل الموعد المحدد للقاء **آية الله مهدي**، وما أن أطبق عقرب التاسعة صباحاً، حتى سُمعت جلبة، معلنة وصول إمامهم، فتمثل الجميع له وقوفاً قبل دخوله إليهم، وحدّقت أنظارهم نحو الباب، وما هي إلا برهة قصيرة، حتى أطلّ مهدي ميرزا واضعاً عمامته السوداء على رأسه، مرخياً لها عنانها إلى الخلف، عابساً بوجهه، قد تهدل حاجباه الطويلان على عينيه، مصطنعاً وقاره بمن حوله من الأعيان وبحرسه المدججين بالسلاح.

هتف الحاضرون فور رؤيته : اللهم صلي على مجمد وآل محمد... مهدي... مهدي... مهدي... إمام الله وحجته على عباده...

رفع مهدي يده ملوحاً لهم بالتحية ومشيراً إليهم بالجلوس...

لما هدأ الحاضرون، بدأ بالكلام: يا أمة الإمام وشيعته وحجته على خلقه، وورثته إلى أن يخرج من غيبته... نعود هذا اليوم لإتمام ما بدأناه... وكذلك بيان ما أخفي على البعض منا في أمور هي من الضرورة بمكان، وخاصة في هذا العصر بالذات... فقبل سنوات كان آية الله شعلة الأئمة، أول الخارقين لتعاليم أئمتنا في التقية... فبدل أن يجاري المجتمعين إلى أن يحين وقت نهوضنا، ونتمكن من الوقوف على أقدامنا، أمام أولئك الكفرة... سعى في تخريب ما بنيناه عبر سنوات نضالنا، وأنا من موقعي هذا ونيابة عن الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف، أعلن إعفاءه من كل مهام الدولة، وليعود إلى حوزاتنا ليتعلم منها أصول مذهبنا من جديد، وبعدها ننظر أيهتدي أم يكون من الذين لا يهتدون.

ضجّت القاعة لهذا القرار، معلنة تأييدها لإمامها، ووقف آية الله حيدري،

متقدماً الصفوف باتجاه مهدي. . .فاندفع الحرس نحوه ليمنعوه من الوصول إليه، غير أن مهدي أشار إليهم بيده أن دعوه. . .وقال بصوت خفي لا يسمعه إلا القريب منه: هلمَّ إلينا يا حيدري. . .لطالما كنت لنا ندا وخصماً. . .ولكن لا بأس اليوم، فقد طوعتك الثورة، ورفعك الجاه، إلى مصاف كبار الدولة. . .وما إن وصل إليه حتى انكبَّ على ركبتيه مقبِّلاً قدميه ويديه، وقال: مولاي الإمام صاحب المقام الرفيع. . .نحن جنود عظمتك، ورجال دولتك، وخدم نعليك. . .والعباس ما عرفنا للدين طعم العزة إلا بوجودك. .ولو عاد الزمان بنا لكنت طوع بنانك، وسيفاً بيدك، تضرب به كيف تشاء. . .!!

رفعه مهدي وقبّله بين عينيه، وأجلسه إلى جانبه، وقال بنبرة واثقة: وعيّنا حيدري رئيساً للوفود الخارجية. .فهو أهل لهذا المنصب، وطلب من سكرتيره أن يصدر بياناً بهذا الشأن.

لم يتمالك آية الله حيدري نفسه، فقبّل يده مرة أخرى ثم وقف: نحن جنود الإمام. . .لا نحيد عن نهجه وفكره. . .فليقذف بنا إلى ما يحب، ولو أمرنا أن نرمي بأنفسنا إلى النار، ما ترددنا فناره جنة الله. .أخذ مهدي بيده وأجلسه في مكانه، وطلب منه أن يشرح للحاضرين مهام الإمام إلى أن يحين خروج المنتظر. . .

حيدري: نعم يا مولاي إن ولاية الفقيه، تكون للفقيه الذي اجتمعت فيه الكفاءة العلمية وصفة العدالة، يتمتع بولاية عامة وسلطة مطلقة، على شؤون العباد والبلاد، باعتباره الوصي على شؤونهم في غيبة الإمام المنتظر. . .وكما هو معلوم، فإن علماءنا عبر الزمان، كانوا ينكرون تلك النظرة، ولا يخصون بها من وصل إلى درجة الاجتهاد. . .

قاطعه آية الله علي السجستاني: مولاي الإمام نرجو أن تعطي الحاضرين نبذة عن مهامكم ومكانتكم على أن نضعها بين أيدي طلاب العلم في الحوزات والجامعات، والمدارس في كل مراحلها، حتى يتسنى للناس جميعاً الاطلاع عليها، وتكون بمنزلة نصوص منزّلة من قبل الله، والأئمة المعصومين.

أومأ **آية الله مهدي** برأسه، واعتدل في جلسته، وتناول كأس العصير من

أمامه، وارتشف منه رشفة ثم رفع رأسه: إن منح الفقيه حق الولاية العامة، يؤدي منطقيا إلى رفع منزلته إلى مقام الإمام المعصوم، إلى أن يظهر المهدي من غيبته، وهذا يعني: أن تكون له السلطة المطلقة على كافة الأمور التشريعية والفقهية، وبذلك يصبح معصوماً عن الخطأ، ولا يجوز لأحد أن يعترض عليه، ولو كان مجلساً للشورى.

الأمر الآخر: إن الأنبياء والرسل، لم يكملوا رسالات السماء، ولم ينجحوا في إرساء قواعد العدالة في العالم، وإن الشخص الذي سينجح في نشر العدل الكامل بين الناس هو المهدي المنتظر، وإلى أن يحين خروجه، فالإمام يحل مكانه، بكل ما عند المنتظر من صفات وقدرات ووظائف.

وبهذا القول، فإن للإمام مقاماً محموداً، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية، تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون...وهم الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة...ومن ضروريات مذهبنا، أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل...وأن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن يجب تنفيذها واتباعها.

ثم أشار إلى السكرتير بكتابة كل حرف نطق به، على أن تُرفع إلى الجهات المعنية بالمناهج التعليمية ، لتكون وثيقة تتناقلها الأجيال عبر جميع مراحلهم التعليمية...ثم وقف هاما بالخروج، وطلب من الجميع أن يعملوا وفق الأفكار التي طرحها، ويشمروا عن سواعدهم لتطبيقها على أرض الواقع..ثم انطلق مغادراً.

* * * *

هزار ووائل

عندما عاد **وائل** من عمله ليلاً، كانت **هزار** في استقباله وراء الباب كعادتها كل يوم، وما إن أطلَّ بوجهه، حتى عانقته بحرارة مفعمة بالشوق والحب، فبادلها شعورها فقبّل خدها معانقاً لها... وقال لها: أخبريني ألا تملّين من انتظاري وراء الباب كل يوم...؟

هزار: وهل يملُّ الحبيب حبيبه..؟..أنت عندي كل شيء..أنت أبي وأمي وأخي وزوجي وجميع عائلتي..فهل يملُّ أحد من هؤلاء...؟

تبسّم فرحاً بما سمع ولم يعلق على كلامها، لكن تقاطيع وجهه كانت أكثر تعبيراً من أي كلام..وسألها: ماذا صنعت لنا من طعام هذا اليوم..؟

هزار: العشاء جاهز...وما عليك إلا أن تغيّر ملابسك وتغسل يديك وسترى ما تحب..

وقف من فوره، وتوجه نحو الحمام، ولحقته **هزار** حاملة المنشفة، ووقفت بجانبه إلى أن انتهى..فأخذت بيده وتوجها معاً إلى مائدة الطعام...وما إن همَّ بتناول أول لقمة، حتى منعته من ذلك: عليك انتظار أمك وشقيقاتك...فلا يليق بك أن تأكل قبلهن..

نظر إليها وقال في نفسه : أي نعمة هذه التي منَّ الله عليَّ بها..فأين أجد في هذا الزمان زوجة بهذه المواصفات والحنان...

نظرت إليه **هزار** فرأت شروده: أين وصلت أيها الحبيب..؟

وائل: لا شيء..لا شيء..!!

أصاب **هزار** الفضول وحب المعرفة: لا...بل هناك ما تخفيه..ولكن لا بأس...سينتهي الطعام وأنفرد بك في غرفتي، وأستخلص منك كل ما جال ويجول في خاطرك...

تبسّم في وجهها: لماذا لا تبدأين بالتحقيق من الآن..؟

هزار: لا يليق بي ولا بك أمام شقيقاتك وأمك...ولكن لا تستعجل رزقك...فهو آتيك آتيك لا محالة...ثم تعالت ضحكاتهما...

دخلت الأم إلى غرفة الطعام، فوقفت **هزار** وأجلستها في مكانها بالقرب من ابنها، والتفَّ الجميع أمام المائدة، وبدأت التعليقات والنكات تخرج من **هزار**، حتى حولَّت جلسة الطعام إلى مسرحية هزلية محببة لدى الجميع..كانت هذه عادتها في كل يوم، عندما يجلس الجميع على المائدة .. حتى أن أم **وائل** تنتظر حلول وقت الطعام لتسمع نكاتها وخفَّة دمِّها ...

وهم في غمرة من السرور، ذهبت **هزار** لتأتي بالماء لزوجها...فاستغلَّ **وائل** غيابها، وسأل أمه: كيف **هزار** معكم يا أماه..؟

الأم: والله يا بني لقد رضي الله عنك بها..فلا نسمع منها إلا النكتة، والبسمة الحلوة...وليس لها اهتمام إلا صلاتها..فكم رأيتها واقفة خاشعة، تدعو الله لك، وتبكي وتشكر الله على نعمائه..

وما إن سمعا خطواتها عائدة حتى توقفا عن الكلام، فعلمت **هزار** أن الكلام كان عنها...فوجهت حديثها إلى زوجها: أراك تتكلم عني في غيابي..وهذا أيضاً سيكون ضمن التحقيق معك..فيا ويلك من عقابي..!!

ضحكت الأم والشقيقات، وأخذت الأم بيدها وأجلستها إلى جانبها، وقبلتها من رأسها: ومن يجرؤ بالتكلم عنك وأنا موجودة..فأنت واحدة من بناتي...

تبسّمت **هزار** وأخذت يدها وقبلتها، ووضعتها على رأسها: أعرف محبتك لي، وأشعر بها من خلال نظراتك وعطفك...فوالله ما أحسست بحنان الأم إلا معك وبقربك..

فرحت الأم لثناء **هزار** عليها ففاضت عيناها بالدموع: أنت نزلت علينا من السماء..لا بل أنت هدية الله إلينا...

بشّت في وجوههم: وعندي لكم مفاجأة..ثم توقفت عن الكلام: لا لن أقول

لكم...

أثار قولها فضول الجميع، فتوجهت أنظارهم إليها، ليسمعوا ما تقول..لكنها تجاهلت قولها، وتناولت بعض الخبز وراحت تأكل بلا مبالاة، وهي تنظر إليهم بطرف خفي، لترى مدى تأثيرها عليهم...!!!

توقف الجميع عن الطعام وحدّقوا بها، وبعد برهة سألها زوجها: تكلمي...تكلمي..هيّا..

استمرت بتناول طعامها غير مبالية، وكأن الحديث لا يعنيها...

توجهت الأم إليها بالسؤال: هيّا يا حبيبتي...لقد شغلتِ بالنا...قولي ما عندك، وإلا ذهبت لغرفتي ولن أتناول طعامي...

ضحكت **هزار**: أما أنت فلا أقوى على حزنك..فتقدمت إليها وهمست في أذنها...

فما كان من الأم إلا أن صفّقت بيديها، والفرحة تكاد تخرج من عينيها...

أصاب الجميع حب المعرفة، فوجهوا أنظارهم إلى الأم، لتفصح لهم عما أخبرتها..لكن **هزار** قالت لها: هذه أمانة ولا تخبري أحداً بها...

لم تتمالك الأم نفسها، وتوجهت بكلامها إلى **وائل**، والضحكة لا تفارق وجهها، وعلامات الفرح ظاهرة عليها: ستصبح أباً...

أصيب **وائل** بالذهول، فظن نفسه في حلم جميل: ماذا...أعيدي عليَّ ما قلتِ..!!

أشارت الأم إلى **هزار**: أخبري زوجك بالخبر..

نظر **وائل** إلى **هزار** بعينين دامعتين: هل ما قالته أمي صحيح...؟

هزار بدلال وغنج: وهل في هذه الأمور مزاح...؟

لم يتمالك **وائل** نفسه، فأخذ بيدها ويد أمه، ووضعهما على صدره وقال لهما: اسمعا، دقات قلبي...لا يكاد يصدق ما يسمع...!!

نظرت الأم إلى **هزار**: وهل تأكدتِ من الحمل...؟

هزار بسعادة: نعم...نعم..!!

فاستدارت الأم نحو بناتها: من اليوم عليكن أن تقمن بواجبكن، ومساعدة **هزار** بواجباتها..لأننا ننتظر فرحتنا الأولى..

ارتسمت على وجه **وائل** بسّمة عريضة...نظرت إليه **هزار** مستفسرة عما يضحكه...فأجابها: لا شيء أبداً...!!

هزار: لا بد أن تقول وإلا...

وائل : وإلا ماذا...؟

هزار: أنت تعرف وتبسّمت...!!

وائل: قلت في نفسي ربما ستأتين لنا بآية من الآيات...

هزار: صدقت سآتي لك بآية من آيات الإسلام الصحيح..وليست الموضوعة كما في..!!..وقهقهت بصوت عالٍ...وشاركها الجميع ضحكاتها وفرحها...وقالت الأم موجهة حديثها إلى **وائل**: لا بد أن نحتفل بهذه المناسبة السعيدة...

قاطعتها **هزار**: أما الإسراف في صرف المال فلا...أم الاحتفال فسيكون، ولكن على طريقتي الخاصة..فأنا من سيجّهز لتلك المناسبة...

شعرت الأم بالسعادة تغمرها، لحرص **هزار** على مال زوجها وإدارتها الجيدة للمصروفات، وقالت لها: الله يرضى عليك ويحميك...

ضمتها **هزار** إلى صدرها: هذا ما أريده...دعوة جميلة من أم صالحة...

توجهت **هزار** من فورها إلى المطبخ، لتجهز لهذه المناسبة، وانضم إليها شقيقات **وائل** يساعدنها في عملها، ويتعلمن منها الحلويات الفارسية...

* * * *

جهزت **يسرى** الإفطار لزوجها، وجلست بالقرب منه مبتسمة: أتدري أن **هزار**

حامل..؟

تناول **مؤيد** لقمة ووضعها في فمه: لا..!!

يسرى: لقد أخبرتني بالأمس..والجميع سعداء بهذا الخبر السار..

مؤيد: الحمد لله..فربما يعوِّض على هذه المسكينة غياب أهلها عنها...

يسرى: أنا أشعر بالغيرة يا عزيزي..

مؤيد ضاحكاً: الغيرة..!!

يسرى: نعم... أنا بحاجة لطفل ثالث..

مؤيد مازحاً: ألا يكفينا طفلان ...؟..

يسرى: المرأة تحلم دائماً بالحمل والولادة والطفل..هذه فطرة الله وضعها فيها..

مؤيد: صحيح ... صحيح .. ولكنك وراء كل حمل ووضع، تقولين : هذه : آخر مرة .. فما بالك اليوم.. ؟

يسرى: هذا شأن النساء ، وما أدراك به..؟

ضحك **مؤيد**: إن رزقنا الله بولد ثالث فله الحمد والمنة..وإن لم يرزقنا فله الحمد والمنة أيضاً .. وإن أراد الله شيئاً سيمضيه..

يسرى: صدقت وأنا أنتظر إرادته سبحانه...

* * * *

شعرت **هايدي** بالزمن يسير ببطء شديد، فانتظار عودة والدها كل يوم حتى منتصف الليل، وبقاؤها وحدها أشعرها بالألم والاكتئاب...وبينما هي جالسة ترقب وصوله، انتابتها حالة من الحزن الشديد، فاغرورقت عيناها بالدموع، وأخذت بها الذكريات، عندما كانت في الشام، وتذكرت أخاها مصطفى، وقالت بصوت خفي محدثة طيفه: أين أنت يا مصطفى لتخلصني من وحدتي...؟..آه لو أعرف مكانك أو عنوانك لما تأخرت عنك لحظة واحدة...وقطع ذكرياتها صرير الباب وصوت

أبيها: **هايدي**. . .**هايدي**. . .هل ما زلت مستيقظة يا بنيتي. .؟

مسحت **هايدي** الدموع من عينيها وتوجهت نحو أبيها: نعم أنا مستيقظة كالعادة كل يوم. . .وكأنني جارية تنتظر سيدها. .!!

عباس: وماذا ينقصك كل شيء عندك. . .؟

هايدي: هل المال وحده الذي يأتي بالسعادة. . .بماذا جاء لنا المال. .غير الوحدة واعتزال الناس، وأنا حبيسة البيت، ليس لي صديقة أو أخ أو أمٌ أرتمي على صدرها أستنشق حنانها ومحبتها. . .

عباس: وهل قصرت معك بشيء . . . ؟ . . هلمٌ إلى صدري فربما تجدين ما تحتاجينه من حنان. .

هايدي بسخرية وتهكم وازدراء: وهل تظن أنك ستعوضني حنان أمي. . .وأطرقت ملياً ثم رفعت رأسها: لقد دمرت عائلتنا، وقتلت أمي، وأفقدتني أخي الوحيد، وأنت لا تبالي إلا بنفسك. . .تخرج من الصباح ولا تعود إلا في وقت متأخر من الليل، أو لتتناول الطعام فقط. .

عباس: وماذا تريدين أن أفعل. .؟ هل أجلس معك في البيت، وأصبح مثل النساء ملازماً فيه حتى الموت. . .ولا تنسي أنه سيأتي يوم تتزوجين فيه وتفارقيني. . .!!

تبسمت بتصنع: أتزوج. . .يا سبحان الله. . .وكيف لي أن أتزوج وأنا في هذا السجن. . .؟

عباس: لا بد أن يأتي اليوم الذي ستلتقين فيه بزوج المستقبل. .

نظرت إليه بسخرية : أتقصد زوجاً من ملتنا. . .؟

عباس: وماذا في ذلك. . .؟

هايدي: هل تريد أن أتزوج من شخص، قضى حياته بين أحضان الغانيات. .

عباس: لا تقولي غانيات. .إنهنَّ مؤمنات. . .!!

هايدي بسخرية مرة أخرى: مؤمنات..أتقول مؤمنات..وماذا عني أنا..ألست مؤمنة مثلهن..؟ ألا يحق لي ما يحق لهن...؟

عباس غاضبا : كفاك..فأنت من سلالة طاهرة...لا يجوز لك ما يجوز للعامة من شيعتنا...

هايدي بسخرية: كفاك يا أبي..ولا تضحك على نفسك، فنحن من العامة، ولسنا سادة كما تدعي...فأبوك رجل فقير من رعاع الناس، وأنت ابن متعة...!!

استشاط **عباس** غضباً: هل جننت..؟..نحن سادة البشر، وأجمع النسَب من جهة الأم والأب...ولا أنكر أنني ولدت من زواج المتعة..وهو زواج مقدس برباطه، وفاعله له الدرجات العلى عند الله وعند أئمتنا...!!

هايدي: أنا أشك بكل تلك الأنساب...فربما تكون زوجة المتعة قد وقع عليها العديد من الرجال في وقت واحد، قبل أن يطهر رحمها..فالجوع والعوز يلجئ الغالبية منهن إلى عدم البوح بطهارتهن من الزواج الأول...وبذلك يأتي ولد المتعة مقطع الأوصال بين عدة رجال..فتنسبه أمه إلى صاحب الثروة والجاه، ليرفق بها وينفق عليها...فأنت ومهدي وكل الآيات وغيرهم، قد ساروا في هذا النفق..وإن شئتم العدل والإنصاف، فليقم كل واحد منكم بفحص الحمض النووي، ليعرف من يكون أباه...!!

أحسَّ **عباس** بالنار في رأسه..فكيف لابنته أن تشكك فيه: أيتها اللعينة...أنت مثل أمك..ولولا أنك ابنتي لأدبتك...

هايدي: أنا مؤدبة..وعليك أن تتقبل قولي؛ لأنه الحقيقة التي تهرب منها...وكفاك العيش في الأوهام...واخرج من قمقمك إلى الواقع، واقبل بنصيبك..واحرص على ما بقي لك من عائلة، قبل أن تضيع، وتسقط في متاهات الرذيلة.

أطرق **عباس** برأسه إلى الأرض، ولزم الصمت وقال في نفسه: والله معها حق في كل ما قالت...لكن كيف الخروج مما نحن فيه...وحياتنا ومصالحنا لا تستقيم

إلا معهم. . .ثم استدرك: هل تريد هذه الصغيرة أن تغيّر ما نشأت عليه طوال حياتي. . .والله لن يكون. . .لن يكون. . .ثم سأل **هايدي** منهياً حديثه: هل تناولت طعام العشاء. . ؟

أجابته بألم: كل يوم تسألني نفس السؤال. . .ويكون جوابي. . لا. . .وهل تغيَّر هذا اليوم عن سابقيه. . ؟. .

عباس: مالي أراك اليوم عدائية. . .!!

هايدي: طفح الكيل. . وعليك أن تجد حلاً لمعضلتنا، وإلا سأغادر البيت، ولن تراني بعد ذلك. .

شعر **عباس** بالخوف من كلامها؛ لأنه أحسَّ بجدية قولها. . .لا بأس يا بنيتي. . علينا أن نفكر بعد هذا اليوم معاً. .فقد رأيتك اليوم قد كبرت. . .وأعدك بتغيير حالنا قريباً. . .

شعرت **هايدي** بالارتياح وتغير مزاجها: الآن أنت أبي الذي أحبه. .

فأخذها **عباس** إلى صدره، وطبع قبلة على جبينها، وأمسك بيدها وجلسا على مائدة الطعام معاً. .

* * * *

المفاجـــأة

بعد أن انطلق إبراهام إلى عمله، شمّرت **دينا** عن ساعديها، وبدأت بالتحضير لحفلة المساء الخاصة، التي يقيمها الزوجان...والمسجّل يصدر ألحاناً عاطفية...وصوت **دينا** تشارك أم كلثوم بأغنيتها...هل رأى الحب سكارى...مثلنا...!!

وهي في غمرتها، سمعت جرس الباب...فتوجهت مسرعة لتجد أمها وأباها واقفين...فأصابتها الصدمة، وقالت في نفسها: أهذا وقتكم..؟..ما الذي جاء بكما في هذا الوقت..؟

اعتنقت **فيضيان** ابنتها، وكذلك **أفيخاي**..الذي بدأ يجول بنظره في فناء البيت، متوجهاً نحو المطبخ..لكن **دينا** سبقته، وقطعت عليه الطريق: أبي ماذا تريد..؟ اجلس وسآتي لك بما تحب..

أفيخاي: أريد أن أرى ما عندك..!!

دينا: المطبخ في حالة فوضى الآن...

أفيخاي: أنا لست غريباً..ودفعها بلطف ودخل..وما إن رأى حاله، والمعجنات والحلويات تملأ الطاولة..حتى سألها: ماذا عندك اليوم...؟

دينا: لا شيء...أقوم بصناعة بعض الحلوى لجوزيف..ليأخذها معه إلى المدرسة عند الصباح...

أفيخاي: ولكني أرى الأمر أكبر من جوزيف...يا ملعونة أرى عندك مناسبة...وبدأ يصيح على زوجته: **فيضيان**....**فيضيان**..!!

فيضيان بلهفة: خير ما بك..؟

أفيخاي: تعالي إلى هنا...

توجهت **فيفيان** إليه: ما هذا. . .أعندك مناسبة. .؟

شعرت **دينا** بالخجل، فأرادت أن تتدارك الأمر: لقد حرقتم المفاجأة. . .اليوم عيد زواجنا. . .

فيفيان: هل ستحتفلان به وحدكما. .؟

دينا: لا. .بل أردت أن أتمم عملي، ومن ثم أرسل إليكم لنحتفل به معاً. .

أفيخاي: يبدو أننا أتينا في الوقت المناسب تماماً. . .وخاطب **فيفيان**: عليك أن تساعدي **دينا** في عملها. .

شعرت **دينا** بالضيق والانزعاج: ولكن. .بابا أنا لا أريد من أحد مساعدتي، وما عليكم إلا الجلوس في الصالون، ثمَّ سترون الأمور تسير على أحسن ما يرام. .

فيفيان: هل دعوتِ أحداً إلى الحفلة. . .؟

دينا: لا ماما. . .؟. .نريد أن نحتفل وحدنا. . .عائلية يعني. . .

حدَّقت بها **فيفيان** وارتسمت الدهشة على وجهها: وحدنا فقط. .والله هذا لن يكون. . .وتناولت الهاتف، وأخذت تدعو صديقاتها وأزواجهنَّ لهذه المناسبة. . و**دينا** تنظر إليها. . .تكاد تتمزق من داخلها. . .وبدأت تتمتم وتكلم نفسها: ماذا سأقول لإبراهام عندما يأتي ويجد هذا الاستعراض الكبير. .؟. .يا ربي. . .ماذا أفعل. .؟

نظرت الأم إليها مستفهمة : ما بك. . **دينا**. .؟

دينا بامتعاض وعصبية: لا شيء. . .

فيفيان: أرى في وجهك تلوناً وغضباً. . !!

دينا: ماما. .أنتم ستخربون حياتي ؛ لأن إبراهام طلب مني أن يكون الاحتفال مقتصراً علينا فقط. .وأنت وأبي دعوتم الجميع، وعليَّ الآن أن أتدبر أموري في تحضير الطعام والحلوى لكل أولئك الجموع القادمة. .

فيفيان: ولماذا تصنعين بيدك. .فتلُّ أبيب فيها عدد كبير من المطاعم وصنّاع

الحلويات. . وما عليك إلا أن تتصلي بهم ليأتوك بما لذَّ وطاب. . .

دينا: إبراهام يحب أن أصنع الحلوى والطعام بيدي. . .

شهقت **فيفيان** لما سمعت وضربت على صدرها، وقالت بتعجب: هل أنت خادمة عند أبيه. . .وعنده من المال ما يشتري المطاعم بمن فيها. . .وأخذت الهاتف وبدأت بالاتصال. . آلو مطعم النجمة الزرقاء. .

صاحب المطعم: نعم يا سيدتي. . ماذا تريدين. . ؟

فيفيان: عندي مناسبة عزيزة عليَّ. . .قد دعوت مجموعة من الأصدقاء. . وأريد أن أبيّض وجهي أمامهم. .

صاحب المطعم: وكم عدد المدعوين. . ؟

فيفيان: تقريباً. . ثلاثون شخصاً. .

صاحب المطعم : لا بأس. . الأمر يسير. . هل تريدين أن أقوم بهذه المناسبة، من تجهيز وضيافة، وبشيء مميز. . ؟

فيفيان: نعم لو سمحت. . . وسأتصل بمحل الحلويات أيضاً. . .

فقاطعها: لا حاجة لذلك ، فعندنا كل مستلزمات الحفلة. . . ولكن سيدتي. . من صاحب الدعوة . . . ؟

فيفيان: إبراهام صاحب كباريه الطاحونة الحمراء. .

صاحب المحل: نعم . . نعم أعرفه. . . !!

فيفيان: حسناً. . .

صاحب المحل: وهل آتي ببعض الخمور. .

فيفيان: ألم تقل أنك ستتكفل بكل شيء. . ؟. . .

صاحب المحل: بلى. .

فيفيان: فلا تسأل إذن. . وقم بما يلزم. . .

صاحب المحل: أنا آسف، وستكون الطلبات عندكم الساعة السادسة مساءً. .

سمعت **دينا** الحوار، وبدأ وجهها يتلون غضباً. . .لكن **فيفيان** قالت لها: هل تريدين أن تضحي بالهدايا التي ستأتيك من الضيوف. . .؟

فيفيان غاضبة: ماما عندي كل شيء. . .ولست بحاجة إلى هدية أحد. . .ولا تنسي أن عليَّ أن أفي لكل صاحب هدية بهدية مماثلة أو أكثر منها في المستقبل. .

فيفيان: وليكن . . فمن سيدفع ثمن تلك الهدايا أليس إبراهام. . .؟

أظهرت **دينا** الغضب، وركضت مسرعة إلى مطبخها، وأخذت بتجهيزه للقادمين. . .وأفيخاي جالس فيه، مخرجاً الطعام من الثلاجة، وبدأ بالتهامه كالمحروم. . .ونظر إلى ابنته بطمأنينة وكأن الأمر لا يعنيه في شيء. . .

* * * *

وقف **أبو زيد** وأبو هاني أمام محل **عمر الشامي**. .وما إن رآهما حتى قام إليهما مرحباً: يا هلا بالأحباب. .

أبو زيد: سقى الله تلك الأيام يا أبا خطاب. . .

عمر الشامي: نعم والله. .كم كانت حلوة ورائعة. .

أبو هاني: يا أبا خطاب قد كنا عمالاً كَسَبَة أمام محلك. .

عمر الشامي: لا تقل ذلك فالعمل ليس عيباً. . .وأخذ بيده ونظر إليها: أتدري ماذا قال رسول الله عن هذه اليد يا أبا هاني. .؟

أبو هاني: لا والله. .فأنت تعلم أنني جاهل بأمور الدين. .!!

عمر الشامي: قال: هذه اليد يحبها الله ورسوله. . .

أبو هاني: أتقصد أن رسول الله ﷺ يحب يدي. .؟

عمر الشامي: أما فهمت بعد يا أبا هاني. .والله إن فهمك لغليظ. . .

ضحك الجميع لكلماته اللطيفة. . .ووجه كلامه إلى أبي زيد: مالي أرى في عينيك الهمَّ يا أبا زيد. .؟

أبو زيد: والله لم أنم جيداً ليلة أمس. .

أمسك **عمر الشامي** بيده وأدخله إلى محله. . .وصاح على أحد عماله: اذهب وائتنا بثلاثة أكواب من العرقسوس البارد. . .ثم أعاد النظر إلى أبي زيد: تكلم وفضفض يا رجل، لعلك ترتاح. .فأنا أخ لك. .

أبو زيد: نعم والله. . .ولولا ذلك ما أتيتك. .؟

ظهر على وجه **عمر الشامي** الاهتمام: خير أتريد مالاً. .؟

أبو زيد: الأمر أكبر من ذلك. .!!

عمر الشامي: يا لطيف الطف بنا. .أهناك مصيبة كبيرة. .؟

أبو زيد: يمكنك أن تقول ذلك وأكثر. .!

عمر الشامي: لقد أفزعتني. . .ولم يعد بي طاقة على الاحتمال. .تكلم بسرعة. . .

أبو زيد: ألا تعلم ما جرى معي قبل عدة سنوات. . .؟

عمر الشامي: أتقصد التشيع. .؟

أبو زيد: نعم. . .

عمر الشامي: هل من جديد. . .تكلم. .؟

أبو زيد: لقد كنت بالأمس عند **الدكتور شاهر** إسماعيل. . .لا شك أنك تعرفه. .

عمر الشامي: ومن لا يعرف عالمنا الجليل، صاحب مدرسة ابن الجوزي للسنة والجماعة.

أبو زيد: هنا مربط الفرس. . .لقد أخبرني الدكتور عن امتداد التشيع بين أبنائنا، ولا طاقة لنا على مواجهته. .لأن دولة غنية تقف وراءه وما نحن إلا أفراد. .

أخذت **عمر الشامي** الغيرة على دينه: ألم ينتهوا من فجورهم بعد. .ماذا يريدون من الشام وأهله . . ؟

قاطعه **أبو زيد**: نحن نحتاج إلى أن نكون يداً واحدة، للوقوف في وجه هذا

الطوفان القادم..

عمر الشامي: أنا جاهز لكل شيء ونفسي ومالي فداءً لله ورسوله...

أبو زيد: أنت لا تكفي..علينا أن نوسع جهودنا...اليد الواحدة لا تصفق...

عمر الشامي: أنا أعرف الكثيرين من التجار، ممن لهم غيرة على دينهم..وهم مستعدون ليقفوا معنا في هذا المجال...

أبو زيد: بارك الله فيك وفيهم...فقم بما يلزم، وادعُ منهم من استطعت، وسنلتقي عند الدكتور في المدرسة يوم الخميس بعد العشاء...لا تنسَ..؟

عمر الشامي: سأكون هناك ومعي التجار..وسيرى الدكتور ما يسره..فأبشر يا أبا زيد بالمدد..وصاح بصوت ندي: لبيك يا رسول الله..لبيك يا رسول الله...

تناول **أبو زيد** وأبو هاني شراب العرقسوس وغادرا مودعين...وهما يشعران بالسرور بما حققاه في هذه الزيارة...

* * * *

جلست **يسرى** بالقرب من **اعتدال**، وأخذتا تتسامران بصوت أشبه بالهمس، خشية أن يسمعهما زوجاهما..قالت **اعتدال**: قلبي يشتعل ناراً بعد كل درس يلقيه زوجي في المدرسة..

قاطعتها **يسرى**: وأنا والله أشعر كشعورك..وكم مرة حاولت معه أن يدع الأمور لغيره، لكنه يرفض ويرد عليَّ بعصبية..لم يكن هذا حاله قبل مجيء الشيعة إلى بلادنا..لقد انقلب مزاجه وأصبح عصبياً..

اعتدال: وكذلك شاهر...حتى أن كابوساً يلازمه منذ أشهر..

يسرى: الكابوس نفسه يتكرر..؟

اعتدال: نعم والله..وطلبت منه عدة مرات، أن يذهب لأحد العارفين ليفسره له..لكنه يتلكأ..

يسرى: ما هذا العِنّد..؟

اعتدال: تصوري يا أختي أن ابني فؤاد متعلق بأبيه..وكم مرة صحونا لنجده نائماً على الأرض بجانب السرير آخذاً بيد أبيه..

فاضت عينا **يسرى**: ألهذا الحد..!!

اعتدال: نعم والله...وعندما يجده أبوه بتلك الحالة يجلسه إلى جانبه، ويحاول ملاعبته لكن فؤاد يرمي نفسه على أبيه ويضمه إليه...

يسرى: وماذا يفعل شاهر..؟

اعتدال: يأخذه إلى صدره ويداعبه، ويشتري له الحلويات والكيك..لكنه يرفض أن يأكل منها إلا إذا كان أبوه بجانبه يلقمه بنفسه..

يسرى: هذا دلال واضح..

اعتدال: لا والله، لأنه لا يأكل لقمة إلا ويضع في فم أبيه مثلها..وتصوري أن شاهراً يفكر أن يضع سريره بغرفتنا..لأن فؤاد يومياً يأتي لينام بجانب أبيه..

يسرى: لا..لا..أبقيه في غرفته وحاولي إغلاق بابه بالمفتاح كي لا يأتي إلى غرفتكم..

اعتدال: مستحيل..لأنه سيصرخ ويوقظ الجيران..وكذلك الدكتور يرفض..فهو متعلق به أيضاً..

يسرى: لا أدري ماذا أقول لك..الأمر محير بالفعل..!!

اعتدال بهمس: علينا أن نبعد زوجينا عن هذا الطريق بأي وسيلة كانت..

يسرى: أعندك خطة..؟

اعتدال: لا..ولكن علينا أن نحاول..فالزنُّ على الآذان سيأتي بنتيجة..

يسرى: نحن نزن منذ سنوات، والحال على ما هو عليه، بل زاد الأمر عن السابق..

اعتدال: علينا اختلاق مشكلة ونغادر إلى بيوت أهلينا فلعلهم يشعرون بنا..؟

يسرى: يا مجنونة..إن فعلنا ذلك فعندهما بدائل كثيرة..أنسيت الفتيات

الإيرانيات. .نخشى أن يتزوجا علينا. .!!

اعتدال: معقول. .!!

يسرى: كل شيء معقول. .يا مأمنة بالرجال مثل الماء بالغربال. .

اعتدال: صدقت والله. .على هذا الحال ليس في يدنا شيء لنفعله غير الزن على الآذان. .

يسرى: نعم. .هو ذا. .

* * * *

تقييم الدعـــوة

جمع آية الله **أحمد المرشدي**، رئيس البعثة إلى الشام مساعديه، كما هي عادته كل أسبوع، وبدأ يسأل كل واحد منهم عن نشاطه الدعوي...

أجابه خادم العترة: الأمور تسير على خير ما يرام..ولكن اللافت للنظر في دعوتنا..أن الشباب هم الطبقة الوحيدة المستجيبة لنا..!!

أحمد المرشدي: هذا ما نريد...

خادم العترة: ولكن يا مولاي...همهم الوحيد من التشيع هو الفتيات وزواج المتعة..

أحمد المرشدي: وما الضير من ذلك..؟

خادم العترة: فتياتنا لم يعدنَّ يحتملن الكثافة عليهن...وعددهن لا يتناسب مع الطلب...

ظهر على **أحمد المرشدي** الغضب: ماذا تقول..؟..لا يكفين..!!.. أليست هذه مهمتهن، ولهذا أتين إلى هنا..وهن متبرعات بفروجهن...!!

خادم العترة: مولاي هنَّ لم يعترضن، بل يطلبن مساعدات لهنَّ..ليس إلا...فالعديد منهن لا يبرأ رحمهن حتى يدخلن في زواج آخر...ثم آخر...

أحمد المرشدي: اذهب وادعهن إلي حالاً..

وما هي إلا لحظات حتى وصلت سبع فتيات، قد ظهر على وجوههن التعب والإرهاق..

أشار إليهن **أحمد** بالجلوس...ثم بدأ حديثه معهن: ما هذا الذي أسمعه عنكن...؟..

أطرقت إحداهن إلى الأرض، ووجهت حديثها إليه، بصوت خافت: مولاي لم

نعد نستطيع تحمل هذا العدد الكبير من الشباب..حتى إن العديد منا تدخل بزواج دون أن تنتهي من الأول..وطلبنا هيّنٌ بسيط..وأظنُّ خادم العترة قد أوصله إليكم..

أحمد: أتقصدين إمدادكن ببعض المؤمنات..؟

أجابته: نعم يا مولاي...!!

أحمد: اسمعن جيداً، أنا هنا إمامكنَّ..وما أقوله هو تشريع من الله، ومن أئمتنا المعصومين ... وقولي لكم الآن : لا حاجة أن يطهر رحمكن، بل اعملن بكل ما تستطعن..

قطعت إحدى الحاضرات قوله : مولاي .. هناك الشاذون ... ونخشى المرض...!!

أحمد: أما الشذوذ فلا ضير فيه فأنتن تعلمن حقيقة أن كل شيء مباح عندنا..ألم تسمعن قول الله: ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ... وكل شيء جائز، إلا ما حرمه الأئمة الأطهار...وخاصة الجماع ، وما يخص الزواج فأبوابه مفتوحة على مصراعيها .. لا قِفْل لها أبداً ... وأنا أقول لكم هذا الكلام من مستوى المسؤولية، التي أحملها على عاتقي، ولا أعتقد أنكن تعترضن ..

أجابته إحداهن: ومن تعترض يا مولاي ... !!

أخذته النشوة: اذهبن راشدات إلى أعمالكن...وفقكم الله وأعانكن على هذه المهمة البسيطة..وراح يقهقه بصوت عالٍ...فبادله الجميع ضحكاته...وهم ينظرون إلى قوامهنَّ من الخلف...

أجال **أحمد** بنظره إلى مساعديه: ألا ترون معي أن المؤمنات بصحة جيدة...فالمتعة ظاهرة عليهن تماماً..

خادم العترة: نعم يا مولاي..لقد رأيت في وجوههن نوراً وبريقاً، يكاد يصل عنان السماء..!!..وخاطب الحضور: أما رأيتم ما رأيت..؟

أجاب الجميع: نعم والعباس...!!

أحمد المرشدي بثقة: إنها المتعة...وماء الحياة...

سأله أحدهم: وكيف ذلك يا مولاي..؟

أحمد المرشدي: ألم تسمع قول الشاعر:

واحفظ منيك فإنه ماء الحياة يراق في الأرحام

فماء الحياة الآن في فروج المؤمنات، وبين طيات ثيابهن فهنيئاً لهن ذلك...

تنهد خادم العترة بصوت مسموع: آه..لو كنت مؤمنة وتذوقت هذا الماء.

لم يتمالك آية الله **أحمد المرشدي** نفسه، فتعالت قهقهاته هو والحضور، وأجابه مازحاً: لا بأس..فلن تحتاج إلا لعملية جراحية بسيطة..

خادم العترة مبتسماً: وكيف ذلك يا مولاي..؟

أحمد المرشدي: استئصال ما علاك...وتصبح...فلم يستطع أن يكمل كلامه، فانقلب على قفاه من شدة الضحك..وصاح على الخادم: قدم لنا العشاء فقد أضحكنا خادم العترة هذا اليوم...

* * * *

ميليشيات التطهير

طلب **آية الله مهدي** من سكرتيره الخاص وبشكل مستعجل، أن يجتمع بلجنة نقاء الثورة..وما هي إلا ساعة من الزمن، حتى كان جميع أعضائها جالسين في القاعة، يرتقبون دخول إمامهم...وما إن دخل إليهم، حتى تعالت الصيحات بشعاراتهم المرحبة به وبطلّته...

جلس مهدي في مكانه المخصص..وأشار إليهم بالجلوس والإنصات..وطلب من آية الله محمد الطوساني المكلف بها، تقديم شرحٍ وافٍ عن نشاطها..

تقدم آية الله محمد الطوساني، ليجلس بالقرب من **آية الله مهدي** بعد أن عدل عمامته السوداء، التي أكسبته ظلمة إلى ظلمته، وتقاطيع وجهه التي فيها العديد من البثور والجروح الملتئمة التي تدل على شقاوته وحقده في حياته...وما إن استقرَّ به مكانه، حتى قبَّل يد إمامه وقَدَمَهُ وقال: مولاي الإمام.. نحن في خدمتك...وقد قمنا من وقت قيام الثورة وحتى الآن بقتل أكثر من ثلاثة آلاف ناصبي، من العلماء وطلاب العلم، وعملاؤنا يتحرّون عن أماكن تواجدهم ونشاطهم.

نظر إليه مهدي نظرة فيها الشرر وعدم الرضا: يا محمد...هل ثورتنا تحتمل التحري عن النواصب...وهل نحن ممن ينظر للناشطين فقط..؟...

قاطعه محمد: مولاي...!!

مهدي بغضب: اصمت ولا تقاطع إمامك...!!

آية الله محمد بخوف: حاضر يا مولاي...!!

آية الله مهدي: يبدو أنك لست مؤهلاً لتلك المهمة..على الرغم من أن وجهك يدل على الإجرام وسفك الدماء..لكنَّ قلبك كالعصفور...ووجهك وجه أسد..!!

آية الله محمد: مولاي أنا طوع بنانك...فإن شئت حرقت عليهم بيوتهم

ومساجدهم..

آية الله مهدي بغضب: نحن قدمنا في ثورتنا دماء غزيرة...ويجب أن يُراق أضعافها...فاسحق وفجّر ودمر رؤوسهم العفنة، فلا يمكن أن أسمح لناصبي بشمِّ الهواء، فاقتل صغيرهم قبل كبيرهم...

محمد الطوساني: لكن مولاي ما بال صغارهم..فربما يكونون بعد جيل من أنصارنا...

آية الله مهدي: ألم تسمع ما قلت..هذه النظرية يمكن تطبيقها في بلادهم..أما هنا فلا يسعنا بلد واحد...إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً...بأبنائهم ابدأ ولا تذر منهم أحداً..وأريد أن أسمع أخباراً طيبة في الأيام القادمة...!!

آية الله محمد: مولاي ونساؤهم ماذا نفعل بهن...؟

آية الله مهدي: هل أصبحت غبياً...؟..

آية الله محمد: عفواً يا مولاي...!!

آية الله مهدي: أنسيت زينب وأولاد الحسين ببلاط يزيد ثم أطرق صامتاً ثم قال: إياكم ثم إياكم الضعف أو التواني...فثورتنا لا يناسبها إلا الأقوياء..

آية الله محمد: نعم يا مولاي ستسمع صراخهم وعويلهم إلى قصرك قريباً...!!

ثم أخذ برأسه وهمس في أذنه..فأومأ له: نعم مولاي سيكون لك ما أردت..!!

* * * *

بعد أن انتهت **دينا** من ماكياجها وتصفيف شعرها، جلست في الصالون، مرتدية ثوباً أسودَ مفتوح الصدر، شُقَّ إلى الأعلى فأظهر محاسنها، وزيَّنت صدرها بعقد من اللؤلؤ الطبيعي، وتسوَّرت بكل ما عندها من حلي، فغدت كالملكة ببهائها وجمالها، حتى أن **فيضيان** أخذتها إلى صدرها: والعزير ما وجدت أجمل

منك. . . !!

أظهرت **دينا** الخجل: ماما. . .لا تبالغي. .فإسرائيل تزخر بالجميلات وأصحاب القوام والمقام الرفيع. .

فيفيان: ستعرفين بعد قليل مكانتك أمام الضيوف. . .وهم في حديثهم وصل أول المدعوين مع زوجته. .وما إن وقع نظره على **دينا** حتى شُلَّ تفكيره فلم يعد يستطيع الكلام، فما كان منه إلا أن أخذ بيدها وطبع عليها قبلة صغيرة. . .أرادت **دينا** أن تسحب يدها من يده، لكنه أمسك بها بقوة دون أن يدري. . .نظرت إليه زوجته وضربته برجلها على قدمه وصكَّت أسنانها: مالك هل فقدت عقلك. .مناحيم. .؟.

أمعن مناحيم النظر إلى **دينا**: عفواً يا أميرتي الجميلة، فقد أفقدني جمالك عقلي. . .!!

شعرت بالسعادة تغمرها، فنبوءة أمها بدأت تظهر مع وصول أول ضيوفها. . .

توالى حضور المدعوين. . .وأخذت أنظارهم لا تفارق **دينا**، وهي جالسة على كرسي في صدر الصالون تبتسم لهذا وتجامل ذاك. .وعيناها لا تفارق باب بيتها منتظرة وصول زوجها. . .حتى أصابها القلق. . . فطلبت من أبيها أن يذهب إليه ويخبره بالحضور. .وقبل أن ينطلق قالت له: أخبره ألا ينسى هدية الزواج. . .

أفيخاي: وأنا. .أليس لي هدية أيضاً. .؟

دينا بغضب: وهل الحفلة لك يا أبي. .؟

أفيخاي: أتبخلين عليَّ بهدية. . .؟. . .

دينا: أبي. . .أسرع وأنا سأعطيك هديتك. .

أفيخاي: أقسمي. . .

دينا: والعزيز. . .

أفيخاي: وما هي. . .؟

دينا: ستكون مفاجأة...

أفيخاي: أريد أن تشتري لي سيارة...

استشاطت **دينا** غضباً: سيارة..أتريد سيارة...؟..والعزير إن لم تذهب سأطرد كل من في البيت...!!

انطلق **أفيخاي** وهو يتمتم بكلمات...والغضب ظاهر على وجهه..

وما إن غادر حتى وصل إبراهام إلى البيت فرأى تلك الجموع..فأمسك غضبه وبدأ بالترحيب بهم إلى أن وصل إلى زوجته وقال لها هامساً: أهذا ما اتفقنا عليه...؟

دينا: اقسم لك بالعزير..إن أمي هي من فعلت ذلك..

إبراهام: على كل حال...الحساب فيما بعد..!

هدَّأت **دينا** من غضبه : حبيبي ... هذه مناسبة لا تأتي كل يوم ، وإنَّما في العام مرة واحدة ...

إبراهام : أتدرين كم وصلت فاتورة الحفلة..؟

دينا: وهل أتوك بها..؟

إبراهام: نعم.. وهل تظنين أن في إسرائيل من ينام دون أن يحصل على ماله...لقد بلغت أكثر من أربعة آلاف دولار...!!

قاطعته **دينا**: وهل أتيت بهديتي ...؟

حاول **إبراهام** ممازحتها بعد أن ذهب عنه الغضب: لا...فهديتك تكاليف الحفلة...

أحسَّت بالخجل أمام ضيوفها، وبدأ وجهها بالاحمرار، وكادت دمعة تخرج من عينها...فما كان من **إبراهام**، إلا أن أخذها إلى صدره وضمها إليه بقوة: وهل أستطيع أن أرى دمعتك يا حلوتي..؟..

دينا: أهي في جيبك...؟

ضحك **إبراهام**: نعم إنها في جيبي..!!

دينا بغنج: أخرجها إذن..

التفت **إبراهام** إلى الحضور، وقال مخاطباً لهم بعد أن وضع يده على كتفها ثم ضمَّها إليه: أنا أكثر الناس حظاً بحبيبتي **دينا**..لقد أتيت لها بهدية متواضعة، لا تليق بجمالها الرائع...ونظر إلى **دينا** فرأى تلوّناً في وجهها..فقد أحست أنها أمام هدية بسيطة لا تليق بها أمام ضيوفها...!!

أخرج **إبراهام** من جيبه سلسلة مفاتيح ذهبية وقدمها لها..

نظر إليها الجميع وارتسمت على وجوههم خيبة الأمل..ثم استدار بوجهه نحو **دينا**: وهذه السلسلة تحتاج إلى مفتاح يزينها..ثم أخرج من جيبه الآخر مفتاح سيارة ووضعه فيها...

فلم تتمالك **دينا** فرحتها فقذفت بنفسها عليه، وأخذت تقبله بحرارة وعناق شديدين، غير آبهة بضيوفها، وتوجه الجميع إلى الخارج، ليروا سيارة جديدة حمراء اللون...فصاح الجميع: يا عزير ما أجملها...!!

ظنت **دينا** أنها في حلم جميل، وبدأت ضربات قلبها تتسارع، مع كل خطوة تخطوها نحوها، والجميع وراءها ينظرون إليها..والحسد ظاهر على وجوه نسائهم...

ركبت سيارتها وانطلقت بها مع زوجها لفترة وجيزة...وما إن غادرا حتى كان **أفيخاي** قد عاد...فسأل **فيفيان**: لماذا أنتم خارج البيت..هل حصل مكروه..؟

أشارت إليه **فيفيان** أن يصمت، وهي تحدِّق بعينيها إلى آخر الشارع..وما هي إلا لحظات حتى عادت **دينا**...والفرحة والبسمة لا تكاد تفارقها..

نظر **أفيخاي** لابنته وهرول إليها: **دينا**..حبيبتي..أهذه سيارتي..؟...كم أنت بارة بأبيك يا بنيتي..!!

لم تلتفت إليه، وإنَّما خاطبت أمها: ماما خذي أبي من أمامي الآن...فلا أريد أن يقتل فرحتي..!!

سحبته **فيفيان** من يده وجرته إلى البيت: ماذا تقول... سيارتي... هذه هدية **إبراهام** لديّنا في عيد زواجهما...

أفيخاي: لقد وعدتني بها...

فيفيان: والعزيز لقد خرفت يا أفيخاي... أتريد سيارة... سقى الله أيام البقدونس والفجل استيقظ.. ودع ابنتك تعيش بهناء، فقد أخذت منها مبالغ طائلة حتى الآن... وجرّب حظك بعيداً عنها...

شعر **أفيخاي** بحزن شديد، فأطرق برأسه إلى الأرض: لكنها سيارتي.. وكيف تركب ابنتي سيارة، وأنا أبوها أسير على قدمي...؟... تباً لها.. وتباً لزوجها... ثم غادر الحفلة حزيناً كئيباً قد اعتلاه الهمُّ والألم ...

* * * *

أدَّى **أبو زيد** وصديقه أبو هاني صلاة العشاء، وانطلقا معاً إلى موعدهم في المدرسة.. فكانا أول الواصلين.. وما هي إلا برهة من الزمن، حتى وصل **الدكتور شاهر** إسماعيل... وسأل **أبا زيد: هل الأمور سارت على ما يرام..؟**

أبو زيد: نعم دكتور... فالتجار سيأتون الآن فلا تقلق..

وبينما هما في حديثهما، وصل سبعة منهم... فقام الدكتور بالترحيب بهم وأجلسهم في أماكنهم، وقام بنفسه بتقديم القهوة إليهم.. غير أن أبا زيد سارع ليقوم بالمهمة عنه.. لكن شاهر رفض: أنا من يقوم على خدمتكم فهذه مهمتي...

أبو زيد: لكن يا شيخي هذا لا يليق أن نبقى جالسين وأنت من تقوم على خدمتنا..!!

الدكتور : اسمع الكلام يا أبا زيد ولا تحرمني هذا الأجر..

أبو زيد: أمرك شيخي...

كان الحضور يسمعون كلام الدكتور... ويتعجبون من تواضعه وأخلاقه وتقواه...

وما إن استقر بهم المقام.. حتى بدأ الكلام بحمد الله تعالى والصلاة على رسول

الله وصحابته الأجلاء وقال: إخواني الأحبة..لا بدَّ أنكم سمعتم عن مدرستنا...

أجابه **عمر الشامي**: نعم يا شيخنا..

الدكتور شاهر: وقد سمعتم عن المهمة التي أُنيطت بنا...

أحد التجار: نعم...!!

الدكتور شاهر: بارك الله فيكم لقد وفرتم عليَّ الشرح إذن...وسأبدأ بالمفيد...إخواني كما تعلمون : إن الشيعة قد أتوا لبلادنا متسلحين بالمال والقدرات والرذيلة..وهذا الشهم الغيور..مشيراً إلى أبي زيد..قد قدم ما لم يقدمه العديد من الرجال...لكن الهجمة أكبر من كل إمكاناته...وطلاب العلم يتوافدون إلينا من كل مدينة وقرية...والمدرسة بدأت تضيق بهذا العدد الكبير..وعلينا أن نتوسع في مهامنا ونشاطنا في كل المحافظات، التي تنشط فيها تلك الثلة الضالة من الباطنيين، وهذا الأمر يحتاج إلى مالٍ..وقد أشار عليَّ بعض العلماء بإبلاغكم، للسعي في بناء ودعم تلك المعالم، لنصرة الله ورسوله..فوالله ثم والله...لحجر في جدار مدرسة، خير لكم مما طلعت عليه الشمس..لأن الله سيهدي بكم شباباً وبنات...ويستر بها العورات، ويذود بها عن الحرمات..فحرياً بكم أيها الشرفاء أبناء محمد ﷺ وأبي بكر وعمر أن تكونوا بناة لها...فاسعوا إلى رفع كلمة الله وسنته بأموالكم التي جعلها الله أمانة عندكم ثم تلا قوله تعالى: ﴿**من ذا الذي الَّذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيم**﴾ [البقرة : ٢٤٥] ثم خرجت من عينه دمعة سقطت على لحيته ... وأجهش بالبكاء ... فلم يتمالك الحاضرون أنفسهم وبدؤوا بالنحيب .. وما أن هدأت نفوسهم ، حتى أخرج **عمر الشامي** من جيبه دفتر شيكاته ووضعه أمام **الدكتور شاهر**: اكتب الرقم الذي تريده فأموالنا هي مال الله ونحن أمناء عليها...

نظر إليه الدكتور نظرة فيها إجلال: لكن يا عمر..أنت من يضع هذا المبلغ، فنحن لا نريد إلا استطاعتكم...!!

عمر الشامي: شيخي أنا متكفل بمدرسة وطلابها في منطقة دير الزور..لأني

سمعت أن الشيعة ينشطون بين أبنائها، وسمعت أن العديد من الع**وائل** الفقيرة تشيَّعت، بسبب عوزها وقلَّة حيلتها.

الدكتورشاهر: بارك الله فيك... هذا أول الغيث...

أخرج باقي التجار دفاتر شيكاتهم، وقالوا للشيخ: وكل واحد منا سيتكفل بمدرسة، فاختر أكثر المناطق حاجة، ونحن ومالنا فداءٌ لله وسنة نبيه...

انتاب شاهر فرح غامر، فوقف متوجهاً نحو القبلة وخرَّ لله ساجداً، والدمعة لا تكاد تفارق عينيه... ثم طلب من الشيخ هاشم رمضان، متابعة بناء المدارس في المحافظات وتأسيسها، وطلب منه أن يبذل كل ما يستطيع من جهد لإكمالها في وقت قياسي.

أبو زيد: شيخي الفاضل... موجهاً كلامه للجميع: أنا ـ كما تعلمون ـ أميّ ولكن ربما تهدني فطرتي إلى شيء فيه فائدة..

قاطعه أبو هاني: تكلم يا أبا زيد بدون مقدمات.. فالجميع يعرفون فضلك..

أبو زيد: أرى أن نستفيد من الفتيات في دعوتنا.. وهذا رأي أشارت عليَّ فيه أختكم **أم زيد**..

الدكتورشاهر: أتقصد اللائي كنَّ متشيعات..؟

أبو زيد: نعم شيخي.. فهنَّ أعلم بخفايا وحيل أولئك الباطنيين..!!

هزَّ شاهر برأسه: هذا ما كنت أفكر فيه مع إخواني العلماء... وهذا الأمر سيكون بعد أن نبني الطابق الثاني في المدرسة، ونخصصه للفتيات... فكما تعلمون فإن الفتيات لهنَّ مهام كبيرة جداً.. فهن من يستطعن دخول بيوت الناس وإيصال ما نريد لهم... فاطمئن يا أبا زيد، فهذا الأمر سيكون قريباً.. وما عليكم الآن إلا أن تشحذوا همتكم، لتحقيق ذلك قريباً.

* * * *

انتاب **أفيخاي** الألم والحزن، فجلس أسبوعاً قابعاً في بيته لا يغادره، كئيباً معتزلاً أصدقاءه، و**فيفيان** لا تلقي له بالاً.. فهي تعرف زوجها وطمعه.. فتركته

يعاني منفرداً..فكان ينظر إليها وعيناه تتناولها بالتسول لتتكلم معه وتخرجه من وحدته...إلى أن فَقَدَ صبره وصاح عليها: **فيفيان**...**فيفيان**...!!

وما إن سمعت صوته حتى تبسَّمت، وقالت بصوت خفي: يبدو أنه نضج..ولم يعد يقوى على الصبر...لقد هزمته...وتقدمت إليه مظهرة اللامبالاة، عابسة بوجهه: ماذا تريد...؟..ثم أعطته ظهرها...

أفيخاي: **فيفيان**..أنا تعيس...

فيفيان: تستحق ذلك...

أفيخاي: لماذا لا تسأليني عن سبب تعاستي...؟

فيفيان بلا مبالاة: أعرفها...

نظر إليها **أفيخاي** باستغراب: تعرفينها...ولا زلت صامتة..!!

فيفيان: ماذا تريد أن أخاطبك...يا زوجي...أو يا **أفيخاي** ابن يهود..أم يا طماع...لا بأس أن يكون الطمع بكل الناس..أما بابنتك..فهذا شيء بشع..لقد أخذت من صهرك **إبراهام** مالاً كثيراً...ولم أعترض عليك..وكنت أساعدك في ذلك...أتعلم لماذا...؟

أفيخاي: لا أعلم..؟

فيفيان بثقة وتهكم: لأنه لم يكن زوج ابنتك آنذاك..أما الآن فأصبح منا..وعليك أن تلعب بعيداً عنه الآن..وتمارس طمعك في مكان آخر...

تغير لون **أفيخاي** لما سمع، وقال بغضب مصطنع: أنا طماع يا بنت يهود...؟

فيفيان: لا بأس...إن كانت تزعجك كلمة طماع...مارس هوايتك في سحب أموال الناس في غير هذا المكان..أسمعت **أفيخاي**..؟

أطرق **أفيخاي** برأسه إلى الأرض صامتاً...وبدأ يتمتم بكلمات غير مفهومة...

نظرت إليه وكأنها لم تسمع منه شيئاً، وتوجهت إلى عملها...!!

لما انفضَّ مجلس **آية الله مهدي** ميرزا مع لجنة نقاء الثورة..سارع **آية الله محمد** الطوساني، للاجتماع بقادة ميليشياته، وما إن استقر بهم المقام..حتى بدأ ينظر إليهم مقلِّباً وجوههم، دون أن ينبس ببنت شفة، فأخذ الحاضرون ينظر بعضهم إلى بعض، مستغربين تلك النظرات...وبعد دقائق من الوجوم والسكون..قطع آية الله **محمد الطوساني** هدوء القاعة، عاقداً بين حاجبيه قد أحكم الضغط على كفيه، مظهراً عصبيته وغضبه: شيعة الإمام...أنتم تعلمون أن الإمام قد كلفنا بمهام عظيمة منذ سنوات..

قاطعه أحد القادة: بل من قبل قيام الثورة..يا مولاي...!!

آية الله محمد: نعم...نعم..أراكم لم تنسوا...هذا شيء جيد...هذا شيء جيد...وبالمناسبة هل مازلتم تذكرون كم عدد الأعمال التي قمنا بها حتى الآن..؟

أحد القادة: نعم يا مولاي..ربما سبعمائة عملية اغتيال..وحرق أكثر من ألف بيت...وتدمير العديد من القرى..وتحويل أكثر من ثلاثمائة مسجد إلى حسينيات...!!

صاح محمد بأعلى صوته والشرر يخرج من عينيه: هذا فقط...لقد قدمنا أضعاف أضعاف هذا الرقم حتى وصلنا إلى ما نحن عليه الآن...ألا تخجلون من أنفسكم، ومن أعمالكم الطفولية...؟ أيها الأوغاد...عليكم أن تدمروا كل مخالف لنا..وفي كل ذرة من أرض دولتنا..فلن يستقيم لنا الأمر دون أن نرى الدماء تسيل في الأزقة والشوارع والقرى..وأن نرى الأنهار بلون دمائهم...

قاطعه قائد آخر: مولاي..لقد قمنا بأكثر من ذلك بكثير...وعندنا أفلام سجَّلت كل عمل قمنا به..حتى أن بعض شيعتنا اشمأزوا من تلك المناظر...!!

آية الله محمد غاضباً: أيها الوغد...أتقول اشمأزوا...؟..أتسمي طاعة الأئمة..اشمئزازاً..؟

القائد: عفواً يا مولاي ما قصدت بتلك العبارة سوءاً...

قاطعه **آية الله محمد**: اخرس..إن إمامنا المنتظر لن يخرج من غيبته إلا مع غزارة الدماء، واستفحال القتل بين الناس..أتريد للإمام أن يبقى متخفياً إلى ما لا نهاية..تعساً لك..وتعساً لأمك التي أنجبتك...

بدأ على القائد الخوف، وأصابته رعشة ظهرت عليه : مولاي أنت تعلم إخلاصي لدولتنا..فإن كان ما قمت به متواضعاً ... فلا تسألني بعد ذلك عن العدد والإثخان بما تسمع بعد اليوم .. لأني حينها لن أحملَ دفتراً أو قلماً لأدوِّن فيه كل عمل أقوم به..

آية الله محمد: أحسنت..فهذا ما أريده سماعه...وكلامي لكم: اقتل، وفجّر، واسحق، واكسر كل عظم، واذبح كل من رأى في صنمي قريش وأذنابهم من المرتدين صلاحاً وتقوى...!!

وقبل أن ينفضَّ المجلس، طلب من القادة أن يتدارسوا معه الأعمال قبل تنفيذها.

ثم انطلق القادة كل إلى عمله.

* * * *

تناول شاهر طعام إفطاره دون أن يتفوه بأي كلمة..كان فؤاد يرمقه بنظراته البريئة، وعندما أحسَّ أن أباه مشغول عنه، اقترب منه لامساً يده: بابا...بابا...

نظر إليه وتبسم في وجهه: نعم بابا..!!

أشار إليه أن يطعمه بيده..

تناول شاهر قطعة خبز ووضع عليها قليلا من الزبد والعسل وقدمها له..لكن فؤاد رفع كتفه رافضاً..

سأله شاهر: تناول طعامك يا بابا...

رفع فؤاد كتفه وسالت من عينه دمعة..فلم يتمالك شاهر نفسه، فأجلسه إلى جانبه وأخذ يطعمه بيده...

نظرت الأم إليهما وقالت لابنها: حبيبي دع أباك وتعال إليَّ فأنا سأطعمك..

رفع فؤاد كتفه مرة أخرى..

نظر إليها شاهر: دعيه..فأنا أحب أن أطعمه بيدي..

اعتدال: ولكنك ستتأخر عن الكلية ولم تتناول فطورك بعد..

شاهر: عندما أراه يأكل أشعر بالشبع..

لما سمع فؤاد كلام أبيه اعتنقه بقوة، وأخذ يقبله بفم مملوء بالطعام وأبوه يضحك: انتبه يا بابا...

أوثق فؤاد رقبة أبيه بيديه رافضاً كلامه..وأخذ يقبله..والأب والأم يضحكان..ولما انتهى بدَّل شاهر ملابسه وتوجه إلى عمله...

* * * *

الهروب من السجن

عاد **عباس** إلى بيته مبكراً، على غير عادته كل يوم، قد امتقع لونه، وما إن رأته **هايدي** حتى شعرت بالخوف على أبيها..فركضت نحوه وأمسكت بيده: ما بك يا أبي...؟

ظلَّت الرعشة تهزه، وكأن مسًّا كهربائياً قد أصابه...ولم يقوَ على الكلام... فزادت مخاوفها...فهزته: أبي...أبي..ما بك..لقد أخفتني..؟

بلع **عباس** ريقه، مسترجعاً أنفاسه، ووضع يده على صدره، كمن يريد أن يخفف من خفقانه...لكن دون جدوى، فجلس على الأريكة مادًّا قدميه تاركاً لرأسه العنان...مستلقياً كقطعة عجين لا حراك فيها...!!

جلست **هايدي** بالقرب منه، وراحت تفرك صدره بحنان وشفقة، والخوف باد على وجهها..فشحوب وجه أبيها انتقل إليها...وبعد برهة من الزمن...مرت كأنها سنة...استعاد **عباس** روعه: علينا أن نغادر هذا المكان فوراً..

هايدي والخوف أخذ منها كل مأخذ: أخبرني ماذا جرى..؟..

عباس: لقد رأيت أحد شيعتنا في الحانة..!!

هايدي: وهل تعرَّف عليك..؟..هل كلمك..؟..هل كلمته...؟

عباس: على رسلك...عندما رأيته لم أتمالك نفسي فخرجت مسرعاً..

هايدي: ربما لم يعرفك...!!

عباس: لا ..لا..عرفني بالتأكيد فقد عشنا سويا مدة طويلة...ومن المؤكد أنه مرسل للبحث عني..

هايدي بخوف وصوت مرتعش: هل سار خلفك عندما خرجت..؟

عباس: لم أدع له هذا الأمر فقد استقليت سيارة، وذهبت بها إلى مكان بعيد،

وعدت بأخرى إلى هنا. . خشية أن يتبعني. . فأردت تضليله. .

هايدي: والآن ماذا سنفعل. . . ؟

عباس: والعباس إن علموا بمكاننا فسيقتلوننا. .

زاد ارتعاد **هايدي** لما سمعت: يقتلوننا. . !! . . وماذا فعلنا. . أمن أجل المال. . فليأخذوه ويتركوننا وشأننا. . ؟

عباس: نعطيهم المال. . هل جننت. . فكيف سنعيش بعدها. . . ؟

هايدي: أفضل من قتلنا. . . فما قيمة المال بعد الموت. . ؟

عباس: وهل تعتقدين أنهم سيكتفون بالمال فقط. . . ؟

هايدي: وماذا فعلنا غير ذلك. . . ؟. .

عباس: سيقتلوننا لنكون عبرة لغيرنا في المستقبل. . ولا أستبعد أن يقوموا بتصويرنا، لإرهاب من خلفنا. . !!

أصابت **هايدي** رعشة قوية هزَّت جسدها، فكلمة القتل لم تكن في حسبانها. . . فتماسكت قليلاً مظهرة القوة، لكن فمها أخذ بالارتعاش الشديد وأخذت شفتها السفلى تهتزُّ خوفاً: أبي لماذا لا نذهب من بيروت. . . فأرض الله واسعة. . . ؟

عباس: وإلى أين نذهب. . . ؟. . وعملاؤهم في كل مكان. . !!

هايدي: لماذا لا نفر إلى إحدى البلدان الأجنبية. . ونجلس فيها كلاجئين. . ؟

استعاد **عباس** رباط جأشه. . ونظر إلى ابنته فأراد أن يخفف عنها خوفها: لا تخافي أنا أفكر في هذا الأمر منذ فترة طويلة. . . وأبحث عن طريق ومخرج. .

هايدي: لو استطعنا أن نتصل بمصطفى لوجد لنا حلا . .

عباس: وأين مصطفى الآن. . إنه يعيش في أمان واطمئنان. . . ؟

هايدي : إذا استطعنا أن نغادر بيروت . . سنتصل به عن طريق سفارة إسرائيل. . . فربما . . .

قاطعها **عباس**: أحسنت يا بنيتي. . لا بدَّ أن نغادر بيروت وبأسرع ما

يمكن..وعليك منذ الغد أن تتسوقي للبيت ولن أخرج منه إلا مسافراً..!!

هايدي: لا بأس يا أبي..وعليك تغيير مظهرك، فتحلق لحيتك وتضع نظارة على عينيك...وغير ذلك..

عباس: سأفعل هذا منذ الآن .. ووقف متوجها إلى الحمام ليبدأ بحلق لحيته...

هايدي: سأضع لك طعام العشاء ريثما تنتهي...

عباس: عن أي عشاء تتكلمين، فلم يعد للطعام مكانٌ في معدتي...تعشي أنت..

هايدي: وأنا أيضاً يا أبي...

عباس: قومي منذ الآن بالتجهز للسفر ... فربما يكون قريباً..

هرعت **هايدي** من فورها فأخذت بإعداد الحقائب..وصاحت على أبيها، وأين سنضع المال..؟

عباس: سنضعه بجيوبنا .. فلا تقلقي ...

* * * *

بعد أن اختلى **وائل** بزوجته **هزار** قال لها: أتدرين فيم يفكر علماؤنا..؟

هزار: لا أدري..؟

وائل: لقد عرض عليَّ **أبو زيد** اليوم أن تساهمي مع صديقتيك في بعض الدروس الدينية..لكشف مؤامرة الشيعة على هذا البلد..

شعرت **هزار** بالخوف: أتدري أن هذا العمل سوف ينتهي بمقتلنا..أو ربما خطفنا..؟

شعر **وائل** بالخوف: وهل يجرؤون على فعل ذلك وهم في بلدنا..؟

هزار: لو تعرف ما أعرف، ما طلبت مني هذا الطلب...!!

وائل: ألهذه الدرجة أنت خائفة منهم...؟

هزار: عندهم ميليشيات خصصوها لتك المهمات. . . !!

وائل: ونحن عندنا رجال يقفون بوجههم. .

هزار: أتقول رجال. . .أنا لا أستهين بأحد. .ولكن رجالهم يعملون تحت جنح الظلام، وفي الخفاء. .كالخفافيش. . .فلا يشعر بهم أحد إلا والدماء قد غطّت جسده. .

وائل: لقد أخفتني. . .سأخبر أبا زيد بما قلت. .

* * * *

وصل **أبو زيد** إلى محل المزرعة والتقى بـ**وائل** فأخبره بما سمعه من **هزار**. . .

نظر إليه وبدأ بفتل شاربه: خَسِئوا والله. . .وهل خليت الشام من الرجال حتى يعتدوا على حريمنا. . !!

وائل: لو أخبرت **الدكتورشاهر** بما قالته زوجتي. . .

أبو زيد: أنا أرى غير ذلك. .

وائل: وماذا ترى. . ؟

أبو زيد: أرى أن تأتي زوجتك وزوجة حسان وعماد، ويلتقين بالدكتور فيسمع منهن دون وساطة من أحد. .

أطرق **وائل** صامتاً. . .لكن أبا زيد قطع عليه صمته: ما بك. . ؟

تلكأ **وائل** بالكلام: لكن. . .لكن. . !!

أبو زيد: تكلم بصراحة أترفض. . . ؟. .

قاطعه **وائل** بقوله: لا تكمل كلامك. .أنا أشعر بالغيرة على زوجتي أمام الغرباء. .فلا تطيب نفسي أن تكلم زوجتي أحداً من الناس. .

أبو زيد: ولكنه **الدكتورشاهر**. . . !!

وائل: وليكن ذلك. .أليس رجلاً كباقي الرجال. . ؟

أبو زيد: هل جننت. . . ؟. .

وائل: نعم جننت إن وافقت على طلبك...

خرج **أبو زيد** من المحل غاضباً، وتوجه من فوره إلى **الدكتور شاهر** إسماعيل...

* * * *

جلس **أبو زيد** في غرفة شاهر منتظراً خروجه من قاعة التدريس، فوضع يده على جبينه وراح يستعيد كلام **وائل** معه، فشعر بالألم يعتصر قلبه، وقال في نفسه: أيخشى على زوجته من **الدكتور شاهر**..؟..يا الله ما أغبى هؤلاء...استمر هذا حاله، إلى أن دخل إليه الدكتور..فرحب به، والبسمة لا تفارق وجهه...فرأى في وجهه كآبة...فسأله: ما بك يا أبا زيد...؟

بدأ **أبو زيد** بسرد ما دار معه...فضحك: هوِّن عليك..ف**وائل** لم يخطئ بما قال..فهذه نعمة الإسلام علينا..فغيرة المسلم على أهله أمر طبيعي لذوي الفطرة السليمة...

أبو زيد: أعليك يا شيخ...؟

الدكتور: نعم..ألست رجلاً كباقي الرجال..ولو أنه قال غير ذلك لشعرت بنقص في إيمانه، وغيرته على عرضه..!!

استعاد **أبو زيد** بعض هدوئه: وماذا نفعل إزاء ذلك...؟

الدكتور: سألتقي بهن وأكلمهن من وراء حجاب...وهذا شرع الله تعالى...وستسير الأمور على خير ما يرام فلا تحزن...!!

أبو زيد: وهل أخبره بما قلت لي...؟

الدكتور: بالتأكيد...!!

تنفس **أبو زيد** الصعداء: لقد أرحتني..فقبَّل يده وانطلق إلى عمله...

* * * *

وصلت برقيه مستعجلة إلى آية الله **أحمد المرشدي**، مع أحد زوار السيدة

زينب، ففضَّ الرسالة وأخذ بقراءتها. .فظهرت على وجهه آثار ما فيها. . .فهزَّ رأسه وطوى الرسالة ووضعها في جيبه وصاح على قنبر وأجلسه إلى جواره، وهمس في أذنه ببضع كلمات. .فوقف قنبر على الفور: سيكون لك ما أردت. . .وعند خروجه لحق به أحد أصدقائه، وسأله: ماذا أراد منك. .؟

قنبر: هل جننت. .أنا لا أفشي سر الإمام. .فاذهب لشأنك. . .

* * * *

عمليات واغتيالات

تحت حراسة مشددة اجتمع **آية الله محمد** الطوساني في بيته مع قادة ميليشياته..

تقدم إليه **رستم**، وهو أحد قادته البارزين مخرجاً ورقة من طيات ثيابه: مولاي لقد انتدبني بقية القادة للكلام نيابة عنهم، فكتبنا تقريراً مفصلاً حول ما كُلِّفنا به، وبقائمة الأهداف التي سيتم التعامل معها...

آية الله محمد: لا بأس أنا أُرحِّب بما فعلتم..وهذه طريقة تمنع الجدال ولا تضيع الوقت..

رستم: مولاي إن شئتم قرأت عليكم ما توصلنا إليه..وإن شئتم قرأته بنفسك..

مدَّ آية الله يده وتناول الورقة وجال نظره فيها، ثم أعادها إليه: اشرح لنا ما فيها..؟

رستم: مولاي لقد توصلنا إلى أن ثورتنا، لا يستقيم عمودها إلا بالقضاء على كل ناصبي في هذا الوطن...فصفاء ثورتنا يجب أن تبدأ من هنا، من هذا البلد، فإمامنا **آية الله مهدي** قد رسم لنا طريقنا بنقاء ووضوح..فلا ينبغي لنا أن نتوانى في تحقيق ما أراد..

قاطعه **آية الله محمد**: بل ما يريده إمامنا المنتظر..وهل نحن إلا جنود في حظيرته، يدفع بنا كيف يشاء..فنحن نقوم بما أمرنا طائعين، وعن طيب خاطر منا...

رستم: نعم يا مولاي...هذا ما أردت قوله..!!

آية الله محمد: أحسنت..أتِمَّ قولك...

رستم: فقد وجدنا أن الخطر الأول الكامن، هم أولئك النفر ممن يسمون أنفسهم

علماء. . .وعلى رأسهم شيخهم الملا تاج الإسلام التركماني. .؟

آية الله محمد الطوساني: أهو من كان يُحرِّض علينا في دروسه وخطبه. .؟

رستم: نعم يا مولاي. .هو نفسه. .!!

آية الله محمد الطوساني: لكنني سمعت أنه غادر البلاد إلى العراق. . .

رستم: نعم. . .كما ذكرت. .ولكنه يرسل بتعاليمه إلى أتباعه عن طريق الخطب المسجّلة، يحرضهم على ثورتنا. . .!!

هزَّ **آية الله محمد** الطوساني رأسه: أهو في العراق إذن. .؟

رستم: نعم يا مولاي وعندنا عنوانه مفصلاً وأماكن تواجده. .!!!

آية الله محمد الطوساني: وماذا نستطيع أن نفعل إزاء ذلك، فهو بعيد عنا وبين أتباعه. .؟

رستم: مولاي أنت تعرف حجم أتباعنا هناك. . .وهم على استعداد لتنفيذ ما يُطلب وعن طيب خاطر منهم. . .

آية الله محمد: أحسنت صنعاً. .فالعراق بلدنا أيضاً، وملك لنا، فمقاماتنا المقدسة، تدعونا إلى تحريرها من أيدي أولئك الحثالة، والفئة الباغية. .

رستم: لقد ارتأينا يا مولاي أن أذهب إلى هناك، وأقوم بتصفيته وتصفية أمثاله. . .ونحن لا نحتاج منكم إلا الدعاء لنا بالتوفيق. .

آية الله محمد: على بركة الله. . .وتناول من أمامه ورقة وقلماً، وخطَّ بها بضعة أسطر، ودفعها إليه: هذه رسالة إلى آية الله نيروز الموسوي، إمام الأماكن المقدسة في النجف وكربلاء وسامراء. . .فعلى بركة الله يا **رستم** وعين إمامنا تحرسك. . .

رستم: مولاي وهنا. .مشيراً إلى بقية القادة. .سيقوم قادتنا بحملتهم في بلادنا. . .

آية الله محمد: خيراً. . .قد وزَّعتم الأعمال عليكم. .وأنا أبارك ما فعلتم على أن توافوني بها كل على حِدَة، ليتسنى لي تقديمها إلى إمامنا بتفاصيلها. .لأنه أدام الله ظله يتابع الأمور بنفسه، ويسره أن يسمع الأمور المفرحة. .والآن اذهبوا راشدين وعين الإمام تحرسكم. . .

فاطمة والإمام

توسط آية الله نيروز الموسوي الجموع في النجف، بعمامته السوداء وعباءته المطرزة بخيوط الفضة الفارسية، وتجمع من حوله أتباعه، يراقبون كل حركة من عينيه، لينفذوا كل ما أراد دون الحاجة إلى الكلام...

أجال نظره نحو العامة، من الذين يقومون بطقوس الزيارة..فاستقرت عيناه على إحدى الزائرات الصغيرات..قد وضعت عليها عباءتها السوداء..التي كانت تتساقط بين الآونة والأخرى..فتظهر ملابسها الداخلية أثناء تعثرها..نظر أتباعه إليه فوجدوا عيناه لا تفارقها، فأسرع أحدهم إليها وأخذها من يدها: الإمام يطلبك...

اعترضه أبوها: ماذا تريد من صغيرتي..؟

التابع: الإمام يريد ابنتك...

شعر الأب بالسعادة تغمره: أتقول الصدق..الإمام يريدها...؟

التابع: وهل في قول الإمام كذب...؟

أخذ الأب بيد ابنته، وتوجه بها نحو الإمام، وما إن وصل إليه، حتى انكبَّ على يده يقبلها، وقال لابنته الصغيرة: قبّلي يد إمامنا..فأقبلت الصغيرة إلى الإمام ببراءة الأطفال..فقبّلت يده..فتحسس يدها وأجلسها أمامه..وقال لوالدها: أهي ابنتك..؟

الوالد: نعم يا مولاي...خادمة قدميك...!!

آية الله نيروز الموسوي: أحسنت القول...ما اسمك..؟

التابع: أنا خادمك إبراهيم..

آية الله نيروز: وما اسم هذه الجميلة...؟

إبراهيم: خادمتك فاطمة...

نيروز: أحسنت في اختيارك لهذا الاسم...

غمرت إبراهيم فرحة كبيرة لثناء الإمام عليه، فتبسَّم ابتسامة عريضة...فأشار إليه آية الله نيروز بيده، وأجلسه أمامه: يا إبراهيم...أريد أن أتزوج بابنتك هذا اليوم...

شعر إبراهيم بالحرج: هي خادمتك يا مولاي..ولكنها ما زالت طفلة، لم تبلغ السابعة من عمرها بعد...!!

آية الله نيروز: لا يُشترط أن تكون المتمتع بـها بالغة راشدة...ألم تسمع ما قاله إمامنا أبو عبد الله..؟

إبراهيم: فداه أبي وأمي..وماذا قال..؟.

أية الله نيروز: قال عليه السلام: عندما سُئل: هل يتمتع الرجل بالجارية الصغيرة..؟..فقال: نعم إلا أن تكون صبية تخدع..!!..قيل: وما الحد الذي إذا بلغته لم تخدع..؟ قال: عشر سنين...فهل تعترض على إمامك..؟

إبراهيم: حاشا لله..فأنا وبناتي وكل ما أملك فداء للإمام..

آية الله نيروز: أحسنت..والآن..عليها أن تبات عندي هذه الليلة...!!

إبراهيم: خادمتك يا مولاي...فخذها الآن إن شئت..

نظرت الطفلة إلى أبيها باستغراب وبراءة: بابا إلى أين سأذهب...؟

إبراهيم: إلى بيت الإمام فهو يحبك..وغداً سآتي لآخذك..

نظر إليها آية الله نيروز: ستأتين معي هذا اليوم...

فاطمة: وماذا سأفعل عندك...؟..أعندك ألعاب..؟..

آية الله نيروز: أتحبين الألعاب..؟

فاطمة: نعم كثيراً..فأبي لا يشتري لي أي شيء..!!

نظر آية الله نيروز إلى إبراهيم: لماذا لا تشتري لهذه الجارية ألعاباً يا إبراهيم..؟

إبراهيم: مولاي وهل أجد ثمن الطعام حتى أشتري لها ألعاباً..ونظر إلى ابنته...بابا ستنامين اليوم عند الإمام...

فاطمة: بابا تعال معي...

نظر أبوها إلى آية الله نيروز باستجداء..ففهم قصده: لا بأس أن تكون مع ابنتك هذه الليلة...

فرح إبراهيم بعطف الإمام عليه..فارتمى على يده يقبلها بشغف ومحبة وخنوع..

بعد أن أتمَّ الزيارة، أخذ أحد أتباع آية الله نيروز بيد فاطمة، وسار خلف الإمام، وأبوها وأمها وراءهما ، يقصران الخطى ليبقيا خلف الإمام ، ولا يسبقانه في سيرهما.. والأم تشعر بنفسها تطير من الفرح، والبسمة لا تكاد تفارقها..وهي تنظر إلى زوجها هامسة: لقد استجاب الله دعائي ورجائي أخيراً..فهذا إمام النجف بجلاله سيتزوج بابنتي هذه الليلة ..

إبراهيم: والعباس أنا أكثر منك فرحاً بذلك ... !!!

وما إن استقرَّ بهم المكان..تناولوا عشاءهم...والإمام ينظر إلى فاطمة بشغف المحبوب، وهي تأكل طعامها بنهم...وبعد أن انتهوا، قدموا لهم الحلويات، حتى أصيبوا بالتخمة وغلب النعاس أعينهم...فارتمت فاطمة بالقرب من أمها، وغطَّت في نوم عميق..لكن الإمام أشار إلى أحد أتباعه، أن يحمل الطفلة إلى غرفته..فتقدم إليها وحملها بين يديه دون أن تشعر، والأب والأم ينظران والبسمة والسرور على وجهيهما...فدخل الإمام وراءها، وأغلق عليه الباب..وما هي إلا لحظات قليلة، حتى بدأت بالصراخ...شعرت الأم بالفزع، وانتابها الخوف على ابنتها الصغيرة، فاقتربت من باب الغرفة لتعلم ما يدور..فتقدم إليها الحارس، وأمسك يدها بقوة، ودفع بها بعيداً: ابتعدي عن الباب، والعباس لو رآك الإمام لانتزع رأسك من بين كتفيك...فابتعدت ببطء وهي تكثر الالتفات نحو باب الغرفة، وأحسَّت بقلبها يتمزق على فلذة كبدها..فجلست في فراشها لا تستطيع النوم..فصراخ ابنتها لم ينقطع طوال الليل..فبدأت دمعتها تسيل على خدها، وهي تسمع صوت فاطمة تنادي: بابا...ماما..ولكن ما من مجيب...فالإمام آخذ بعنانها..قد أحكم قبضته عليها..!!

ومع شروق الشمس، سمعت الأم صرير الباب يُفتح، فهرعت مهرولة نحو ابنتها. . .نظر إليها الإمام نظرة احتقار: ادخلي إليها. .

دخلت الأم إلى طفلتها الصغيرة، فوجدتها شاحبة اللون، جاحظة العينين، يرتجف جسمها، فحملتها بين ذراعيها، وخرجت بها. .فطوّقت فاطمة رقبة أمها بيديها الصغيرتين وضمتها إليها بقوة. . .وما إن لامس كفا الصغيرة رقبة الأم، حتى أحسّت ببرودتهما. .فتسارعت ضربات قلبها خوفاً عليها. . .وأخذ الأب ينظر إلى ابنته، وما أصابها فارتعدت أوصاله، وقال لها: مالك يا بنية. . .؟

نظرت إليه فاطمة مرتجفة، وقد جحظت عيناها، وهي تنظر إلى الباب: أرجعوني إلى البيت. . .أرجعوني إلى البيت. . .!!

سمع آية الله نيروز صوتها، ففتح الباب ونظر إليهم: صباح الخير. . .

وما إن سمعت فاطمة صوته، حتى ازدادت رعشتها، وتغير لونها، وبدأ وجهها بالشحوب، وعلته الصفرة، وبدا عليها الانهيار، فوقعت مغشياً عليها. . .فصاحت الأم: فاطمة. . .فاطمة. . فهرعت وأتت بكأس ماء، وبدأت بنثر بعضه على وجهها. .فدخل الإمام: ما بها. . .؟

الأب: مولاي انظر ماذا جرى لها. . .فلم تحتمل المتعة؛ لأنها صغيرة. . .!!

نظر إليه الإمام والغضب في عينيه: ماذا تقول. .؟. .ابنتك ليست صغيرة، وأئمتنا لا يرون بأساً في ذلك. . .فالتمتع جائز، حتى بالرضيعة ضما وتفخيذاً وتقبيلاً ومداعبة. .أما الجماع فلا تقوى عليه. . .

نظر إليه إبراهيم والحيرة ظاهرة في عينيه: مولاي القول قولك، والصواب فعلك، وأنت إمام مجتهد، ولا يمكن لمثلي أن يرى أو يقول إلا ما تراه أنت أو تقوله. . .ثم أعاد النظر إلى ابنته، فرأى الدماء قد غطت ملابسها. . .فعاد بنظره إلى الإمام، وكأنه يسأله فما بال الدماء إذن. . .؟

نظر إليها آية الله نيروز، بازدراء وقلب شفته السفلى بلا مبالاة: إن جسد فاطمة يحتمل ما لا يحتمله غيرها. . .!!

لم يستطع إبراهيم أن يتكلم بأي شيء . . . فأعاد النظر إلى ابنته ، فرأى عيناها شاخصيتين ، ولونها يميل نحو الزرقة . . فحملها وخرج مهرولاً إلى أقرب مستشفى . . فأمر آية الله نيروز أحد أتباعه بمرافقتهم . .

نظر إليها الطبيب متفحصاً حالها . . وقال لأبيها : العمر لكم . . ابنتكم ماتت . .

صاح الأب فزعاً، وبدأ يهزُّ طفلته بقوة . . . فاطمة . . . فاطمة . . لكن دون جدوى . . . وأمر الطبيب بأخذ الطفلة إلى المشرحة لبيان سبب الوفاة . . . لكن التابع تقدم إليه وهمس في أذنه . . . فتغيرت نبرة الطبيب، وتناول ورقة ليكتب شهادة وفاتها . . فدوَّن اسمها، وعزا سبب الوفاة إلى إصابتها بحمى السحايا . . .

حمل التابع الطفلة، فغُسِّلت وتمَّ دفنها . . فما كان من أبيها إلا أن ارتمى على قبرها، وراحت الأم تحثو التراب على رأسها، وقطَّعت ملابسها ولطمت وجهها . . . فتركهما التابع لحالهما، وكأن الأمر لا يعنيه، وانطلق إلى عمله مرتاح الضمير . . .

* * * *

بعد انتهاء صلاة العشاء، توجه شاهر إسماعيل و**أبو زيد** إلى بيت **وائل** . . . وما إن وصلا حتى استقبلهما بحفاوة وترحيب بالغين . . . وتركهما على عجل وطلب من زوجته وأمه إعداد طعام العشاء تكريماً لضيوفه . . . شعر الدكتور بفطنته ما يقوم به، فطلب من أبي زيد أن ينادي عليه . . .

أبو زيد : **وائل** . . . **وائل** . . . أين أنت . . ؟

عاد **وائل** مسرعاً عندما سمع صوته : خير إن شاء الله . . . دقائق وأكون معكم . .

الدكتورشاهر: لم نأتِ لنأكل . . . معنا بضع دقائق لنجلس معك . . .

وائل بإصرارٍ: لا والله يا شيخي، لن تخرجوا قبل أن تذوقوا زادنا . . . فزيارتكم شرف كبير لنا، وموضع فخرنا . . . فلا تحرمنا هذا الفضل . . .

الدكتورشاهر: لكننا لا نريد أن تُكلِّفَ نفسك وتتعب أهلك . .

وائل: والله يا شيخي والدتي وزوجتي، منذ أن عرفتا بزيارتكما، وهما في المطبخ تهيئان لكما الطعام . . .

تبسّم **الدكتور شاهر** بسمة فيها التواضع: بارك الله فيكم جميعاً. . .فإكرامكم لنا يدل على إيمانكم وحسن ضيافتكم. . . !!

نظر إليه **أبو زيد** وقال مازحاً: متى ينتهي العشاء. . .هل علينا أن ننتظر إلى آخر الليل. . ؟

شعر **وائل** بالحرج، وبدا على وجهه الخجل: بضع دقائق لا أكثر. . .

ضحك الدكتور من كلام أبي زيد، وقال موجهاً كلامه ل**وائل**: هون عليك، فأبو زيد يحب ملاطفتك . .

وائل: **أبو زيد** له علينا الكثير. .ونحن ندين له بكل شيء. . !!

أبو زيد بخجل وتواضع : الفضل لله . . فاشكر الله على نعمائه . . . فهو صاحب الفضل والمنة . . .

الدكتور شاهر: أحسنت يا أبا زيد. . .فهذا والله ما يريده ربنا منا، أن ننسب كل شيء له وحده وما نحن إلا عبيد أمناء على ماله وخلقه. . .ولولا توفيقه وهدايته لكنا في الأذلين. . .

وهما في هذا الجدال اللطيف ، طُرق البابُ طرقاً خفيفاً . . . فقال **أبو زيد**: يبدو أن الطعام أصبح جاهزاً . . .

غاب **وائل** للحظات . . . وعاد حاملاً الطعام ووضعه أمام ضيفيه . . وقال بخجل: تفضلا . . .

تقدم الضيفان وبدآ بتناول الطعام . . . وما أن انتهيا حتى أسرع **وائل** وأحضر لهما الحلوى . .

نظر إليه الدكتور: لماذا هذا التكلف . . . فالعشاء كان كافياً وزيادة. .

وائل: نحن آسفون على التقصير . . . وهذا أقل من واجبكما . . !!

الدكتور : بارك الله فيكم . .

أبو زيد: كأنك تريد أن تصيبنا بالتخمة. . .لننسى ما جئنا من أجله. . .

طلب الدكتور من **وائل** أن يجلس بجانبه..لكن **وائلاً** جلس أمامه: أمرك شيخي..

الدكتور: لا بد أنك على علم ببعض ما جئنا من أجله..

وائل: نعم ولكن...!!

قاطعه الدكتور: هل تشك بأننا عائلة واحدة إلا ما حرم الله..؟

وائل: لا والله..

الدكتور : عندما طلب منك **أبو زيد** ... أن تعمل زوجتك وصديقتاها شاهيناز وشيرين في بيان الحق ، حتى لا ينحرف المجتمع ، وتنتشر الفاحشة تحت مسميات الإيمان والتقوى ، والتقرب إلى الله تعالى ...

لم يتمالك **وائل** نفسه: لكن يا شيخي أغار على زوجتي..

الدكتور: وهل ترانا أقلَّ غِيرة منك ... ؟ .أم أننا سندعهن يقابلن الرجال والشباب...إن عملهن خاص بصنف النساء ليس إلا ... وكما علمت في السابق، أنهن تلميذات عند الشيخة دعاء الجزائرية ...

وائل: نعم يا شيخ..وما زلن حتى الآن يترددن عليها بين الفينة والأخرى...

الدكتورشاهر: هذا شيء جميل بحق..لقد قصَّرت عليَّ الطريق...فزوجتك وشاهيناز وشيرين سيعملن معها وضمن المدرسة...هذا الكلام ليس الآن، وإنَّما بعد أن نفتتح قسماً خاصاً بالفتيات الداعيات...

انفرجت أسارير **وائل**، وظهر على وجهه الارتياح: الحمد لله...!!

الدكتورشاهر: ألا تسأل زوجتك عن رأيها...

وقف **وائل** على عجل: حاضر شيخي، وإن أردت أن تتكلم معها من وراء الباب لتسألها بنفسك فلا مانع..

الدكتورشاهر: لا..كلامها معك يكفي الآن...والشيخة دعاء ستقوم بما يلزم في الإشراف عليهن..كي يستطعنَ التفاعل مع الهيئة التدريسية...

ذهب **وائل** إلى زوجته وعاد على الفور: لقد وافقت..

ضحك الدكتور: وهل عرفت على أي شيء توافق..؟

أطرق **وائل** رأسه مظهراً الخجل: نعم شيخي فقد كانت تستمع من وراء الباب..

قهقه الدكتور و**أبو زيد**: هذه عادة النساء في كل الأزمان...فلا يستطعن الصبر..والطبع غلب التطبّع ...!!

وما إن سمعت **هزار** كلام الدكتور عنها، حتى أسرعت مبتعدة..لكن قدماها خانتاها فوقعت على الأرض مما زاد من ضحكاتهم؛ لأنها أفصحت عن تصنتها...

لما انتهى الدكتور من كلامه، نهض واقفاً ووجه كلامه **لوائل** ، سأرسل دعاء الجزائرية لتجلس مع الفتيات، وتعطيهن دورة علمية مكثفة...

وائل: حاضر شيخي..

غادر الدكتور و**أبو زيد** مودعين..

* * * *

دينا والسياسة

حرصت **دينا** على بناء أفضل العلاقات، مع الطبقة الراقية في المجتمع اليهودي..ومما سهل تحركها سيارتها الجديدة..فبعد أن ترسل ابنها جوزيف إلى مدرسته، تنطلق إلى المجتمع المخملي..حيث استطاعت بناء علاقات قوية، وأثبتت وجودها فيه، على الرغم من نظرة اليهود السلبية ليهود العرب، واعتبارهم من الطبقة الثالثة، بعد يهود الغرب ويهود الشرق...لكن جمالها وحسن كلامها..جعلاها من المقربين للرجال من أصحاب النفوذ والقرار...فلم تتوانَ عن دعوتهم إلى تناول الطعام في بيتها...ودفع زوجها للتقرب منهم، لبناء علاقات قوية معهم..إلا أن **إبراهام** كان يتهرب في كل مرة..فلا يعجبه هذا النوع من الرسميات...وتحت إصرار **دينا** كان يجلس معهم على مضض..لكن وجهه في كل الأوقات يعبر عن امتعاضه...

مع دخول احتفال اليهود بيوم الخروج من مصر، ونجاتهم من فرعون وجيشه..طلبت **دينا** من زوجها الحضور مبكراً من عمله، لأجل الاحتفال الذي سيقام في بيته..

شعر **إبراهام** بالغضب: ألا تملّين من تلك الحثالة...لقد سئمت منهم...فكلما أنظر إليهم أصاب بالغثيان والقرف...؟

دينا: أنا أعمل لمصلحتنا...

إبراهام: أخرجيني من تلك المصلحة..فهم ينظرون إلينا نظرة انتقاص ومهانة..وكأننا من سقط المتاع..أو ربَّما أتينا من إحدى مزابل الحي..!!

دينا: سأغيّر تلك النظرة قريباً، فاصبر وسترى ما يسرك..

إبراهام: أرجوك دعيني وشأني...فأنا مرتاح في عملي..

دينا: هل أنت مرتاح بين زجاجات الخمر والغانيات..ألا تريد أن تتطور...؟

إبراهام: أنا لا أريد الخروج من واقعي إلى الأحلام. .أتفهمين. . .؟

دينا: وإن قلت لك ستصبح واحداً من أبناء الطبقات المخملية في تل أبيب. .هل يعجبك ذلك. .؟

إبراهام: استيقظي من أحلامك. . .فنحن زبالة الحي. .!!

شعرت **دينا** بالنار تحرقها، فاشتعلت غضباً: ألا تصمت وتتوقف عن وسمنا بالزبالة. . .ألا تصبر قليلاً. .والعزير لن أقبل إلا أن تكون عضواً في الكنيست. . .أو وزيراً. . .أو ربما سفيراً. .في إحدى الدول الغربية. .

أحسَّ **إبراهام** بوقع كلامها في نفسه، وشعر بنوع من الفضول: أتعنين ما تقولين. . .وكيف لنا أن نصل إلى تلك المناصب المقصورة على طبقة الغربيين. .؟

عادت إلى هدوئها: اسمع كلامي ونفذ ما أقول لك. .وستجد صحته قريباً. .فأنا أخطط لهذا الأمر منذ أشهر. . . وقد عزمت ألا أخبرك، حتى لا يعلم أحد بما أخطط له وخاصة أبي. .

إبراهام: وما علاقة أبيك بهذا الموضوع. .؟

دينا: أبي يكنُّ لك الكراهية والغيرة. . .ولهذا أخفيت الأمر عنه وعن أمي أيضاً. . .!!

إبراهام وقد عادت إليه نفسه، وشعر بالاهتمام: وما المطلوب مني في هذه الحالة. .؟

تقدمت إليه كمن يريد أن يهمس في أذنه، لكيلا يسمع أحد بما يدور: **إبراهام** عليك منذ الآن أن تهتم بملبسك وضيوفك، وتظهر أمامهم بالرجل المهذب، والمهتم بمصلحة بلاده. . .وبعد ذلك سنخطو الخطوة الثانية. . .

إبراهام والاهتمام ظاهر عليه: وهل سيتأخر هذا التخطيط. . .؟

دينا: هذا الأمر يتعلق بحسن تصرفك، وكرمك مع ضيوفك، واهتمامك بهم. . .فأنت تعلم بني يهود وما هو أحب شيء إليهم. .

إبراهام بتهكم: أتخبرينني. .أنا أعلم بهم. .؟. .فأبوك ملك الطمَّاعين. . .فلا

تكتفي نفسه بمال الأرض. . . !!

دينا: بما أنك عرفت . . فالزم هذا الجانب واعمل ضمن فلكه. .

إبراهام: سأسمع كلامك هذه المرة . . شريطة أن لا يطول الأمر إلى مالا نهاية. . .فأخسر مالي وأظل على الحديدة . . .

دينا: وهل تظنني فقدت عقلي حتى أدفعك إلى خسارة مالنا دون مقابل. .والعزير إن لم آخذ ضعف ما أصرف، فلن أعوم في بحرهم.

ضحك **إبراهام**: أنت بنت يهود بحق. . .

دينا: وهل أنا إلا ابنة **أفيخاي**. . .وضحك الاثنان معاً، وأخذا بأيديهما، وجلسا على الأريكة، يتبادلان الحديث وما يخططان لمستقبلهما. .

وبعد برهة من الزمن، وصلت الطلبات من المطاعم، وبدأ العمال بتهيئة الصالة. .بما لذَّ وطاب، وأحضرت **دينا** شاشة كبيرة توسطت الصالون، وأحاطته بكاميرات تلفزيونية، تصور الحدث وتنقله عبر الشاشة فوراً، حتى غدا بيتها كأنه أحد استوديوهات هوليود. .أرادت بذلك أن تطفو على المكان البذخ والاهتمام بضيوفها وعدم مبالاتها بالمال. . .

قبل الموعد المحدد وصل **أفيخاي** وفيفيان . . . وقد ارتديا أجمل ثيابهما، بناءً على طلب **دينا** . . . فجلس أفيخاي على أول أريكة صادفته . . وراح يتأمل التحضيرات الجارية . . فانتابته غيرة كبيرة . . . وحاول أن يلجم نفسه بما يرى . . فلم يستطع. . فهرع على الفور إلى **دينا** : لماذا هذا الصرف الكبير . . أما كان جديراً بك أن تشتري سيارة لأبيك . .؟. .

شعرت **دينا** بالغضب: فصاحت على أمها: ماما. . .ماما. . .

أسرعت **فيفيان** إليها: ما بك. . .؟

دينا: خذي أبي من أمامي الآن، فلم أعد أحتمل كلامه. . .

نظرت إليه **فيفيان** مظهرة الغضب: ماذا قلنا قبل أن نأتي. . .؟

أفيخاي: أليس من الأفضل أن تكف عن البذخ الذي لا طائل منه. . .

قاطعته **فيضيان** بعصبية واضحة: إن كنت لا تحتمل ما ترى..فأشارت إلى الباب: فهذا الباب يسعك ويسع غيرك، فاذهب إلى البيت، ودع ابنتك تتصرف وفق ما تحب...أفهمت...؟

أطرق **أفيخاي** على مضض، وجلس على كرسي أمامه..وأخذ يجول بنظره مرة أخرى فلم يعد يحتمل ما يرى..فتوجه إلى المطبخ وجلس على الطاولة، وطلب من إحدى الخادمات أن تقدم له بعض الطعام...

الخادمة : لكن يا سيدي لم يئن الوقت بعد..وقد أوصتني سيدتي...

قاطعها صائحاً: أنا سيدك هنا...

سمعت **دينا** صراخه، فأسرعت لتعلم ماذا يجري..فلما رأت أباها..قالت للخادمة: قدمي له ما يشاء..ونظفي وراءه على الفور ، قبل وصول الضيوف... ففعلت الخادمة ما أمرتها به..

وما إن دخلت الساعة الثامنة مساءً حتى بدأ الضيوف بالتوافد والحضور...

كان **إبراهام** و**دينا** واقفين قرب الباب، يستقبلان ضيوفهما بالبسمة والترحيب..وتقديم وردة لزوجة كل زائر.. فاضغت على الاستقبال نوعاً من الرومانسية...

عندما اكتمل الجمع، جلست **دينا** على كرسيها المخصص لها، وعبق العطور الباريسية تخرج منها، قد أظهرت مفاتنها بثوبها المزركش، الذي أضفت عليه نوعاً من التطريز الهندي، مظهراً بعض الأنوثة المتبرجة في بعض أنحائه...وبدأت بتوزيع البسمات هنا وهناك..حتى أشغلت الجميع بجمالها وأنوثتها...

لما تناول الحضور طعامهم، بدأت بالتنقل بين واحد وآخر، ترحب بهذا وتبتسم لذاك، وزجاجات الخمر تتناقلها أيدي الخادمات بين الضيوف...

وهم في نشوة السعادة والهناء..تقدمت **دينا** من الدكتور شالوم يعقوب والبسمة لا تفارقها وقد حملت بيدها كأساً من الخمر وقدمته له..

شالوم أبيض اللون طويل القامة، في ظهره تقوس بسيط، أصلع الرأس، قد

وضع عليه قبعة صغيرة تدل على تدينه والتزامه بتعاليم اليهودية، يعمل كرئيس للمخابرات العامة، وعضو بارز في الكنيست الإسرائيلي، وأحد المؤسسين لحزب سنتر يهودا، له مكانته الكبيرة في أوساط المستوطنين، وموضع فخر ليهود أوربا، فخدماته الجليلة لهم باتت من أولوياته، حتى لُقِّب بالمخلص الأمين...

سألته **دينا**: هل أعجبتك الحفلة..؟

شالوم بهدوئه المعهود واتزانه: إنها حفلة تليق بالملوك...!!

دينا: وهي تليق بك...

تبسم شالوم لهذا الإطراء: أشكرك...!!

دينا: لقد أحضرت لك وللمدام هدية متواضعة أرجو أن تعجبك...

لم يستطع شالوم وزوجته إخفاء بسمتهما ... فأخذت **دينا** بيده ، ولحقت بهما زوجته إلى إحدى غرف بيتها ، وتناولت من خزنتها علبتين فاخرتين ... فقدمت إحداهما لزوجته : هذه هديتك .. أرجو أن تنال إعجابك ..؟... وقدمت العلبة الثانية إلى شالوم : وقالت له بتواضع فيه غنج النساء : وهذه هديتك ...

وما إن فتحا العلبتين حتى تأوهت زوجته: ما أجمله...!!

نظر إليها شالوم محاولاً إخفاء إعجابه..لكن جمال العقد كان أكبر من أن يستعلي أمامه..فبرقت عيناه، حتى عكستا لونه الذهبي، وطغت على زرقتهما...ثم أسرع بفتح هديته، فلم يتمالك نفسه: ما أروعها..!...أسرعت زوجته باختطافها من بين يديه..لكنه صاح دون وعي: تمهلي...تمهلي...

الزوجة: ما أجملها من ساعة...أهي من الذهب...؟..

رفعت **دينا** رأسها وأحسَّت بالنشوة تغمرها، فأظهرت عدم مبالاتها بما قدمت من هدايا ثمينة: نعم إنها من الذهب الخالص...!!

الزوجة: كلها...أم أنها مطلية فقط..؟

دينا بثقة كبيرة: إن كل قطعة فيها من الذهب الخالص، وقد صُنعت خصيصاً لشالوم بناءً على توصية مني ومن زوجي **إبراهام**...ثم استدركت...أتسمح لي أن

أخاطبك شالوم بدون ألقاب..؟

شالوم: نعم...نعم...فهذا يروق لي..فأنا لا أحب الكلفة بين الأصدقاء..أم ترين أننا لسنا كذلك...؟...

دينا: هذا شرف كبير لي...أنك اعتبرتني صديقة..!!!

شعر شالوم بنفسه يطير من الفرح، فخرج عن اتزانه المصطنع، وطبع قبلة على يد **دينا**..واعتنقتها زوجته وقبلتها من خدها...!!

لكن **دينا** سارعت بقولها: هذه الهدايا لكما فقط..فمكانتكما عندنا كبيرة جداً..وحديثنا لا ينقطع عن إنجازات شالوم تجاه الوطن...

عاد شالوم لهدوئه واتزانه: هذا واجب المواطن نحو وطنه...

دينا: نعم...نعم..وهذا ما يقوله مواطنو إسرائيل أيضاً...!!

بعد منتصف الليل بدأت جموع المحتفلين بالمغادرة...وكان من بينهم شالوم الذي أخذت **دينا** بيده وأوقفته إلى جانبها، موحية له أنها تريد الحديث معه...فوقف طائعاً مختاراً، يسترق النظر إلى ساعته الذهبية بين الفينة والأخرى...ونظرات إعجابه واهتمامه بهديته لم تغب عن نظر **دينا**، التي كانت تسترق النظر إليه..لترى مدى تأثره بما قدمته له...

وما إن غادر الضيوف حتى استدارت إليه ونظرت في عينيه...فقرأت فيهما تأثيرها عليه..فقالت: عزيزي شالوم...

لكنه لم يدعها تكمل قولها فقاطعها: لبيك **دينا**...

شعرت **دينا** بالنصر في مسعاها، فأثر نجاحها بدأ مع أول لمسة يد لشالوم وانتهى مع هديته: شالوم أريد أن ألتقي بك فعندي أمر يشغلني...

شالوم: مكتبي ووقتي ملك يديك..وما عليك إلا أن تتصلي بي لأكون بانتظارك..وأخرج من جيبه بطاقة فيها أرقام هواتفه وخطَّ تحت أحدها بقلمه: هذا هاتفي الخاص...بإمكانك أن تتكلمي معي مباشرة دون وسيط..

دينا: شكراً لك يا سيدي..فهذا شرف كبير لي ولزوجي...

شالوم: بل هو شرف لي أنا..فلا تتأخري عليَّ بالاتصال؛ لأنني سأكون بانتظارك..

دينا: بالتأكيد سأتصل بك قريباً جداً...

وودعها مغادراً مع زوجته...

* * * *

إكرام الضيوف

عاد آية الله نيروز الموسوي إلى مكانه المعتاد في النجف، بعد أن خلَّفَ وراءه ضحيته تحت التراب، وجلس يتأمل الحاضرين بهدوء وسكينة، وينظر باستعلاء إلى طابور الزائرين، يحمل كل واحد منهم مصحفاً بيده، لينظر له فيه الخيرة. . .وعندما يغادرونه. .ترى فرحاً من هذا ووجوماً من ذاك. . .وظلَّ كذلك إلى أن لاح له من أمام الباب خمسة رجال، قد اعتموا بعمامة سوداء داكنة، تدل وجوههم على المكان الذي قدموا منه، فأشار برأسه إلى أحد أتباعه، ففهم الأخير ما أراد، فتوجه نحوهم على عجل. .وما إن وصل إليهم حتى عاجله القادم الجديد بالسؤال: أين سماحة السيد نيروز. . .؟

أشار التابع إلى مكانه وسأله: ماذا تريد منه. . .؟

الزائر: لي عنده حاجة. . .

التابع: أمن إيران أنتم. .؟

الزائر بلؤم: وما شأنك أنت. . .أوصلني إلى سيدك. . .؟

شعر التابع بأهمية الزائر ومكانته. . .فلم ينبس ببنت شفة. .وإنما أصبح كالآلة، فمشى أمامه وسار الزائرون من خلفه. .

لما وصلوا إليه انحنوا أمامه، مقبّلين يده. . .

نظر إليهم آية الله نيروز: من أين أنتم. . .؟

تقدم إليه الزائر هامساً في أذنه. . .فهزَّ رأسه وأشار إلى أحد أتباعه: خذ ضيوفنا إلى بيت الضيافة وأحسن وفادتهم، وسأوافيكم بعد أن ترتاحوا من عناء السفر. . .

سارع التابع بتنفيذ ما طُلب منه، وتوجه بهم إلى بيت الضيافة، الذي كان جاهزاً لتلك الاستقبالات. . .فقد جُهِّز بالأثاث الفاخر، والفراش الوافر، والخدمة الكاملة، من طعام وخدم. . .أُعِدَّ خصيصاً للأشخاص المهمِّين، القادمين من إيران والهند،

وباقي الدول، التي فيها وجود لشيعتهم. . .مخصصين لراحتهم ميزانية كبيرة. . .وفي غرفة متطرفة عن البيت وضعوا فيها بعض الفتيات الجميلات، ذوات القوام الجميل. . .تمَّ اختيارهن بألوان وأشكال مختلفة، تنم كل واحدة منهن عن ذوق محبيها. . .وزودن بتعاليم وحركات ترضي جميع الأذواق على شتى الاختلافات. . .

وما إن استقرَّ بهم المقام، حتى بدأ البيت يعجُّ بالحركة والنشاط. . .وخلال فترة قصيرة من الزمن، قُدِّم لهم طعام الغداء، وما تبعه من الحلوى الفارسية والعربية، على شتى أصنافها وأطايبها، وتمدد الضيوف على أسرَّتهم، بعد أن أتخمتهم كثرة الطعام، وراحوا في سبات عميق. . .ولم يشعروا بشيء حتى دخل عليهم آية الله نيروز وأتباعه. . .

آية الله نيروز: أهلاً بكم وسهلاً. . .كيف حال شيعتنا في قم المقدسة. .؟

الزائر: مولاي. . .هم بخير ويدعون لكم بالصحة والسلامة. . .ثم أخرج من جيبه ظرفاً وقدمه إليه باحترام وخضوع. .

أخذ آية الله نيروز الكتاب ففضه وقرأ محتواه. .ثم رفع رأسه ونظر إليه: أأنت **رستم** من لجان صفاء الثورة. . .؟

رستم: خادمك مولاي. . .

همهم آية الله نيروز: أهلاً بك في بيتك وبين أهلك. . .!!

رستم: فداك روحي يا مولاي. . .

آية الله نيروز: سوف نسعى بكل ما نستطيع لتحقيق ما جئت من أجله. .ولكن علينا الآن أن نقوم بما يمليه علينا ديننا وأئمتنا، فالضيافة عندنا لا تقتصر على الطعام والمنام فقط. .فأنتم الآن بعيدون عن وطنكم وأهليكم. . .ولا بدَّ لكم أن تستأنسوا بغربتكم. . .وأشار على أحد تابعيه خذ ضيوفنا إلى غرفة المؤمنات. . .

ظهر الفرح على وجوه الضيوف، وقاموا من فورهم وساروا وراءه. . .وما إن دخلوا غرفة الفتيات، حتى استقبلنهم بالبسمة والسرور. . .وجلسن على الأريكة. .أجال الضيوف بأنظارهم على وجوههن، فعاجلهم التابع : هؤلاء المؤمنات

يسعين إلى تأدية ما أمرهن به أئمتهن. . وأنتم خير معين لهن على أداء فروضهن. .

رستم والحيرة ظاهرة على وجهه: والله كل واحدة منهن فيها حسنٌ وجمالٌ. . بحيث يعجز المرء عن الاختيار. .

التابع: هذه من فضائل السيد فقد اختارهن ليرضين جميع الأذواق. . . !!

نظر **رستم** إلى إحداهن وتقدم إليها ما اسمك أيتها المؤمنة الطاهرة. . ؟

الفتاة بأدب وحياء، مطرقة برأسها إلى الأرض: سارة. . !!

رستم: ما أجمله من اسم. . . وهل ترضين بي زوجاً لك لهذا اليوم. . . ؟

سارة: وكيف لا أقبل. . وهل أنا إلا بضعة مؤمنة همُّها خدمة دينها وشيعتها. .

أُعجب **رستم** بفصاحتها وحسن كلامها. . فصاح: يا أبا عبد الله. . . ما أجملك جسداً. . وفصاحة فقد أخذت الحسن والفصاحة معاً. .

سارة: وماذا تنتظر. . . ؟. هل نبقى إلى آخر اليوم نتحدث عن الفصاحة والبلاغة والجمال. . ؟. . احزم أمرك وهلمَّ إلى السيد ليعقد لنا على مدة ترضاها وتقضي وطرك منا. . .

أصابت **رستم** رعشة الشهوة، فلم يتمالك نفسه، فأخذ بيدها وتوجه مع أصدقائه إلى آية الله نيروز ليعقد لهم. . . وببضع كلمات قليلة، غادر كل واحد بمتعته إلى غرفته. . بعد أن تواعدوا مع آية الله نيروز على اللقاء صباح الغد. . .

* * * *

استيقظ الملا تاج الإسلام من نومه صباحاً. . . وتوجه إلى جامع الإمام أبي حنيفة بعد أن تناول فطوره، ليقدم واجبه العلمي، لطلابه في المدرسة المجاورة للمسجد. . .

امتاز الشيخ بسماحة وجهه، وبسمته العريضة، التي كان لا يبخل بها على أحد من الناس، وتواضعه الكبير أمام طلابه. . حتى يظن من لا يعرفه أنه أحد طلاب المدرسة، وممن ينهلون العلم من علمائها. . .

كان أبيض اللون، مشرَّبا بحمرة كثُّ اللحية. . . غزاها بعض الشيب هنا وهناك،

على الرغم من صغر سنه، فلم يتجاوز من العمر الأربعين عاماً. قضاها بين العلماء ينهل منهم العلم بكل أصنافه، حتى غدا أحد العلماء العارفين المتمكنين. وشاع صيته في إيران بين أهل السنة والجماعة. فكان حجة في العلوم جميعها... وحمل على عاتقه نصرة دينه، وبيان الحق للناس... ومع قيام الثورة في إيران وانتصارها، ووقوفه وتصديه للتصفيات التي كانت تتم من ميليشيات صفاء الثورة... غادر إيران وعاش مع عائلته في العراق... ولم يثنه بعده عن وطنه في إتمام مسيرته العلمية والدعوية ومحاربة الباطنية، المتمثلة في آيات إيران، وكشف مخططاتهم الفارسية، الهدامة لهذا الدين. فنشط في عمله وصبَّه بين أبناء وطنه، ممن أصابهم ضيم النظام وضلاله... حتى أصبح أحد الرموز المهمة عندهم... فكان له أثره الكبير بين صفوف الشباب. الذين تناقلوا خطبه المسجَّلة بينهم بسرية تامة. لكن عين النظام لم تغب عن نشاطه، فغاظهم فعله... فقرروا التعامل معه وفق مخططاتهم الباطنية.. فأرسلوا **رستم** وأتباعه لتصفية هذه الشخصية الخطرة على وجودهم...

* * * *

في صباح اليوم الثاني، وصل آية الله نيروز الموسوي إلى بيت الضيافة، بحسب الموعد المتفق عليه... فلم يسمع فيه صوتاً، ولا حركة. وإنما رائحة العطر قد غطَّت المكان، فأضفت عليه رونقاً محبباً لديه، فأخذ يمعن النظر، مقلِّباً المكان مسترقاً النظر إلى أبواب الغرف المقفلة، التي ضمت في جنباتها ضيوفه مع بنات المتعة... تاركاً أنفه يجول بين العطور المختلفة... وأشار إلى أحد أتباعه أن يوقظ الضيوف..

توجه التابع بخطىً خفيفة... لا يكاد يُسمع صوتها، أراد أن يرى ما سُتر وحُجب وراء الغرف. وما إن وصل باب أحدهم حتى تسمَّر مكانه، واضعاً أذنه على الباب، يستمع ما يدور ويجري. وآية الله نيروز يشاركه النظر من بعيد... فلما رأى تابعه قد نسي نفسه، وما ذهب من أجله، تقرب إليه ونحره في ظهره. فجفل: ما بك لعنك الله، أرسلتك لتوقظهم... لا لتنام معهم... وطلب منه أن يوقظ الباقين... وما إن انطلق التابع في مهمته، حتى وضع آية الله نيروز أذنه على الباب. وأطال الاستماع. وأخذ بالتنهد، وتسارعت أنفاسه... وما هي إلا لحظة

حتى فَتح **رستم** الباب..فرأى آية الله نيروز بوجهه..لكن نيروز سارعه بالقول: أتيت لأوقظك...

فما كان من **رستم** إلا أن قبّل يده: مولاي أنا وما أملك...ملك يمينك...!!

آية الله نيروز: كيف رأيت زوجك..؟

رستم: آه يا مولاي ما أجملها من ليلة...فلم أعد أقوى على الوقوف... أقسم بالعباس ما تمتعت يوماً قط كهذه الليلة..!!

تنهد آية الله نيروز: هنيئاً لك..وأدعو عليا أن يتقبل منك ما فعلت...ثم استرق بنظره إلى داخل الغرفة...فرأى صبية قد تمددت بلباسها الشفاف على سريرها، منكشفة الساقين عارية الصدر..فلم يتمالك نفسه..فهمَّ بالدخول إليها..لكن أحد تابعيه سبقه بالقول قاطعاً عليه نشوة النظر: مولاي الجميع جاهزون في الصالون...

آية الله نيروز: لعنك الله...لقد أيقظتني من حلم جميل...!!

التابع بغباء: لكنك مستيقظ يا مولاي منذ أكثر من ساعة...!!

آية الله نيروز: اغرب عن وجهي قبحك الله...ثم غادر المكان بجسده، وترك نظره معلقاً على سرير النوم وبين طيات ثياب المؤمنة..!!

وما إن جلس حتى قُدِّمت لهم القهوة...فبدأ آية الله برشفها على مهل ممعناً نظره في **رستم** وطارت به أفكاره وأحلامه بما جرى ليلاً داخل الغرفة...

نظر إليه **رستم** فرأى ما فيه: مولاي...مولاي...!!

تنبه آية الله نيروز لصوته: ها....ها...ماذا قلت..؟

رستم: نحن الآن في مهمة كما تعلم..

آية الله نيروز: أعرف ذلك...وقد هيَّأت لكم جميع مستلزماتها..وطلب من أحد أتباعه إدخال من في الخارج..

دخل رجل متوسط الطول بدين الجسم أسمر اللون، على وجهه شقوق وجروح

قديمة. . .أشار إليه آية الله نيروز. . .هذا دليلكم في بلدنا. .وعنده من الصلاحيات ما يؤهله لاتخاذ كل ما يلزم، ويحقق كل ما تريدون. . .وأعاد النظر إليه: يا عبد الحسين. .هؤلاء شيعتنا قد أتوا لمهمة في بلدنا. .فاحرص على أن تكون طوع بنانهم. . .

عبد الحسين: مولاي. .أنا طوع أمرك. . .!!

أعاد آية الله نيروز نظره إلى ضيوفه: لا حاجة لأن تفكروا بأية مصاريف. .فقد زودنا عبد الحسين بكل ما يلزم. . .

رستم: ومتى نتحرك يا مولاي. . .؟

آية الله نيروز: هذا الأمر يعود إليكم. . .

رستم: لا بأس سنأخذ معنا زوجاتنا المؤمنات. . .

قاطعه آية الله نيروز: ولكنهن زوجاتكم لليلة الفائتة فقط. .ولا يحللن لكم هذا اليوم. .؟

رستم: سنجدد عقدنا معهن أمامكم. . .

آية الله نيروز وقد أصابه بعض الغضب، فحبسه داخله، وأظهر التبسم: لكن أخاف أن يشغلنكم عن أعمالكم. .

رستم: على العكس يا مولاي؛ لأنهن سيكنَّ لنا غطاء في بغداد، أمام أعين رجال الأمن. . .

عرف آية الله نيروز أنه غُلِبَ في هذا الأمر، فما كان منه إلا أن استسلم لطلبهم: على بركة الله انطلقوا. .وأخبروني بالأمور بتفاصيلها قبل قيامها. . .ثم نهض وتوجه إلى الحمام مظهراً الحاجة لدخوله. . .فوقعت عيناه على سارة. . .فرمقها بنظرة فيها الشهوة العارمة. .ففهمت نظراته. .فبادلته بنظرات مصطنعة. . .فعاجلها بالقول: أراك تعيشين في جنة مِلْؤها الورود والرياحين. .

سارة: مولاي. .وهل أنا إلا بضعة أراد لها أئمتها أن تكون للمؤمنين. .

آية الله نيروز: لكنك لا تقومين بما يمليه عليك دينك مع إمامك. .!!. أتذكرين

كم من الليالي البائسات قضيتها معك. . .فلم أرك فيها كما رأيتك اليوم بين أحضان ضيوفنا. . !!

سارة: وكيف رأيتني يا مولاي، وأنا بين جدران الغرفة والباب مغلق. . .؟

آية الله نيروز: هل يصعب على الإمام أن يرى ما بداخل الغرف. . .؟

أطرقت سارة برأسها إلى الأرض، والتزمت الصمت، لتسمع كلامه. . .لكنه بادرها بقوله: سنرى أفعالكن معنا بعد أن تعودي من رحلتك مع **رستم**. . .

فرحت بقوله: هل سيتجدد عقدي يا مولاي. . .؟

آية الله نيروز: أراك فرحة مسرورة. . .نعم سيتجدد عقدك. .وبعدها ستكونين بين أحضاني. .

سارة: سأكون بين أحضانك وألتحف بعباءتك. . . !!

ضحك من قولها: سنرى ذلك. . .وعباءتي جاهزة منذ الآن. . .وانطلق إلى ضيوفه مقهقهاً. . .

* * * *

حرص **الدكتور شاهر** وبقية المدرسين، على متابعة بناء مدارسهم في المحافظات. . . وقاموا ببناء الدور الثاني في مدرسة الإمام ابن الجوزي في دمشق. . . وخصصوه للبنات، لينهلن فيه علومهن، وعيَّن الشيخة دعاء الجزائرية، مسؤولة عن القسم. . . وطلب منها اختيار المدرسات المؤهلات لمساعدتها في التدريس. . .

وقفت الشيخة دعاء أمام قسمها تتأمل بناءه. .فتقدم منها **الدكتور شاهر** مع بعض المدرسين وسألها: أراك منهمكة في التفكير والتأمل. .

ردت عليه بعد أن وضعت طرف حجابها على فمها: نعم. . .كنت أفكر بالطريقة المثلى لإدارته. . .وكيف لي أن أستفيد من الفتيات المتشيعات. .

قاطعها: المتشيعات سابقاً. . . !!

دعاء: عفواً. .بالتأكيد سابقاً. . .وحسب علمي، فإنهن غير مؤهلات كفاية

للاستعانة بهن. . .فكما تعلم شيخنا الفاضل، أنهن فارسيات ولكنتهن الفارسية تعوّق فهم الطالبات. .

شاهر: يا أختنا الفاضلة. . .نحن لا نريد من الفتيات الاستمرار بالعمل معنا. . .أو أن يقمن بالتدريس الرسمي. .كما هو الحال معك ومع المدرسات الأخريات. . .

دعاء: كيف إذن. . .؟

شاهر: تستعينين بهن في أول الأمر، ليستمع طالباتك ما كان من أمرهن. . .والطالبات بعد ذلك ينشرن ما سمعن في أوساط أهلهن. . .وأهلهن يقومون بما قامت به بناتهن. .وهكذا دواليك. . .فينتشر الأمر بسهولة ويسر. . .وبعدها يعدن إلى بيوتهن. . .ولا نحتاجهن إلا في المناسبات أو الدورات الجديدة. .

دعاء: الآن فهمت. .كنت أعتقد غير ذلك. .!!

الدكتور شاهر: على هذا الحال قومي برسم منهجك، وبما يتوافق والحال المطروح. . .

دعاء: نعم. . .نعم. . .سيكون الأمر كما قلت. . .ولكن يا دكتور متى سينتهي البناء. .فأنا متشوقة لتلك الساعة، التي أرى فيها بناتنا وراء مقاعدهن ينهلن من العلوم. . .

شاهر: قريباً إن شاء الله. . .ولكن ليس العلم وحده يكفي. .وإنما علينا أن نتبع العلم بالعمل. .فلا فائدة من علم بلا عمل. .أليس كذلك. .؟

أجابته بخجل: بلى شيخنا. . .

الدكتور شاهر: اذهبي راشدة واحرصي على انتقاء المدرسات الجيدات ذوات الدين والعلم الغزير. .ولا مانع ل**دينا** نحن العلماء أن نقدم لَكُنَّ دورة مكثفة، قبل بدء العام الدراسي. . .

دعاء: نعم هذا اقتراح جيد. . .وأيضاً حتى تتفهم المدرسات الجديدات، طريقة

التدريس والأهداف، التي تقف وراءها. . .ليتسنى لهنَّ النجاح في أعمالهن، والتركيز على نقاط معينة تهم وطننا وإسلامنا. .

الدكتور شاهر: على بركة الله إذن. .فبعد أن تجتمعن أبلغننا. .لنجهِّز لَكُنَّ القاعة والوقت المناسب بحيث لا يتعارض مع مواعيدنا. . .

دعاء: سأفعل. . .وسأحرص على أكون عند حسن ظنكم بي. . .

* * * *

أخذت **دينا** هاتف بيتها وبدأت بالاتصال. .

تقدم إليها زوجها. .مع من تتصلين. . .؟

أشارت إليه بيدها أن يصمت ويستمع. . .لكن الفضول دفعه إلى تكرار السؤال. .

قطعت الاتصال: وماذا تريد أن تعرف. .انتظر لحظات وستسمع بنفسك. .؟

أطرق **إبراهام** صامتاً وأخذ ينتظر اتصالها. . .وبعد برهة: ألو. . .الدكتور شالوم يعقوب. .

شالوم: نعم من معي. . .؟

دينا: **دينا** معك. . .دكتور. .

بدا على شالوم الاهتمام والسرور: والعزيز قبل دقائق كنتِ على بالي. . .وسألت نفسي لماذا لم تتصل **دينا** بي حتى الآن. . .

دينا: خشيت أن أشغلك عن عملك. . .

شالوم: أنا ووقتي ملك يديك. . .فاتصلي بي متى شئت. . .

دينا: شكراً دكتور. .

شالوم: ما هذا التكليف. .ألسنا أصدقاء. . .؟

دينا: بلى. . .

شالوم: قولي شالوم بدون ألقاب. . .كما أنا أقول لك **دينا** بدون مدام. . .

دينا: اتصلت بك...

قاطعها مخففاً عليها أعذارها: لا تكليف بيننا ولست في حاجة للأعذار..أتريدين مقابلتي...؟

دينا: نعم إن أمكن..ووقتك يسمح بذلك...!!..

شالوم: ماذا قلنا قبل الآن...وقتي ملك لك فلا تتحرجي...هل أرسل لك سيارة من عندي لتقلك...؟

دينا: لا...عندي سيارتي...

شالوم: سأكون باستقبالك فور وصولك...

دينا: شكراً على لطفك...

عندما وصلت إلى بوابة المخابرات الإسرائيلية ... كان شالوم على بابها... يحيط به عدد من الرجال .. فأشار إليهم أن يبتعدوا عنه، وتقدم نحو **دينا** التي كانت تضع نظارتها الشمسية على عينيها ... قد صففت شعرها بطريقة جميلة .. وارتدت فستانها الأزرق القصير .. وبيدها حقيبتها الزرقاء .. فأخذ بيدها وقبَّلها بلطف واهتمام.. ثم طلب منها الدخول بعد أن أفسح لها الطريق لتدخل أمامه .. وهو يتأمل قوامها من الخلف ، وعيناه تلاحقانها إلى أن استقرت في مكتبه فوضعت رجلاً على رجلٍ مظهرةً مفاتنها...

نظر إليها فلم يعد يقوى على الكلام...فشعرت بحاله..فزادت في غيِّها وبدأت تتكلم بغنج وميوعة ورفعت تنورتها إلى فخذيها...حتى سيطرت على لباب قلبه... ولما انتهت من حالات الإغراء، قالت له: شالوم...عزيزي..!!

وما إن سمع شالوم كلامها حتى قال على الفور: لبيك...

دينا: أيعجبك حالنا...ألسنا أبناء يهود...؟

شالوم: وهل رأيت عكس ذلك..؟

تصنعت **دينا** الحزن: نحن أبناء يعقوب وفي بلادنا..ولا يحق لنا أن نشارك في سياسات الوطن..

شالوم: ومن منعكِ من ذلك...؟

دينا: منعني نظرة شعبنا...لأنهم يعتبروننا من الدرجة الثالثة في هذا الوطن...وكما تعلم أننا نملك المال الوفير، والنسب الأصيل..فماذا يمنعنا أن نكون من الطبقة الأولى...

نظر إليها مظهراً اهتمامه، فعقد بين حاجبيه، ثم رفع رأسه: لا يمنعكم أي شيء..

دينا: وكيف السبيل إلى تحقيق ذلك...؟

شالوم: البداية تكون مع الأحزاب..أي عليكم أن تنتسبوا إلى حزب في إسرائيل، وبعدها سيكون لك ما أردت...ثم استدرك: لكن هناك مشكلة زوجك **إبراهام**...فهو كما تعلمين ليس إسرائيلياً أصيلاً...

شعرت **دينا** بالاستياء: شالوم..أنت تعرف تماماً أن غالبية اليهود ليسوا أصيلين..

ألم ترَ فيهم الأسود والأبيض والأبرص والأحمر والأصفر...وهذا لا يدل على صفاء النوع..وإنما يدل على تداخلنا مع بقية الشعوب الأخرى..

شالوم: لا...لا فأنت مخطئة..!!

قاطعته: ناهيك عن اختلاف الوجوه، وعدم تشابهها...وهذا فيه دلالة كافية وواضحة على ضياع الأنساب بيننا..

سكت شالوم لما سمع...لكن **دينا** لم تكتفِ بما قالت، فأرادت أن تطرق الباب المؤثر في شخصيته..فأضافت: أتعلم شالوم أن **إبراهام** هو من اشترى هديتك وهدية المدام بنفسه، وطلب مني تقديمهما لكما...وتركته الآن ليختار لك هدية قيّمة تليق بك...

كان طرق هذا الجانب من **دينا** وقعه المؤثر على نفسه فسألها دون وعي: وما هي **دينا**...؟

تبسمت بخبث: هذه مفاجأة..وبالتأكيد ستعجبك..

شالوم: أرى في البداية أن تنتسبي وزوجك إلى حزبنا..وهو أكبر الأحزاب في إسرائيل وبيده مقاليد الوطن...وبعد ذلك سترتفع مرتبتكم...

دينا: أرجو أن لا يكون ذلك طويلاً...

شالوم بثقة: لا تخافي سأكون معك في كل الأوقات...وسأكون سنداً لك ولزوجك..

دينا: هل أعتبر نفسي وزوجي أعضاء منذ الآن في الحزب...؟

رنَّ شالوم الجرس، فدخل إليه مدير مكتبه، فطلب منه أوراق انتساب لشخصين...

وما هي إلا لحظات، حتى انتهت **دينا** من تعبئتها، وقدمتها له..فطلب من مدير مكتبه تسجيلها بالسجلات الرسمية .. ثم أخذ بيد **دينا** يداعبها بلطف... الآن أصبحت و**إبراهام** عضوين فاعلين في حزبنا... وعليكما أن تحضرا نشاط الحزب دون انقطاع.. سحبت **دينا** يدها من بين كفيه بلطف: سنكون أول الحاضرين... ثم وقفت لتغادر..

سارع شالوم بالقول: وهديتي...؟

دينا: ستكون معنا في أول لقاء للحزب...

أخذ شالوم يدها مرة أخرى، وطبع عليها قبلة طويلة: آه..كم أنت محظوظ يا **إبراهام**...لو كنت عندي ما تركتك تمشين على الأرض..

ضحكت وسحبت يدها من يده: إذن ستتعب وينحني ظهرك...ثم غادرت إلى بيتها سعيدة بما حققته من نجاح...

* * * *

ازداد قلق **عباس**، فلازم البيت وترك توفير مستلزماته على **هايدي**، التي كانت تخرج مبكراً كل يوم للتسوق، حتى أعياها الحال..فقالت لوالدها: إلى متى سنبقى مختبئين...ألم تخطط لخروجنا من لبنان...؟

عباس: أنا أنتظر الأمور حتى تهدأ. . .

هايدي: لكن يا أبي صار لك أكثر من شهرين على هذه الحال. . .وربما يكون طالبنا قد اتصل مع المهربين واتفق معهم على تسليمنا. . !!

شعر **عباس** بالخوف، فبدأ العرق البارد يتجمع على جبينه: والعباس معك حق. . .كيف لم أفكر بهذا الأمر من قبل. . .عليَّ أن أتحرك فوراً لأجد مخرجاً. . . !!

هايدي: تمهل حتى الليل، حتى لا يراك أحد، وأنا سأذهب معك لأرقبك من بعيد. .

عباس: نعم أحسنت. .عليك أن تسيري من ورائي دون أن يلحظك أحد. . .فإن كان هناك متطفل فسترينه. .

هايدي: قم الآن وتناول فطورك، وجهّز نفسك للمساء. .وخطط للأمر بشكل متزن. .

أومأ **عباس** برأسه موافقاً على اقتراحها. .وقام من فوره فتناول طعامه، وجلس على الأريكة وبيده فنجان القهوة وذهب بتفكير عميق. . .منتظراً حلول الليل لينفذ ما توصل إليه مع ابنته. .

* * * *

الاستطلاع

لما وصل **رستم** ومعاونوه إلى بغداد، توجه من فوره إلى الكاظمية، لأداء الزيارة، فتركه عبد الحسين هائماً بين الطقوس يلتمس البركة والرضا عند قبور الأئمة متمسحاً بأعتابهم، طابعاً قبلاته على شباك المقام. . .ولم يكتف بذلك، بل ربط عنقه به وبدأ يهمس بصوت خفي ودموعه تسيل على خديه وهو يقول: مولاي جئتك معفّراً منهكاً من قم المقدسة، ألتمس منك البركة والرجاء والتوفيق. . .فهل لي عندك مكان. . .مولاي أتيتك لإعلاء كلمتكم يا جواد الأئمة. .فكن معي في مهمتي، فأنا الغريب وأنت لي خير معين. . مولاي إن النواصب قد بغوا على أجدادك. . .وآن الأوان لأخذ حقكم منهم، وألتمس منك التوفيق والسند. . .ثم بكى بكاءً شديداً، وتراجع للخلف وظلَّ متجهاً للمقام. . .حتى خرج منه وارتمى في فناء المسجد، وطلب من أحد أتباعه أن يأتيه بالطعام، التماساً لبركة المكان وصاحبه. . .

بعد أن تناولوا غداءهم، عاد عبد الحسين إليهم وطلب منهم أن يلحقوا به إلى بيتهم الجديد. . .

كان البيت واسع الأرجاء، فيه الأثاث الوفير تحيط به حديقة غناء، زُرعت بأنواع الزهور، بألوانها المختلفة وأشجارها المثمرة، وصوت العصافير والبلابل قد عمَّت المكان بغنائها . . وخُصصت خادمتان كبيرتا السن تقومان على خدمتهم وصنع طعامهم. . . فبعد أن أخذ الجميع قسطاً من الراحة ، طلب **رستم** من عبد الحسين أن يوصله إلى جامع الإمام أبي حنيفة النعمان . . .

عبد الحسين بتعجب: أتريد أن تزور أبا حنيفة. .؟

ضحك **رستم** حتى استلقى على ظهره: لا . . . إنما أردت أن أرى المكان وما فيه من حارات ومداخل. .

شعر عبد الحسين بالخجل لتسرعه: الآن فهمت. . .أنا آسف على سوء

الفهم..!!

رستم: لا عليك...ثم خاطب سارة: جهزي نفسك لتذهبي معي...

سارة: وما علاقتي في ذلك..فهذا ليس من الزواج أو العقد...

رستم: أنت تعلمين أنني لا أحسن العربية..وأخشى إن سُئلت أن يُكْشفَ أمري..

سارة: وماذا سيكون أجري...فلا تنسى أن هذا خارج اتفاق وشروط العقد..؟

هزَّ رأسه بغضب..وأظهر تماسكه: لا بأس...ماذا تريدين..؟..

سارة: أنت وذوقك...

رستم: ألف تومان...يكفي..

سارة: نحن في العراق نتعامل بال**دينار** لا بالتومان..

رستم: طيب ألف **دينار**..ها..ما رأيك..؟

سارة: المبلغ قليل..ولكن لا بأس..طالما سأخدم ديني وأبناء شيعتي...

مع آذان المغرب خرج **رستم** وسارة، ومن ورائهم عبد الحسين وبقية التابعين...وما إن دخلوا المسجد حتى تلقاهم سدنة المقام...فعرضوا خدماتهم..وساروا معهم..لكن **رستم** شعر بالاستياء، فجلس داخل المقام من جهة القبلة، وتصنع الخشوع والقراءة وسارة إلى جانبه...فشعرت بغضبه، فأخرجت من جيبها نصف **دينار**، وقدمته للسادن فأخذه وانصرف...فشعر **رستم** بالارتياح لتصرفها..ثم غادر المسجد وراح يطوف على قدميه، مستطلعاً المكان داخل وخارج المسجد...واستمر هذا حاله لمدة ساعتين...ولما أعياه التعب، طلب من الجميع العودة إلى البيت...وفي الطريق قال لعبد الحسين: عليَّ أنا أعود غداً صباحاً أنا وسارة وأنت فقط لنرى المدرسة...

عبد الحسين: ولماذا لا نأتي جميعاً...؟

رستم: لا نريد أن نلفت الانتباه إلينا...

عبد الحسين: كما تريد...

* * * *

مضت الشهور على شاهر و**مؤيد** بتعبها وعنائها. فلم يركنان إلى الراحة أبداً، حتى ظهرت على وجهيهما أمارات الانهيار ، فلا يتوفر لهما لحظة هدوء وصفاء، فمنذ الصباح الباكر وحتى وقت متأخر من الليل ، يكونان في حالة مطالعة للنصوص، وحفظها وتحضيرها إلى طلابهم في الكلية والمدرسة على حد سواء..

لم تكن **يسرى** و**اعتدال** أقل تعباً منهما.. فحالة الإجهاد التى يتعرض لها الزوجان تنعكس عليهما وعلى بيتهما وأولادهما .. ومع مرور الزمن تأقلمت حياتهما وفق الحال المفروض عليهما ... بعد أن أعياهما كثرة الكلام والصد والرد دون أن يحصدا أية فائدة .. فكانتا تجلسان معاً تندبان حظهما العاثر .. وأحياناً تبكيان ألماً لما آلت إليه حياتهما ، فلا معين لهن غير الدعاء بالموت على آيات الشيعة وما جلبوه وسببوه لهما ...

عائلة الملا تاج

التفَّ ولديّ الملا تاج الإسلام التركماني حوله، كان عمر الفاروق صغيرهم، الذي ما فتئ يمتطي ظهر أبيه، وينزل عنه ثم يعود مرة أخرى..والأب يبتسم بوجهه مداعباً تارة ومقبّلاً أخرى..كانت عائشة بِكْرُ أبيها في التاسعة من عمرها... تنظر إليهما وتبتسم ببراءة الأطفال..وأبوها ينظر إليها، ويشعر بحنانها على صغر سنها.. كانت شعلة من الذكاء، قد حفظت نصف القرآن، وعكفت على حفظ النصف الآخر... ندية الصوت...تنظر إلى أبيها عندما تراه متألماً أو حزيناً على غربته.. فتجلس بالقرب منه وتبدأ بالتلاوة..وما إن يسمع صوتها، حتى تدمع عيناه وتسقط عبرته على خديه...وهي تنظر إليه، فتزيد في تغنِّيها، فتعيد الآية مرات ومرات.. حتى ترى أثرها في نفس أبيها...وبعدها تتوقف، وتضمه إليها وتبكي معه... حتى يُخيَّل لمن يراهما أنهما أَخَوان..يواسي أحدهما الآخر، في خطب أصابهما...لكن العلاقة أكبر من أن يدركها إلا من شعر بالغربة والبعد عن وطنه وأهله...

سألت عائشة أباها يوماً: أبي متى سنعود إلى بلادنا...؟

الملا تاج: الله أعلم يا بنيتي...وهل أنت منزعجة من وجودنا في العراق...؟

أجابته على صغر سنها: لا يا أبي...لكن الوطن غالٍ...فبيتنا وحيّنا لا يغيب عن بالي لحظة واحدة..

أخفى الملا تاج دمعة كادت تطفو من عينيه، فتناول كتاباً من أمامه، وبدأ يقلبه ليخرج نفسه من همومها..لكن عائشة كانت أذكى من ذلك بكثير..فعلمت بحال أبيها..فتقدمت إليه ورفعت رأسه: أبي عيناك تدمعان حزناً وشوقاً على وطننا أليس كذلك...؟

لم يتمالك الملا تاج نفسه: أنت صغيرة على الحزن يا بنية...وما شعرت بحب الوطن...لأنك غادرته صغيرة...!!

عائشة: لكن يا أبي الوطن في قلب الصغير والكبير. . .ألم تقرأ عليَّ مرض الصحابة في يثرب عندما هاجروا إليها من مكة. . . .؟. .

نظر الملا تاج إليها فأخذها بين أحضانه، وضمها إلى صدره بقوة: أنت أكبر من سنك بكثير يا بنيتي. .لقد حملتِ همَّ الغربة والهجرة والبلاء مبكراً. .أعانكِ الله على تجاوز المحنة. . .

* * * *

عباس وبيير

جلس **عباس** و**هايدي** مرتدين ثياب الخروج، منتظرين غروب الشمس وسدول الليل بظلمته..حتى أعياهما بطء الوقت، وهما يتحرقان للمغادرة...وبعد طول انتظار، قال **عباس**: أرى الوقت متوقفاً..!!

هايدي: لا يا أبي..فنحن ارتدينا ثياب الخروج مبكرين...

عباس: أنا أتحرق للخروج وإنهاء هذا الأمر بسرعة..

هايدي: تمهل يا أبي فالعجلة من الشيطان...ولا تنسى أننا سنركب البحر..ووراءنا من يلاحقنا..فإن لم نحسب لخطواتنا حسابها، فسوف نقع في المتاعب وربما القتل..

نظر إليها **عباس** متأملاً وجهها: كنت أتمنى أن تكون والدتك بنصف عقلك واتزانك..

هايدي بثقة الواثق من نفسها: أمي كانت متزنة العقل...لكنك كنت بعيداً عنها، لا تعبأ بها ولا ترعى حرمتها..

ظهر على وجه **عباس** الغضب: لكن أمك هي من أخذت المال وأعطته لمصطفى...!!

هايدي: الأفضل أن نكفَّ عن الجدال الذي لا طائل منه...فهذا الأمر قد تحدثنا به مطولاً..ولم نصل فيه إلى نتيجة...لأنك لا تريد أن تعترف بخطئك نحوها...ونحونا أيضاً..

ثار **عباس** غضباً..لكن **هايدي** تركته وانصرفت من أمامه حتى يهدأ..وجلست في الصالون...

وما إن أرخى الليل سدوله حتى خرجا متوجهين نحو الميناء...وبدأ يسأل عن المعلم بيير الكاسب...فأشار أحدهم إلى مكانه...فدخل إليه ووقفت **هايدي** قريبة

منه، مظهرة تأملها للبحر وأمواجه المنكسرة على شاطئه..

تقدم **عباس** إلى بيير مصافحاً...فما كان من بيير إلا أن صافحه، وطلب منه أن يجلس على كرسي بالقرب منه..ثم أخرج زجاجة خمر من الثلاجة وصبَّ القليل منها في كأسين، قدم أحدهما لعباس..فلم يتوانَ أو يتأخر عن تناولها فصبها مرة واحدة في فمه...

تبسَّم بيير: يبدو أنك مخضرم في المشروب...

عباس: يعني...بين الفينة والأخرى...أتناول كأساً أو كأسين..

بيير: خيراً..ماذا تريد مني..؟

عباس: أريد أن أغادر إلى قبرص..

بيير: تهريب..

عباس: نعم..أريد أن أطلب اللجوء السياسي في إحدى الدول الغربية...!!

بيير: من أي البلاد أنت..؟

عباس: أنا من سوريا...

بيير: لكن لهجتك لا تدل على صفاء عرقك الشامي..فعندك لكْنة غريبة عن اللهجة الشامية..!!

عباس: كنت أعيش بعيداً عن وطني لسنوات طوال..

نظر بيير إليه بخبث: هل أنت من بلاد فارس... عفواً من إيران...

عباس: بإمكانك أن تقول إنني عشت هناك...شعر **عباس** أن أسئلته تدل على شيء يدور في عقله...فسبقه بالكلام: يبدو أنك محقق أكثر منك مهربٌ، ثم انتصب واقفاً يروم المغادرة...!!

لكن بيير سحبه من يده وأجلسه: لا تغضب يا عمي...السؤال ما حُرِم..

عباس: قل ما عندك وأجبني عن طلبي..بنعم..أو لا..!!

شعر بيير أن في الأمر شيئاً غريباً، فأراد أن يستغل الفرصة، فرفع رأسه: سمعت

أن هناك من يسأل عنك. .أأنت مطلوب لجهة ما . . ؟

انتاب **عباس** الخوف فوقف هاما بالمغادرة . .

رأى بيير أثر الخوف في عينيه، فعلم أنه أصاب الهدف بمقتل: لا بأس. .لا بأس. .فكل شيء له حسابه. . .

ارتاح **عباس** لكلامه ، وقال في نفسه: إن كان المال سيحل المشكلة، فلا ضير في ذلك. .

عباس: كم تريد لخروج شخصين إلى قبرص. . .؟

صمت بيير قليلاً كمن يحسب غلّته: خمسة آلاف دولار عدًّا ونقْدا ، وقبل أن ننطلق من الميناء . . .

عباس : موافق . . .!!

نظر بيير لموافقته السريعة . . فعلم أنه غُبن في طلبه. . فاستدرك: عفواً. .عشرة آلاف دولار. .

شعر **عباس** بالضيق والانزعاج. . .وصاح به: ماذا. . .ماذا. .عشرة آلاف دولار. . .هل جننت. .

بيير: أنا سأضحي بحياتي معكم. .ألا أستحق هذا المبلغ. . .؟

عباس: لن أدفع إلا خمسة آلاف. .فإن شئت. .وإلا سأرى غيرك. . .

بيير: ثمانية آلاف ولن أتراجع عنها أبداً. .؟

عباس: سبعة آلاف ولن أزيد عليها. . .وسأدفع لك نصفها الآن والباقي عند وصولنا. .

بيير: المبلغ نقداً وقبل انطلاقنا. . .

عباس: يبدو أننا لن نتفاهم. .فأذن لي بالمغادرة. .فقد ضيعت وقتي معك. .

بيير: لا بأس. . .سآخذ نصف المبلغ قبل الانطلاق. . .على أن تعطيني الباقي قبل وصولنا قبرص بقليل. . .

عباس: لا بأس..ومتى الانطلاق..؟

بيير: بعد غدٍ...

خاف **عباس** من التأخير: الانطلاق هذه الليلة وإلا اعتبر الاتفاق ملغيا..

احتار بيير في نفسه فالمبلغ كبير جداً ويستحق المجازفة: إن كنت مصرًّا على هذه الليلة فاعذرني أن أزيد المبلغ ألفاً أخرى..

أظهر **عباس** امتعاضه: لا بأس...

سارعه بيير بالقول: إذن موعدنا في الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل، وفي هذا المكان...

عباس: على بركة الله.. وسنكون هنا قبل الموعد المحدد...

بيير: لا..إياك أن تأتي قبل الموعد..لأننا نخشى دوريات الأمن...التزم بالوقت المحدد تماماً..

هزَّ **عباس** رأسه بالموافقة، وانطلق آخذاً بيد **هايدي** وتوجها إلى بيتهما ينتظران مرور الوقت.

* * * *

جلس **رستم** في أحد المطاعم القريبة من جامع أبي حنيفة، وبرفقته سارة وعبد الحسين وأخذوا يتناولون طعامهم ويسترقون النظر للغادي والرائح إلى المسجد..وما هي إلا دقائق حتى ترجَّل الملا تاج الإسلام من الحافلة مرتدياً عباءته وعلى رأسه عمامته البيضاء، حاملاً بيده بعض الكتب..وتوجه مسرعاً إلى المدرسة التي كانت بجوار المسجد..

لاحقه **رستم** بنظره...حتى غاب في دهاليز المدرسة... ثم غادروا المكان... على أن يعودوا مع وقت انتهاء الدوام الرسمي ...

قضوا وقتهم في البيت أمام التلفاز...ولما حان الوقت خرجوا مسرعين وجلسوا في مطعم آخر، حتى لا يُشكَّ بأمرهم، وراحوا يتناولون طعامهم...إلى أن خرج الطلاب وتبعهم المدرسون وكان بينهم الملا تاج الإسلام...فدفعوا حسابهم وانطلق

رستم وسارة خلفه..بعد أن طلبا من عبد الحسين العودة إلى البيت...

وصل الملا تاج إلى بيته ومن ورائه **رستم** وسارة...اللذان خففا خطاهما حتى دخل بيته...ثم عادا إلى بيتهما مسرورين بعد إنجاز هذه المهمة...

جلس **رستم** في البيت، واضعاً قدميه على الطاولة القريبة منه...شابكاً بين أصابعه خلف رأسه، مفكراً بالطريقة المثلى التي توصله إلى تحقيق هدفه بسهولة ويسر...

سأله أحد أتباعه..أراك منهمكاً بالتفكير..أخبرنا عما توصلت إليه...؟..

رستم : كل شيء بوقته حلو .. فلا تستعجل الأمور .. ستأتيك وحدها.. فاصبر..

فما كان من التابع إلا أن تأخر عنه وانصاع له دون أن يتكلم...لكن سارة جلست بالقرب منه: عندي فكرة جيدة..

رستم: تكلمي بها الآن..

سارة: لندخل إلى غرفتنا ونتكلم..

رستم: أهذا وقته...؟..عندنا الليل بطوله..فما بالك الآن..؟

سارة: لا تذهب بعيداً...فليس هذا ما أريد..ولكني وجدتك تخفي عن الآخرين سرك..فأحببت أن أخبرك بشيء جال في خاطري..ولا أريد أن يسمعه غيرنا..؟

توجه معها إلى غرفتهما: تكلمي الآن...

سارة: أرى في نفسك حيرة...

رستم: أنا محتار بين مسجد أبي حنيفة وبين بيته...فالمسجد يعجُّ بالناس والمارة..وأمام بيته أقل وطأة من المسجد...لكن خوفي أن يخرج إلينا أهالي المنطقة، ويلقوا القبض علينا أو يقتلونا..

سارة: أنا أفكر بغير ما تفكر به...

رستم بشغف واهتمام: وبماذا تفكرين...؟

سارة: أرى أن ندخل إلى بيته ونفعل به ما نشاء...

رستم: هل إلى ذلك سبيل...؟

سارة: الأمر جد يسير...

رستم: وكيف...؟

سارة: سأذهب أنا بنفسي إلى بيته اليوم، وأسأله بعض الأسئلة المتعلقة بالطلاق...وآتيك بتفاصيل بيته...لترى بعد ذلك رأيك...

أعجبته الفكرة فقال بحماس: يا لها من فكرة رائعة...ولكن ألا تخشين الدخول..؟

سارة: لماذا أخشى، طالما أنني امرأة لا أملك من أمري شيئاً..؟..ولا تنسى أنني عراقية..ومثل هذه الأمور تكثر في مجتمعنا..

رستم: افعلي إذن...

سارة: عليَّ أن أذهب إليه اليوم مساءً..

رستم: نعم...خير البر عاجله...

وما إن حلَّ المساء حتى كانت سارة تطرق باب الملا تاج الإسلام، فخرجت إليها عائشة..

فلما وقع نظرها عليها، قالت لها بهدوء مصطنع: السلام عليكم..

عائشة: وعليكم السلام.

سارة: بابا موجود..؟

عائشة: نعم هو في الداخل...

وإذا بصوت الملا ينادي على عائشة: من بالباب..؟

عائشة: بابا ضيفة تسأل عنك..

نهض الملا تاج من مكانه، وتوجه نحو الباب بسكينة ووقار..وما إن رأى سارة،

حتى رحب بها.. وسألها عن حاجتها..

نظرت إليه وسقطت من عينيها الدموع.. فما كان من الملا إلا أن قال لها: على رسلك يا بنيتي.. ادخلي وأخبريني بخبرك..!!

جلست على الأريكة، وراحت تتأمل البيت وتنظر إلى عائشة... التي سارعت إلى تقديم الماء إليها...

وبعد دقائق، سألها: هل ذهب عنك الروع والحزن يا بنية..؟

سارة: نعم...

الملا تاج: إذن أخبريني بخطبك... أتريدين مالاً...؟

سارة: لا.. ولكني جئتك لأسألك عن مصيبة وقعت عليَّ...

الملا تاج: لا عليك.. أخبريني بهدوء وروية حتى أستطيع مساعدتك على تخطي محنتك...

سارة: شيخنا الفاضل، إن زوجي يريدني أن أتبرج وأخرج إلى الناس... وأنا امرأة مؤمنة، أخاف الله... فرفضت طلبه.. فما كان منه إلا أن حلف عليَّ يميناً بالطلاق... وأنا الآن محتارة أأسمع كلامه.. أم أفارقه.. وعندي ثلاثة أطفال صغار... ولا أطيق بُعْدَهم..؟

تأمل الملا تاج القصة: وما المطلوب مني في هذا الأمر..؟

تصنعت سارة البكاء، وأخذت تشهق بشدة.. حتى أحسَّ الملا تاج بقلبه يتصدع... فهوَّن عليها الأمر: أخبريني ما المطلوب مني..؟

سارة: إذا التقيت بزوجي وأخبرته بسوء فعله، فربما يسمع منك.. فأنت رجل معروف في الصلاح والعلم...

الملا تاج: أيقبل زوجك زيارتي...؟

سارة: نعم... فهو يحترم العلماء كثيراً...

الملا تاج: إذا كان الأمر هكذا فالحل بسيط جداً.. فما عليك إلا أن تخبريه أن

يأتي إليَّ.. وسأتدبر أمره بإذن الله...

سارة: ومتى آتيك به..؟

الملا تاج: أي يوم بعد صلاة العشاء مباشرة..فأنا موجود في هذا الوقت...

وقفت سارة بعد أن مسحت عينيها، متوجهة نحو الباب ... شاكرة الملا تاج على الإنصات إليها، وتقدمت من عائشة لتقبّلها..وسألتها: ما اسمك يا بنيتي ...

عائشة ببراءة: أنا عائشة..لقد سماني أبي على اسم أم المؤمنين ... حب رسول الله ﷺ ...

همهمت سارة في نفسها: على اسم الفاجرة ... ثم ودعتهم مغادرة...

* * * *

قامت دعاء الجزائرية مستعينة بباقي المدرسات، بتجهيز قاعات التدريس، فشمرن عن سواعدهن، فمنهن من قمن بتنظيف الأتربة، ومنهن من حملن المقاعد الدراسية، ووضعنها في أماكنها المخصصة لها... ولم ينتهين من عملهن إلا في وقت متأخر من النهار... ثم طلبت منهن أن يتجهزن غداً للدوام الرسمي واستقبال الطالبات...

في تمام الساعة السابعة صباحاً، كن جميعاً واقفات أمام مدخل القسم يستقبلن الطالبات الجديدات بالبسمة والترحيب والتشجيع...

وما إن استقرت الطالبات في فصولهن، حتى دخلت عليهن دعاء، وقالت لهن: بناتي العزيزات أنتن تعلمن السبب الكامن وراء افتتاح هذه المدرسة...

رفعت إحدى الطالبات يدها لتخبرها..فسمحت لها بالكلام..

الطالبة: هذه المدرسة، فُتحت نتيجة لتمدد المذهب الشيعي في بلادنا، ونشره للفجور والفواحش..فأراد علماؤنا أن ينهضوا بالمجتمع ويطهروه من الرذيلة...

تبسمت دعاء في وجهها: أحسنت قولاً...ثم استمرت في الكلام: وكما قالت زميلتكم عن السبب الكامن، فإن شيوخنا وجدوا أن شعبنا في سوريا، يجهل الكثير عن أولئك الباطنيين وأفكارهم..فهم يأتوننا باسم الدين والإسلام، ويقدمون لنا فقههم الغريب عن ديننا وأخلاقنا، وما نشأنا عليه منذ عهد النبوة، والذي ستبقى

عليه الأمة إلى أن تقوم الساعة بإذن الله..

سارعت إحدى الطالبات بالسؤال، والحماسة تكاد تخرج من عينيها ببريقهما: أتينا إلى هذه المدرسة لنكون أنصار رسول الله وسنته...فليس الأنصار هم الأوس والخزرج فحسب ، وإنما نحن أحباب رسول الله وأنصاره أيضاً ﷺ ... فلم تتمالك دعاء نفسها حتى ذرفت دموعها لهذا الحماس من طالبات جئن يدافعن عن دينهن... فقالت لهن: لقد واسيتنني بأنفسكن .. فهنيئاً لَكُنَّ رضاء الله ورسوله..

فارتجت القاعة بصوتهن وهن يرتجزن :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

شعرت دعاء بالفرح يملأ صدرها، فجالت بنظرها نحو الطالبات، وهي ترى فيهن هذا الحماس المنقطع النظير...فأشارت عليهن بالهدوء...ثم أضافت: ومن المؤكد أننا سنقدم لَكُنَّ حالات صادقة عن أفعالهم وما يجرى في بلادنا...

سألت إحدى الطالبات: هل هناك ضحيات...؟

دعاء: نعم بالتأكيد...وسترونهن بأنفسكن وستسألونهن بشكل مباشر عما كان يجري في أقبية السيدة زينب، وبين حواريهم وبيوتهم...

أطبقت القاعة بصمت لهول ما سمعن...حتى شغفن بمعرفة الأمور..لكن دعاء قالت: الأمور ستجري وفق تخطيط مدروس جداً...فلا تستعجلن الخبر...

وقدمت بعد ذلك المدرسات لهن بأسمائهن واختصاصهن...وتركت القاعة لاستكمال كل مُدّرسة ما كُلِّفت به من مواد تدريسية...فقمن بتوزيع الكتب المنتقاة...وحددن المنهج الدراسي للسنة الأولى...

* * * *

الهـــروب

في تمام الساعة الثانية عشرة ليلاً، وقفت سيارة تكسي أمام الميناء، وفي عتمة الليل البهيم، نزل **عباس** و**هايدي**، يحملان في أيديهما بعض المتاع..سارع بيير إليهما، وطلب منهما أن يستقلا سيارة كانت تقف بجانب الطريق.. ارتاع عباس لأول وهلة وتردد بالركوب .. لكن بيير طمأنه : ضرورات أمنية..تلزمنا أن نغادر إلى مكان آخر بعيداً عن أنظار الناس والأمن ... فاستسلم له عباس، وسار وابنته دون اختيار منهما .. وبعد دقائق ، وقفت السيارة بجانب البحر..

نظر **عباس** مستوضحاً مكان القارب .. فوجد قارباً صغيراً تهزه الأمواج... فقال لبيير: أهذا المركب الذي سيقلنا إلى قبرص .. ؟

بيير: نعم..

عباس: لكنه صغير ونخشى أن نغرق في منتصف البحر وأنا لا أعرف السباحة..

بيير: هذا المركب قام بأكثر من مائة رحلة إلى قبرص، محمّلاً بعشرات الشباب ومتاعهم..وما أنتما إلا شخصان فقط..

عباس: وهل سنذهب نحن الثلاثة فقط...؟

بيير: لا فمعي مساعدان آخران..

شعر **عباس** بالخوف، وقال لابنته هامساً: أخشى من هذه الرحلة..فأنا أرى الخطر ينتظرنا..!!

هايدي: لكن يا أبي لا نستطيع البقاء..فرجال الملالي وراءنا...ولا تنسى أننا سنلتقي بمصطفى هناك..

وما إن سمع باسم مصطفى حتى ذهب عنه الروع وتعلّق بأمله المنشود..وقال لبيير: هلمَّ بنا إذن فلننطلق..

مدَّ بيير يده إليه: والمال..؟

أخرج **عباس** نصف المبلغ من جيبه وقدمه له...

تناوله بيير وصعد إلى المركب: باسم المسيح الرب...وانطلق مسرعاً مغادراً... بعد أن وجه بوصلته نحو جزيرة قبرص...

جلس **عباس** و**هايدي** في قاع المركب، وبدأت علامات دوار البحر تنتابهما، فأخذا يتقيئان بشدة، والأمواج تتقاذفهما صعوداً ونزولاً... حتى كاد قلباهما يخرجان من صدرهما.. إلى أن حال الموج بينهم وبين الساحل، ودخلوا في البحر عدة أميال، فهدأت أفئدتهما وتحسّن حالهما ... إلى أن أشرقت الشمس وأطبق عليهم البحر بهدوئه المخيف ... فأخذوا ينظرون إلى البعيد اللا متناهي ، فما وجدوا إلا الماء تحتهم والسماء فوقهم ... فراحت الأفكار المرعبة تأخذ بعقولهم ...

وهم في صمتهم صاح بيير: أين الطعام..؟

سارعت **هايدي** إلى حقيبة كانت بالقرب منها، فأخرجت بعض الساندويتشات وقدمتها لهم ، لكن بيير سألها: وأين المشروب..؟

رد عليه **عباس**: ليس معنا أي مشروب..فنحن بين ألطاف الله...

بيير: لكنك تشرب الخمر..

قاطعته **هايدي** بعصبية: أبي لا يشرب الخمر..؟

أمسك **عباس** بيدها وضغط عليها مشيراً إليها بأن تصمت...فاستجابت على مضض..

ترك بيير الدفة إلى أحد مساعديه ، وذهب إلى مؤخرة المركب وأخرج زجاجة خمر، وبدأ يتجرع منها رشفات عديدة ... ثم قدمها لمساعديه .. ولما انتهوا قدمها إلى عباس ، الذي نظر إلى **هايدي** ليرى آثار ما ترى على وجهها ... فسارعه بيير: أعطنيها..

لكن **عباس** تناول منها رشفة كبيرة ...

نظرت إليه **هايدي** باستغراب..أبي..أبي..أتشرب الخمر...؟

عباس: رشفة بسيطة لا ضير فيها...

هايدي: لكنك لا تشرب الخمر...!!

عباس : قلت لك : رشفة بسيطة ، فأنا أشعر بالبرد .. والخمر يشعرني بالدفء..

ضحك بيير لكلامه، وقدّم الزجاجة ل**هايدي**: خذي وجربي رشفة صغيرة، وسترين الفرق..

رفضت الشرب..وطلبت منهم أن يبقوا مستيقظين...

بيير: أن لا أثمل أبداً فلا تخافي..

هايدي: لكني أرى بوادر الثمل عليك منذ الآن...فكيف ستصل بنا برَّ الأمانِ، وأنت على هذه الحالة..؟

بيير: لا تخافي فأنا معتاد على ذلك..ولا أستطيع السفر إلا إذا تناولت مشروباً، يشعرني بالشجاعة ويأخذ بيدي نحو هدفي...ثم ارتمى على المركب وراح في سبات عميق...

نظرت إلى مساعديه: أتعرفان الطريق جيداً...؟

أحد المساعدين: قليلاً...

صاحت بهما وضربت على صدرها: هل سنبقى هنا...تتقاذفنا الأمواج وتحرقنا الشمس بلهيبها...؟

المساعد: ماذا سنفعل...؟

هايدي: عليكما أن تتوقفا حتى يستيقظ بيير من نومه..ثم ننطلق بعدها..

عباس: نعم..علينا بالتوقف...لأننا نخشى أن نضلَّ الطريق..ونقع بالمحظور...

أوقف المساعد المحرك وارتمى بجانب بيير، وغطَّ في سُبات عميق..وبقي عباس و**هايدي** ينظران إليهم والقلق بدأ يساورهما....

* * * *

أحقاد دفينة

انطلقت ميليشيات **آية الله محمد** الطوساني إلى القرى والمدن، بأرتال كبيرة تحمل السلاح الثقيل، وربط كل واحد منهم على جبينه شريطاً أسودَ كتب عليه: لبيك يا حسين. . . واعتلت أعلامهم السوداء سيارتهم. . . وأخذت تعبُّ الأرض عبّاً والغبار يعجُّ من ورائهم، وران على قلوبهم ووجوههم الحقد الأسود الدفين. . . فأخرجوه مرة واحدة، فلا تجد منهم أحد يبتسم وإنما صرير أسنانهم يسمعها القريب والبعيد. . وكأنهم يطحنون العظام طحناً، فتثير الرعب في قلوب سامعيها. . . حتى يُخيَّلُ لناظرهم أنهم يريدون أكل من سيقع تحت أيديهم. . . وكلما مروا من أمام حسينية، صاحوا بصوت واحد: فداك روحي أبا عبد الله. . اليوم يوم الملحمة. . اليوم تستباح الحرمة. . .

كانت أولى القرى المستهدفة، قرى للأكراد، وصلوا إليها عند الفجر، فانقضّوا عليها والناس نيام. . ففجروا أبوابهم، ودخلوا بيوتهم، وأخرجوا رجالهم، وربطوهم في ساحة عامة، وجروا النساء من شعورهن، وانتهكوا أعراضهن، كانت نساء وبنات الملا بكر القره غولي يُسحبن من شعورهن، ونادى **آية الله محمد** الطوساني على أشد الرجال عتياً، وأمرهم بالاعتداء عليهن أمام الملا بكر، فانقضَّ الرجال عليهن كالوحوش الكاسرة، ومزقوا ثيابهن والناس بين مصدق وحالم، والشيخ يستغيث ويبتهل إلى الله. . لكن الوحوش اعتدوا عليهن أمامه. . وكان من بينهن ابنته حفصة التي لم تبلغ من العمر ثمانية أعوام. . . فصاحت بخوف: أبي. . . أبي. . . !!

فرد الملا بكر بصوت المجروح: حفصة. . .

وما إن علم **آية الله محمد** باسمها حتى صاح بأعلى صوته: مزقوا ابنة عدي. . مزقوا ابنة صنم قريش فهذا يومكم. . .

هجم عليها الرجال يعتدون عليها تباعاً وهي في حالة إغماء لا تعي ما يدور

حولها...

والأب ينظر إليها وعيناه شاخصتان تذرفان الدموع بغزارة..وهو يستغيث الله...وما إن سمع **آية الله محمد** استغاثته، حتى قبض عليه من شعر رأسه، وجره إليه ودعا إليه رجاله..فهرعوا نحوه مسرعين، فأمر بسيارتين أن تقفا باتجاهين متعاكسين، وربط يدا الشيخ كل واحدة بسيارة وأمرهما بالسير...وما إن تحركت السيارتان حتى صاح الملا بأعلى صوته...فأشار **آية الله محمد** أن يقفوا...وتقدم إليه: أراك تتألم يا عدو الأئمة الأطهار...

الملا بكر: والله ما تألمت على نفسي وجعاً مما تفعلون بي..لكنني تألمت على هذه الطفلة الصغيرة وأعراض القرية...

تبسّم **آية الله محمد**، وشعر بنشوة عارمة لآلام الناس: هيّا تحركوا..فأحسَّ الشيخ ملا بكر، أن صياحه يشفي غلَّ عدوه ... فصبر على نفسه وصكَّ على أسنانه، وتمثل بقول الله تعالى : ﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ [البروج : ٤ ـ ٨] ... فصاح **آية الله محمد**: أسرعوا حتى يخرس هذا الكافر.. وما هي إلا لحظات، حتى انتزعت إحدى يديه عن جسده فلم ينبس ببنت شفة إلا قوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله...بلغ الرسالة وأدى الأمانة...ولم يُكمل كلامه حتى خرجت روحه إلى بارئها...ولم تصمد حفصة وراءه طويلاً، وما هي إلا لحظات قليلات، حتى خرجت روحها هي الأخرى..فأخذ الناس يكبرون ويهللون..لكن أصواتهم أزعجت **آية الله محمد**، فأمر رجاله بفتح النار...فانهالت الطلقات النارية عليهم من كل جانب، فهدأت الأصوات..فلا تسمع إلا شخيراً هنا وتأوّهاً هناك...فانطلق بنفسه، حاملاً رشاشه يتنقل بين الجثث، ليجهز على من بقي منهم حيّاً...ثم عاد إلى النساء فأخذ منهن صغيرات السن، وأمر رجاله بقتل بعضهن، ببرودة أعصاب قلَّ نظيرها ...

ثم انتقل إلى قرية أخرى، فأخرج رجالها، وسحب علماءها من بيوتهم، ووضعهم في ساحة القرية، ودقَّ أعناقهم أمام أطفالهم ونسائهم، وأخذ الفتيات

الصغيرات، ورمى بهن في السيارات الكبيرة، كالأثاث والمتاع. . .ونادى على رجاله، أن يجدعوا أنوف وآذان الرجال، ويصنعوا منها عقوداً. .فامتثل رجاله إليه وشحذوا سكاكينهم وبدؤوا عملهم بمهارة عالية. . .غير أن أحدهم حمل رأس شيخ القرية، ووضعه في كيس، وأعطاه إلى إحدى الفتيات الصغيرات، وقال لها: أبقِ هذا معك. . .

لما انتهوا من مجازرهم عادوا إلى قم، يحملون ضحاياهم، وصوت عويلهن وبكائهن يصمُّ الآذان. .وهو ينظر إليهن مبتسماً، وعلى وجهه علامات النصر والظفر. . .!!!!

وأثناء الطريق. .تحسست البنت ما في الكيس. . .فصرخت فزعة ورمت به من يدها. . .لكن إحدى الفتيات تقدمت إليها، وضمتها إلى صدرها مخففة عنها: ما بك يا حبيبتي. .؟

البنت: لقد شعرت برأس إنسان في هذا الكيس . .

لم تصدق ما سمعت. . .فتقدمت إليه وحلَّت رباطه. . ونظرت ما بداخله فصاحت بأعلى صوتها وسقطت مغشيَّة عليها. .وتدحرج الرأس في السيارة. . .وبدأ العويل الممزوج بالخوف. . .غير أن إحداهن. .حملت الرأس وضمته إلى صدرها. . .وبدأت تصيح بأعلى صوتها، وانتابتها رعشة قوية. .وبدأ لونها بالشحوب. . .حتى اختفى صوتها نهائياً. .فجحظت عيناها. . .وصكَّت أسنانها وسقطت على الأرض. .وأخذت بالرجفان والانتفاض. .والزبد يخرج من فمها. .وعضَّت على لسانها. .وراحت تهتزُّ بقوة. . .حتى شعرت جميع الفتيات بالخوف. .فبدأنَ بالصياح الشديد. .لكن لا مجيب. .واستمر هذا حالها لدقائق معدودة. . .حتى استقر جسدها، وهدأت رعشتها وتوقفت حركتها. . .وغطَّت في سبات عميق. . .فالتفَّت الفتيات من حولها. .فمنهن من وضعت عليها بعض ردائها لتدفئها. . .وأخرى أخذت بفرك يديها النحيلتين. . .علَّ الدماء تسير بهما. . .

وآية الله **محمد** الطوساني ورجاله ينظرون إليهن من بعيد وقهقهاتهم تتعالى. . .حتى قال لمن حوله: لو أتيتم ببعض الرؤوس لاستمتعنا أكثر. . .والتفت

إلى من حوله، كمن فاته شيء: من أتى بالرأس..؟

رد عليه أحد الأشقياء بفرح وسرور: أنا يا مولاي...!!

آية الله محمد: أحسنت صنعاً..يا لها من فكرة..تنم عن حسن التصرف...لو أخبرتنا لأتينا لمولانا ببعضها حتى تطيب نفسه بمنظرها...

فأجابه: مولاي أتسمح لي بالعودة فآتيك بالعديد منها...

آية الله محمد: قضي الأمر الآن...ولكن في المرة القادمة..مخاطباً الجميع: التقطوا رزقكم..وانتابته الضحكات القوية..حتى سالت دموعه...وبدأ يصيح: يا لثارات الحسين...وردد الجميع من ورائه..يا لثارات الحسين...!!

* * * *

ميناء وقدر

بدأت حرارة الشمس تزداد فوق رؤوسهم، وانعكس نورها على سطح الماء، حتى غدت كالمرآة في عيون **هايدي** وأبيها، فلم تتمالك **هايدي** نفسها، فأخذت بالصياح على بيير ومساعديه...لكن دون جدوى...فأخذت زجاجة الخمر الفارغة من أمامهم، وملأتها بالماء وبدأت تنثر بعضه على وجوههم...فما كان من بيير إلا أن خطف الزجاجة من يدها، وألقى بها في البحر ودفعها عنه..

صاحت به: إلى متى سنبقى هنا، فالشمس حارقة وأنتم نائمون لا تهتمون لأمرنا...؟

فتح بيير إحدى عينيه وأغلق الأخرى، لشدة وضاءة الشمس وحرارتها: أنا هنا من يقرر متى نسير...فلا يمكننا السير في النهار حتى لا يرانا شرطة السواحل...فاخلدي إلى النوم حتى حلول الليل...

وما إن سمعت **هايدي** قوله حتى انتابها الحزن والكآبة، وعادت إلى مكانها واضعة رأسها بين ركبتيها وبدأت بالبكاء، وأبوها ينظر إليها بعجز...

وقبل غياب الشمس بقليل، استيقظ بيير وطلب من **هايدي** إعطاءه بعض الطعام..فامتثلت لطلبه على الفور...

بعد أن تناول طعامه أخرج زجاجة خمر ليرتشف منها..فصاحت به: أرجوك دع الخمر الآن وسر بنا...

تبسم بلؤم : لا أستطيع السفر دون شرب القليل منه..

هايدي: وهل سنبقى هنا أياماً...وتحت رحمتك...أليس عندك بنات...ألا تغار عليهن...؟

بيير: نعم عندي ثلاث بنات..وأنا أغار عليهن...نعم ..نعم..أغار..ثم انتابته الضحكات...فاغتاظت **هايدي**، واستدارت بوجهها نحو البحر، وكأن الأمر

لا يعنيها، ناظرة إلى الشمس وهي تغيب في الماء رويداً رويداً. . .مخفية تأثرها بما قال. .

وما هي إلا دقائق، حتى أدار بيير محرك المركب. .وانطلق يشق الماء شقاً. .تاركاً وراءه زبداً طويلاً. . .

مضى بعض الليل. . .ثم أمر مساعديه أن يوقفوا المحرك. .فارتاعت **هايدي** لما سمعت. .فصاحت عليهم: ما بكم. . .؟

فعاجلها بيير بقوله أن تنصت، لأنهم قاربوا الوصول إلى ميناء لارنكا القبرصي. .فالتزمت الصمت. .وغامرها الفرح. . .ونظرت إلى أبيها مبتسمة: لقد جاء الفرج بعد طول عناء. .

لم يستطع **عباس** أن يخفي فرحته: نعم والعباس. . .كل هذا بعناية أبي الفضل صلوات الله عليه. .!!

سمع بيير كلامه فأخذ بالضحك: أأبو الفضل هو من أوصلكم بالسلامة. . .؟. . .والمسيح لو كان أبو الفضل معنا لبال في ثيابه، ولركع أمامي يستجديني أن أوصله إلى بر الأمان. . .

اغتاظ عباس من سخريته: لولا أبو الفضل لرأيتنا في بطون الأسماك الآن. . .

بيير بسخرية: ولكان هو معنا أيضاً في بطونها. . .والمسيح أنتم أغبياء البشر. .أتنسبون الحياة لبشر مثلكم. .أفٍ لكم ولما تعتقدون. . .!!

استشاطت **هايدي** غضباً: نحن أتينا معك لتوصلنا مقابل المال. .لا أن تلقي علينا مواعظك. . .

بيير: أنتم واعتقادكم لا تساوون عند الناس مقدار ذرة. . .ولا حاجة لي بوعظكم. . .ثم بدأ يقهقه. . .فما كان من عباس إلا أن أمسك بيد **هايدي** وضغط عليها لتصمت. .وأجلسها إلى جانبه: دعيهم ولا تتجادلي معهم. .

تنبه بيير لهمسه: ماذا تقول. . .؟

عباس وقد انتابه الفزع: لا. . .لا شيء. .وإنما أطلب من **هايدي** بعض الطعام

لي ولكم..

بيير: نعم هذا أفضل من الجدال العقيم..

أخرجت **هايدي** بعض الطعام وقدمته لهم..وتناولت لقيمات قليلة لنفسها، موحية لهم أنها تأكل وغير مبالية بما يقول...

تجاوز الليل منتصفه وهم في حالة هدوء دون حراك...وبيير ومساعدوه ينظرون إلى البعيد..إلى أن أشار إلى مساعديه أن يبدؤوا بالتجديف...

ارتاعت **هايدي**: هل تريد أن نصل قبرص بعد شهر...لماذا لا تدير المحرك...؟

شعر بيير بالنار والغضب يشتعل في رأسه: اخرسي ولا تتكلمي...وإلا رميتك في البحر..

أجلس **عباس** ابنته إلى جانبه، وأطبق فمها بيده، وقال هامساً: اخرسي..حتى نرى نهاية لهذا الأمر..ثم قال بصوت خفيف: معلم بيير نحن آسفون..ولكن تعلم أن **هايدي** خائفة..فأخبرنا ما الذي يجري...؟..

اغتاظ بيير من كثرة الجدال والسؤال: نحن الآن على مشارف قبرص..فإن أدرنا المحرك فسيسمعه شرطة السواحل ونقع في أيديهم ونُسلَّم بعدها إلى بلادنا، بعد أن نُسْجَنَ...هل فهمتم الآن يا عبّاد أبي الفضل العباس...؟

عباس: نعم فهمنا...!!

بيير: إذن اصمت..ولا تتكلم وساعد في التجديف لنصل بأمان...

بدأ **عباس** والمساعدون بالتجديف البطيء وهم ينظرون إلى الأفق..ليروا أنوار الميناء...وما هي إلا لحظات حتى ظهر نور خافت بدأ يظهر في الأفق، وكأنه يخرج من الماء..وكلما خطوا خطوات..ارتفع النور وزاد ضياؤه...عندها طلب بيير أن يستديروا بالمركب إلى الجهة الشمالية...ونظر إلى **عباس** و**هايدي**..مستبقاً سؤالهم..نريد أن نبتعد عن ضوء المنارة حتى لا يرانا البوليس..ونحطُّ على الضفة الأخرى...

همس **عباس** بصوت غير مسموع، وكأن هناك من يرقبهم ويسمع كلامهم: على بركة الله..افعل ما تراه مناسباً..

بيير بكبرياء: الآن بدأت تسلم لنا القيادة...ولكن أعطنا المال المتبقي عليك..

عباس: لا بأس...لا بأس..حتى نصل بر الأمان..

بيير: لا تجادل وأعطني مالي وإلا عدت بكم من حيث أتينا...

امتثل **عباس** لطلبه على الفور، فأخرج المال من جيبه وقدمه له...

تناوله من يده، ثم أعاد النظر إليه وأين مكافأة العمال..؟

عباس: عن أي عمال تتكلم...؟..هؤلاء مساعدوك..وهم ضمن الاتفاق..

بيير: بدأت تزعجني...وقبل أن يتم كلامه أجابه **عباس** إلى طلبه وأخرج من جيبه مائة دولار وقدمها له..

نظر إليها بيير وقد استشاط غضباً: ما هذا..؟..مائة دولار فقط...لا أقل من ألف دولار...

جحظت عينا **عباس**: ألف دولار...هل أنت مجنون..وهم في جدالهم..ظهرت أنوار بعيدة..نظر إليها بيير متأملاً..فصاح أحد مساعديه..معلم بيير..معلم بيير..إنها أنوار متحركة تتجه نحونا..

بيير: يبدو أن الشرطة رصدتنا من المنارة..

شعر **عباس** و**هايدي** بالفزع: وما العمل الآن...؟..

بيير: علينا أن نغادر بأسرع ما يمكن قبل أن يقبضوا علينا..

صاح **عباس**: ماذا...ماذا...نعود هل جننت..؟..

بيير بحنق وغضب: إذا رفضت فهذا الماء أمامك فألقِ بنفسك فيه...

صاحت به **هايدي** أيها الحقير..تريد أن ترمي بنا في البحر بعد أن أخذت مالنا..

وما إن سمع بيير شتائمها، حتى أمر مساعديه أن يرميا بهما في البحر...

فارتمى **عباس** عند قدمي بيير: أرجوك..أتوسل إليك..فأنا وابنتي لا نحسن السباحة..

بيير: معكم أبو الفضل العباس..ثم دفعه إلى الماء، فوقفت **هايدي** مولولة...وبخفة من أحد المساعدين دفعها وراء أبيها..واستدار المركب بسرعة، وتركهما وراءه يتخبطان في الماء..

وهما في حالتهما تلك، وصل مركب الشرطة فانتشلهما وهما في حالة إغماء...فبدأ بإسعافاته الأولية...وبعد دقائق معدودة، توقف المركب عند الميناء، وسارعت سيارات الإسعاف وأقلتهم إلى المستشفى...وبدأت ألوانهما تشحب رويداً رويداً...والعلاجات الأولية لهما مستمرة دون توقف..إلى أن وصلا إلى المستشفى، فأدخلا العناية المشددة، وبدأت الأجهزة عملها...

* * * *

كشف اللثام

طلبت دعاء من الطالبات أن يجتمعن في الصالة الكبرى، التي أُعِدَّتْ للمناسبات العامة...وما هي إلا لحظات حتى امتلأت القاعة بهن...فوقفت أمام المنصة وإلى جانبها طاولة وخلفها أربعة كراسٍ...

تطاولت أعناق الطالبات إليها، وقد أصابهن حب الفضول لهذا الاجتماع غير المبرمج...شعرت دعاء من نظرات الطالبات بما يفكرن..فبدأت كلامها بحمد الله والصلاة على رسول الله وآله وصحابته...ثم التفتت إلى جهة الباب ناظرة..فارتفعت الرؤوس وشُدّت الأعناق، وعمَّ القاعة هدوء كبير..وهنَّ ينتظرن من سيدخل عليهن...!!

وما هي إلا لحظات معدودة، حتى دخلت ثلاث فتيات، قد التحفت كل منهن بجلباب بني وربطة حجاب أسود، قد أخفين وجوههن عن الحاضرات...

تقدمت إليهن دعاء مصافحة...وأشارت عليهن بالجلوس وراء الطاولة...وأعناق الطالبات مشرئبة نحوهن، وشوق الاستماع قد أخذ منهن كل مأخذ...

علمت دعاء بفطنتها بما يدور في عقولهن...فتبسمت وقالت: بناتي الأعزاء..كما تعلمن فإننا وعدناكن سابقاً بأننا سنأتي لَكُنَّ بشاهدات لما يدور في بلادنا، من نشر التشيع وتدمير دين الأمة وفطرتها..تحت مسميات فارسية..مزج أصحابها تعاليم مزدك الإباحية بشريعتنا، ونمقوها تحت مسميات الدين والمتعة وحب آل البيت..وآل البيت منهم براء...وقد وضع آيات فارس، بعض المضلل بهن صيداً للشباب من أمتنا..لينشروا تعاليمهم..من خلال انتزاع الحياء والخوف من الله..فأحلوا الحرام وحرموا الحلال، وكفّروا الأمة مسفّهين تعاليم الإسلام، بعد أن وصموا الصحابة بالردة والكفر وتحريف القرآن..وغير ذلك الكثير..وقد ارتأت لجنة

العلماء المكلفة ببناء هذا الصرح العلمي، أن نأتي ببعض المغرر بهن، ليقفوا أمامكن ويظهرن ما خفي عليكن..وهذا سيكون الدليل القطعي الدامغ الذي لا يُشك به...ولن أتكلم كثيراً وإنما أترك الكلام لكُنَّ على أن يكون بمثابة سؤال وجواب..وهذا الأمر لن يتكرر إلا لمرات قليلة جداً..وبعدها ستشكلن لَبِنَةَ البيان للناس والمبلغات عنهن بما سمعتن...وأترك الآن لَكُنَّ المناقشة..فأرجو الهدوء والتروي في السؤال، وتدوينه من قبلكن ولا مانع عندنا أن تُحضِروا في المرة القادمة أجهزة التسجيل، ليكون قولنا وثيقة موثقة لا غبار عليه .. وليكون بيانا للناس بعد ذلك..

أصيبت **هزار** وشاهيناز وشيرين بالحياء والخجل، وأُغلِق عليهن الكلام، فلزمنَ الصمت...فشعرت دعاء بهنَّ..فأرادت التخفيف عنهنَّ، فطرحت عليهن السؤال الأول: بناتي الأعزاء منذ متى وأنتن هنا..؟

أخذت **هزار** المبادرة وكانت أكثرهن حماسة وقوة: نحن هنا منذ أكثر من خمس سنوات تقريباً..

دعاء: وما المهمة التي أتيتن من أجلها...؟

هزار: قبل أن أتكلم عن المهمة التي جئنا من أجلها، لا بد لي أن أتكلم عن الملابسات التي جعلت منا ضحيات لأولئك الآيات في إيران...!!

دعاء: عفواً..هذا لطف منك...

هزار بجدية وحماسة كبيرة: قبل أن أتفوه بأية كلمة...ربما يتساءل البعض: كيف رضينا أن نجلس أمام الجميع، ونتكلم عن أمور مخجلة ومعصية كبيرة..وأستطيع الإجابة وأنا فخورة بذلك: أننا أردنا أن نكون أول من يخرج عن صمته، إزاء ما يحدث لبنات الإسلام، من انتهاك لأعراضهنَّ تحت مسميات المتعة، وما تحمله من آلام وآثام ودمار للمجتمع ومحرماته...فأنا..ثم أطبقت صامتة بعد أن أحسّت بحشرجة في صوتها منذرة بالبكاء..فتماسكت للحظات..ثم تابعت حديثها بعد أن تجاهلت دمعتها...أنا وصديقتيَّ شيرين وشاهيناز، كنا نعيش في مجتمع يدين

بالمذهب الجعفري..أو الاثنى عشري...والأسماء ليست مهمة..بقدر ما تحمله أو تخبئه وراءها من مظاهر مخيفة...هذا المجتمع له أحكامه وعرفه الخاص، متخذاً من الدين وحب آل البيت وسيلة في جلب الناس، وحثهم على اعتناقه..ولما كان الإنسان في إيران محِبا لآل ساسان، وديانتهم الإباحية، التي توارثتها أجيالهم عبر قرونها... وغاظهم قدرة الإسلام على تحطيم ملك كسرى..فدخلوا الإسلام خفية ليحدثوا فيه باسم الدين، فمزجوا تعاليم الدين بديانتهم الإباحية، تزويراً واعتقاداً جاعلين منه **ديناً** جديداً، ناسبين كل رذيلة لآل البيت وعصمتهم وقيادتهم للأمة...ثم توقفت عن الكلام...والتفتت إلى دعاء التي تبسّمت في وجهها: لقد أحسنت قولاً...فأومأت **هزار** برأسها شاكرة..

توجهت دعاء إلى الطالبات اللواتي عمَّهن الصمت والهدوء: وأترك السؤال لَكُنَّ الآن..وأتمنى أن تجري الأمور بهدوء...وطلبت من إحدى الطالبات وضع الأسئلة في صندوق صغير أمامهن...وما هي إلا دقائق معدودات حتى شرعت دعاء بفتح السؤال الأول: عندنا طالبة تسأل..هل كنتنَّ مجبرات على السير في هذا الطريق، أم كان عملكُنَّ عن اختيار منكن..؟

تشجعت شاهيناز واستعادت شجاعتها وقوة شخصيتها: في بادئ الأمر أتينا عن قناعة منا...ربما تسأل بعض الطالبات..كيف وصلت إلينا تلك القناعة..وأنا أوفر عليكن السؤال، فأقول: إن الحفرَ في عقول الفتيات الصغيرات منذ خروجهن إلى الدنيا، بمفاهيم دينية معينة، والتركيز عليهن لسنوات طويلة، حتى يصبحن في سن المراهقة والشباب...ناهيك عن أن أمهاتنا كُنَّ قبلنا سائرات في هذا الطريق...

رفعت السائلة يدها بسرعة، وقد ظهر عليها الاهتمام، وخافت أن يذهب من عقلها ما تفكر به، فلم تنتظر أن يؤذن لها: وهل كانت أمهاتكن..؟..قاطعتها شاهيناز: نعم...نعم..كانت والدتي تمارس المتعة، مع الآيات في الحسينيات، تحت مرأى ومسمع المجتمع بأكمله...

الطالبة: ألم يتحرك من فيه ذرة نخوة أو غيرة ليوقف هذا الأمر..؟..

شاهيناز: ومن سيقف في وجههم، وهم ينظرون للأمر من زاوية الطاعة للأئمة

الأطهار...!!

عمَّت القاعة عبارات الاستنكار...فطرقت دعاء على الطاولة، طالبة منهنَّ الهدوء والاستماع دون تعليق أو مقاطعة...ثم أخرجت سؤالاً آخر جاء فيه: هل بنات الآيات يمارسن المتعة أيضاً...؟..

تبسّمت شيرين واستجمعت شجاعتها أيضاً: أما هذا فظاهراً لا...فهم يعتقدون أن بنات السادة لا يتمتعنَ...وإنما المتعة مقصورة علينا نحن العامة...

الطالبة: عامّة...ما المقصود بالعامّة...؟

شيرين: المقصود بالعامة كل إنسان لا ينتمي بنسبه إلى آل البيت...ولكن أُحيطكنَّ علماً أن بناتهن يتمتعن من وراء آبائهن...فالعديد منهن يمارسن المتعة مع العامة بشغف...ومن المفارقات العجيبة، أنني سألت إحداهن مرة عن مخالفتها لقانون الأئمة وتمتعها..فأجابتني: أنا أمتع نفسي طاعة لله ورسوله، ولأجدادي الأئمة...وعلى المجتمع أن يأخذ تمتعنا هذا بالحب والتقرب إلى أجدادنا...فلا خير في مجتمع لا يمتع بنات الأئمة ويعرف حقهن عليهم..

صاحت الطالبة: يا للهول ما هذا الهراء...وهذا الفساد..؟

تدخلت شاهيناز: يمكنك أن تتصوري مجتمعاً بكامله، يمارس العهر الديني...والناس في راحة ضمير؛ لأن العهر في مجتمعنا متوارث منذ القِدَم، فديانة مزدك كانت تبيحه وتتفنن به، وانتهاك الحرمات والمحرمات بلا وازع من ضمير أو دين..وقد لاقت ديانتهم القبول في المجتمع الفارسي..فأخذوا منها ما يتماشى مع أهوائهم..وألصقوها بآل البيت والإسلام...فراجت أحكامهم في المجتمعات الضعيفة، ممن تأخرت عن معرفة الإسلام، أو ربما وصل إليها محرَّفاً، من أقوام فارسية أو يهودية...أو ممن يكنُّ للإسلام العداء والبغضاء والضغينة..وهكذا كانت الأمور تسير في المجتمع الإيراني، حتى أصبحت المتعة من مستلزمات الدولة..وشُرّعت لها الأحكام بما يتوافق مع نشرها بحرية ودون عوائق...

تدخلت دعاء وقالت:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

صفقت الطالبات تصفيقاً حادا، ووقفت إحدى الطالبات المتحمسات وأنشدت:

شريعة الله للإنسان عنوان وكل شيء سوى الإسلام خسران

عمَّت القاعة الأصوات العالية مستنكرة ما تسمع...فوقفت دعاء: بناتي العزيزات..أرجو أن لا تضيعن الوقت..فأخواتكن مشيرة بيدها إلى شاهيناز و**هزار** وشيرين..أتين إليكن بجلسات معدودة كما تقدم في بداية قولي..فعليكن استغلال وجودهن معكن، لنستفيد معاً من تجاربهن، فلا تفوتنَّ الفرصة عليكن...فهدأت القاعة مرة أخرى، ونظرات الذهول والاستغراب والاستهجان لما سمعن في أعين الجميع...

تناولت دعاء سؤالاً آخر واطلعت على محتواه: الأسئلة الخاصة جداً، التي تتناول خصوصيات ضيفاتنا ستكون في الجلسات القادمة بإذن الله..والآن..إن كان عند إحداكن سؤالاً يتناول البدايات الأولى لحياتهن، فإننا نسمعه ليستفيد منه الجميع...

وقفت إحدى الطالبات: نحن نتتوق للسؤال عن مجريات الأمور، التي كانت تجري في إيران، أثناء عقود زواج المتعة، وما ينتج عنها من مخلفات اجتماعية وغيرها...والسؤال عن الخصوصيات...

قاطعتها **هزار**: الأسئلة الخاصة لا جواب عليها؛ لأنها فترة كانت ثم انتهت..ولا فائدة من معرفتها إلا التشهير بنا..ونحن الآن صاحبات بيوت، ومنا من تنتظر مولودها الأول..والمجتمع السوري مجتمع محافظ..والعرض عنده أغلى من الروح...ونحن أصبحنا والمجتمع وحدة متماسكة...ولحمة لا تنفك عراها...

صفقت الطالبات بحرارة لهذا الجواب الشجاع...

مرَّ الوقت سريعاً...فما شعرت دعاء إلا بأذان الظهر يُرفع من المدرسة... فتوقفت عن الكلام وقالت: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك..ورفعت الجلسة ليوم آخر..وطلبت من الفتيات أن يتفقن

على الأسئلة فيما بينهن..حتى لا يتكرر السؤال مرات عدة..ولتعمّ الفائدة الجميع..وقامت بتكليف إحدى الطالبات بإعداد الأسئلة، على أن تقدمها في الجلسة القادمة...

* * * *

جلس **رستم** مع سارة في غرفتهما، وبدأ يسألها عما دار مع الملا تاج الإسلام التركماني...فبدأت بسرد التفاصيل، التي جرت والقصة التي اختلقتها، في خلافها مع زوجها...

لاقت تصرفات سارة القبول لديه..فاعتنقها وقبّلها فرحاً: لم أكن أدري أنك بارعة أيضاً في التخطيط والتمثيل...

سارة بغرور وكبرياء: أنا ضائعة بين ملذات السادة والعامة...وقد كبتت قدراتي ودفنت بين الحجرات المظلمة، فوق سرير هذا وفراش ذاك..

بدأ **رستم** يفكر موجهاً نظره إلى سقف الغرفة ...

قطعت سارة عليه صمته وتفكيره: ما بك يا **رستم**..؟

رستم بدهاء وخبث: أفكر في الطريقة المثلى لتحقيق هدفنا..!!

سارة: هل توصلت إلى شيء...أم تريد أن تستعين بي أيضاً..؟

رستم: وما المانع أن تخبريني برأيك..فأنا أرى لك عقلاً لا يهديك إلا لخير..

شعرت سارة بالزهو لهذا الإطراء: أرى أن ندخل بيته ونفعل به ما نريد...

رستم: لكنني أخشى أن يكون عنده ضيوف وقت وجودنا..

سارة: إذاً نعود إليه مرة أخرى...

رستم: الذي أخشاه أن تُسمع طلقات المسدس إلى الجيران، فنُحاط من قِبَلِهِم ويتمُّ اعتقالنا...

سارة: أليس عندك غير الرصاص..؟

رستم بشغف: هل هناك غيره...؟

سارة: سلاح آخر لا يصدر صوتاً...

رستم: هل نفعلها أمام أهل بيته...؟

سارة: ولِمَ لا...فابنته على اسم الفاجرة..

ضحك **رستم** وهزَّ رأسه : عائشة .. نعم ... نعم ... عائشة ... ثم سألها: وستكونين معي بلا شك...؟

سارة :بالطبع...ولكل شيء أجره...فأنا الآن غانية...

رستم: ماذا..؟

سارة: عفواً... زوجة متعة ... وفي هذه المهمة شريكة تامة ... وللشريك نصيبه..!!

رستم: ألا تأخذين نصيبك ليلاً...ألا تكتفين...؟

سارة بسخرية ممزوجة بالغضب: دع هذا النصيب لك ولأمك...فلكل عمل حسابه...

أذعن **رستم** لطلبها، وأظهر أنه كان مازحاً: وهل من المعقول أن أنسى جهدك معي في مهمتي..ثم أخرج ألف **دينار** من جيبه وقرَّبه إليها..ثم أعاده إلى جيبه سريعاً: لا...لا..المبلغ بعد التنفيذ والنجاح...

وافقت سارة على مضض، فالمبلغ كان كبيراً جداً، قياساً بما ستفعله...وسألته: ومتى تريد التنفيذ..؟

رستم: هذا الأمر يتوقف على زيارتنا الأولى له...

سارة: وهل هناك زيارة ثانية...؟

رستم: نعم..وربما ثالثة أيضاً..!!

سارة: يا للهول..وهل عندي أعصاب لأحتمل تكرار الزيارات، وأنا أرى بوجهي رجلاً ميتاً...أو سيموت قريباً...وأمام أهل بيته وأولاده الصغار..

رستم: قلت لك الأمر متوقف على الزيارة الأولى...ولنذهب إليه غداً بعد

صلاة العشاء بعد أن نتفق على صيغة كلام مشتركة أمامه. . .

* * * *

وصل **آية الله محمد** الطوساني إلى بيته منهكاً، والدماء قد غطت ثيابه ويديه. . فاستقبلته زوجته بالود والترحيب وهي تنظر إلى حالته المزرية: أراك تَعِبَا اليوم. . ؟

آية الله محمد: لقد أنهكنا أبناء العاهرات. . .

الزوجة: هل أخذت نصيبك منهم. . . ؟

آية الله محمد: ليس بعد. . . ولكن الأيام القادمة ستكون أكثر دموية. . . ! !

الزوجة: قم إلى الحمام واخلع ثيابك فيه. . .

آية الله محمد: إياك أن تغسلي عنها الدماء. . .

استغربت الزوجة من طلبه وسألته: لماذا. . هل أبقي رائحة الجيفة على ثيابك. . . ؟

آية الله محمد: إن إمامنا يحب رؤية الدماء. . وخاصة إذا كانت دماء النواصب. . ! !

أذعنت الزوجة لطلبه، وأخفت ابتسامتها عنه، وانطلقت لتحضر له العشاء. .

وما هي إلا دقائق معدودة، حتى مُدَّ سماط الطعام، بأصنافه العديدة. . وتصدرها طبق كبير عليه لحم مشوي، وأحاطته بأنواع المكسرات الفارسية، من الجوز واللوز والفستق والصنوبر. . فعمَّت رائحته الزكية البيت كله. . فتقدم إليه بنهم. . . فمنعته زوجته من الطعام: لا طعام قبل أن تغسل يديك من قذارة النواصب. . فلا نريد لزادنا أن يتنجس بدمائهم. .

آية الله محمد: معك حق. . . وقام من فوره متململاً يتصنع التعب، فغسل يديه، وعاد إلى طعامه بنهم وجشع كبيرين. . . وزوجته تتناول قطعة من هنا ولقمة من هناك، وتضعها في فمه وهو. . . يتأوه متلذذاً بطعمه. . . ! !

وفي نهمه..سألته: هل أتيتم ببعض بناتهم...؟

آية الله محمد: نعم العديد منهن..وقد اخترنا أجملهن...

الزوجة: لا بدَّ أن تأتي لي بواحدة أو اثنتين، ليعملن عندي خادمات..فأنا علوية..وحقي عليك أن تأتي لي بمن يخدمنني...

آية الله محمد: سيكون لك هذا..ولكن ليس قبل أن يطَّلع عليهن الإمام..فهو من طلب مني الإتيان بهن...

استغربت الزوجة لطلب الإمام لهن: وماذا يريد منهن...؟..وعنده ما يكفي من بنات العامة...!!

آية الله محمد: هذا أمر ليس بيدي، فقد همس بأذني عندما كنت عنده...ولم يخبر به أحداً من الحاضرين..وهذه ثقة أعتز بها جداً...

الزوجة: أخشى أن يستولي عليهنَّ جميعاً...؟

آية الله محمد: هذا أمرٌ عائد إليه...

الزوجة: وهل يقوى عليهنَّ جميعاً..؟

آية الله محمد: لا تسألي ما ليس لك به علم..إنه سيد والسادة لهم قوة أربعين رجلاً...!!

الزوجة باستهزاء: وأنت سيد أيضاً...أليس كذلك...؟

آية الله محمد: وهل تشكين في ذلك..؟

الزوجة: هكذا إذن...!!

آية الله محمد: ماذا تقصدين بكلامك...؟

الزوجة مستهزئة: قوة أربعين رجلاً إذن...يا حسرتي عليك..لا تملك قوة صبي صغير...

آية الله محمد: ماذا...أتشكين بقدراتي...؟

الزوجة: كفاك غروراً...وانظر لنفسك فقوة الرجال عندك معدومة...

آية الله محمد: غداً سترين قوتي مع بنات النواصب...

الزوجة: هذا حلم يراودك...ولن يتعدى الأحلام...؟

آية الله محمد: اصمتي الآن، ودعينا من تفاهتك..وأحضري الفاكهة والحلوى...

* * * *

سبايا الآيات

أُلقيت الفتيات في أقبية أحد السجون، بلا ماء ولا طعام ولا غطاء يرد عليهن البرد القارص. . .فما كان منهن إلا أن تصرفن بفطرتهن، فالتصقن ببعضهن، ينشدن الدفء، ويواسين أنفسهن، وجوعهن بالبكاء، متذكرات مصابهن، والمجزرة التي حلَّت بأهلهن. . . وهنَّ في هذه الحال. . سمعن صرير الباب. . . فدخل إليهن رجلان مدججان بالسلاح. . . أخذت الفتيات بأيدي بعضهن البعض، والتففن بأجسادهن على بعضهن كأنهن كتلة واحدة. . . . نظر إليهن الرجلان وألقيا إليهن كسرات خبز يابسة ودلوَ ماء دون كلام. . وغادرا مغلقين وراءهما الباب . . .

لم تعر الفتيات للطعام أي اهتمام. . .فالحالة النفسية وجرحهن وما أصابهن أكبر من أي طعام أو شراب. . .بل كان الموت أحب إليهن من الحياة. . .وبقين حتى الصباح، لا تُسمع منهن إلا بكاء هنا وندب هناك. . .

مع ارتفاع الشمس في كبد السماء، عاد الرجلان يحملان بعض كسرات الخبز إلى سجن الفتيات. .ولما دخلا وشاهدا الطعام على حاله لم يُلمس. . .وضعا الطعام وغادرا كما دخلا أول مرة. . .

نظرت الفتيات بعضهن إلى وجوه بعض. .فهالهن ما صرن إليه. .فحالة الشحوب وآثار الدماء التي لطَّخت ثيابهن قد ظهرت بصورتها الواضحة، مع إشراق الصباح. . .وكأنهنَّ خارجات من القبور. . . فبدأن بالبكاء والنحيب. . .وتعالت أصواتهن، فعاد إليهن أحد الرجال المسلحين يحمل بيده سوطاً، وفي الأخرى خرطوم مياه، وأخذ يصب عليهن الماء. . .فتضاعف البرد عليهن. .حتى أصابت أجسادهن رعشة. . .ولما انتهى قال لهن: أول العقاب الماء، وثانيه ـ مشيراً إلى السوط ـ سيكون هذا. .فربما ستشعرن بعده بالراحة والدفء، بعد أن يقع على أجسادكن . . . ثم تركهن يرتجفن وأسنانهن تصطكُّ من البرد، وقد لزمن الصمت. .فلا ترى إلا أعينهن

تذرفن الدموع بصمت قاتل. . .والخوف الشديد، قد استحوذ عليهن، وأصابهن الفزع مما ينتظرهن وما يخبئه المستقبل لهن. . .

* * * *

جلس **آية الله محمد** الطوساني وبعض مساعديه، في قاعة الاستقبال، منتظراً إمامه **آية الله مهدي**. . .

في تمام الساعة العاشرة، فُتح باب القاعة وتقدم سكرتير الإمام، ينذر الحاضرين بوصول إمامهم. .تمثَّل الجميع له وقوفاً بوقار وسكينة. . .وما إن دخل حتى تعالت عبارات المديح. . .فاستقر في مكانه، وأشار على الحاضرين بالجلوس، دون أن ينبس ببنت شفة. . .وراح يجول بنظره بين الحاضرين، منتظراً أن يوافيه آية الله محمد بتقريره. .ولما زاد الصمت التفت إليه: لقد سمعت أنكم حققتم بالأمس نصراً مؤزراً. .

مال **آية الله محمد** برأسه مظهراً التواضع والخضوع: نعم يا مولاي. . .فأرجو أن تقرَّ عينك بنا. .!!

آية الله مهدي: أخبرنا بخبركم. . .

وبدأ **آية الله محمد** بسرد تفاصيل ما جرى معهم، من وقت خروجهم إلى حين عودتهم. . .

أنصت **آية الله مهدي** إليه بهدوء وروية. .ولما انتهى من كلامه أشار إليه أن يجلس بالقرب منه، وطلب من سكرتيره أن يفسح له مكاناً. . .

شعر **آية الله محمد** بالفرح العارم؛ لأن الإمام خصه بالجلوس معه. . .

وضع مهدي يده على كتفه: لقد أشعرنا **آية الله محمد** بالظفر والنصر. . .فمن أمد بعيد ونحن نعيش بانهزامية وضعف. .فمنذ عهد الأئمة الأطهار، ونحن نتلقى الضربات تلو الضربات. .ولم تقم لنا قائمة منذ مئات السنين. .وبفضل أئمتنا ورعايتهم لنا، حققنا النصر على الأعداء. .وهذا أول يوم يعلو فيه أمرنا على عدونا، ولا يمكن أن نقف عند هذا الحد، بل علينا أن نستشعر الظلم الذي مررنا به طوال

حياتنا..ولا بدَّ لأحكامنا أن تستعلي على كل الأحكام القديمة البالية..وما خلَّفه لنا الكفرة الفجرة .. ممن سلب عليًا حقه ، وسرق إرث البتول من أبيها، صلوات الله عليهم أجمعين..

ولما انتهى من كلامه همس بأذنه ..

فرد **آية الله محمد**: نعم... يا مولاي..وهل أنسى هذا الأمر...؟

ربتَ على كتفه بحنان: أحسنت صنعاً..وأين هنَّ الآن..؟

آية الله محمد: في السجن يا مولاي..!!

آية الله مهدي: أحسنت...أحسنت..فأحسنوا شأنهن اليوم...وغداً سأراهنَّ...

آية الله محمد: مولاي..أنا طوع بنانكم...سيكون لك ما أردت غداً...

وقف **آية الله مهدي** مغادراً، يلوح بيده باستعلاء، عاقداً بين حاجبيه، متكئاً على عكازه..يهزَّها إلى الأمام وإلى الخلف ... يشعر بالفخر والزهو ... والجميع يهللون له بعبارات الثناء والمديح، وعبارات اللعن لصحابة رسول الله تتعالى وتزيد حدتها كلما رأوا أمارات السرور والسعادة على وجه إمامهم ...

* * * *

استعادت **هايدي** القليل من وعيها..فأخذت تتقلب في سريرها، دون أن تشعر بالحارس الذي يقف على باب غرفتها..وبعد ساعة من الزمن، بدأت تستعيد وضعها الطبيعي.. فتفتح عينيها ثم تغلقهما مرة أخرى... تقدم إليها الطبيب فاحصاً نبضها... ولما رآها تتحرك .. شعر بالارتياح وربت عليها مهنئاً بسلامتها... فسألته عن طريق المترجم: أين أبي..؟

الطبيب: في الغرفة المجاورة...

هايدي: وكيف حاله...؟

صمت الطبيب واستدار ليخرج..لكن **هايدي** صاحت به: هل مات...؟

الطبيب: لا إنه حي...!!

حاولت **هايدي** الوقوف، لكن الطبيب منعها، فصاحت: أريد أن أرى أبي الآن...

الطبيب: غير مسموح لك بالمغادرة...وأبوك مريض بعض الشيء...

لم تصدق ما سمعت، فبدأت بالعويل، واللطم على صدرها ووجهها. فما كان من الطبيب، إلا أن جلس بالقرب منها: لا بأس..سنريك أباك، شريطة أن تنظري إليه ولا تتكلمي معه..

هايدي: ولماذا لا أتكلم معه...هل هذا ممنوع ..؟

الطبيب: لا...لكنه لا يستطيع أن يرد عليك...

اختنق صوتها ببكائها: ماذا جرى له...؟

صمت الطبيب للحظات: أنت الآن كبيرة بما يكفي، ويمكنك تحمل الأخبار السيئة...

وما إن سمعت قوله حتى بدأت ترتعش..وتماسكت حتى يُكمل كلامه... وأضاف: إن أباك مريض جداً، فحالة الغرق وتأخر إنقاذه قد منع عنه الأوكسجين لفترة، كانت كافيه لتدمير بعض خلايا المخ، التي انعكست سلباً على أطرافه ونطقه وقدراته العقلية ...

هايدي: أتقصد إن أبي أصبح معوقاً...؟

الطبيب: يؤسفني أن أقول ذلك..ولكنها الحقيقة التي لا مفر منها..

بكت **هايدي** بصمت، واستسلمت لقدرها، وانطلقت مع الطبيب لرؤية أبيها..

وما إن دخلت إليه حتى رأت عينيه شاخصيتين في سقف الغرفة، قد اصفرَّ لونه وهزل جسده...فتقدمت إليه وأمسكت بيده تقبلها، وتنظر إليه بعينين دامعتين... لكنها لم تحصد منه غير الجحوظ، وعدم الحركة.. وهمست في أذنه: بابا... بابا.. هل تسمعني... أنا **هايدي**...

لم تحرك كلماتها فيه أية نتيجة، ولم ينبس ببنت شفة. . .فأخذ الطبيب بيدها، وأعادها إلى غرفتها. .باكية ناحبة. .تلعن حظها العاثر. . .فجلست في زاوية الغرفة متقوقعة على نفسها، واضعة رأسها بين ركبتيها. . .قد أصابتها صدمة المفاجأة فلم تعد تبكي. .وإنما سيطر عليها الهدوء، فظلَّت تنظر إلى صورة في غرفتها تمثل البحر بأمواجه العاتية. . .وبعد ساعة من الزمن، وقفت على عجل وتناولت الصورة، وضربت بها الأرض، وراحت تدوسها بقدميها. . .

سمع الطبيب الصوت. .فدخل إليها على الفور، فوجدها في حالة وجوم وصدمة. . .فطلب من إحدى الممرضات أن تحقنها بالفاليوم. . .

وما هي إلا لحظات حتى أضجعت على سريرها، فتغيَّر مزاجها وبدأت عيناها تذبلان، وغطت في نوم عميق. . .

* * * *

بيان الحقيقة

لم تقتصر الدروس على الطالبات فحسب، وإنما كان للطلاب حظهم أيضاً، حيث جمع **الدكتورشاهر** إسماعيل تلامذته في القاعة الكبرى. . .وجلس بين طلابه تواضعاً. .وترك أمر الإدارة إلى الدكتور **مؤيد** حبنكة. . .الذي بدأ كلامه بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسوله المجتبى وأصحابه النجباء. . .

كانت قاعة الفتيات متصلة بسماعات. .مُدت إليهن لهذه المناسبة، حيث يشاركن من قاعتهن دون أن يختلطن بالشبان. . .

طلب الدكتور **مؤيد** من الحضور، أن تكون الجلسة حواراً بين السائل والمسؤول. .وحذر الطلاب من الجدال العقيم، وقال: إخواني الطلبة والطالبات لا شك أنكم سمعتم قول رسول الله ﷺ : « **ما ضلَّ قوم بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**» . . . وإنما إخواني هي حب المعرفة والاهتمام بها، لما فيها من صلاح لأمتنا وديننا. .فاغتنموا الفرصة الآن؛ لأن بين أظهركم علماءكم، الذين أخذوا العلم من مناهله الصافية، ورهنوا أنفسهم في خدمة هذا الدين العظيم . . بعيداً عن حظ النفس أو العشيرة أو القبيلة. . فلا أحزاب تفرض علينا ما نقول، وإنما هو الله الواحد الذي بيده مقدرات الكون. .وله الدين الخالص. . . فليس بعد الله وأحكامه أي كلام. . والعلماء ورثة الأنبياء ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ [التوبة : ١٢٢] ثم أضاف مشيراً إلى العلماء الجالسين: وهؤلاء علماؤكم ينتظرون أسئلتكم، حول ما يدور في أذهانكم، فتقدموا رعاكم الله، ثم طلب من **الدكتورشاهر** أن يصعد إلى المنصة، وقدم له كرسياً. .فجلس وراء الطاولة مطرقاً برأسه إلى الأرض . . .

وقف أحد الطلبة وبدأ يقرأ من ورقة كانت بيده . . .

شيخنا الفاضل ما رأي علمائنا في الرافضة ..؟.. وهل هم متعاونون مع اليهود..؟

الدكتورشاهر إسماعيل: قبل أن أجيب عن سؤالك لا بد لي من الرجوع إلى أصل هذا الاسم ومن أطلقه عليهم..

لقد جاء اسم الرفض من الإمام زيد بن علي رحمه الله، والرفض هو الترك، وسموا رافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي فتركوه، لأنه ترحم على الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ورفض أن يلعنهما..بل وأقرَّ بخلافتهما..

خرجت القاعة عن صمتها فلا تسمع إلا..يا للهول، أيشتم خير صحابة رسول الله..؟..

استمر الدكتور في كلامه: أما رأي علمائنا في هؤلاء فهو:

هم أعظم ذوي الأهواء جهلاً وظلماً، يعادون خيار أولياء الله تعالى، من بعد النبيين، من السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، ويوالون الكفار والمنافقين، من اليهود والنصارى والمشركين، وأصناف الملحدين، كالنصيرية والإسماعيلية وغيرهم، وهم متعاونون مع اليهود والنصارى، وتعاونهم أمر مشهور..فالتاريخ سجّل لهم أحداثاً جساماً..أرجو أن تطّلعوا عليها..لأن فيها ما يشيب له الولدان...يتبرؤون من سائر أصحاب رسول الله ﷺ إلاّ بضعة أصحاب فقط...

رفع أحد الطلبة يده، فأجابه الدكتور **مؤيد** أن يتقدم أو يرفع صوته، ليتسنى للشيخ سماع السؤال بوضوح...رفع الطالب صوته:

بماذا يمتاز الروافض..وما المقدّس عندهم غير قبور أئمتهم..؟

الدكتورشاهر: إن أول صفة لهم الكذب، فهم أكذب الطوائف على الإطلاق، وينسبون ذلك إلى التقية التي يدينون بها اعتقاداً وعملاً، حتى أنهم يتكلمون بلسان ويخالفونه باطناً..ونسبوا إلى أحد أئمتهم قوله: التقية ديني ودين آبائي..

وقف الدكتور **مؤيد**: هذا سؤال من إحدى الطالبات تسأل فيه:

نحن نسمع عن حب الرافضة لسيدنا علي كرم الله وجهه. . .هذا الحب من كمال الدين، فما رأي علي بحبهم له ولأبنائه من بعده. . .

تبسّم الدكتور بهدوء: للأسف يا ابنتي إن للإمام علي رأياً مخالفاً لهم، فقد جاء في الأثر أنهم هم من غدروا بابنه الحسين رضي الله عنه، وباعوا الدنيا بالآخرة، وتخلوا عنه وقاتلوا مع عدوه، فأي زهد لهؤلاء وأي جهاد عندهم، كما ذاق منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما لا يعلمه إلاّ الله، حتّى أنه لم يتوانَ بالدعاء عليهم، فقال: اللهم إني سئمتهم، وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني. . . فهل بعد قوله قول، وهل يوجد أضل من قوم يعادون السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ويوالون الكفار والمنافقين.

الدكتور **مؤيد**: أرى بناتنا أدق في أسئلتهم من الطلاب، فهن يتحرين الدقة في أمور الدين، وهذا سؤال آخر وصلني من إحدى الطالبات جاء فيه:

هل مشايخ الشيعة هم من يوجهون أتباعهم. .وبماذا يأمرونهم، وهل فيما نسبوه لآل البيت صحة في ديننا. .؟

أطرق **الدكتورشاهر** للحظات، وتنهد بحرقة، سمعها جميع من في القاعة:

الشيعة ليس لهم أئمة يباشرونهم بالخطاب، إلاّ شيوخهم الذين يأكلون أموالهم بالباطل، ويصدونهم عن سبيل الله، يأمرونهم بالإشراك بالله، وعبادة غير الله، ويصدونهم عن سبيل الله، فيخرجون عن حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإنّ حقيقة التوحيد أن نعبد الله وحده، فلا يُدعى إلا هو، ولا يُخشى إلا هو، ولا يُتّقى إلا هو، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلاّ له، لا لأحدٍ من الخلق، وأن لا نتخذ الملائكة والنبيين أرباباً، فكيف بالأئمة والشيوخ والعلماء والملوك وغيرهم، والرافضة يشهدون الزور ويعلمون أنه كذب، وخير قول ما قاله الإمام الشافعي: ما رأيت قوماً أشهد بالزور من الرافضة، لذلك نرى لهم تلوناً فيما ورد عن علي وخالف ما هم عليه من ضلال وأهواء، فهم يخالفون أهل السنة والجماعة بكل شيء، فلا يصومون معهم، ولا يحجون كحجهم، ولا يتحاكمون إلى شرع الله، بل إلى أهوائهم وضلالهم.

وقف أحد الطلاب: سيدي الدكتور الجليل لكن الإمام الشافعي يقول:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

كيف نوفق في قوله هذا وفيما تقدم..؟..

ظهرت على وجهه ابتسامة عريضة: على رسلك يا بني..! الشافعي لم يقصد بقوله أن يكون رافضياً..إنما كان قوله هذا عندما كان يسير لحج بيت الله الحرام، فكان كلما ارتقى جبلاً أو هبط وادياً بكى وأنشد:

يا راكباً قف بالمحصب من منى واهتف بقاعد خيفنا والناهض

سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى فيضاً كملتطم الفرات الفائض

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

فلو كان شيعياً وحاشاه من ذلك، لما قال الخلفاء الراشدون خمسة، بدأ بالصديق وختم بعمر بن عبد العزيز.

كبّر الحاضرون بصوت عالٍ، اهتزت له أرجاء القاعة...فوقف الدكتور والأساتذة يكبرون معهم...

أشار الدكتور **مؤيد** لهم بالهدوء معلناً انتهاء الجلسة، على أمل اللقاء في جلسات أخرى..

خرج الطلاب من القاعة، وبدؤوا يُعيدون ما سمعوه من شيخهم، وعلامات الفرحة العارمة على وجوههم، حتى أن أحدهم أخرج مسجلاً صغيراً من جيبه، وقال للحاضرين: من أراد أن يسمع أو يدوِّن محاضرة الدكتور فهذا صوته لمن أراد...فطلبوا منه أن يدوّن الأسئلة على ورقة مطبوعة يتداولونها فيما بينهم...

* * * *

استمرت **دينا** و**إبراهام** في نشاطهما الحزبي، وقدَّما كل جهد وتفانٍ في سبيل كسب ثقة جميع أعضاء الحزب، حتى أصبحا من الوجوه الأكثر قبولاً لدى جميع الأعضاء.

كانت **دينا** تعلم حقيقة النفسية اليهودية تمام العلم، وتعلم بناءها النفسي، فحب المال كان يستحوذ على عقول الجميع، فاستغلت هذه الناحية بما يصب في مصلحتها وزوجها. . .فالثروة الكبيرة التي يتمتع بها الزوجان كان لها أثرها الفعال في شراء الضمائر والنفوس. .ناهيك عن الريع الكبير الذي يدره الكباريه بإدارة **إبراهام**. . .وخاصة بعد التطور الكبير الذي أحدثته فيه بنات الهوى. .اللواتي تعاقد معهن من أوربا الشرقية. . .فضمَّ إلى عمله مجموعة كبيرة منهن. . .وحملت كل واحدة صفة وقواماً. .يختلف عن الأخرى. . .لترضي جميع الأذواق. . .حتى غدا الكباريه من أنجح الكباريهات في تل أبيب. . .وكان لهذا النجاح أثره الكبير، في نفوس أعضاء حزب سنتر يهودا. . .واستطاعت **دينا** بذكائها وحنكتها أن تشتري الكثيرين منهم. . .

أما **إبراهام**. . .فكان ينظر إلى الأمور بالمنظار المادي من كل وجوهه. .وفي أحد الأيام وبعد خروجه من اجتماع الحزب. . .صاح بوجه **دينا**: إلى متى سأدفع إلى أولئك العجزة من أبناء يهود. . .ألا يكفي ما ندفعه في حفلاتنا كل فترة وكل مناسبة. .لم أعد أقوى على الصبر. .حاولت **دينا** تهدئته. . .فأمسكت بيده بحنان: اصبر عليَّ قليلاً وسترى ما يسرك. . .فأنا أخطط إلى شيء بعيد. . .سترى أثره في القريب العاجل. . .!!

سحب يده من يدها بغضب: أصبر. . .أصبر. .إلى متى. . .؟ أما ترين حالة الطمع. . .؟. .وكيف يلتفّون حولنا في كل مرة ليأخذوا هداياهم أو ربما ليستدينوا دون إيفاء. . .

دينا: أنتم الشرقيون لا تدركون الأمور أكثر من أرنبة أنوفكم. . .ولكننا نحن اليهود نخطط لمستقبلنا. .ونصبر على ذلك. . .إلى أن يتحقق لنا كل ما نريد. . .فهل سمعت أن يهودياً في العالم لم يصل إلى مبتغاه ولو بعد حين. . .؟.

إبراهام: دعيني من الأحلام. .فلا أسمع غيرها ولا أسمع منك إلا اشترِ. . وأعطِ. .وقدم لهذا وأهدي لذاك. . .

دينا: اصبر ولا تلجّ في الأمور. . .

إبراهام: دعيني من تخطيطك..كنت أتمنى أن يرد أحدهم هدية، أو حفلة أو **ديناً** استدانه مني..

دينا وقد بدأ الغضب يتابها، فقالت بعصبية واضحة: لماذا لا تأخذ منهم وصل أمانة لتضمن حقك...؟

إبراهام: ومن يعطي هذا الوصل..كلهم يحبون أن يأخذوا، ويعلمون أنهم لن يعيدوا ما أخذوه...؟

دينا: هل أنت غبي...؟..

صاح **إبراهام** بغضب: ماذا تقولين..ألهذا الحد وصل بك الأمر...؟

دينا بهدوء: لم أقصد الإهانة، وإنما قصدت أن تكون أكثر نباهة...يجب عليك أن تأخذ من كل دائن وصلاً بما أخذ، كي نستطيع في المستقبل استعماله في غاياتنا...

نظر إليها **إبراهام** باستغراب، كمن فاته شيء مهم...وكيف أفعل هذا بعد هذا الزمن الطويل...؟

دينا: دع الأمر لي..فعندما يطلبون منك المال أنا سأتصرف...لا تقلق...

إبراهام: وماذا ستفعلين...؟

دينا: قلت لك أنا سأتصرف...وأنت عليك أن تراقب أبناء يهود...يا يهودي..يا دخيل...ثم ضحكت ضحكة طويلة...

فما كان من **إبراهام** إلا أن شاركها الضحك، على مضض منه: أتقدرين على ذلك...**دينا**..؟

دينا: لا تجعلني أتكلم معك بكلام لا يليق...قلت لك دع الأمر لي...هل انتهينا..؟

إبراهام: نعم انتهينا..وسأصبر لأرى تصرفك الحكيم يا بنت أفيخاي...

تبسمت **دينا** بخبث: أفيخاي بنت جدعون لو سمحت...وبدأت تضحك...

وقالت: يا ابن **عباس** مدير المتعة في سوريا . . .

نظر إليها **إبراهام** دون أن ينبس ببنت شفة . . . ثم قالت له: لا تحزن. . . وأنت مدير المتعة في تل أبيب . . .

إبراهام: العمل ليس عيباً . . .

دينا بتهكم واستهزاء: نعم ليس عيباً. . .فقد ورثت عن أبيك صناعة عظيمة. .ولا أنكر أنك طورتها بألوان وجنسيات أخرى تليق بمستقبل هذا العمل الرائع. . .ثم انتابتها ضحكات. . .و**إبراهام** ينظر إليها، فما كان منه إلا أن شاركها ضحكاتها مرة أخرى. .دون انزعاج لما قالت. . .

* * * *

عائشة تسبح في الدماء

عندما انتهى المؤذن لصلاة العشاء من يوم الخميس، استعدّت سارة و**رستم** للقاء الملا تاج الإسلام..ولما همّا بالخروج، قالت له سارة: لقد فاتنا شيء مهم جداً...

ارتسمت على وجه **رستم** حالة من التعجب والاستفهام: ما هي...؟

سارة: أنسيت أن في لهجتك اللكنة الفارسية...؟

رستم: أين المشكلة...؟

سارة: هو إيراني ويعلم أنه مطلوب من قبلكم...وربما يعلم أن دمه مهدور..

رستم: بالتأكيد يعلم ذلك...

سارة: فإن سمع كلامك سينتابه الشك بالتأكيد...ولن تستطيع أن تقابله مرة أخرى..

رستم : أتقصدين...أتقصدين...؟..

أجابته على الفور: نعم أقصد أن تنفذ اليوم..أو ترسل غيرك من العراقيين، من أبناء شيعتنا حتى لا يشك بالأمر...

رستم: أما أن نرسل عراقياً فهذا غير ممكن..

سارة: ولِمَ...؟

رستم: لأن العراقي ليس مدرباً بما يكفي لهذا العمل...وكذلك أنا المكلف بهذه المهمة لا أحد غيري..

سارة: ومن سيعلم..وخاصة بعد انتهاء المهمة...فيمكنك أن تقدم بعض المال للمنفذ وينتهي الأمر...؟

رستم: المشكلة ليست في المال...ولكن في فشل المهمة..لأنني عندها سأقع في مصيبة كبيرة لن أخرج منها...فأنظار السادة هناك متجهة نحو بغداد، منتظرة أن

يأتيها ما يسرها. . .لا. . .لا. . .لا يمكنني القبول. . ؟

سارة: إذن ما العمل في هذه الحالة. . . ؟

رستم: يبدو أن الحل الوحيد ما قلتيه. . .

سارة: تنفذ المهمة اليوم. . ؟

رستم: ليس في يدي غير هذا. .

اضطربت سارة: بدأت أشعر بالخوف. . !!

رستم: أنت من أشرت عليَّ بهذا الاقتراح. . فما بالك الآن. . ؟

سارة مرتعدة: لست أدري. . فلا أستطيع السيطرة على نفسي. . وخاصة بعد أن أصبح الأمر حقيقة. . فلو تدعني هنا وتنفذ مهمتك مع رجالك. . .

رستم: لقد سرنا بهذا الأمر معاً وسنبقى حتى النهاية. . ولا تنسي المال الذي ستأخذينه. . ؟

سارة: لا أريد المال. . كفاني ما أخذته. .

تقدم إليها **رستم** وضمها إلى صدره بحنان مصطنع: ماذا ستقولين للسيد نيروز الموسوي. . عندما يعلم أن المهمة فشلت بسببك. . ؟

وما إن سمعت باسم نيروز حتى تغير لونها وأومأت برأسها. .

رستم: أحسنت فهذا عهدنا بكم أبناء العراق، وشيعة أبي عبد الله. .

سارة: هلمَّ بنا إذن ولننتهِ من هذا الأمر بسرعة. .

صاح **رستم** على بقية مساعديه وانتقى منهم واحداً لقَّب نفسه بعباس المظلوم. . ثم انطلقوا جميعاً ومعهم عبد الحسين يقود السيارة. . وعندما وصلوا إلى البيت. . طلب **رستم** منهما أن يكونا على مسافة قريبة منه حتى يستطيعا الفرار بسرعة. . . قبل أن يأتي المدد والمساعدة من الأمن وسكان المنطقة. . .

اعتلت الصفرة وجه عبد الحسين وبدأت شفتاه ترتجفان: أرجو ألا تتأخرا. . لأن وجودنا في الشارع سيلفت نظر سكان المنطقة ونقع في المحظور. .

رستم: أرجو ألا يطول الأمر..ثم سار باتجاه منزل الملا تاج وهو يقول ويستغيث: لبيك يا حسين..يا لثارات الحسين..يا أمير المؤمنين جئتك طامعاً برضاك، فخذ بيدي وكن معي، فإنك نعم الصاحب والمعين..وظلَّ يرتل تلك العبارات...إلى أن وصل..

وما هي إلا لحظات حتى خرجت عائشة لتنظر من بالباب...فلما وقعت عيناها على سارة عرفتها على الفور فتبسّمت في وجهها: أهلا وسهلاً...لحظات ويخرج إليكما أبي..

صاح الملا تاج من الداخل: من بالباب يا عائشة...؟

وما إن سمع **رستم** باسم عائشة حتى انتفخت أوداجه وبدأت أعصابه تتوتر...

نظرت إليه سارة فعلمت ما به..فأخذت بيده وضغطت عليها مهدأة...

عائشة: بابا جاءنا ضيوف..

الملا: أدخليهم يا بنيتي..

عائشة ببراءة الأطفال: تفضلا...ومشت أمامهما إلى غرفة الجلوس...

جلس **رستم** وسارة..والتوتر ظاهر عليهما، و**رستم** ينظر إلى الباب بعيون شاخصة...نظرت إليه عائشة فانتابها الخوف من حدَّة نظراته، وكثرة تلفته يميناً ويساراً...فذهبت إلى الخارج..فرأت أمها تغيراً في وجه ابنتها، فسألتها: ما بك يا عائشة..؟

عائشة: ماما في الغرفة رجل مخيف..لقد نظر إلي وكأنه وحش يريد أن يأكلني..

تبسّمت الأم في وجهها مخففة عنها خوفها...وأجلستها..وانطلقت مسرعة إلى زوجها: قلبي يخبرني أن ضيوفنا وراءهم شيء غير طبيعي...!!

الملا تاج: لا تقلقي...فربما أتيا لمسألة خاصة..!

الزوجة: لكن عائشة خافت منهما على غير عادتها مع الضيوف..!!

الملا تاج: عائشة ما زالت طفلة، ولا تدرك تفسيراً صحيحاً للوجوه..فلا تقلقي..

الزوجة: قلبي ينذرني بخطب خطير..ثم سبقت زوجها ونظرت إليهما من شق الباب، وعادت إليه مسرعة، وقد انتهى من ارتداء ملابسه هاما بالدخول إليهما فقالت له: وجه الرجل يخبرني أنه ليس عراقياً..وأظنه إيرانياً...!!

الملا تاج: لو أراد شرا ما أتى بامرأة معه..وإنما أتى وحده؛ لأن المرأة تعيق حركته...وكذلك لفعل فعلته خارج البيت لا بداخله...فأبعدي عنك هذه الوساوس..ودعيني أدخل إليهما...فقد تأخرت عليهما، وهذا ليس من شيم المسلمين، ولا حق الضيف على مضيفه...

أذعنت الزوجة تحت إصرار زوجها، وابتعدت عن طريقه...

بعد دخوله مباشرة، وقفت عائشة أمام الباب تنظر إليهم من فتحة المفتاح..

رحَّب الملا تاج بضيوفه ، والبسمة لا تكاد تفارق وجهه...ونظر إلى **رستم** ورأى على وجهه علامات القلق....فنظراته واتساع حدقة عينيه وكثرة حركتهما..جعلته يشك به..لكنه تمالك نفسه ولم يبد لهما أي تغيير... وقال موجهاً كلامه لسارة: أهذا زوجك..؟

أحسّت سارة بنشفان ريقها، وبدأ لونها يميل نحو الاصفرار، وراح الشحوب يعطي ظلاله وأجابته بتلكؤ وتعتعة: نعم...إنه...إنه..زو....زوجي..

نظر إليه الملا تاج: أهلا وسهلاً...ما المشكلة..؟

التفت إليه **رستم** والتوتر ظاهر على وجهه ويداه ترتعشان بشدة، وقال بلكنته الفارسية: أهلاً وسهلاً..

عندئذ عرف الملا تاج سبب مخاوف زوجته وابنته عائشة..وبدا له الأمر أشبه بكابوس طويل لا يريد أن ينتهي...

لكن **رستم** عاجله..فأخرج من جيب قميصه سكيناً حاداً، وانقضَّ عليه...فصده الملا تاج بيده لكن الضربة كانت أسرع إليه فقطع نصف ساعده،

وانهال عليه بعدها بعدّة طعنات أصابت أنحاء جسده..

وما إن رأت عائشة دماء أبيها، حتى صاحت مذعورة على أمها: ماما...ماما...لقد قتلوا أبي..لقد قتلوا أبي...!!

سارعت الأم إلى الغرفة، فرأت زوجها ملقى على الأرض يتخبط بدمه...فعاجلها **رستم** بضربة حاقدة على رأسها..فارتمت على الأرض، وأخذت تصيح على الجيران بأعلى صوتها..لكن **رستم** وسارة خرجا مسرعين..ثم أبطأ **رستم** بخطواته، واستدار متجهاً نحو عائشة وبيده سكينه...قد صكَّ أسنانه: يا فاجرة يا عاهرة..لكن سارة ارتمت عليه، وسحبته بكل قوتها: لا وقت ل**دينا**، انطلق فوراً قبل أن يأتي الجيران فيقتلونا..

انصاع **رستم** إليها دون وعي منه، وقد تغيَّر وجهه..حتى غدا كأنه خارج من القبر..وركض الاثنان معاً واستقلا السيارة..وانطلقت بسرعة جنونية، حتى خرجا من المنطقة وتوجها فوراً إلى بيتهما وجلسا فيه..وبدآ يزيلان عنهما آثار الدماء...

* * * *

فما كان من عائشة إلى أن جلست بالقرب من أمها وأبيها الذي كان يغرغر بروحه وصوت شخيره قد علا..فجلست بوقار في بركة الدماء، وبدأت تقرأ لهما القرآن..ولم تذكر إلا قوله تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾ [الفجر] وأخذت ترددها مرات ومرات..إلى أن دخل عليها الجيران فرؤوا أباها وأمها ملقيين على الأرض والدماء قد غطت المكان..حتى غدا كأنه مسلخ لذبح الخراف...فهرعوا على الفور فحملوا الملا تاج والأم ليقلوهما إلى المستشفى..لكن الملا تاج هدأت نفسه، وتوقف شخيره، ولفظ أنفاسه الأخيرة، قبل أن يصل إلى باب المنزل..وأسرعوا خطاهم لإنقاذ الزوجة، وانطلقوا بها إلى المستشفى..وظلَّت عائشة جالسة في بركة الدماء، قد أصابتها الدهشة، فجفَّت دمعتها..وغطت يداها الصغيرتان الدماء فلم تعد ترى إلا اللون الأحمر..فأسرعت إحدى النساء، فحملتها مع أخيها وانطلقت بهما إلى بيتها

وضمتها إلى صدرها. . .وعيناها تذرفان الدموع الغزيرة لهول ما رأت. . .لكن عائشة أصابها الانهيار، وتوقفت عن الكلام، فلا تسمع إلا أنفاسها المتسارعة. . .ولا تحسّ إلا ببرودة يديها الصغيرتين، على الرغم من حرارة الجو المرتفعة. . .

فلما أدخلتها المرأة إلى الحمام لتغسل عنها الدماء وتصلح حالها، بدأت عيناها تفيضان بالدموع دون صوت، وصورة أبويها أمام ناظريها لا تفارقها. . .فلما رأت المرأة بكاءها، انكبّت عليها ضماً وتقبيلاً، وحملتها بسرعة إلى الغرفة. . .لكن عائشة بدأت بالارتعاش، وبدأ وجهها بالشحوب. .فقالت لها المرأة: هل أصابك البرد. .يا حبيبتي. .؟

لم تنبس ببنت شفة، بل أومأت برأسها. . .فانطلقت المرأة، فأحضرت مدفأتها الكهربائية، ووضعتها أمامها. .وبقيت على حالتها لأكثر من ساعة. .والارتعاش لم يتغير حاله، بل تسارعت ضربات قلبها. .وازدادت رعشتها وبرودة أطرافها. .فصاحت المرأة على زوجها وهي مذعورة. .وما إن رأى حالها. .حتى انطلق بها إلى مستشفى النور القريبة من مسجد الإمام أبي حنيفة. . .فأدخلت العناية المشددة. . .

* * * *

فتيات على فراش الآيات

اعتلى **آية الله مهدي**، إحدى الشرفات القريبة من قصره، وإلى جانبه **آية الله محمد** الطوساني، وبعض قادة ميلشياته..وبعد لحظات مرت من أمامهم مجموعة الفتيات من أبناء السنة..

راح آية الله مهدي يتأمل وجوههن .. حتى استقرت عيناه على طفلة صغيرة لم تتجاوز الحادية عشرة من عمرها .. سوداء الشعر بيضاء اللون، واسعة العينين نحيلة الجسم طويلة القامة ... أشار إلى أحدهم أن يخرجها من الطابور ... ثم بدأ يتأمل الأخريات ، واستقرت عيناه على أخرى، ثم أخرى ، ثُم أخرى ، حتى عدَّ منهن سبع فتيات... والتفت إلى **آية الله محمد**: -أما الباقيات فهن متعة لرجالنا الآن.. وغداً ..

آية الله محمد: أدام الله ظلك يا مولاي...!!

أشار مهدي إلى الفتيات أن يقتربن منه..وما إن وقع نظره عليهن حتى اشمأزت نفسه... فقال لسكرتيره : اذهب بهن إلى النساء ليصلحن حالهن..ثم أرسلهن إلينا..

السكرتير بخنوع : حاضر يا مولاي...ثم أمر الفتيات بالسير وراءه...فأمسكن بأيدي بعضهن بعضاً والخوف والرعشة ظاهران عليهن ..

سألت إحداهن صاحبتها إلى أين سيأخذوننا..؟ ولماذا أبعدونا عن باقي الفتيات..؟

أجابتها صاحبتها بخوف: لست أدري...؟

دخلت الفتيات إلى بيت يعجُّ بالنساء المتبرجات والمؤتزرات بقماش لا يكاد يستر عوراتهن، وقال لهن السكرتير: استلمن...

تقدمت إليه رئيسة النساء: ما خطبهن..؟

السكرتير: أصلحن حالهن.. فالإمام يطلبهن..

أجابت الرئيسة على الفور: سمعاً وطاعة للإمام...والتفتت إلى الفتيات: ورائي..هيّا...هيّا...!!

وبعد عدة ساعات عاد السكرتير إليهن، فوجدهن على غير الحال الذي كنَّ عليه..فأمرهن بركوب السيارة وانطلق بهن إلى بيت إمامه...

أوقفه الحرس عند الباب، وأخذ يتأمل الفتيات..لكن وجود السكرتير معهن..منعه من طرح الأسئلة..وأشار عليهن بالدخول...

أُدخلت الفتيات ووقفن أمام الإمام، الذي أمعن النظر فيهن، وأطال في التأمل، ثم قال لإحداهنَّ: ما اسمك..؟

بدأت الفتاة بالارتعاش خوفاً منه..

آية الله مهدي: لا تخافي..وأخبريني..ما اسمك..؟

استعادت الفتاة أنفاسها وأظهرت الهدوء: أسما...أسماء..

هزَّ مهدي رأسه بعصبية: على اسم بنت الكافر...

نظرت أسماء إليه مستغربة، لما قال، فأرادت أن تصحح له اسم أبيها، ظناً منها أن الإمام يعتقد أن اسمه كافر..لكن الخوف منعها من التكلم، فحبست أنفاسها، وأطرقت إلى الأرض، لا تستطيع النظر في وجهه..

استدار بعينيه إلى صديقتها: وأنت ما اسمك..؟

أجابت الفتاة على الفور، بعد أن رأت الأمان مع صديقتها أسماء: اسمي شيماء...

همهم بصوت مسموع ثم سأل الأخرى: وأنت ما اسمك..؟

أجابته الفتاة دون أن تنظر بوجهه: عصماء...

هزَّ رأسه وهمهم مرة أخرى، وانطلق إلى الأخرى..ثم الأخرى..وما إن انتهى، حتى أشار إلى إحدى النساء أن تدخلهن إلى البيت، وصرف سكرتيره..ودخل

بيته..

تأملت الفتيات المكان، تعضد إحداهن الأخرى، وتشدُّ على يديها...

تقدمت إحدى الخادمات إليهن وأدخلتهن إلى إحدى الغرف ثم خرجت، وبعد بضع دقائق عادت تحمل بيديها بعض الخبز والجبن..ووضعته أمامهن..

نظرت الفتيات إلى الطعام بزهد، دون أن يحرك الجوع فيهن شهوته، وأطرقن برؤوسهن والخوف بادٍ عليهن..ثم غادرت الخادمة دون أن تكلمهن...وبعد ساعة من الزمن، عادت لتجد الطعام على حاله، دون أن يُلمس أو ينقص منه شيء..

فحملته متأففة...وقبل أن تغادر استدارت إليهن: إن علم الإمام برفضكن الطعام، سيكون حسابكن عسيراً...وعسيراً جداً...!!

نظرت الفتيات بعضهن إلى بعض بخوف، لكن أسماء قالت لهن: أنسيتن ما فعل هؤلاء بأهلنا..فما قيمة الحياة بعدهم...؟

تشجعت عصماء: نعم والله..لا طعم للحياة بعدهم...ولكن ماذا يريد منا الإمام..؟

قلبت أسماء شفتها معبرة بها عن عدم معرفتها...

تدخلت شيماء في الحديث: ربما سنعمل خادمات في هذا القصر...!!

أسماء: ربما...

إحدى الفتيات: لكن الخادمات هنا كثيرات جداً...

أجابتها شيماء: ربما يريدون صغيرات السن...ليتعلمن العمل منذ الصغر...

وهنَّ في جدالهن..دخلت الخادمة مرة أخرى إليهن، وطلبت منهن الهدوء؛ لأن الإمام نائم...

أطبقت الفتيات أفواههن، على مضض وخوف..وجلسنَ قريبات من بعضهن...وأخذن ينظرن إلى الباب، ليدخل إليهن أحد بقرارات وأوامر جديدة..وظلَّ هذا حالهن إلى ما قبل منتصف الليل، فبدأ النعاس يغالب أعينهن...حتى بدأت واحدة تلو الأخرى تغط بالنوم..

بعد منتصف الليل..دخلت عليهن الخادمة، فأيقظت إحداهن وأخذت بيدها وانطلقت بها إلى الخارج، دون أن تتكلم معها...ثم أدخلتها إلى إحدى الغرف الكبيرة...وأجلستها على السرير وقالت لها: لا تتحركي وابقي في مكانك...

استجابت الفتاة لطلبها، فتقوقعت في مكانها، وراحت تنظر باتجاه الباب، تنتظر القادم...ولم يتأخر انتظارها إلا لحظات...حتى فُتح الباب بهدوء، ودخل **آية الله مهدي** ميرزا..فتقدم إليها وجلس إلى جانبها..فأخذ يتلمسها وينزع عنها ثيابها، فابتعدت عنه بسرعة كمن لدغتها عقرب..لكن الإمام عاجلها، وأخذ بيدها يجرها إليه، وبدأت بالصراخ...

استيقظت الفتيات عند سماعهن صراخ صديقتهن، فأصابهن الهلع والخوف...حتى أن شيماء قالت: ربما سيذبحونها ويأكلونها...

أجابتها إحداهن والخوف في عينيها: أتقولين الصدق...؟..

شيماء: ألم ترِ نظرات الإمام وهمهمته عندما كان ينظر إلينا...

وبعد لحظات أُعيدت الفتاة إلى الغرفة وهي ترتجف من الخوف...وأخذت أخرى...

تقدمت إليها الفتيات مستفسرات عما يجري، فلم تجبهن إلا بدمعات غزيرة، سقطت من عينيها...وبعد برهة علا صوت الفتاة الأخرى أيضاً..لكن وبلحظات معدودة..اختفى صوتها نهائياً...فأصاب الفتيات حب الفضول على الرغم من الخوف الذي أصابهن..فتقدمت إحداهن تنظر من شق الباب، فرأت الخادمة تحملها بين يديها..وما هي إلا برهة حتى رمت بها داخل الغرفة..

نظرت الفتيات إليها بخوف شديد، وأمسكن بأيدي بعضهن البعض..كمن تنشد إحداهن الأمان عند الأخرى، وتستغيث بها ألا تتركها...لكن الخادمة نظرت إليهن باحتقار وجبروت وانصرفت...

تقدمت الفتيات من صديقتهن، فرأينها قد بالت في ثيابها من الخوف..فأخذن غِطاءً وألقينه عليها..ولا يعلمن ما دار في منتصف الليل مع الفتاتين...

* * * *

شعر **الدكتور شاهر** ببعض المرض في جسده، لكنه تحامل على نفسه، وجاء

إلى المدرسة..غير أن صحته ساءت مع أول ساعة من النهار..فعاد إلى غرفته واضطجع على الأريكة..وأخلد إلى النوم ليستعيد قواه..بعد أن طلب من الدكتور **مؤيد** حبنكة إتمام الدرس عنه..

لم يكن الدكتور **مؤيد** أقلَّ علماً من صاحبه...فسرعة بديهته كانت السمة الغالبة عليه...وكثرة حفظه للمسائل الفقهية، أكثر من أن تحصى..فقد حباه الله تعالى بالقدرة على الخطابة والإلقاء..حتى غدا أحد البارزين في المدرسة...ولم يمنعه علمه الغزير من أن يتعمق في عقائد الشيعة وخزعبلاتهم، وتعديهم على شرع الله كذباً وافتراء...وقد وجد في تكليف الدكتور إليه بمتابعة الطلبة مناسبة ليفرغ ما عنده من علم في عقول طلابه...

طرق الباب ودخل القاعة...نظر الجميع إليه مستغربين غياب **الدكتور شاهر** عنهم...فقال: إخواني الطلبة: لقد أصيب الدكتور بوعكة صحية ألَّمت به، وهو الآن في غرفة الإدارة، ينشد بعض الراحة، وقد كلفني بالمحاضرة عوضاً عنه..فهل تقبلوني هذه الساعة ضيفاً عندكم ثم تبسم...؟

أجابه الطلاب: أهلاً وسهلاً بك...

الدكتور **مؤيد**: لن أخرج عن منهاج **الدكتور شاهر**، وسوف أكون مكمِّلاً لما بدأه معكم...وأظن أن مادته تتناول عقائد الشيعة، والأحكام التي استحدثوها عبر الزمن...أليس كذلك..؟

الطلاب: بلى...!!

الدكتور **مؤيد**: باسم الله نبدأ...إخواني الطلبة من عادتي أن لا أتكلم وءنفرد في القاعة وحدي..ولكن يعجبني طرح الأسئلة والحوار المتبادل..لأنه كما تعلمون أقرب للفهم وأرسخ في العقل...

أجابه أحد الطلبة: والله..هذه طريقة **الدكتور شاهر** حفظه الله تعالى...

الدكتور **مؤيد**: بارك الله فيك وأشار إليه أن يجلس...ثم بدأ بالقول: مع غياب الدولة الإسلامية حيناً وضعفها حيناً آخر..وامتداد الأرض المفتوحة للمسلمين،

ودخول أقوام غير عربية في الإسلام، فشا اللحن في اللغة العربية. .وبما أن درسنا لا يتناول هذه الجانب، فإنني أتجاوزه إلى ما هو مهم فيه، ألا وهم الأقوام الفارسية، الذين دخلوا الإسلام بعد انهيار الدولة الكسروية، أمام جحافل جيوش المسلمين العتيدة. . .فدخولهم الإسلام لم يكن عن قناعة ترتجى، أو فطرة دفعتهم إليه. .وإنما عن حقد وضغينة، وحب الثأر كان السبب الكامن وراء إسلامهم. .

رفع أحد الطلبة يده: هل جميع الفرس دخلوا الإسلام على هذه العقيدة التي تقدمت بها. .؟

الدكتور **مؤيد**: بالطبع لا. .لكن الشيطان كان أقرب إلى الكثيرين منهم، فباض في عقولهم، ورسّخ فيها، حتى استخرج عقيدتهم الإباحية التي أنشأها مزدك، ثم أعطوها صفة شرعية بمسميات إسلامية وأدخلوا عليها بعض الأحكام، التي نُسِخَتْ في عهد الرسول ﷺ . . .

ومع مرور الزمن وضعف الدولة الإسلامية، كبرت شوكتهم، ونمت عقيدتهم حتى استولوا على الخلافة العباسية . . وأقاموا دولتهم الباطنية ، تحت اسم الدولة البويهية. . . التي حكمت ما يزيد عن مائة عام . . أحدثوا خلالها في الإسلام هدماً. . وفي أحكامه شراً. . فنشروا الفاحشة ، وتعدوا على حرمات الله. .وغيروا وبدلوا الكثير من المفاهيم الصافية .

أحد الطلبة: وماذا كان موقف علماء الأمة من ذلك. .؟

الدكتور **مؤيد**: أما علماء الأمة فهم كما نحن الآن. .وقفوا في وجههم، وسفهوا أحلامهم وفضحوا مخططاتهم ، وفندوا دسائسهم. . .أتعلمون كيف كان. . .؟. . . بالطبع كان ما قاله الله تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر : ٩] ، فقد منَّ الله على هذه الأمة أن جعل علاجها في علمائها، فلا يتعطل حكم أو يُعتدى على شرع الله إلا كانوا جبالاً يصدون الغيَّ ويُحقّون الحق مكانه. . .

أحد الطلاب: لقد سمعنا أن عندهم أحكاماً وفقهاً . . . فلعلك تحدثنا عن فقه

الزواج عندهم مع بعض الأمثلة . . لو سمح وقتكم بذلك . .

الدكتور **مؤيد**: أتقصد أحكام النكاح والطلاق . . . ؟

الطالب: أقصد المتعة تحديداً . . .وكيف تجري الأمور بين ظهرانيهم . . .ومكانة المرأة بين تلك الأحكام . . ؟

الدكتور **مؤيد**: ليس للمرأة أي شأن أو قيمة عندهم غير التمتع بها . .فهي كالآلة التي تتناقلها الأيدي بعد قضاء الوطر منها . .حتى أصبحت كسلعة لا قيمة لها بين البشر . .فإن أردتم أن أقدم لكم أمثلة حقيقية فلا مانع عندي . .إلا أنني أفضل عدم ذكرها لفجور محتواها . .

الطلاب: أخبرنا شيخنا لتعم الفائدة . . .

الدكتور **مؤيد** سأذكر بعض الحالات التي جرت عندهم . . .وإليكم هذه الحالة:

مجموعة من الطلبة يأتون بامرأة ساقطة يصيبها أحدهم، حتى إذا خرجت أخذها الآخر . . .وهكذا وتحت مسمى المتعة . . .

أما العدة عندهم فهي أقبح من الزنا فيمكن الاحتيال عليها، بأن يتمتع الرجل بالمرأة حتى إذا انتهى الأجل، عقد عليها مرة أخرى ثم يطلقها قبل أن يجامعها لتحل بزعمهم على من يريد التمتع بها متى شاءت، احتيالاً على قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً** ﴾ [الأحزاب : ٤٩] .

صاح أحد الطلاب: يا الله ما هذا العهر . . ؟

الدكتور **مؤيد**: أتريدون المزيد . . . ؟ . .

أحد الطلبة: لو سمحت . .

الدكتور **مؤيد**: سأذكر فتوى لأحد فقهائهم . .وننتهي من هذا الموضوع بعد ذلك . .

سُئل رجل فقيه عن إتيانه أخت زوجته، التي جاءت لتخدم أطفال أختها بعد دخولها المستشفى، فقال له: طلّق زوجتك دون أن تخبر أحداً يمكن أن يخبرها بذلك،

حتى إذا رجعت زوجتك إلى بيتها انو إرجاعها إلى عصمتك ولا إشكال في ذلك..

مع العلم أن أخت الزوجة محرمة على الرجل طالما كانت أختها على ذمته، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاتي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٢٣].

فهل بعد قول الله قول...إخواني هذا فقههم، وهذه ديانتهم....هذه أحكام المجوس..إنها الإباحية..إنها الرذيلة، التي لا شكَّ فيها...وقد أحببت أن أقدم لكم بعض الأمثلة في هذه الساعة..ولا حاجة بعد ذلك للاستشهاد بغيرها..فالزمن كفيل أن يريكم آلاف الحالات لما ذكرت...وخاصة إخواني إذا علمتم أن هذه الأمور وصلت إلينا، وصارت في عقر دارنا وبين ظهرانينا..فمقام السيدة زينب ليس عنا ببعيد..وحالات المتعة والتشيع أخذت تضرب بجرانها في كل المنطقة وقد خصوا بلادنا بها..لأنها مهد المسيح ومكان نزوله آخر الزمان...ثم نزل عن المنصة وانطلق خارجاً، بعد أن أحدث في قلوب الطلبة وعقولهم تأثيراً كبيراً، وتركهم يتحدثون مستغربين بما سمعوا ...

* * * *

حياة جديدة

مع مرور الأيام استعادت هايدي بعض صحتها، فلازمت أباها تعينه على قضاء حاجته وتقدم له الطعام بيدها. . واستمر هذا حالها إلى أكثر من سبعة أشهر. . .

كانت إدارة الهجرة وشؤون اللاجئين، تتساهل معهما لسوء صحة أبيها. . .إلى أن تقدمت هايدي بطلب اللجوء الإنساني. . مما عرَّضها للتحقيق بعد أن تحسَّنت صحتها، وأصبحت قادرة على الإجابة. . .

كان لتعاطف بعض الجهات الإنسانية معها، ولمرض أبيها الذي تسببت فيه شرطة السواحل، أثره الكبير عند الجهات المسؤولة مما عجَّل في قبولهما كلاجئين. . .فقدمت لهما شقة صغيرة على الساحل الشرقي من الجزيرة، وفرشتها ببعض الأثاث القليل. . .ونقلت هايدي وأباها إليها. . .مما دعا هايدي لأن تبقى كل الوقت إلى جانبه. . .

كانت هايدي تنظر إلى أبيها بادئ الأمر بحنان البنت العطوفة. . ومع مضي الأيام وبقاء والدها على حالته المزرية. . بدأ اليأس يدب في نفسها شيئاً فشيئاً. . .فكانت تجلس على شرفتها الصغيرة، المطلّة على البحر، تتأمل غروب الشمس بعينيها الدامعتين، وقلبها وعقلها كانا في مكان آخر. . .

في أحد الأيام عقدت العزم على التحرك في إنهاء محنتها. . .فجلست أمام أبيها وخاطبته: أبي علينا أن نغيّر واقعنا. . .أليس كذلك يا أبي. .؟

لم يعر عباس لقولها أي اهتمام، فنظره جاحظ في سقف الغرفة، ورقبته مائلة على كتفه. . .

ثم أضافت: لقد خرجنا من بيروت إلى قبرص لنتصل بأخي مصطفى. . .وعلينا أن نسعى للاتصال به. . .ثم أعادت النظر إليه مشمئزة. . فابتعدت عنه مسرعة بعد أن

أغلقت أنفها. . .ثم قالت بعصبية: إلى متى سأنظف من تحتك. . .وبدأت بالبكاء وتركته وعادت إلى شرفتها، تتأمل البحر بموجاته المتكسِّرة على الشاطئ. . .وظلَّ هذا حالها لساعات طويلة. .إلى أن أصابها النعاس، فدخلت إلى الصالون. .فوجدت أباها نائماً ورائحته قد ملأت الشقة. . .فسارعت على الفور بوضع وصلة قماش على وجهها، لتمنع عنها وصول الرائحة الكريهة. .وراحت تنظف من تحته. .ثم وضعت له فوطة كبيرة وأحكمتها بقطعة نايلون. . .وهي تتمتم لاعنة حظها العاثر. . .وتركته على حاله وأحكمت الغطاء عليه. .وتوجهت إلى غرفتها وأخلدت إلى النوم. . .

* * * *

سارع رستم ومساعدوه إلى السفر. . .وحجز سيارة لتقلهم إلى إيران. .لكن آية الله نيروز أرسل إليه وطلب منه التريث بعض الوقت. .فسأل رستم عبد الحسين: ولِمَ التريث. . .انتهت مهمتنا وعلينا المغادرة فوراً. .

عبد الحسين: أنا عبد مأمور. .وعليك إطاعة السيد. . .

خرج رستم عن هدوئه المصطنع: لا طاعة لأحد علينا إلا في إيران. . .

كتم عبد الحسين غيظه: على كل حال، طريقنا سيمر بالنجف. .ورؤيتكم للسيد نيروز ضرورية. .ولا تنسَ أنني وسارة اشتركنا معك في هذه المهمة. . .فليس من اللائق تركنا دون أن تشكر السيد. . .

أذعن رستم لطلبه على مضض. .فاستقلوا السيارة، وغادروا مسرعين لا ينظرون وراءهم. .وبعد ساعتين حطّت بهما أمام منزل آية الله نيروز. .فأدخلهم مرحباً وقال لهم: أفلحت الوجوه. .

نظر إليه رستم دون أن يرد عليه. . .فرد عليه عبد الحسين: أفلح وجهك يا مولاي. . .

آية الله نيروز: لقد رفعتم رأسنا عالياً. . .وبهمة ومباركة الأئمة الأطهار، ستكون هذه العملية أولى اللبِنات في ثورتنا، وتحرير مقدساتنا من رجس الكفرة. .

وما إن سمع رستم هذا الكلام حتى استعاد بعض هدوئه، فأومأ له وبشَّ في

وجهه: مولاي. . .علينا المغادرة الآن فوراً قبل أن يشتدَّ علينا الطلب. .

نظر إليه آية الله نيروز بهدوء: ولِمَ العجلة. .ألا تعلم أن تاج الإسلام رجل إيراني. . .وأن أول ما يتبادر إلى ذهن المحققين أن يكون المنفذ إيرانياً. .وبذلك يقومون بربط الحدود والتفتيش الدقيق. .مما يُسهِّل القبض عليكم. .!!

أصيب رستم ومساعدوه بالقلق: وما العمل إذن. .؟. .هل نبقى حتى يعتقلونا. . وأنت تعلم أن النظام لا يرحم وسنُعدم في ساحة عامة. . .!!

آية الله نيروز: كل شيء قد حُسِب حسابه. . .ولكن هل رآكم أحد عند تنفيذ مهمتكم. .

رستم: لا أحد. .؟

تدخلت سارة على الفور: كيف لا أحد. .وعائشة ألم ترانا جيداً. . .؟

ضرب رستم على جبينه بقوة: يا للعباس. . .لقد نسيت. . .ولكن أنت منعتني من قتلها. .فلو قتلتها لكنّا الآن في بر الأمان. . .

أجابه آية الله نيروز بهدوء: كان عليك أن تتصرف دون إذن النساء. .يبدو أنك سلمت القيادة لهنّ. .

رستم: لا. .وهل يُعقل أن تقودني امرأة. . .؟

هزَّ آية الله نيروز رأسه بسخرية: هكذا إذن. . .!!

رستم: نعم. . .نعم. .

وهم في حالتهم تلك دخل إليه أحد أعوانه، وتقدم إليه هامساً له بكلمات ثم انصرف على الفور. . .

بدأ وجه آية الله نيروز بالتلون. . .ووجّه كلامه على الفور إلى عبد الحسين: خذ الجميع بسرعة إلى مزرعة مصطفى عبد اللطيف. . .

أصيب عبد الحسين بالهلع: وماذا نقول له. . .؟

آية الله نيروز: هو يعرف الموضوع. . .وستبقون هناك إلى أن يخفَّ عنكم

الطلب...

نظر رستم ومساعدوه بعضهم إلى بعض بحيرة لما يجري...لكن صبرهم نفد فقال رستم: أخبرنا ما الذي يجري...؟

آية الله نيروز: كما توقعنا هناك تشديد على المنافذ الحدودية، وقد أُلقي القبض على أكثر من مائة رجل وامرأة...

لما سمعت سارة كلمة امرأة أصابتها نوبة من الخوف، اهتزَّ على أثرها جميع جسدها، وأخذت تهذي وتكثر من التلفت، وكأن أحداً يراقبها ويتعقبها أينما ذهبت... فلم تعد تطيق الانتظار، فصاحت في رستم: ماذا تنتظر أتريد أن تبقى إلى أن نُعتقل ثم نُعدم...؟

وقف رستم على الفور وغادر مع أتباعه إلى المزرعة...

وبقي هناك لأكثر من أسبوع...لكن المتابعة الحثيثة من قبل رجال الأمن كانت أكبر من انتظارهم، فظلّت حالات الاعتقال لمن يُشك به مستمرة...إلى أن وصل الأمر إلى النجف وكربلاء ، حيث زرع رجال المخابرات رجالهم في المنطقة، ليصلوا إلى طرف خيط يوصلهم إلى الجناة..

علم آية الله نيروز بما يجري، فشعر بالخوف الشديد، فسارع على الفور للقاء رستم، وطلب منه المغادرة فوراً..

أصيب رستم بالخوف وقال له مستجدياً: وكيف سأغادر والأمن في كل مكان...؟

آية الله نيروز: لقد هيأنا لكم طريقة آمنة للمغادرة...وسيكون السفر قبل بزوغ الفجر..فجهزوا أنفسكم لذلك..

بدأت حدقتا عين رستم بالاتساع خوفاً من المجهول، فتسارع الأحداث لم تكن في حسبانه، فارتدى ثيابه على عجل، ووقف كالطفل أمام آية الله نيروز: أنا جاهز..

نظرت إليه سارة بعينين دامعتين: أتريد المغادرة وتتركني هنا، وأنا من

ساعدك في مهمتك. . .

نظر إليها بلا مبالاة. .ولم يعرها أي اهتمام. . .

فما كان من سارة، إلا أن أخذت بتلابيبه وهزته بعنف: أيها الجاحد الحقير. .

فما كان منه إلا أن دفعها بقوة ورماها على الأرض. . .وآية الله نيروز ينظر إليهما بلا اهتمام ولا عاطفة، وكأنه ينظر إلى مسرحية هزلية تعرض على التلفاز. . .

بعد منتصف الليل وصلت سيارة أقلّت المقيمين، وانطلقت على عجل متوجهة نحو الأهوار. .ليجدوا مركباً صُنع من القصب، فقذفوا بأنفسهم فيه منبطحين، فانطلق بهم مسرعاً إلى وجهته. .

* * * *

استعادت عائشة بعض صحتها، لكن دمعتها ظلّت ترافقها في كل لحظة، فصورة أبيها متخبط بدمه أمامها لا تفارقها أبداً. . .لكن عزاءها بقاء والدتها حيّة في العناية المشددة، فكانت تدخل إليها وتجلس أمامها، آخذةً بيدها تقبلها وتضعها على صدرها، كمن تنشد الدفء والقوة من كفها. .والأم تنظر إليها بحنان الأمومة، وتسحبها إليها على الرغم من ضعفها وخور قواها، لما فقدته من دماء. . .

كانت الأم من القوة، بحيث استطاعت مع دخولها المستشفى، من إعطاء إفادتها حول القاتل، ومن معه، وهذا ما ساعد في تحرك رجال الأمن وركزوا انتباههم على الحدود مع جارتهم إيران. . .

لم يترك رجال الأمن ولا المسؤولون الأم وابنتها دون اهتمام أو رعاية، فعينوا أحد الحراس على بابهما خشية تكرار ما حدث. . .وقدموا لهما كل رعاية وأمان. .حتى أن رئيس المخابرات جاءهم زائراً ومعزياً، فقدم للأم باقة ورد وظرفاً مُغلقاً وضعه في يدها، وقال لها: هذه من السيد رئيس الجمهورية. . .

أخذت الأم الظرف بيد ضعيفة ووضعته تحت وسادتها. .زاهدة بما فيه. . .ولما غادرها. .هرعت إليها بعض الممرضات، يطلبن منها أن تفتح الظرف وتنظر ما بداخله. . .لكن سوء مزاجها وحزنها منعها الاهتمام بما جاءها. .ولكن حب الفضول

لديهن وتحت إصرارهن، أخرجت الظرف وأعطته لإحداهن التي فتحته..ونظرت بداخله فوجدت مبلغاً مالياً كبيراً، وعقد بيت لها في منطقة الأعظمية..

فما كان من الممرضة إلا أن صاحت: يا الله كم أنت محظوظة...!!

نظرت الأم إليها بعينين دامعتين: خذي كل ما عندي، وأعيدي إليَّ زوجي...

شعرت الممرضة بسوء تصرفها: أنا آسفة..والله لم أقصد...

ربتت الأم على يدها: لا بأس...لا بأس..من لم يذق طعم الحصرم لا يضرس...ثم أشاحت بوجهها إلى الجانب الآخر واستسلمت لأحزانها...

* * * *

محاكـم الثـورة

بدأت لجان صفاء الثورة عملها، فاستولت على مساجد السنة ، وحولتها إلى حسينيات وكلّفت بكل مسجد شخصاً من أعوانها ليشرف عليه، وأفردت له مالاً وفيراً، ليغيّر معالمه بما يتوافق والتغيير الجديد، فسارع الجميع إلى إفراغه من الكتب والمخطوطات القيمة، وأُلقى ببعضها في المجاري العامة وأُحرقت الأخرى، وهم يتراقصون حولها، كالقبائل المتخلفة، وصيحاتهم تتعالى مع النيران، فرحاً وطرباً بما حققوه من إنجازات وانتصارات على بيوت الله. . . !!!

ثم أمر المشرفون على المساجد، بإعادة الحياة الجديدة لها، فأدخلوا إليها بعض التختات الخشبية ووضعوها في ساحة المسجد وغُرَفِه. . . وبدأ يستقبل المحررين. . !! فجلسوا في وسط المسجد ووضع كل واحد رِجْلاً على رِجْلٍ. . . فمنهم من أخرج سيجارة وبدأ ينفث منها دخانه بحركات استفزازية، ومنهم من أتى بنركيلته وأشعل نارها، وأخذ يستنشق دخان تبغها بحرية قلَّ نظيرها. . . وأفردوا في المسجد غرفتين أغلقوهما من كل جانب إلا من الأمام، الذي أوثقوه بالحديد. . .

مع كل ليلة تبدأ المحاكمات في المساجد لأهل السنة والجماعة نساءً ورجالاً وشباباً. . .

شهد مسجد حمزة بن عبد المطلب إحدى هذه المحاكمات. . . فبعد منتصف الليل جلس أحد السادة وراء طاولة وبالقرب منه بعض المساعدين، مرتدين جميعاً اللباس العسكري، وعلى رؤوسهم عمائم سوداء قد أحكموا ربطها، واعتلتها شريطة سوداء أيضاً كتب عليها محاكم الثورة. . وأسفل منها عبارة يا لثارات الحسين. .

وأمامهم أصفاد لربط السجونين. . وما هي إلا لحظات، حتى دخل إليهم أحد الأشقياء، من حراس الثورة، بوجهه القاتم وعينيه السوداوين، وحاجبيه الكثّين، وشعره الأشعث المتناثر على جبينه وخده. . جاراً أحد الشبّان، قد شُدت رقبته بحبل

ثخين من الكتان، مخلّفاً وراءه أثر الدماء وبعض الجروح النازفة. .فوضعه أمامهم محكماً قيده، ووقف عن يمين السادة، متحفّزاً لأي أمر يصدر عنهم. .

سأل رئيس المحكمة الشاب: ما اسمك. . .؟

الشاب: علي. . .

رئيس المحكمة: اسم جميل. .لشخص حقير. . .!!

أطرق علي برأسه إلى الأرض خوفاً من سطوته ونظراته الحادة. .

رئيس المحكمة: ارفع رأسك يا وغد. . .

استجاب له على الفور ورفع رأسه. . .

رئيس المحكمة: حدثنا. .فنحن نعلم عنك كل شيء. .

علي بخوف: أنا لم أفعل أي شيء. .لقد جاء حراس الثورة إلى قريتنا، واعتقلوا جميع الرجال، والشباب، وجروا الفتيات الصغيرات، اللواتي لم نعرف عنهن أي شيء ولا إلى أين أخذوهن. .

رئيس المحكمة: ما الذي دعاك أن تكون ناصبياً. . .هل آل البيت والأئمة الأطهار فُسّاق. . .حتى لا تقبلوا بهم. .؟

علي: أنا نشأت في قرية نائية. .ولا علم لي بأي شيء. . .سوى ما يدور حولي من زراعة وعمل في الحقل. . .!!

رئيس المحكمة: أتقتلون الحسين وتقول إنك لا تعلم شيئاً. . .؟

علي: والله لا أعرف الحسين. . .ولا أعرف من قتله. . .ولم أشترك بقتله صدقني يا سيدي أرجوك. . .!!

رئيس المحكمة: أيها الحقير النذل الآن تتبرأ من قتل سيدك. . .

علي: أقسم لك بالله إنني لا أعرفه. . .أرجوك يا سيدي أن تخبرني أهو من قريتنا. . .؟. .لكنني لا أعرف إلا حسيناً واحداً، قد مات منذ سنوات لكبر سنه. .ويشهد الله أنني كنت طفلاً صغيراً آنذاك. . .!!

رئيس المحكمة: يبدو أننا لن نتفاهم. . .والتفت إلى مساعديه، وتحدثوا بهمس ثم استدار موجهاً نظره إلى علي: حكمت محكمة الثورة على الناصبي ابن الناصبي بالإعدام شنقاً حتى الموت. . .

صاح علي بأعلى صوته. .أقسم لكم أنني لست ناصبياً. . .أنا علي ولا يوجد في قريتنا من يتسمى بهذا الاسم. .أتوسل إليكم . . .

أسرع الحارس إليه وهو يضحك بقهقهات عالية، ردد صداها أرجاء المسجد، وراح يجره من رقبته كالكلب. .وأدخله إلى غرفة أخرى، قد تلطَّخت جدرانها بالدماء ورائحة الجيف تزكم الأنوف. .فأخذت علياً رعشة قوية هزت جسده، فلم يعد يقوى على الوقوف، فعاجله الحارس بضربة على رأسه بعصىً كانت بيده، فطرحه أرضاً، ثم سحبه من شعره، ليوقفه على الكرسي، لكن ساقيّ علي لم تسعفاه، فسقط على الأرض. .فصاح الحارس على بعض زملائه، فهرعوا إليه على الفور. .وما إن وقعت أعينهم على علي، حتى انهالوا عليه ضرباً بمقارعهم الحديدية، في جميع أنحاء جسده. .حتى فقد وعيه. . .وحاولوا إيقافه لكن دون فائدة. .فقال أحدهم للحارس المسؤول عن إعدامه: اقتله بيدك ولا داعي للمشنقة، طالما لا يستطيع الوقوف. . .

الحارس: ماذا تقول. .؟. .أتريد أن أخالف حكم السادة. . .والعباس لن أدعه إلا معلَّقاً على هذا الحبل. . .ولما أعياهم رفعه. . .أنزلوا الحبل إلى الأرض، ووضعوه حول عنقه، وشدوه جميعاً بأيديهم وصاحوا بصوت واحد يا علي. . .فانتصب جسد علي متأرجحاً. .وبدأ بالرفس محاولاً استنشاق بعض الهواء، الذي انقطع عن رئتيه، لكن دون جدوى، ولما ازداد تخبطه. .تقدم إليه أحد السجَّانين، وأمسك برجليه وبدأ يسحبه إلى الأسفل، ليزيد الضغط على رقبته ليفارق الحياة، وهو يقول: يا ابن العاهرة ما أطول روحك. .مثل القطط بسبعة أرواح. . .وما هي إلا لحظات قليلة، حتى هدأت حركته، وتوقفت أنفاسه، وانحلت مفاصله، وازرق وجهه. .وجحظت عيناه. .فتركه السجَّان وقال: الآن توقفت عن الحركة. .لعنك الله يا عدو الأئمة. .ثم استدار إلى الحارس وسأله ما هي تهمته. .؟

الحارس: اعتداء على الإمام الحسين والتآمر على قتله. . .!!

فما إن سمع السجَّان تهمته حتى انهال عليه ضرباً في أنحاء جسده الميت؛ ولكن هذه المرة لم يلقَ أي مقاومة منه...

ثم أنزلوه ورموه بجانب الغرفة...ومع الصباح الباكر، جاءت سيارة جيش كبيرة أخذت تتنقل بين الحسينيات تجمع القتلى وتكدس أجسادهم فيها...وانطلقت بعد ذلك إلى خارج المدينة، فوقفت بجانب إحدى الحفر العميقة، التي أُعدت مسبقاً لهذا الحدث الفظيع..واستدارت لتلقي بهم فيها مكدسين بعضهم فوق بعض..ثم تحركت إحدى الجرَّافات، وراحت تحثو التراب عليهم..وما إن انتهت حتى بدأت تسير فوقهم مسوِّية الأرض فوقهم، حتى لا يظهر لهم أي أثر بعد ذلك...

* * * *

وقفت الطالبات مرحبات بشيختهم دعاء..ولما استقرَّ بها المقام، بدأت درسها: بناتي العزيزات، درسنا لهذا اليوم يتناول جانباً مهماً في العقيدة الشيعية وما فيها من ترهات، وأكاذيب موضوعة، على آل البيت، وكما مرَّ معنا في الدروس السابقة، ورأينا الحجم الكارثي الكبير، الذي استحدثته تلك الفئة الضالة على ديننا، وما فيه من أمور وفتاوى تقشعرُّ منها الأبدان...دعوني أُركِّز في هذه الساعة على جانب آخر...يمكن أن نطلق عليه اسم التبريرات أو المبررات الداعية إلى غفران الذنوب والخطايا...لا أقصد هنا الخطايا، التي يرتكبها الناس على كافة معتقداتهم..بل التي عند أئمة الشيعة وأتباعهم حصراً، وقد استشهدت ببعض ما جاء في كتبهم على سبيل المعرفة، ولتكون لنا حافزاً في شحذ الهمم للرد عليها، من خلال ما جاءنا من الهدى، في قرآننا العظيم، وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم.

فعلى سبيل المثال، ذهبوا إلى تصغير شأن المعاصي، وبعض الأفعال المرتجلة والشاذة...التي إذا قام فاعلها بها غفر له ذنوبه، ولو كانت كزبد البحر..استخفافاً بشرع الله، وتحريضاً على ارتكاب المعصية، وعدم خوف فاعلها من العقاب، طالما أن الذنوب ستلقى بعض الطقوس الماسحة لها، فقالوا: إن الذنوب كلها مغفورة، وإليكن ما قالوا:

إن كنت تحب الأئمة فالذنوب كلها مغفورة ! مهما عظمت أو كثرت ! ولا فرق بين الصغائر والكبائر، فالأئمة يشفعون لكل محبٍ مهما فعل ومهما ارتكب من ذنوب، ولن يتركوه يدخل النار. .مستشهدين بقول عليٍ كرم الله وجهه، على أنه قسيم الجنة والنار؟!! فكل داخل إلى الجنة، أخذ بطاقته من علي؟!. .وعلي لن يترك أحداً من شيعته، إلا وسيعطيه البطاقة المنجّية، على ما هو عليه من عمل !! وهكذا تحوّل الدين إلى الانحلال وعدم الالتزام.

وقفت إحدى الطالبات، وأثر الدهشة على وجهها، وهل جاء في كتبهم الموثقة بعضاً من تلك الأقوال والفتاوى. . .؟

أومأت دعاء برأسها، ونظرت إلى طالباتها، فرأت وجوههن تتطاول نحوها، ليأخذن المزيد، وخوفاً من أن يفوتهن شيء من قولها. . .عزيزاتي الطالبات. .جاء في مصادرهم الموثقة عندهم:

أن الله تعهد للنبي صلى الله عليه وسلم، أن لا يغادر لشيعة علي كرم الله وجهه صغيرة ولا كبيرة إلا غفرها وأن يبدل سيئاتهم حسنات. . .وقالوا أيضاً:

إن الله يستحيي من تعذيب أمة دانت بولاية إمام عادل وإن كانت ظالمة سيئة. .

إن سيئة الشيعي خير من حسنة غيره. .ومما نسبوه إلى الحسين رضي الله عنه:

ما من مؤمن يقترف في يومه وليلته أربعين كبيرة، فيقول وهو قائم (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام وأسأله أن يصلي على محمد وأن يتوب علي. .إلا غفرها الله عز وجل. .ولا خير فيمن يقترف في يوم أكثر من أربعين كبيرة. . .

تصوري أختي المؤمنة. . .يقترف في يومه وليلته أربعين سيئة لا من الصغائر بل من الكبائر كالزنا واللواط أو شرب الخمر أو السرقة. . .فإذا كان هذا حال مؤمنهم فكيف هم كفرتهم إذن؟!!

تعالت ضحكات الطالبات وقالت إحداهن: ما هذا الدين وما هذا الفجور. .؟

دعاء: اسمعن لهذه القصة التي جاءت في آثارهم:

إن زنت امرأة، ثم ذهبت تقتبس ناراً من مجلس العزاء، فوجدتها قد خمدت، فأشعلتها فدمعت عيناها من الدخان غفر لها. . . أليس هذا تحريضاً على الزنا. . أليست هذه الفتاوى تدفع الناس إلى ارتكاب الموبقات. . . لأنهم أمِنوا العقاب بقليل من القش ونفث الدخان. . . !!

وهناك الشيء الكثير والكثير جداً من تلك الآثار، التي امتلأت بها كتبهم ومصادرهم ونكتفي بهذا القدر. . . لأنني أعتقد أن الفكرة وصلت إليكن. . . ومن أرادت المزيد فمكتبة المدرسة عامرة بكتبهم. . . فضلاً عن « السيديات»، التي تحتوي على كل صغيرة وكبيرة من أقوالهم وكتبهم، وبإمكانكن الاطلاع عليها. . وأنا أُفضّل أن تكتبن بحوثاً تتناول بعضاً من تلك الأحكام، ولا مانع عندي من اشتراك بعضكن ببحوث جماعية، يتناول كل واحد جانباً مختلفاً عن الآخر. . والبحث الناجح سيُعرض في الصحيفة الجدارية للمدرسة كي تعمَّ به الفائدة. . .

فرحت الطالبات وبدأن يقسّمن أنفسهن إلى مجموعات، واخترن مواضيع تتناول عقائد الشيعة وأفعالهم وأحكامهم. . . وقدمنها إلى الشيخة لأخذ رأيها فيها. . . فأشارت بالموافقة على البعض وعدّلت أخرى وتحفظت على غيرها. . .

* * * *

احتفال وجزاء

سار المركب في مياه الأهوار متخفياً بين قصبه المرتفع، مسرعاً هنا ومتمهلاً هناك. . .ولم يمضِ على انطلاقهم إلا نصف ساعة حتى رصدهم أحد مراكب الشرطة. . فتقدم إليهم ليستطلع أمرهم. . فانطلقوا مسرعين. . فما كان من الشرطة إلا أن أطلقت عليهم النار، لكن ظلام المنطقة والقصب الذي ملأ المياه بطوله، أعطى الفارين فرصة كبيرة للهروب. . فتخطى مركبهم منطقة الخطر، وما هي إلا ساعة من الزمن حتى نزلوا إلى بر الأمان، فكان في استقبالهم مجموعة أخرى، نقلتهم في سيارة جيب عسكرية وانطلقت بهم في الصحراء. . .مخلّفة وراءها سحابة غبار عالية بدأت تتلاشى رويداً رويداً كلما تعمّقت مبتعدة. . .

وصل رستم إلى طهران، وتوجه من فوره إلى قائده آية الله محمد الطوساني، الذي علم بوصولهم، وما إن رآه حتى وقف له مستقبلاً والفرحة والبسمة مرتسمة على وجهه لا تكاد تفارقه. . .فضمه إلى صدره معبراً له عن امتنانه. . الذي بادره منحنياً على يده يقبّلها بحرارة وزهو. . .فرفعه إليه آية الله محمد وأجلسه إلى جانبه: لقد بيّضت وجوهنا. . .فهنيئاً لك رضاء الحسين. . .

تبسّم رستم مظهراً التواضع أمام قائده: مولاي. .وهل هذا يكفي لرضاء الأئمة الأطهار. .والعباس لن أهدأ أو يغمضَ لي جفن حتى أرى رجالهم مجندلين تحت أقدامنا، ونساءهم يعملن عاهرات في الشوارع، ومساجدهم حسينيات. . .لنعقد فيها عقود متعتنا وننشر فيها دين أئمتنا. . .

شعر آية الله محمد بالزهو: أما الآن فأخبرنا عما حصل من البداية وحتى النهاية. .ولا تُهمل أي شيء. . .واعلم أنك غداً ستلتقي وإمامنا آية الله مهدي ميرزا. .

رستم غير مصدق: هل سألتقي به. .أنا يا مولاي. .؟

آية الله محمد: ليس لقاءً خاصاً بك..لكن غداً يوم الغفران...وسنحتفل به معاً..وربما سيسأل إمامنا عما فعلت...؟..

رستم: هذا شرف عظيم لي يا مولاي...!!

بدأ رستم بسرد قصته بأسلوب سينمائي مؤثر...مع زيادة كبيرة في الأحداث، ومركّباً قصصاً زائفة ناسباً لنفسه قوة العزيمة والشجاعة...وآية الله محمد الطوساني يستمع إليه بشغف واهتمام...ولما انتهى قال له: بماذا أكافئك يا رستم...؟..اطلب ما تشاء فلن نرد لك طلباً..؟

نظر إليه بخبث مظهراً التواضع: مولاي..يكفيني رضاكم...ولا حاجة لي بغيره..

آية الله محمد: رضانا وصلكم..ولكن لا بدَّ من تكريمكم..

رستم: لا أريد شيئاً...؟

أخرج **آية الله محمد** من حقيبته التي كان يحملها مبلغاً مالياً، ورمى به إليه: هذا أول الغيث...

تناول رستم المال والفرح مرتسمٌ على وجهه وقال مظهراً الخجل: وهل هناك آخر...؟

آية الله محمد: بالطبع..وقال لأحد مساعديه الذي كان واقفاً عند الباب: خذ رستم إلى الفتيات لينتقي منهن ما يشاء..

فرك رستم كفيه مسروراً...فنظر إليه آية الله محمد وانتابته نوبة طويلة من الضحكات: اذهب الآن ولا يفوتنك صفاء الليل ومتعته...

انطلق رستم مع المساعد، وأخذ يُقلِّب نظره بهن، وانتقى منهن ثلاث فتيات وانطلق بهن إلى بيته..

* * * *

هايدي في السفارة

شعرت هايدي باليأس يدبُّ في نفسها، فكل ما حولها مملٌ وهادئ، فلم تعد تسمع إلا أنين أبيها، لتصلح حاله وتقدم له الطعام، ولسوء حظها أنها لم تعد تستطيع مغادرة البيت..فصحة أبيها بدأت تتدهور...فمع مرور الوقت كانت حالته تزداد سوءاً...فألزمت نفسها أن تبقى إلى جانبه..ولا تخرج إلا لقضاء بعض الأعمال القليلة أو لجلب الطعام، ولا تبتعد عن بيتها لأكثر من نصف ساعة...ومع حالة الكآبة التي أصابتها، فكرت في الانتحار أكثر من مرة، لكن خوفها من الموت، وصورة والدتها لم تكن تفارق مخيلتها، رغم مرور وقت طويل على وفاتها، وهي من منعتها من ذلك...

في أحد الأيام قررت أن تذهب إلى السفارة الإسرائيلية في قبرص، لتسأل عن أخيها مصطفى..فاستيقظت مبكراً، وخرجت من بيتها قبل أن يستيقظ أبوها من نومه..

لما وصلت إليها، منعها الحرس من الدخول..لكنها أصرّت وبدأت بالصياح.. حتى خرج أحد الموظفين وسألها عن حالها..فلما سمع لهجتها استدار ليعود إلى مكانه..لكنها انقضت عليه آخذة بطرف قميصه مما أعاق سيره..فهرع الحرس ليمنعوها عنه...لكنها التصقت به وراحت تولول وتبكي...فما كان من الموظف إلا أن يدخلها ردهة السفارة، ودخل إلى السفير وأخبره خبرها.

طلب **السفير** تفتيشها جيداً وإدخالها إليه...ولما رأته بكت أمامه تستجديه، أن يسمع كلامها حتى النهاية..

اقترب **السفير** منها وهدّأ من روعها بلباقة وأدب، وأجلسها على أحد الكراسي، وطلب لها عصير الليمون: هوني عليك..واشربي عصيرك وستتكلم بعد ذلك بكل شيء...

ارتشفت عصيرها بسرعة خشية ضياع الفرصة عليها..

نظر إليها **السفير** نظرة تساؤل، ورمقها بعينيه الزرقاوين وقلّبها من رأسها حتى أخمص قدميها...

ولما انتهت بدأت بالكلام: سعادة السفير أريد السفر إلى إسرائيل..

السفير مستغرباً ومستهجناً طلبها: لكنك عربية ولست إسرائيلية..ولا يحق لي ولا لغيري إدخالك إلى تل أبيب..!!

هايدي: أنا لست عربية..أنا إيرانية...

نظر إليها السفير باستغراب...أأنت إيرانية...؟..وما الذي دعاك لطلب السفر إلى إسرائيل...؟.فليس عندنا لجوء سياسي أو إنساني..؟..فدولتنا فتية..لا تستقبل إلا مواطنيها..ونحن نضيق ذرعاً بالفلسطينيين..فكيف نأتي بأناس آخرين...؟

هايدي: أنا لا أطلب لجوءاً ولا إقامة في إسرائيل..وإنما أخي عندكم منذ خمسة أعوام..

فتح السفير فاه باستغراب: هل هو عندنا في إسرائيل..؟

هايدي: نعم...فقد تزوج من صديقتي دينا..

بدأ السفير يفهم كلامها..وسألها: من دينا..؟

هايدي: كانت صديقتي في دمشق وجارتنا...أحبت أخي وأخي أحبها وسافر معها إلى هناك..

السفير: ها...ها..لقد تذكرت..وانتقل إلى خلف طاولته، وبدأ يبحث في جهاز الكمبيوتر عن دينا...ثم نظر إلى هايدي: دينا بنت أفيخاي على ما أعتقد...

قاطعته **هايدي**: ابن جدعون..

السفير: نعم..الاسم موجود عندي...وكان معها شاب إيراني الجنسية يُدعى مصطفى..

صاحت **هايدي** فرحة: هذا أخي...

السفير: لكن أخاك تهود...

هايدي: ما معنى ذلك..؟

السفير: أصبح يهودياً..

هايدي مستغربة: ماذا...!!

السفير: كما سمعت..فلا يحق لنا إدخاله إلا إذا تهود..وأن يجد جهة يهودية تتبناه وتثق به...

هايدي: ما معنى هذا...؟..أريد أن أتصل به وأذهب إليه..وبدأت تقصُّ عليه قصتها منذ خروجها من سوريا ولحين حصولها على اللجوء في قبرص..

أظهر **السفير** تأثره بما سمع: سأحاول أن أساعدك بقدر استطاعتي..أما سفرك فلا قدرة لي عليه..

هايدي: أرسل إلى أخي وأخبره بحالنا، وسيأتي إلينا إذا سمع بما أصابنا...

السفير: سأبذل قصارى جهدي...وأعطني رقم هاتفك..لأتصل بك عند الحاجة..

نظرت إليه غير مصدقة أي كلمة قالها: ولماذا لا تعطني أنت أيضاً رقم هاتفك، وتضع اسمي عند الاستعلامات، لأدخل دون مشاكل في المرة القادمة...؟

ضحك **السفير** من قولها: يبدو أنك شقية...ولكن لا بأس، ثم أخرج من درجه ورقة فيها جميع أرقام السفارة ورقمه الخاص..

شعرت **هايدي** بقليل من الأمان: سعادة **السفير**..أرجوك أن تبذل جهدك، والوقت مهم جداً لنا، فأبي كما أخبرتك مريض وحالته سيئة..وهو بحاجة إلى ابنه في هذا الظرف بالذات، وأنا وحيدة في هذا البلد..فلا أستطيع العودة إلى وطني ولا إلى سوريا، فالقتل ينتظرنا هناك..

السفير: قُرِّي عيناً ولن يكون إلا ما يسرك..واذهبي إلى بيتك وانتظري تليفوناً

مني. . .

وقفت **هايدي** ومدت يدها إليه مودعة، وانطلقت عائدة إلى بيتها. .

وما إن وصلت حتى رأت أباها قد استيقظ محاولاً دفع نفسه نحو الشرفة، لكنه وقع على الأرض، وظلَّ ممدداً يعاني الوحدة والبرد، قد تغوط في ثيابه. .

عندما رأت أباها بهذه الحالة، شعرت بالأسى، فأخذت تسحبه إلى مكانه، وتصيح في وجهه لماذا نزلت عن سريرك. .؟. .ألا تنتظر لحين عودتي. . .فأصلحت حاله وبدأت تطعمه بيدها، والاشمئزاز والقرف بادٍ على وجهها. . .

وما إن انتهت من إطعامه حتى عادت إلى كآبتها وحزنها، فجلست في شرفتها، متأملة البحر نادبة حظها. . .

* * * *

يوم الغفران

جلس **آية الله مهدي** ميرزا في قاعة طهران للاحتفالات الكبرى، وأخذ ينظر إلى الحشود الكبيرة التي تجمعت للاحتفال بيوم الغفران. وبدأ المنشدون يصدحون بأصواتهم الندية، تحت صرخات التهليل والتكبير، لاعنين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم... وآية الله يهتزُّ طرباً لما يسمع...

تقدمت إحدى الفرق يقودها المنشد علي الباجاني، وانحنى أمام آية الله مهدي.. وردَّ تحيتهم بأن أومأ إليهم برأسه...

قبل أن يبدأ الإنشاد وقف آية الله مهدي، وقال بصوت ضعيف لا يكاد يُسمع: شيعة أبي عبد الله... أتدرون ما هذا اليوم.....؟.. فأجاب نفسه: إنه اليوم الذي انتصفنا فيه من عدونا.. صنم قريش وعديها عمر بن الخطاب... لقد أسدى لنا فيروز معروفاً كبيراً وضحى بنفسه من أجل رفعة الأمة الإيرانية، وأخذ بثأرها منه.. ومن العدل أن نُظهر هذا الرجل العظيم إلى الناس، ولا ننسى فضله وما قدمه لنا، وعلينا أن نحتفل في يوم التاسع من ربيع الأول من كل عام، بهذه المناسبة العظيمة... فهنيئاً لك أبا لؤلؤة بما فعلت.. واعلموا إخواني.. إن هذا اليوم من الأيام السعيدة عندنا، وأن الله تعالى أمر الكرام الكاتبين، أن يرفعوا القلم عن الخلق ثلاثة أيام، يعملون ما شاؤوا فلا يكتبون عليهم شيئاً، فلا حساب ولا عقاب، وأن الله تعالى سوف يثيبه أعظم الجزاء، لقيامه بهذا العمل العظيم، فقد قدَّم للإسلام خدمة عظيمة لا ينكرها إلا كافر، ثم أشار إلى الفرقة أن تبدأ

فقال علي الباجاني بصوته الندي:

فيروز لا شُلَّت الكفـان منك لقد ... قتلت غندر قد هنيت بالظفـــر

ظفرت بالكنز في قتل الغوي ومن ... آذى النبي، وآذى بضعة الطهـــر

فصاح المحتفلون بصوت واحد هزَّ أرجاء القاعة وكأن القيامة قامت من وقتها..

اللهم العن صنمي قريش وجبتيها وطاغوتيها وإفكيها، وابنتيهما، اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك، وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلّبا دينك، وحرّفا كتابك، وعطّلا أحكامك، وأبطلا فرائضك، وألحدا في آياتك وعاديا أولياءك ووواليا أعداءك، وخرّبا بلادك وأفسدا عبادك.

اهتزَّ **آية الله مهدي** ميرزا طرباً، وراح يُحرّكُ رأسه يميناً ويساراً...

ثم دخل علي الباجاني في وصلته الثانية فقال:

تبسّم الدهر عن ثغر من الـــدرر لما فتكن بنات الدهر في عمـــر
وأصبحت جهات الدهر زاهـــــرة ترنو بناظرها فـي رونـق نضـــر
والعدل في الأرض أضحى وهو منتشر والظلـم والكفر قـد ولّى على الدبـر
والسّرب أصبح في أمـن وفـي يمـن بعـد المحاقـة من بؤس ومـن حـذر

فماجت القاعة طرباً . .وقالت بصوت واحد زد علينا. .زد علينا فقال:

ودع فاطـمة الزهـراء ودافعهـــا عن إرث والدها المختار من مضـر
مخالفـاً لكتـاب الله مجتـرئـاً على بدائع لـم يحـفـل بمؤتـمر

وبدأ علي الباجاني يمزج طربه بالنياح:

والدين قد درست آثاره وغدت معالـم الدين بين الهـدم والدثـــر
ومسَّ شيعة أهل البيت أذى من النواصب أهل الغدر والختر!!
وخلّص الشيعة الأبرار من كدر فالناس في هـذه الأوقـات في عـــسر
يسمون في جزع من كـــل نائبـة تغشاهـم كـل يـــوم دائـم العـمـــر

تعالت الصيحات، وبدأ النواح، وبدأ الناس يلطمون وجوههم، وصدورهم، واستمر علي ينشد إلى أن قال:

ويصبحوا شيعة الأطهار في فرح !!! ويكشف الحزن بعد البؤس والكدر

فما كان من الحضور، إلا أن وقفوا وقالوا اللهم صلِّ على محمد وآل محمد. . .وأخزِ من خذلهم والعن من ظلمهم. . .وأخذوا ينادون بقول واحد:

مهدي. . . مهدي. . . مهدي. . . !!

فأخذ يلوِّح لهم بيده. . . وبقي الاحتفال إلى آخر الليل. . ثم تفرق الجميع كل إلى بيته، بعد أن قضوا ليلة العمر، يلعنون ويطربون فرحاً بمقتل عمر بن الخطاب. . !!

* * * *

استمر نشاط **آية الله أحمد المرشدي** المحموم، في نشر التشيع فلم يدع وسيلة إلا واتبعها. . ولما كانت المتعة إحدى وسائله النافذة في المجتمع. . . ركّز عليها بشكل كبير حتى أن طوابير الشباب من شتى المحافظات كانت تقصده. . . غير أنه كان يفرض عليهم في البداية بعض الطقوس الدينية المذهبية، كما مرَّ مع وائل وزملائه في عهد عباس. . .

ومع تطور الحالة. . . وجد من الضروري، نشر تعاليمهم في بقية المحافظات. . فأرسل أحد مساعديه ليتقصى الأمور من مهدها الأول. . . على الرغم من نشاطهم المتواضع هناك. . .

كان **آية الله سعيد** الطبطبائي هو المكلّف بشكل مباشر والمفوض فيها. . . فما كان منه إلا أن استعان ببعض الدخلاء من بلاد الشام. . الذين ينتسبون إلى هذه المحافظة أو تلك. . .

وقبل أن يبدأ مهمته، اجتمع مع **آية الله أحمد المرشدي** بشكل سري في إحدى الشقق القريبة من السيدة زينب. . .

سأله **آية الله سعيد** الطبطبائي عن الإمكانيات المتاحة أمامه في مهمته. .

آية الله أحمد المرشدي: عندنا صك مفتوح في هذا الأمر. . . وعلينا أن نستفيد من كل شخص مهما صغر شأنه. .

آية الله سعيد الطبطبائي: أتقصد أن تكون دعوتنا بين جميع الصفوف. . . ؟

آية الله أحمد: ما قصدك بجميع الصفوف. . ؟

آية الله سعيد الطبطبائي: أقصد الطبقة المثقفة وغيرها. . .

آية الله أحمد: هل فقدت عقلك...؟..نحن ننظر إلى الطبقات المعدمة.. والعلمانية منها..فالمعدمة نشتريها بالمال..والعلمانية نشتريها بالشهوة..ولكلٍ ثمنه..

آية الله سعيد: على هذا الحال علينا أن نبدأ بالطبقات الفقيرة...

آية الله أحمد: لقد جاءتنا دراسة مستفيضة حول المناطق التي يمكن أن تستجيب لنا...فالفقر المدقع يجعلها تندفع نحونا دون تفكير..

آية الله سعيد: هل لديك التقرير حول تلك المناطق...؟

آية الله أحمد: بالطبع...وقبل أن تذهب خذه معك، واطّلع عليه بشكل جيد..لأنه سيحدد لك البداية الناجحة في عملك...

آية الله سعيد: سأقوم بما أستطيع لإنجاح المهمة...

آية الله أحمد: الإمام في طهران يتابع الأمر عن كثب...ويا حبذا أن يكون تقريرنا له يحمل أخباراً سارة..

أطرق **آية الله سعيد** بالصمت للحظات، ثم رفع رأسه: هناك أمر محير في هذه المهمة..فلماذا نذهب إلى المدن النائية..وندع العاصمة وما فيها من أقليات وديانات..والتي تساعدنا بشكل أكيد على نجاح مهمتنا..؟

آية الله أحمد مستهزئاً: لا شك أن تفكيرك محدود...فالمنطقة الشرقية من سورية كلها تدين بالمذهب السني..وهي مجاورة للمدن العراقية السنية أيضاً..ولا يمكن لأحد أن يفرّق بينهما لأن أحدهما يعضد الآخر...

آية الله سعيد: ولكن ما الذي ستفعله تلك المناطق إذا تشيعت..؟

آية الله أحمد: سأشرح لك الأمور ببساطة...بماذا كانت تدين البصرة والنجف والكوفة قبل مئات السنين...؟

آية الله سعيد: حسب ما قرأت أنها كانت كلها تدين بالمذهب السني..

آية الله أحمد: عظيم...والآن بماذا تدين...؟..

آية الله سعيد: أتقصد في زماننا هذا...؟

آية الله أحمد: نعم في زماننا هذا...

آية الله سعيد: يدين أغلبها بالمذهب الشيعي...

آية الله أحمد: وهل سألت نفسك لماذا تدين بالمذهب الشيعي..وفي هذا الزمن بالذات..على الرغم من العلمانية السائدة في العالم...؟

آية الله سعيد: لا أدري..؟

آية الله أحمد: كيف لا تدري...السبب يعود إلى أن إيران بالقرب منها...وهي بالتالي ستتأثر مباشرة بها...وكما تعلم أن المذهب الجعفري هو السائد في إيران...فتأثيرنا سينعكس إيجاباً عليها مع مرور الزمن...فإن استطعنا تشييع المنطقة الشرقية من سوريا، ستكون المدن العراقية السنية بين فكي كماشة...

آية الله سعيد مستغرباً، وقد انتابته الدهشة، وأخذ ينصت بتعجب لهذه الخطة: بين فكي كماشة...!!

آية الله أحمد: عندما ننشر مذهبنا في تلك المناطق..سيشتد الخناق على المدن العراقية السنية من جهتين...ومع مرور الوقت...وربما لا يتجاوز السنوات فقط...هذا إن كنا كرماء معهم...ستكون المنطقة بكاملها تدين لنا بالولاء والمذهب..وسترى تعاليمنا يحملها أولادهم وأحفادهم..وهم من سيتولون المهمة ويكملونها بعد ذلك...وهذه المرة ليست بمالنا..وإنما بمالهم ودمائهم وبناتهم...

صاح **آية الله سعيد**: يا علي...يا علي...والعباس إنَّ أُناساً يفكرون بتلك الأفكار لشياطين...

ضحك **آية الله أحمد** حتى انقلب على قفاه: لا بل ملوك الشياطين...ثم طلب منه المغادرة ليجهّز نفسه للسفر يوم غدٍ...فأذن له مودعاً..

* * * *

بعد عدة أشهر من العمل المتفاني، استطاع هاشم رمضان، بناءَ المدارس في المحافظات الشرقية...فأرسل إلى الدكتور شاهر وبقية التجار والعلماء لحضور افتتاحها..وتعيين المدرسين المؤهلين لإدارتها، بما يتوافق والهدف الموضوع لها..

عندما سمع الدكتور شاهر بتلك الأخبار، أضاء وجهه واتسعت بسمته، وبدت على وجهه أسارير الفرح. .فجلس في مكتبه ينتظر التجار والشيوخ، بعد أن اتصل بهم ليلتقوا عنده. . .

في الموعد المحدد توافد الجميع واحداً تلو الآخر. . .وجلسوا في غرفته. . .فبدأ حديثه: إخواني لقد منَّ الله علينا بأن جعل من عباده من يصون دينه، ويحفظ رسالته. . .فقسّم الرزق بين العباد. . وقسّم العلم بين أهل العلم. . .فمنهم من أخذ الطريق الشرعي والديني ينشره بين البشر كافة. .وخصَّ التجار بالمال، وزاد في رزقهم لينظر أين يضعون مال الله المودع عندهم. . .

ونحن في بلاد الشام نلنا هذا الفضل بقدسية بلادنا وبدعوة نبينا. . .وقد استجاب لنا بعض التجار في بناء صروح العلم. . .لوقف ما نتعرض له من هجمة شرسة من قبل أحفاد ابن سبأ. .الذي أحلَّ قومه دار البوار. .وأراد أن ينقل تعاليمه إلى بلادنا. . .

تدخل أبو زيد وصاح : والله على دمائنا. . .

ضحك الدكتور **شاهر**: على رسلك يا أبا زيد. .فنحن لا نحيط إلا بالقليل من أفعالهم الظاهرة. .وما خفي كان أعظم. . .

أبو زيد مرة ثانية: أقسم بالله على جثتي. . .

هدّأ الدكتور **شاهر** أبا زيد: يا أبا زيد. .لا تكن عاطفياً، فالأمور لا تسير بالقوة. . .فالفكر لا يقابله إلا الفكر. . .والمال لا يقابله إلا المال. . .ونحن لا يمكننا أن نقف في وجه إمكاناتهم الهائلة التي يضخّونها ليعبدوا طريق التشيع أمام الناس. . .لهذا قمنا بنشاط متواضع، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً. . .ونجد من يغار على دينه، ويفعل كما فعلنا. . .ولا تنسى أن الله تعالى تكفّل بهذا الدين. . .والنهاية لن تكون إلا لأصحاب الحق والعقيدة السليمة. .

ثم نظر إلى هاشم رمضان: أخبرنا عن مدارسنا يا هاشم. .

اعتدل هاشم في جلسته: نحمد الله تعالى أن منَّ علينا في بناء تلك الصروح

العلمية في هذه المناطق. . .وعلى الرغم من الإمكانات المتواضعة التي أتيحت لنا. .إلا أنها كبيرة قياساً بما سنحققه من نجاحات على طريق عملنا في المستقبل. .ولقد ساءني أن رأيت حركة غير طبيعية يقوم بها الإيرانيون في تلك المناطق. .وربما جاء تحركنا في الوقت المناسب. . .والمدارس جاهزة لاستقبال الطلاب الشرعيين. .وغيرهم من الكفاءات الجيدة. . .وفي القريب العاجل، سنعمل على بناء طوابق أخرى ليتسنى للفتيات أن ينهلن من العلوم الشرعية. . .وجميع طلبتنا كذلك، وفي المستقبل القريب إن شاء الله سيكونون قد تسلحوا بما يؤهلهم ليقودوا بقية الشعب، في بيان الأحكام الشرعية والعقيدية، بما يتناسب مع الهجمة السوداء القادمة من بلاد فارس. . .وعلى جميع إخواني أن يشحذوا الهمة، ولا يتوانوا عن دعم تلك المدارس؛ لأنها في النهاية ستصب في صحيفة أعمالهم يوم القيامة. . .فضلاً عن الدنيا؛ لأنها ستكون بالتأكيد الجدار الصلب في وجه الكفر والرذيلة، التي تستهدف أبناءنا الذين هم من أصلابنا، أو من أبناء بقية المسلمين، في كل بقعة من أرض الشام الطاهرة. . .ويجب أن لا تنسوا الدافع الحقيقي من وراء تلك المدارس. . .والتي يجب أن تدفعكم وبقوة نحو تجنيد بقية التجار، ممن ترون فيهم شعاع نور، لينهضوا في بقية المحافظات الأخرى. . .وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. . .

شعر الجميع بارتياح كبير لما سمعوه من شيوخهم، وعاهدوا الله أمام الدكتور أن يعملوا بجد ونشاط، ولا يتوانوا عن تحقيق الغايات التي بُنيت من أجلها مدارسهم. . .ثم تقدموا إلى الدكتور شاهر وقبّلوا يده. . .وانطلقوا إلى بيوتهم. . .والسرور قد عمَّ أفئدتهم. .

* * * *

مرَّ على زيارة **هايدي** إلى السفارة الإسرائيلية شهران. .لم تسمع خلالهما أي خبر عما تقدمت من أجله. . .فتناولت هاتفها وأخرجت ورقة السفارة وسألت نفسها. .بأي رقم أتصل. . .؟ هل أتصل برقم السفارة. .؟. .لا. . .لا . .الأفضل أن اتصل به على رقمه الخاص. .

وضعت الهاتف على أذنها: ألو. . . .ألو. . .سعادة السفير. .

نظر **السفير** إلى الرقم فلم يعرف المتصل. .ولكن بعد سماعه صوت فتاة استعاد بعض لباقته: ألو. .من أنت. .؟

هايدي: سعادة **السفير** هل نسيتني. . .؟. .أنا هايدي التي جاءتك قبل شهرين. .

أطرق **السفير** للحظات قليلة: نعم. . .نعم. .لقد تذكرتك. .أنت أخت مصطفى. .

هايدي: نعم أنا هي. . .

السفير: إلى الآن لم يصلنا أي شيء من تل أبيب. .فأرجو المعذرة. . .؟

صاحت **هايدي** به: ماذا تقول. .المعذرة. . .هل فقدتم أخي. . .؟

السفير: عفواً. .أنت لم تفهمي. . .إلى الآن لم نصل إليه. .وربما يصلنا جواب عنه قريباً. .

هدأت **هايدي**: أتقصد أن تقريراً محتملاً سيأتيكم قريباً. .

السفير بهدوء: ليس تقريراً. .وإنما ردٌّ على برقيتنا. . .وأنا سأدوّن رقمك عندي الآن لأتصل بك. .

قاطعته: لكن رقم تليفوني عندك. .منذ زيارتي الأولى لكم. .

السفير: لا بأس زيادة الخير خير. .فلا تقلقي. . .

بدأت **هايدي** بالاستجداء: أرجوك يا سعادة **السفير**. .حاول أن تستعجل الأمور. . .

السفير: لا بأس. .لا بأس. .ولكن أرجو ألا تقلقي. . .

هايدي: هل أعتبر هذا وعداً منك. .

السفير: اعتبريه وعداً . . .

ارتاحت **هايدي** قليلاً: أشكرك سعادة **السفير**. .

السفير: أهلاً وسهلاً. . .

* * * *

لم يذهب تخطيط دينا أدراج الرياح، فكل شيكل دفعته لأبناء حزبها سنتر يهودا كان في موضعه، مستغلة ارتياحها المالي، وما كبّلت به أعضاء الحزب من ديون موثقة، في تحقيق هدفها الذي حلمت به طويلاً...

كانت انتخابات الكنيست الإسرائيلي على الأبواب، وشعرت مع زوجها إبراهام أن الوقت قد حان للعمل بشكل جدي..فقالت له: علينا الآن أن نقطف ثمار ما زرعناه في بطون أعضاء الحزب..

إبراهام: ولكن أخشى ألا يتعاونوا معنا وينسوا ما قدمناه..؟

دينا بلؤم: ألم أقل لك أن تترك الأمر لي...أتذكر عندما أخبرتك أن تأخذ وصلاً بالمال الذي يستدينونه منك..؟

إبراهام: نعم..وما فائدته في هذه المرحلة..؟

دينا: يا فهيم عصرك وأوانك..الآن جاء وقته...لأننا سوف نتقدم إلى الانتخابات بقوة مالنا الذي في بطون ساستنا الآن...!!

إبراهام: فإن رفضوا واتبعوا الخديعة والتلاعب..؟

دينا: لا تقلق...عندها سترى أغلبهم وراء قضبان السجون..أو ربما أحجز على أموالهم وبيوتهم..وبالتالي سيفقدون عضويتهم في الحزب، وينامون في الشوارع مع الكلاب والقطط والجرذان...

أُعجب **إبراهام** بفكرتها: يا لك من داهية...!!

دينا: أتظن أنني كنت أعمل بفوضى...هكذا نحن بنو يهود نخطط للأمر ونصبر عليه، إلى أن نجد الفرصة السانحة فننقضُّ على فريستنا، بلا رحمة ولا هوادة...أما أنتم فتنظرون للأمور بمنظار آني، ولا تتجاوز أحلامكم إلا شراء بيت، أو سيارة أو قضاء وطركم مع هذه أو تلك، وبعدها تنامون، دون أحلام أو مستقبل تنشدونه..أفهمت يا...يا ابن عباس مدير المتعة...؟

إبراهام: والعباس إنك لداهية وشيطانة..!!

دينا بتهكم: من العباس لتقسم به..!..أما زلت في ضلالك القديم...اقسم

بالعزير لأنه إله...

إبراهام: العباس..عزير..أفيخاي..لا يهم..المهم النتائج..ثم ضمّها إلى صدرها بحرارة وفرح طابعاً قبّلة على خدها...

* * * *

عاد الكابوس إلى شاهر مرة أخرى، فاستيقظت زوجته على صياحه، وكذلك فؤاد الذي كان نائماً على الأرض بجوار أبيه..فجلس على الفور عند سماع صراخه، وأخذه إلى صدره كمن يريد أن يمنحه بعض السكينة، وسالت دمعات الطفل حارة على صدر أبيه، الذي بادله بمثلها: ما بك يا بني..؟

لم يرد عليه فؤاد بل ظلَّ يعتنقه بقوة...

اعتدال: لماذا هذا العِند..؟..ألا تذهب لتعرف تفسير هذا الحلم المزعج..

شاهر: أضغاث أحلام...لا تهتمي لذلك..ربما الضغط الهائل الذي نتعرض له هذه الأيام سبب فيما أراه..

اعتدال: لكن هذا الكابوس المزعج يأتيك منذ سنوات..لا بد من وجود تفسير له..فربما هناك طارق ينبهك لشيء ما..!!

شاهر: الغيب لله..ولا يعلم الغيب إلا هو سبحانه...فلا العارف ولا غيره يعلم أكثر مما يقع عليه نظره وتحسه يداه..

اعتدال: طيب...لا حاجة أن ترحم نفسك أو ترحمني..ارحم هذا الطفل المعوَّق..ألا ترى ما أصابه هذه الليلة والليالي الماضية..فعند مغادرتك يجلس وراء الباب ينتظر عودتك..رافضاً الطعام أو الشراب، وأنا أتحايل عليه ليأكل..لكنه يرفض إلا أن يراك بجانبه..

شاهر: هوني عليه الأمر..وتحايلي عليه واحكي له قصصاً، وافتحي له التلفاز ليرى الرسوم المتحركة.

شعرت **اعتدال** بأن كلامها ليس له فائدة، فألقت عليها الغطاء وأخلدت إلى النوم..

خطة الإمام

توالت حملات التشيع القسري، وإبادة القرى في إيران، وتبدلت معالمها بعد هدم أكثرها، والاستيلاء على مساجدها، وتحويلها إلى حسينيات تنقل التعاليم إليها. حتى بدأ الناس بين مقتول ومشرد ومسجون ومفقود وفار...

كان **آية الله مهدي** ميرزا يركز على قادته للتقيد بتعاليم الأئمة، وما يصدر عنه من أوامر؛ لأنه خليفة الإمام المنتظر، ونائبه في كل شيء... فكانت أوامره تصدر على الإبادة الجماعية لكل قرية سنية لا تتجاوب مع حملات التشيع...

في السابع عشر من رمضان، وبمناسبة مقتل علي بن أبي طالب، أصدر أمراً لقوات حرس الثورة والأمن والمخابرات للاجتماع به في قصره...

في الموعد المحدد. كان الجميع يجلسون صامتين، وكأن على رؤوسهم الطير... ظلَّ هذا حالهم لأكثر من نصف ساعة... وما إن أطلَّ عليهم حتى تعالت الصيحات، بالصلاة على رسول الله وآله ولعن أصحابه...

جلس كعادته في صدر المجلس، وأطرق برأسه إلى الأرض مظهراً التواضع أمامهم... والكل في صمت مطبق. حتى غدت القاعة كأنها فلاة في صحراء، فلا تسمع منهم من أحد ولا تسمع لهم رِكزا...

رفع **آية الله مهدي** رأسه، وأجال بنظره نحو الحضور. فرأى الأعناق تتطاول للنظر إليه. محدِّقة به وفي أعينهم أثر الاهتمام لما سيقوله... لكن آية الله أطال النظر إليهم، مقلِّبا وجوههم واحداً تلو الآخر. ولما تأخر في كلامه، أصيب الجميع بالخوف، وبدا عليهم القلق... وأخذ ينظر بعضهم إلى بعض، وكأن الطامة الكبرى قد وقعت... وبدأت أعينهم تتكلم بعضها إلى بعض. متسائلة عما يجري ولماذا هذا الصمت القاتل... لكن لا جواب...

وما إن رأى منهم هذا القلق، قال: شيعة أبي عبد الله صلوات الله عليه. ربما

يسأل أحدكم نفسه لماذا جمعنا الإمام في هذا اليوم بالذات..؟..والناس في الخارج يلتحفون السواد حداداً على إمامهم عليه السلام...!!

لن أتأخر عليكم بالجواب...فإمامنا قُتل بأيدي أولئك النواصب، ممن استولوا على خلافته ومنعوه حقه وحق البتول من أبيها صلوات الله عليه...ولا يخفى عليكم أن بلادنا تضم الكافر، والصابئي، واليهودي، والمسيحي، وغيرهم من الأقليات الدينية...ولكي تكون ثورتنا صافية نقية لا يدنسها شيء..فعلينا تنقيتها من بعض الشوائب والعوالق، التي تعوق مسيرتها...!!

لم يستطع آية الله كريم المشهدي الانتظار: مولاي..من هم..؟

ظهر على **آية الله مهدي** الانزعاج، وتغير لونه والتفت إليه: كان جديراً بك أن تصبر حتى أُكمل كلامي...فمقاطعة الإمام لا تليق بشيعته...!!

شعر آية الله كريم المشهدي بالخوف، فأطرق برأسه: عفواً يا مولاي..أستميحك عذراً..

هدأت نفسه واستطرد: أقصد أن ثورتنا ودولتنا لا يستقيم أمرها بعدو يتربص بها..

ثم نظر إلى الوجوه فرآها مشدودة إليه تريد المزيد...فأضاف: لست أقصد بالعدو أولئك المساكين، من اليهود والنصارى والصابئة..فأولئك لا يشكلون لنا أي مشكلة..وهم مواطنون صالحون..إنما العدو الحقيقي هو الذي يكمن لنا في الليل ويضربنا بالنهار...فأئمتنا عبر كل العصور نالوا من الظلم والهوان ما لم ينله إنسان على وجه الأرض، وقد آن الأوان لنخلع عنا روث الماضي وتراكماته المذلة...فلا ينبغي أن يكون في دولتنا **ديناً**ن...ثم نظر لآية الله كريم المشهدي كمن يريد أن يسبقه بالجواب...فما أقصده أولئك النواصب فلن نسمح لأحد منهم أن يبقى في دولتنا...وليس لهم خيار...فإما أن يتهودوا أو يتنصروا أو يتشيعوا..وليس لهم بعد ذلك إلا السيف..

وأنا من هذه القاعة وبهذه المناسبة الحزينة، أطلب من جميع أجهزتنا أن تأخذ

كلامي بمثابة أمر لا يُحلُّ عراه، حتى أرى الأمة الإيرانية بكل مساحتها تدين بمذهبنا. . .ومعكم كل الحرية في فعل أي شيء لتحقيق ذلك. . .وليس عليكم أن تهتموا بما تديره أجهزة العالم من تباكي عليهم ومن إشاعات يطرحونها. . .فهي شكليات لا قيمة لها، فنحن وإياهم متفقون على هذا المبدأ. . .وما اعتراضهم إلا زوبعة أحدثتها أجهزتهم بالاتفاق معنا. . .وأريد أن أسمع أخباراً طيبة بعد هذا اللقاء. . .

أما الأمر الآخر وتوجه بكلامه إلى رئيس المخابرات والحرس الثوري: فهو العراق. .هذا البلد الذي فيه مقدساتنا. . .فلا تهاون معه أبداً أبداً. . .فمقدساتنا محتلة من أولئك الحثالة أبناء تيم وعدي. . .ولهذه الدولة عداؤها الواضح. . .ولن نقبل بغير شيعتنا. . .وعلينا أن نعمل بكل ما نستطيع لقلب الموازين، لتغيير هذا الواقع المرير ولو كلَّفنا هذا الأمر كل ثروتنا. . .وليس هناك محظورات لتحقيق ذلك. . .فكل شيء مفتوح أمامكم. . .ودول العالم لنا معينة. . .فاقتلوا ودمروا وفجروا واسحقوا بدون خوف أو تردد. . .فكلما دمرتم كنتم أقرب للواقع الذي يريده أئمتنا. .!!

وعليكم أن تجهزوا أنفسكم، وتجندوا شيعتنا هناك ولا تبخلوا عليهم بشيء أبداً. . .قدموا لهم كل ما يحتاجونه من مال وسلاح ورجال. . .ثم استدرك. . .الرجال ليسوا مهمين. . .لأن في العراق من شيعتنا ما يُسدُّ بهم الأفق. . .

طلب باقر آبادي رئيس المخابرات أن يتكلم. . .

آية الله مهدي: لا بأس فأنا أسمعك. .

اعتدل باقر بأدب ومسح وجهه: مولاي. . .الوضع المالي في بلدنا ليس على ما يرام. .على الأقل في الوقت الحالي. . .فعملياتنا التي يقوم بها رجالنا تُكلِّف المبالغ الضخمة. .ونحن دولة فتية . .لا تملك من المال الشيء الكثير. .وخاصة بعد سقوط الطاغية محمد عطا بهنسي. .

تبسّم **آية الله مهدي** واعتلت وجهه الصفرة. . .لكنه تصنَّع الرضا: أما المال فلا قيمة له أمام ما سيأتينا في المستقبل، فالعراق زاخر بالنفط والثروات الهائلة. . .فإن

دفعنا القليل الآن..فسنحصد أضعاف أضعاف ما نقدم في المستقبل...ثم نظر إلى باقر متسائلاً: أين يقيم شيعتنا يا باقر..؟

باقر: مولاي في جنوب العراق...

آية الله مهدي مرة أخرى: وماذا يوجد في الجنوب..غير ذلك..؟

باقر: لا أدري ما تقصد..؟

آية الله مهدي: يوجد في الجنوب النفط...وهو زاخر بهذه الثروة، التي لا تنضب...وهي ملك لنا...والأمر يستحق التضحية...ادفع قرشاً الآن تحصد بعد ذلك مليوناً...

شعر باقر بالسعادة: مولاي أنتم إمامنا...والإمام يعرف ما لا يعرفه سواه...فالغيب عندكم واضح المعالم...وقد خصَّكم الإمام علي بنفحاته الربانية والغيبية...

تبسَّم بغرور لهذا الإطراء: بما أنك عرفت فالزم...ونفذ كل ما سمعت..ولا تأتني إلا بمفتاح البصرة وكربلاء والنجف والكوفة بيدك...فمنذ أن خرجت منها وهي تناديني وتقول لي: يا إمام أنا أسيرة النواصب، أحفاد المرتدين...فمن يخلصني من دنسهم...؟.

باقر بثقة عالية أنا يا مولاي جندي وسيف بيدك..فاضرب بي من تشاء وأين تشاء..فستجدني كذي الفقار متانة وقوة..

هزَّ **آية الله مهدي** رأسه والخيلاء والكبر ملأت وجهه: لقد سمعنا قبل أيام أن بعض رجالنا قد قتلوا أحد المرتدين..

لم يتمالك **آية الله محمد** الطوساني نفسه: نعم يا مولاي فرجال الإمام قتلوا تاج الإسلام...وبين أهله وخلانه..وعادوا إلينا ظافرين..!!

آية الله مهدي: لقد وصلتنا أفعالكم..لكن هذا لا يُذكر أمام ما ينتظركم هناك..وعليك منذ الآن بتشكيل ميليشيات للقيام بأعمال ترضي إمامكم...ولا يفوتنكم أن تستعينوا وتجندوا شيعتنا هناك؛ لأنهم سيشكلون طلائع الفتح المبين...فما

ينتظركم هناك أكثر مما تتصورون، ويحتاج إلى تضحيات جمَّة..وتخطيط دقيق...فالفشل لا يقبله إمامكم..وكلما أرقتم الدماء عجَّلتم بخروج المنتظر، عجّل الله فرجه الشريف...

آية الله محمد الطوساني: مولاي...لقد طلبنا من شيعتنا هناك إحصاء جميع الأهداف حسب مناطقهم وأماكن تواجدهم بدقة متناهية...

عقد **آية الله مهدي** بين حاجبيه وصاح به غاضباً: أي أهداف تقصد...؟

آية الله محمد بخوف: أقصد رجال النواصب وعلماءهم..

حدّق **آية الله مهدي** بوجهه وعلامات الاستهجان بادية عليه: هؤلاء فقط...؟

آية الله محمد: ومن غيرهم يا مولاي..فهم عدونا الأول...؟

آية الله مهدي: يا للأسف أهكذا ربيتكم...أهكذا علمتكم...؟..كان عليك أن تفكر بأكثر من ذلك..

آية الله محمد: مولاي...مولاي...!!

لكن **آية الله مهدي** أشار إليه بأن يصمت وينصت: كل من في العراق من علماء علمانيين، وعلماء دين، وأحزاب، ومؤسسات، ودور خيرية، ومساجد تخص النواصب، هي هدف حتمي لنا...أفهمت ذلك يا محمد...؟

آية الله محمد: نعم يا مولاي...!!

آية الله مهدي: فخذ ما فهمت ونفذ فوراً...ثم وقف وغادر المجلس بهدوء كما دخل..وهو يشير إليهم بيده مودعاً...

فوقف الجميع يودعونه بالصلوات على رسول الله وآله واللعنات على صحابته...

* * * *

تنفيذ فوري

بعد أن انفضَّ اللقاء مع **آية الله مهدي**، أعلن باقر آبادي رئيس المخابرات الاستنفار في جميع أجهزته الأمنية في طول البلاد وعرضها، ووجَّه خطاباً إلى جميع قادة الفصائل والميليشيات بتنفيذ توصيات الإمام...

توجَّه رجالُ الحرسِ والمخابرات إلى منطقة بلوشستان، وما إن وصلوا إليها حتى ألقوا القبض على علمائها، وكان من بينهم الشيخ المنتصر بالله نظام الملك، الذي كان يدير مدرسة صغيرة...فقتلوه أمام أهله وأولاده...ثم ربطوه في إحدى سيارات الجيب التي كانوا يستقلونها، وراحوا يسحبونه وراءهم أثناء تنقلهم بين البيوت والأحياء...حتى تمزَّقت جثته مخلِّفة وراءها بعض أجزاء لحمه المتناثر على الأرض، والناس ينظرون إليه بحزن وعجز، لا يستطيعون أن يحركوا ساكناً..!!

ثم وصلوا إلى مدينة خاش، وراحوا يبحثون عن العلماء والشباب، فما وجدوا إلا النساء اللاتي بدأن بالبكاء...وعندما لم يجدوا ضالتهم..تقدموا إلى أحد الصبية الصغار، وسألوه عن أبيه..فأجابهم ببراءة الأطفال بأنه فرَّ إلى الجبال مع رجال القرية..فأصدر قائد الحملة لرجاله أمراً بملاحقتهم..فأسرعوا خطاهم..وبدؤوا يطلقون النار إرهاباً للناس...وبعد ساعات من المطاردة، علم الفارون بأن الطلب سيدركهم، لكن شيخ القرية وعالمها عدنان كهرازهي...طلب منهم الفرار...وأخذ سلاحه وجلس بين الآكام والصخور...وقال لهم: اذهبوا في سبيلكم وأنا سأكون غطاءكم..لكن ولده طارق رفض أن يترك أباه وحده، فأخذ بندقيته وجلس بالقرب منه...

نظر إليه بعينين مفعمتين بالشجاعة والإقدام..ثم ضمَّه إلى صدره كمن يودعه قبل فراقه، فما كان من طارق إلا أن انكبَّ على يدي أبيه وقبَّلهما قبلة طويلة: يا أبتِ لا تجزع..فما هي والله إلا لحظات نكون معاً..وبين يدي رسول الله صلى الله عليه

وسلم. . وصحابته الإجلاء. . .

نظر الشيخ إلى ولده بدمعة وداع: والله ما ضاعت تربيتي فيك يا ولدي. . وهما في حوارهما. . بدأت رشقات الرصاص، تضرب الصخور المجاورة لهما. . فتسمع أزيزها. . الذي يصمُّ الآذان، ويبعث في النفوس الخوف والقشعريرة. . لكن الشيخ نظر إلى ولده الذي أخفى رأسه وراء إحدى الصخور. . . فقال له: يا ولدي لا تجزع من الموت. . . فإن الموت آتيك. . . خذ سلاحك ودافع عن دينك وعرضك وإخوانك. . . !!

فما كان من طارق إلا أن أخرج رأسه من مخبئه، وقال بصوت عالٍ ردد صداه الجبل والحجر: والإسلاماه وامحمداه. . . وراح يطلق النار على القادمين بلا خوف أو وجل. . . فما كان من المهاجمين حين رأوا كثافة النيران والإقدام، الكبير من هذا الشاب، إلا أن يخفضوا رؤوسهم خوفاً من أن ينالهم بناره. . . وراح الأب ينظر إلى شجاعة ابنه وإقدامه. . فاستتر وراء صخرة وأخذ يتصيَّد المهاجمين. . . فلما أعياهم النيل منه. . أشار قائد الحملة على رجاله أن يضربوهما بأسلحتهم الثقيلة. . فنصبوا مدافع هاون من عيار ثمانين ملم. . وبدأت القذائف تسقط بالقرب منهما. . لكن طارقاً وأباه كانا لهم بالمرصاد. . فتتالت جثث أعدائهم متناثرة على الأرض. . . فأصيب المهاجمون بالخور. . وبدأت عزيمتهم تنهار. . . ولما رأى قائدهم حالهم أمرهم بالرمي المتتالي دون توقف. . . وبعد برهة من الزمن سقطت قذيفة بالقرب من طارق ففصلت رأسه عن جسده، وتدحرج الرأس بالقرب من أبيه، الذي نظر إليه بدمعة حزينة واعتنقه وقبَّله في جبينه، وخاطبه: هنيئاً لك الشهادة يا ولدي. . . أراك قد سبقتني. . . ثم أخرج رأسه من مخبئه وبدأ بإطلاق النار في كل الاتجاهات صادحاً بصوته عالياً: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠] .

لم يفهم المهاجمون ما يقول. . . فسألوا قائدهم. . فلم يرد عليهم؛ لأنه كان أجهل منهم بما يسمع، وإنما أصدر أمره أن يواصلوا القصف بنيرانهم المتواصلة. .

بعد نصف ساعة..انفجرت إحدى القذائف بالقرب منه..فأصيب بجرح في صدره...أفقده وعيه...

عندما شعر المهاجمون بتوقف إطلاق النار أنصتوا..مسترقين السمع...ولما وجدوا أن الهدوء يعمُّ الجبل...أمر القائد مجموعة من جنوده بالتقدم..وبعد دقائق معدودة..وقفوا على هضبة صغيرة وصاحوا لقد انتصرنا...وحمل أحد الجنود رأس طارق ورمى به إلى الأسفل...فأخذ الجنود يدوسونه، ويقذفونه بأرجلهم لاهين به...ويقولون: رأس برأس...فداك أبي وروحي يا حسين...!!

نظر إليه قائد الحملة وعيناه تقذفان بالشرر: يا عدو الأئمة..كيف تجرأت على جنود الحق..ونظر إلى الأعلى فوجد رجاله يدفعون الشيخ عدنان كهرازهي من الأعلى..ولما استقرَّ في الأسفل، حملوه ورموه في إحدى الشاحنات..ثم أشار قائدهم بملاحقة الفلول الهاربة، لكن تصدي الشيخ عدنان وولده طارق للمهاجمين ساعدهم في استغلال الوقت، فاجتازوا الحدود الدولية بأمان...

عاد المهاجمون يهللون فرحين بما حصدوه من انتصارات..والشيخ عدنان يتأوه من الألم، ودمه النازف ملأ السيارة...

عند وصولهم إلى قريته..جمع قائد الحملة النساء والأطفال في ساحة عامة..ثم رمى بالشيخ عدنان إلى الأرض...ثم نادى على رجاله بأن يجمعوا له حطباً، ووضعوا الشيخ في وسطه وأشعلوا عليه النار...ففاحت رائحة شواء لحمه بين كل البيوت..وبدأ النساء بالنحيب، وحاولن إنقاذه..فتقدمت إحدى المسنات، متكئة على عكازها، تتأرجح في مشيتها يميناً ويساراً: لعنكم الله يا أعداء الله...لعنكم الله يا أعداء الله..وظلَّت تتقدم إليه دون أن تلقي بالاً لتهديدهم...فما كان من قائد الحملة، إلا أن أشار على رجاله بيده، فانهالت عليها الطلقات من كل جانب...فسقطت على وجهها، فلم يكتفِ بذلك...فتقدم إليها، وقال مخاطباً جثتها الهامدة: أتريدين أن تذهبي إليه...لا بأس...لا بأس..لن نبخل عليك بذلك، فطعنها بحربته في صدرها، ثم أشار على رجاله أن يحملوها...فتسارع إليها أربعة رجال..أخذ كل واحد منهم بأحد أطرافها..ثم بدؤوا يلوحون جسدها:

واحد. . . اثنان. . . ثلاثة. . ثم قذفوا بها إلى النار. . وضحكاتهم تتعالى فرحاً بما حققوه. . . !!

نظر أحد الصبية الصغار إلى جدته. . فأسرع خطاه نحوها دون انتباه من والدته، ليأخذ عكازها المرمي على الأرض. . فسارعت إليه أمه لتمنعه. . لكنه كان أسرع منها. . . وما إن شاهد القائد الطفل يحمل عكاز جدته. . حتى ضحك ضحكة عالية. . . فمنعه أحد الحراس من أخذه؛ لكن القائد قال له: دعه. . . وبعد أن تهدأ النار أعطه ما بقي منها. . . ثم أطلق قهقهات. . أصابت النساء والأولاد بالخوف، فجلسوا على الأرض يبكون بصمت، لكيلا يسمعهم عدوهم. . .

توجهت فرقة أخرى إلى قرية أخرى في بلوشستان، فهاجمتها عناصرها في الساعة الثانية والنصف ليلاً، ودخلوا منزل الشيخ عبد الواحد ولي محمد، الذي كان قد هرب من إيران ولجأ إلى تركمانستان، مع مئات الطلبة ممن كانوا يأخذون عنه العلم، وعندما لم يجدوه في المنزل أوسعوا النساء والأطفال ضرباً، ثم أخرجوهم من المنزل وأشعلوا فيه النار، ثم أخذوا ثلاث فتيات صغيرات، وقبل مغادرتهم تقدم أحد رجالهم فطعن زوجته بسكين في صدرها فأرداها قتيلة، وغادروا القرية بعد أن تركوا سكانها في حالة هستيرية لمصابهم. .

* * * *

دعـــوة وحصاد

حطَّ **آية الله سعيد** الطبطبائي رحاله في منطقة البوكمال، واستضافه أحد شيوخها، فأرسل مساعديه مع رجال الشيخ إلى بقية الشخصيات المعروفة في المناطق المجاورة...

مع غروب الشمس اجتمع منهم العشرات...يحملون معهم الخراف والطعام إكراماً لضيوفهم كما هي عاداتهم على مر السنين..

جلس **آية الله سعيد** بينهم مظهراً التواضع والخضوع..فأكل بيده كما يأكلون..وأخذ ينثر اللحم من أمامه إلى من جاوره، وكأنه صاحب الدعوة..ليزيد من احترام الشيوخ له...كان لتواضعه وحسن تصرفه وكرمه أثره الكبير في نفوسهم...

لما انتهوا من طعام العشاء، بدأ حديثه معهم: لقد جئتكم زائراً، وما قطعت هذه المسافة الطويلة إلا لأني سمعت عن كرمكم وأخلاقكم وحسن رفادتكم لضيوفكم...وأكثر شيء دفعني إليكم ما سمعته عنكم من دين وخلق...هذه الصفات قلَّ نظيرها في هذا الزمان..ولا أستطيع التعبير عما يجيش في صدري..فكل الكلمات عاجزة عن وصفكم بما تستحقون...

شعر الشيوخ بالزهو والاعتزاز بأنفسهم...فقالوا: حياك الله يا شيخ...نحن أخذنا ما ذكرت كابراً عن كابرٍ..فهي صفات تأصلت فينا من قبل أن نرى النور...

أجابه **آية الله سعيد**، بخبث ودهاء: لولا أني سمعت هذا عنكم ما أتيتكم...وعلى كل حال..أنتم تعلمون أن الله تعالى عندما أنزل رسالته على رسول الله...أنزلها في مكان لا يبعد في حالته وظرفه عن حالكم وأرضكم...ولولا أن الله يعلم في علم غيبه أن أمثال تلك الأرض ورجالها، هم خير من يحمل رسالته إلى الناس كافة لما خصَّهم من عباده، فالأرض ما أخذت من صفات وبما أقلَّت من

بشر...

أجابه شيخ الميادين فالح العبيان: والله يا شيخ قلت فأحسنت..ووصفت وما أسرفت...لقد قلت الحق...ونحن رجال الحق وأولياؤه...

آية الله سعيد: البلاغة لا تأتي إلاَّ من أمثالكم...فأنتم الرجال...وقد أتيت إليكم لأنظر حالكم، فآخذ بيد الفقير وأساعده...وأحمل العاجز وأوصله...وأعظ الجاحد وأهديه...

فالح العبيان: حياك الله وبياك...وجمع الهدى وِيَّاك..

آية الله سعيد: لا أريد إلا دعمكم المعنوي...

فالح العبيان: قل يا شيخ..فنحن والله أهل الكرم والجود..وتبييض الوجوه..

آية الله سعيد: يا أهل النخوة والشهامة...إن إنسانا بلا دين لا قيمة له في الدنيا ولا في الآخرة...وقد وجدنا في مدينتكم ما نرجوه..

فالح العبيان: وصلت يا شيخ...ما تريده مقضي بإذن الله...عيّن خير...يا ولد الكرام..

آية الله سعيد: بارك الله فيك...أنا لا أريد لنفسي شيئاً...بل نريد أن نبني بيتاً لله تعالى يُذكر فيه اسمه، يُسبح فيه بالغدو والآصال...

فالح العبيان وقد أخذته النخوة: بيوت الله لا تحتاج موافقة من أحد..اختر المكان وأنا والشيوخ جاهزون؛ لأن نقدمها هدية ما من ورائها جزية...عيّن خير يا ولد الأجاويد...

شعر **آية الله سعيد** بفوزه وتأثيره فيهم: فأجابه على الفور...توكلنا على الله...وسنبني معه مستوصفاً لمعالجة المرضى مجاناً..ومدرسة شرعية تعتني بأولادكم...

ارتفعت أصوات الشيوخ مرحبة بما قال...ولما انتهت الجلسة تكاثر عليه الشيوخ، لاستضافته في بيوتهم...لكن الطبطبائي تصرف بدهاء كبير: سأقسم إقامتي على جميع الشيوخ...

انفعل فالح العبيان: عليَّ الطلاق من نسواني الأربع ما تنزل غير عندي. . .أنا شيخ القبائل والعربان. . .

أظهر الطبطبائي تأثره وقال بلهجته: عيّن خير يا ولد الأجاويد. .والله ما يصير إلا ما تريده. . .

رفع فالح العبيان رأسه وأظهر الزهو والفخر، ثم التفت إلى بقية الشيوخ: يا وجوه الخير بيتي كما هو دائماً مفتوح لكم. . .اتفضلوا كل يوم نتسامر. . .والحاضر يعلم الغايب. . .هلا وميّة هلا بيكم يا نشامى. .

وانفضَّ المجلس بعد أن رضي الجميع. . .

* * * *

قطف الثمار

مع الصباح الباكر ارتدت **دينا** أجمل ما عندها من ثياب، وجمعت شعرها إلى الخلف، وربطته بربطة حمراء، وأضافت لمسات من الكحل الأزرق على عينيها، وتعطرت بأجمل ما عندها من عطر، وهي تصرخ على إبراهام أن يستيقظ...وهو غاط في نومه لا يعي ما يدور حوله...

لما أعياها الصياح انتابها الغضب، وتوجهت إليه على عجل وبيدها كأس من الماء البارد، وصاحت به: إبراهام..ثم أسقطت الماء على وجهه..فانتبه مذعوراً..!!

صاح بها: ماذا تفعلين...ألا يستطيع المرء أن يرتاح في بيته..؟

صاحت به: اجلس..ألا تعلم أن وراءنا اليوم عملا كبيرا..!!

أجابها بلا مبالاة: ما وراءنا..ديوان المحافظة...؟

دينا: اليوم انتخابات الكنيست..ويجب أن نكون هناك مبكرين...

إبراهام: وما الفائدة من العجلة..؟..طالما الأمور ستسير بالتصويت السري..

شعرت **دينا** بالغيظ فصاحت به: أنا أخطط لهذا اليوم منذ زمن طويل..وأنت تقول انتخابات سرية...

تململ **إبراهام** وكأن الأمر لا يعنيه: أنا متعب هذا اليوم...ولم أستطع النوم حتى الثالثة فجراً...

دينا: هذا يومنا..فإن لم نستغله..فلن تكون لنا بعد الآن قيمة تذكر...!!

وقف **إبراهام** بكسل وتوجه نحو المغسلة..وفي طريقه صاح على الخادمة أن تجهز له قهوته..

لم تمضِ نصف ساعة حتى غادرت بسيارتها وإلى جانبها زوجها...

جلسا في قاعة الحزب، ووضعت إلى جانبها حقيبتها الصغيرة...

كان أول الداخلين رئيس الحزب شالوم يعقوب، الذي ما إن رآها حتى قبّل يدها. .فأخذت بيده وأجلسته إلى جانبها. .وهمست في أذنه. .فتغير لونه. .وبدأ يفقد اتزانه. . .

نظرت إليه لترى مدى تأثره بما سمع. . .فشعرت بالسرور يغمرها. . .فابتعدت عنه بهدوء وانتقلت إلى آخر. . .ثم آخر. . .حتى اكفهرت وجوه الكثيرين. . .وبعد أن اكتمل النصاب القانوني للحزب. . .وقف شالوم: من يود ترشيح نفسه للكنيست فليتقدم مشكوراً. . .وما إن نطق بتلك الكلمات حتى تطاولت الأعناق إلى دينا. . .التي نظرت إليهم بوجه يحمل تعبيرات يفهمونها. . .فما كان منه إلا أن قال: أول المرشحين دينا بنت أفيخاي بن جدعون. . .

عبست دينا والامتعاض ظاهر على وجهها. .

فما كان من شالوم إلا أن قال: والمرشح الثاني إبراهام ثم توقف. . .

فعاجلته **دينا**: ابن عباس. . .وراحت تنظر إلى وجوه الحاضرين فلم تسمع من أحد أي اعتراض. . .

كان مصطفى مطرق برأسه، كمن فعل فعلة يخجل منها. .فلا ينظر لأحد، وإنما خلا إلى نفسه، وكأن الأمر لا يعنيه. . .!!

ثم ترشح ثالث. .ثم رابع. . .ودينا تنظر إلى وجوه الحاضرين، وتتكلم معهم بعينيها. .والكل يفهم ما تريد. .

وعندما يريد أحدهم التصويت ينظر إلى دينا التي كانت ترمقه بعينيها الحادتين. .

حُمِلَ الصندوقُ إلى المنصة ووضع أمام لجنة الفرز. . .وما هي إلا لحظات حتى فُتحت أول ورقة فقال شالوم: دينا بنت أفيخاي. . .ثم إبراهام بن عباس. . .

ثم فتح أخرى. .ثم أخرى حتى فرغ محتوى الصندوق. . .

وقف رئيس اللجنة ليعلن النتائج. .أوجس إبراهام في نفسه خيفة. .فلما رأت دينا ما به. .أخذت بيده هامسة. .النتيجة لنا فلا تجزع. . .لكن إبراهام لم يعر لها أية أذن صاغية، بل ظلَّ مطرقاً برأسه تنتابه الهواجس، محاولاً الاختباء خلف نظارته

السوداء. . .محدِّثاً نفسه: هل سأصبح عضواً في الكنيست.؟. .لا. . .لا أعتقد. . .؟

وهو في هواجسه. . .انتهت اللجنة من فرز الأصوات، ووقف شالوم ليعلن النتيجة: حصدت دينا على مائة وسبعين صوتاً من أصل مائتين وخمسين. . .أما إبراهام: فقد جاء في المرتبة الثانية، فحصل على مائة وخمسة وخمسين صوتاً. .ثم تلا اسم الثالث. .حتى عدَّ خمسة مرشحين. . .

فما كان من **إبراهام** ودينا إلا أن وقفا يعانق أحدهما الآخر والفرح الشديد يغمرهما، ثم تقدمت لتلقي كلمة صغيرة أمام أعضاء حزبها: لقد أثبتت دولة إسرائيل خلال فترة قيامها، أن الديمقراطية هي إحدى ثوابتها، التي لا يمكن أن تحيد عنها. .وهذا هو سر نجاحها. . .وأنا من هنا ومن على هذا المنبر، أعدكم أن أكون وزوجي خادمين مخلصين لدولتنا. .وشكراً. .ثم عادت إلى مكان جلوسها. .وبعد ساعة من الزمن انفضَّ اللقاء. . .

* * * *

كشف الحقائق

تتالت زيارات هزار وصديقاتها إلى المدرسة. .حتى غلب على زيارتهن الطابع العلمي. . .فانتسبن إليها. . .مما دفع الطالبات إلى الاستفادة منهن، فأخذن يتجمعن حولهن أثناء الدوام ليسألنهن عن الشيعة وأهدافها ونشأتها وعقائدها. .حتى أن العديد من الطالبات أخذن بعض المعلومات منهن واعتبرنهن مرجعاً في بحوثهن. . .

أما الدكتور **شاهر** إسماعيل، فقد جعل يوم الخميس من كل شهر. .موعداً عاماً لمحاضرته العامة، يستمع إليها الطلاب والطالبات على حد سواء. . .غير مبالٍ بتهديد الآيات الذين كانوا يتربصون بالمدرسة وأهلها شراً. . .فأصبحت من المحاضرات المهمة جداً. .فكان جميع الطلبة ينتظرونها بفارغ الصبر. . .

في اليوم المحدد. .اجتمع الطلاب من كلا الجنسين كل في قاعته، وبدأ الشيخ كلامه بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه: كما هي عادتنا، سنلقي عليكم اليوم محاضرة نتناول فيها الكثير من الأمور، التي أقمنا مدرستنا على أساسها. . .ولنقدم لكم بعضاً من آراء رجال وفقهاء وفتاوى قالها رجالهم المعتمدون في مذهبهم. . .ثم أطرق للحظات: أبنائي أتدرون ما يقول علماؤهم في الطواف حول الكعبة الشريفة. . .؟

ثم أجاب نفسه: اسمعوا لما قاله شيخهم وحجتهم الكليني ناسباً ذلك إلى أبي جعفر: إنه نظر إلى الناس يطوفون حول الكعبة فقال: فعال كفعال الجاهلية!!.

تصوروا. .الطواف حول الكعبة هي جاهلية. . .ضاربين بعرض الحائط قول الله تعالى: ﴿**ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالبَيْتِ العَتِيقِ**﴾ [الحج: ٢٩].

ثم قارنوا بين قولهم هذا وبين الآتي: يُروى عن أبي عبد الله المقصود هنا جعفر الصادق. . .حيث أنكر على رجل جاءه، ولم يزر قبر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال: بئس ما صنعت !! لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك، ألا تزور من

يزوره الله مع الملائكة ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون.

فإن كان طواف بالكعبة جاهلية.... فكيف يزور الله تعالى قبر علي كرم الله وجهه... سبحانك يا رب..!!.. فماذا تسمون هذا الحال.. من أولئك الباطنيين.. فهل هناك شك بعد هذا القول..؟.. إنه الكفر الواضح..

ضجَّت القاعتان معاً.. فلا تسمع إلا أستغفر الله العظيم.. أستغفر الله العظيم..

أما في سرقتهم لأموال الناس فقد أورد الكليني في أصول الكافي ما يأتي:

إن الحسين رضي الله عنه قال: ما من شيء أحب إلى الله من إخراج الدراهم إلى الإمام، وإن الله يجعل له الدرهم في الجنة مثل أُحد... وفي رواية: درهم يوصل ود الإمام أفضل من ألف ألف درهم فيما سواه من وجوه البر... وإذا كان الإمام قد غاب، فله نواب وأحباب، والأمر لا يحتاج إلى أكثر من تحويل الصك من اسم الغائب إلى النائب...

أرأيتم كيف تُسرق أموال الناس بالباطل.. أعوذ بالله من غضب الله.. يريدون للإمام أن يكنز من الذهب والفضة متجاهلين قول الله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾ [التوبة: ٣٥]..

أرادوا أن يجعلوا للإمام نصيباً مفروضاً في أموال الناس.. ليعيش كما يعيش الملوك والسلاطين.. فالناس يعملون ويكدون... والإمام يستمتع بأموالهم... انظروا إلى هذه المهزلة..

أما الصلاة التي هي عماد الدين، والتي لا يصح إسلام عبد بلا صلاة، وهذا ما ورد عن نبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال لأبي الدرداء رضي الله عنه: أوصاني أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أن لا أشرك بالله شيئاً وإن حرقت، ولا أترك صلاة مكتوبة متعمداً، فمن تركها متعمداً فقد كفر، ولا أشرب خمراً، فإنها مفتاح كل شر..

وذهب علماؤنا إلى القول: من ترك الصلاة فقد كفر، وليس من الأعمال شيء

تركه أكثر كفراً.. من ترك الصلاة ، فمن ترك الصلاة فهو كافر..فماذا بعد قول رسول...فما بال هؤلاء يتهاونون في الصلاة إلى أبعد الحدود، بل جعلوا لها كفارة ككفارة اليمين...وإنما أردوا بتلك الفتوى تسهيل الأمر على أتباعهم، فلم يكتفوا بالرذيلة التي ينشدونها في حسينياتهم، وفي أماكن قبورهم وقبلتهم..بل أجازوا للناس ترك الصلاة..فقالوا:

لا بأس أن يموت الإنسان تاركاً للصلاة؛ إذ يمكن إجراء حساب سريع للأيام والسنين المتروكة، فيعطى للسيد مقابلها مبلغا من المال، على أمل أن يقوم هو بأدائها عنه ! والسيد لو جاءه في كل يوم عشرة، يطلبون منه الصلاة، بدل أمواتهم لوافق دون تردد !!

هذه هي قيمة الصلاة أعظم شعائر الدين على الإطلاق، فما يكون دونها من الأحكام..؟..بلا شك أكثر تهاوناً واحتقاراً...

صعق الطلاب لما يسمعون..فوقف أحد الطلبة: إنه الكفر والله...

وأضاف: ولهم أيضاً أنه من سرق مالاً ليس له فيه حق..فعليه أن يُخرج خمس المال المسروق إلى الإمام..ليحل له الباقي...أي دين هذا...فالسرقة والزنا وترك الصلاة والزكاة أمور سهلة، أما الطواف فهو جاهلية...وغيرها الكثير والكثير جداً التي امتلأت بها كتبهم، ورؤوسهم تحت حجج واهية، أرادوا هدم الدين من الجذور...فإن لم نكن على مستوى المسؤولية، فسنقف أمام الله تعالى ولنا خوار كخوار عجل السامري...فهلمَّ إخواني نعمل سوياً على بيان الحق..لنلقى الله تعالى ووجوهنا بيضاء...وقد أدينا ما علينا...ولنترك التوفيق والنجاح على ربنا ثم تلا قوله تعالى: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [التوبة: ١٥] .

بدأت القاعة تموج بالنقاش...فنقر الدكتور شاهر على الطاولة منبهاً لهم: أبنائي ليكن حديثنا مركزياً..ولا نتجاوز إلى السبل...لتعمَّ الفائدة الجميع..وما نحن هنا إلا لنبين لكم بعضاً مما خفي عنكم...

بدأ النقاش على أشده بين الطلاب وشيخهم..حتى مضى الوقت المخصص ودخلت ساعة أخرى..فطلب الدكتور من الأستاذ مؤيد رفع الجلسة إلى الشهر القادم..

* * * *

التقى عميرو مع **آية الله مهدي** بعد منتصف الليل من يوم الجمعة، وتشاوروا في أمور عدة..كان استياء مهدي كبيراً جداً لبطء الحركة في تصدير ثورته إلى الخارج..

رمقه عميرو بنظرات حادة: لا أعلم كيف تفكرون..وبأي عقل تعملون..ألم أقل لك سابقاً : إن لكل شيء أوانه..

مهدي بانزعاج: ومتى هذا الأوان..؟..وأنت ترى أننا نسير ببطء شديد، وانجازاتنا لا تذكر أمام دولتكم..

عميرو: ألم تسأل نفسك لماذا أتيتك هذا اليوم..؟..

مهدي: مثل كل مرة..مواعظ وطلبات..بقتل هذا وتصفية ذاك..

شعر عميرو بالإهانة: من صفات الإمام الإنصات للآخرين والاستماع لما سيقولونه..ثم أخرج من جيبه مجموعة أوراق مطبوعة وقدمها له: انظر فيها وسترى كيف نخطط للأمر من كل جوانبه..وبالتوقيت الصحيح..

تناول مهدي الورق من يده وقرأ محتواها..فأخذ يبتسم، وظهرت على وجهه أسارير الفرح والسعادة: شكراً لك أيها الحكيم..شكراً لك أيها الحكيم...!!

التفت عميرو إلى راحيل مبتسماً..فقالت موجهة كلامها لمهدي ميرزا: سماحة الإمام..كيف رأيتها...؟..

مهدي: رائعة حقاً...!!

راحيل: سماحة الإمام ما عليك إلى أن توزع الأدوار..وعندكم خبير اقتصادي يساعدكم على تنفيذها وشرحها أمام رجالكم ومسؤوليكم..

مهدي: الآن أحسست بالسعادة وبأن الأمور أخذت تنحى نحو ما أريد..

نظرت إليه وارتسمت على وجهها بسمة مصطنعة فيها الكثير من الاستعلاء والعنجهية : سماحة الإمام. .نحن لا نتخلى عن أصدقائنا. .إلا إذا أرادوا هم التخلي عنا. .فعندها سيكون لنا معهم شأن آخر. .

رمقها مهدي مندهشاً: لقد تغيرت كثيراً يا راحيل. .فمنذ سنوات لم تكونِ بهذه الحدة والجدية. .!!

أشارت إلى أبيها بعينيها: أنا خليفة أبي. .

همهم مهدي: نِعْمَ ما ذكرت. .!!

* * * *

مكر الإمام

دعا **آية الله مهدي** إلى اجتماع عاجل لرجال دولته ممن ساروا على نهجه واعتقدوا بقوله.. ولما اكتملوا في القاعة، طلب من حرسه ورجال أمنه وسكرتيره أن يبعدوا الحرس كيلا يُسمع قولهم...

استجاب السكرتير لطلبه على الفور، ووقف أمام الباب الخارجي، ليتأكد من تنفيذ أوامر إمامه، ولما استقروا جالسين قال لهم: لا بد لنا من أن نخطو خطوات مدروسة في كل حركاتنا...ومنذ لقائي الأخير معكم، أشرت إليكم ببعض المعادلات، التي عليكم أن تسيروا وفقها...ولكن كما تعلمون أن بعض الأمور لا يصح فيها إلا التخطيط الدقيق..وأقصد بها..الأمور الداخلية والعلاقات الخارجية مع الدول المجاورة والبعيدة؛ لأن دولتنا لا تستطيع القيام دون تلك العلاقات..وقد وجدت أن نضع بعض اللمسات الهامة كخطة نسير وفقها لنضمن نجاحها، وتحقيق ما نصبو إليه...وأريد أن أستعرضها معكم اليوم.

طلب **آية الله محمد** الطوساني الكلام: نحن يا مولاي ما وصلنا إلى هذا المكان إلا بجهودك، ولن نكون إلا أداة طيعة بيمينك..وما علينا إلا التنفيذ..فمر بما شئت وتجاوز عما شئت..فوالله لو أمرتنا أن نلقي بأنفسنا إلى النار ما تأخرنا..أنت ولينا من دون الناس، وأنت إمامنا بغياب المنتظر..ولك الطاعة العمياء، بلا تسويف، ولا تأخير، ونحن على دربك سائرون، وبمعتقدك مؤمنون...

شعر **آية الله مهدي** بالكبرياء لما سمع، فتبسم في وجهه دون أن يتكلم بأية كلمة...ثم نظر إلى الباقين ليسمع منهم..

استأذن باقر آبادي في الكلام مظهراً الطاعة والحب والاحترام للإمام: مولاي..أنت ربُّ نعمتنا...وباني دولتنا...وإمام شيعتنا...وخليفة أئمتنا..وليس بعدك ولا قبلك إمام..نحن ننظر إليك كما ينظر المنتظر إليكم، كخليفة ونائب عنه

في غيابه. . .قد أجرى الله على لسانكم صدق الأئمة. .وصدق أحكامهم وبيان خلافتهم. . .فقل ما تشاء ومر بما تشاء فنحن والله رجالك. . .ثم تكلم الباقون على نحو قولهما، وآية الله مهدي منصت دون أن يعر أحدا منهم أي اهتمام، أو يثني عليه. . .بل يهزُّ رأسه مظهراً الكبر والعنجهية. .

وما إن انتهى الجميع حتى قال لهم: إن بناء دولتنا لن يقف عند حدودها الجغرافية، المدونة في الأمم المتحدة، ولكن لنا الحق في جميع الدول الإسلامية. . .ونشر مذهبنا يجب ألا يقتصر على فئة دون أخرى. .فالكل يجب أن يلتزموا مذهبنا اعتقاداً وعملاً. .لقد وجدت أن تصدير ثورتنا إلى البلاد الإسلامية المجاورة، لا أقصد هنا العراق لأنه جزءٌ من دولتنا ومقدساتنا. .وإنما أقصد هنا الدول الباقية. .فإنها إن وجدت نفسها مقصودة من قبلنا. .فسوف تسرع لمهاجمتنا. .وهذا الأمر لا طاقة لنا به في الوقت الحالي. . .وإنما يكون ذلك بعد أن نملك ناصية العلم العسكري والقنبلة الذرية، التي ستكون بمثابة صمام أمان لنا ولأجيالنا من بعدنا. . .لذلك نحن نحمل واجباً دينياً ثقيلاً، فتصدير ثورتنا من الأوليات. .لكن نظراً للوضع العالمي الحالي لا يمكن تصديرها بالسرعة المطلوبة. . .

وبدأ النقاش بين الحاضرين، إلى أن قدم مهدي ميرزا إليهم خطة تشمل خمس مراحل، ومدّة كل مرحلة عشر سنوات، لتصدير الثورة إلى جميع الدول المجاورة جاء فيها:

١- توحيد المسلمين تحت لوائنا المذهبي. . .وسحق كل دولة لا تدين بمذهبنا. . .وبناءً على هذا: يجب علينا أن نزيد من عدد الحسينيات في بلادنا أولاً. . .وفي البلدان الأخرى ثانياً. .باسم الدين وبناء بيوت الله. .

٢- امتلاك ناصية العلم والمعرفة، وهي من الأمور الهامة، وخاصة إيجاد الباحثين والعلماء بكافة الاختصاصات، على أن تتصدرها العسكرية منها. . .

٣- زيادة قوة الاقتصاد بين أيدي أصحاب رؤوس الأموال، وأقصد هنا خارج إيران. .لأننا إن تمكنا من ذلك وسيطرنا عليها. .نستطيع أن نزلزل كيان تلك

الدول. .ونستطيع شراء ضمائر الناس والحكومات معاً. .وبالتالي نصل إلى هدفنا بسهولة ويسر ودون عناء أو تضحية. . .

ثم قال موجهاً كلامه للجميع: أما كيفية تنفيذ الخطة فهي تتطلب منا بعض التضحيات السطحية:

١- علينا تحسين علاقتنا مع دول الجوار، وبعد ذلك نسقط منهم من نشاء؛ لأن إسقاط ألف صديق أهون من إسقاط عدو واحد .

ومن المؤكد ستكون بيننا وبينهم علاقات ثقافية وسياسية واقتصادية، عند ذلك سوف يهاجر بلا ريب عدد من الإيرانيين إلى تلك الدول، ويمكننا من خلالهم إرسال عدد من عملائنا كمهاجرين ظاهراً، ويكونون في الحقيقة من شيعتنا. . .

قاطعه **آية الله محمد** الطوساني: مولاي الخطة تتطلب منا الوقت الطويل. . .

آية الله مهدي ميرزا: لا تفكروا في الوقت. .بل فكروا بالإنجازات التي ستتحقق بعد ذلك. .

وبعد أن أنهى كلامه رفع الجلسة إلى يوم آخر لاستكمال الخطة. . .

وعند خروجه طلب من باقر آبادي رئيس المخابرات وآية الله محمد الطوساني أن يلحقوا به. .

وما إن استقرَّ في مكتبه حتى قال: عليكم بزلزلة النظام في العراق. .فنفسي لا تتقبل وجود مقدساتنا بيد أولئك الكفرة. . .

آية الله محمد الطوساني: مولاي نحن نبذل جهدنا بتفانٍ. .ويمكن دفع الأمور نحو الأفضل لنجنّد عدداً أكبر من رجالنا خارج إيران وداخلها. .

آية الله مهدي: ماذا تقصد بذلك. .؟

آية الله محمد: أقصد لو قدمتم بعض المرغبات. . .؟

آية الله مهدي: أتقصد أنواط شجاعة. . .ومكافآت. .؟

آية الله محمد: تقريباً. .

تمتم **آية الله مهدي** بكلمات غير مفهومة ثم رفع رأسه: سيكون ذلك.. سنصدر صك غفران لكل متطوع... فإن قُتل أثناء أداء واجبه دخل به الجنة ولا حساب عليه..

لمعت عينا **آية الله محمد**: مولاي... ستعطي صكوك غفران..؟؟!!

آية الله مهدي: هذه أقل مكافأة يمكن أن يقدمها إمامكم إلى شيعته.. فالجنة مضمونة بهذا الصك...

فرح **آية الله محمد** وأثنى باقر آبادي على كرم إمامه...

مهدي: سنقدم الصكوك خلال أربع وعشرين ساعة..

* * * *

ترافق بناء الحسينيات مع افتتاح المدارس الشرعية السنية في المناطق الشرقية من سوريا... فتهافت عليها الطلبة من كل ناحية وقرية.. حتى غصّت بهم المدارس..

لم يكن **آية الله سعيد** الطبطبائي بعيداً عن هذا النشاط، الذي كان عقبة حقيقية في وجه دعوتهم التبشيرية.. فأصيب بغيظ شديد، فالفشل بدأ يرافق حملته أينما حلَّ ونزل.. فهرع على الفور مسافراً للقاء **آية الله أحمد المرشدي**، الذي كان ينتظر أن تأتيه منه الأخبار السارة..

فلما التقاه قصَّ عليه الأمر بتفاصيله..

تغيَّر لون **آية الله أحمد**، وبدأ يشتم ويلعن.. وآية الله سعيد ينظر إليه دون كلام.. إلى أن هدأت نفسه: كيف لم تستطع تحقيق وعد الإمام..؟.. وماذا سنقول له...؟.. أنقول له قد فشلنا...؟...

شعر **آية الله سعيد** بالخوف لما ينتظره...

عقد **آية الله أحمد** بين حاجبيه، ونظر إليه متسائلاً: كم من المال أنفقت في رحلتك..؟

تلكأ **آية الله سعيد** في كلامه... لكن آية الله أحمد سارع في الجواب: من المؤكد أن يدك إن دخلت جيبك لا تخرج منه.. فأنا أعرفك...!!

آية الله سعيد: مولاي...!!

صرخ آية الله أحمد في وجهه: اخرس...وإلا رفعت كتاباً للإمام يُعرِّفك قدرك..

أطرق **آية الله سعيد** برأسه إلى الأرض..مظهراً أسفه وندمه...لكن آية الله أحمد طلب منه التنحي عن منصبه..والعودة إلى إيران مع أول طائرة..

وما إن سمع بذلك حتى ارتمى على قدميه يقبلهما: أعطني يا مولاي فرصة أخرى..وحق العباس والأئمة الأطهار لن ترى مني إلا ما يسرك...أرجوك...أرجوك...

تأمل **آية الله أحمد** وجهه فشعر أنه قد حقق ما يصبو إليه...فاستدار عنه كأن الأمر قد خرج من يده...لكن قبلات آية الله محمد لحذائه ازدادت وتيرتُها...حتى قبض على إحدى قدميه معانقاً...

لكن **آية الله أحمد** تركه في حالة الذل لدقائق...ثم تململ ناظراً إليه: وإن فعلت بعد ذلك أي شيء...

أجابه **آية الله سعيد** على الفور: افعل بي ما تشاء...

آية الله أحمد: وإن بخلت في الإنفاق على دعوتنا...

آية الله سعيد: مولاي...ما عليك عندئذ إلا أن تُعلِّقَ لي حبل المشنقة..

عاجله **آية الله أحمد** بالقول: وإن تبين أنك تسرق المال المخصص لدعوتنا...ثم أظهر الغضب الشديد..فوحق العباس لأجعلنك عبرة لكل البشر..!!

استعاد **آية الله سعيد** بعض اتزانه: نعم..وحق من حلفت باسمه، لن ترى مني أو تسمع عني إلا ما يسرك..

بعد أن هدأت نفس **آية الله أحمد**، قال له: قدِّم الأموال لأصحاب الفاقة، شريطة تشيعهم وكن سخيًّا واجعل لهم راتباً شهرياً...وأريدك أن تقدم لي كشفاً شهرياً في كل النفقات...وإياك إياك أن أجد أي خلل...أسمعت...؟.

أجابه **آية الله سعيد** بخنوع وخضوع: نعم يا مولاي...!!

آية الله أحمد: انطلق إلى عملك، ولا تريني وجهك إلا بأخبار مفرحة. . .فتقريرنا إلى قم سيرفع في الأسابيع القليلة القادمة. . .

* * * *

أقامت **دينا** وزوجها إبراهام حفلة كبيرة احتفاءً بما حققاه من نصر، وَدَعَوا إليها جميع الأصحاب والأحباب. .ولم يقتصر إبراهام على الاحتفال الرسمي، كما هو العادة، بل أراد أن يضفي عليه بعض الإضافات. .فأتى براقصاته وفرقتهن. . .ووضعهن في غرفة مجاورة وطلب منهم عدم الظهور إلا بإشارة منه. . .

ولما اشتد الصخب بين الحضور. . .اتصل بالفرقة. .فخرجت في البداية الفرقة الموسيقية، فبدأت بعزف ألحان هادئة. . . .فتطاولت إليها الأعناق. . .وراح العديد منهم يهتزُّ مع ألحانها. .فلما وجد تفاعلهم. . .أمر الراقصات بالخروج. . .

وما هي إلا لحظات، حتى خرجت أربع منهن بثياب فاضحة قد كشفن عن صدورهن وأفخاذهن، وبدأنَ بالتمايل والاهتزاز. .كأنهن أفاعي تلبسهنَّ الشياطين. . .

لم يتمالك الحضور أنفسهم. . .فماجت الصالة بالصياح والفرح. . .ودينا تنظر إليهم بسرور. .ثم تنظر إلى زوجها مشيرة لحسن اختياره وتوقيته. . .وهو يبتسم لما يرى من حالهم. . .

وما هي إلا برهة من الزمن حتى اشتبك الحابل بالنابل. . .فلا مراتب ولا شخصيات. .الكل سواء فبدأ الرقص من النساء والرجال على حد سواء. .فيأخذ أحدهم زوجة هذا، وتأخذ إحداهن زوج تلك. . .والراقصات تميل إحداهن على هذا والأخرى على ذاك. . .ودار الخمر في رؤوس الجميع. . .

كان أفيخاي وفيفيان ينظران إلى الحضور بابتسامة عريضة، إلا أن أفيخاي كان همّه أكبر من أن يحفظه في جوفه. . .فأراد أن يرقص مع الراقصات لكن فيفيان منعته: احتفظ لنفسك ببعض الاحترام. .فسنك أكبر من قدرتك على الرقص. .

لكن أفيخاي بدأ بالرقص يموج يميناً وشمالاً. .وكلما اقترب من أحد داس على قدمه. .حتى بدأت الراقصات يهربن منه خوفاً على أنفسهن. . .وراح يحتسي

الشراب..إلى أن سقط على الأرض..فسحبته فيفيان من يده وأخرجته إلى الحديقة...فأخذ بالتمايل وهو يقول لإبراهام: أنا من صنعت منك رجلاً يا ابن عباس...

توترت **دينا** لما سمعت ونظرت إلى زوجها مخففة عنه...لكنه تماسك دون أن يظهر امتعاضه...وقال للحضور: إنه ثمل..لا يدري ما يقول...؟..

تقدمت إليه **دينا** وأخذت بيده مخففة عنه انزعاجه...

شعر **إبراهام** بدمه يتجمد في عروقه..فبدأ وجهه بالتعرق ولونه يتغير..ثم نظر إلى **دينا**: أيعجبك هذا..؟..

دينا مخففة: لا طبعاً لا يعجبني...لكنه ثمل..وأنت قلت: إنه لا يدري ما يقول..!!

إبراهام: أتقولين هذا لأنه أبوك...والعزيز لن أحضر حفلة فيها أبوك بعد اليوم..

دينا: معك حق...وأنا منذ الآن سأخبر ماما بذلك ولن أدعوه بعد الآن، ولو اضطررت لطرده...

استعاد بعض هدوئه بما سمعه من زوجته...وأخذ بيدها وبدآ بالرقص مع الحضور..

* * * *

ضاقت **هايدي** ذرعاً...فالانتظار كاد أن يقتلها..وأبوها طامتّها الكبرى..فمع مرور الأيام وتوالي الشهور..أخذ عباس بالتململ رغم أن عقله صار كعقل طفل صغير..فأغلب الأحيان يجلس على كرسيه المتحرك ويشير إلى هايدي أن تطعمه...أو أن تغير ثيابه بعد أن يتغوط فيها...

أرادت **هايدي** أن تهرب من مصيبتها التي حملتها على صغر سنها..فأخذت تكثر من الجلوس على شرفة شقتها..تتأمل البحر..وأحياناً تسبقها دمعة ساخنة تشعر بحرارتها مع برودة الطقس...إلى أن وصل بها الأمر أن تجلس لساعات

طوال. . .وأحياناً تسمع أنين والدها، فلا تحرك ساكناً أو تلتفت إليه. .وإنما كان جلّ ما تفعله، أن تنفخ معبرة عن امتعاضها وانزعاجها منه. . .ولا تعيره أي اهتمام وكأن الأمر لا يعنيها. .

. في إحدى الليالي الشاتية، اندست في فراشها وأغمضت عينيها مفكرة وقالت في نفسها: إلى متى سأبقى هنا. . .وأخذت تبكي بهدوء. .مستعيدة ذكرياتها الماضية وصديقاتها. . .وظلّ هذا حالها إلى وقت متأخر من الليل. . .

عند الصباح ارتدت ملابسها، وتوجهت نحو الباب. .لكن همهمة أبيها جعلتها تتوقف. . .فاستدارت إليه فوجدته يشير إليها أن تطعمه. .لكنها حدّقت به غاضبة ثم انطلقت. . .

وصلت إلى السفارة الإسرائيلية. .وهمّت بالدخول لكن الحرس منعوها. .وبعد مشادة كلامية معهم. .اتصلوا بالسفير فأمرهم بإدخالها ومعاملتها بهدوء. . .

تقدمت إليه مصافحة، فبادلها السفير التحية بابتسامة مصطنعة: تفضلي. .

جلست **هايدي** وأثر الإرهاق ظاهر على وجهها. . .والتزمت الصمت. .

حاول **السفير** تحفيزها على الكلام: لقد أرسلنا إلى تل أبيب نسأل عن أخيك. . لكن إلى الآن لم يصلنا أي جواب. .فلو كنت تعلمين في أي مدينة هو لسهل الأمر علينا. .؟

لم تتمالك **هايدي** نفسها من الغضب: يا سعادة السفير. .أنتم دولة ديمقراطية. .وأجهزة المعلومات أكثر من أن تحصى. .وهي على دقة وتقنية عالية. .فلِمَ التسويف معي. .؟

حدّق **السفير** بوجهها متأملاً: أنت بالتأكيد ذكية. . .ونحن في إسرائيل ننظر إلى هذا الذكاء باحترام كبير. . .ولكن مبادئنا وتعاليمنا، لا يقومان على هذه الناحية المهمة في شخصية الإنسان فحسب؛ وإنما ننظر إلى الأمور من منظار آخر. .

سألته: وما هو. . .؟

السفير معقباً: منظارنا هو قيمة ما يقدمه الآخر لنا. . .بمعنى. .إذا أردت أن

تستقري في إسرائيل بالقرب من أخيك. .فهذا أمرٌ متاح في حالة واحدة فقط. .

أجابته **هايدي** دون تفكير: أن أصبح يهودية. . . !!

السفير بخبث: هذا لا يكفي في هذا الوقت. .وإنما مقدار ما ستقدمينه لنا. .

هايدي على الفور: عندي كثير من المال. .باستطاعتي أن أعطيك جزءاً منه. .

السفير: ليس المال بالضرورة هو من يفتح الأبواب. .؟

أصيبت **هايدي** بالملل: أخبرني. .أكاد أفقد صبري. . . !

السفير: نحن نطلب منك أن تعودي إلى سوريا. .

فتحت **هايدي** فاها مستغربة: ماذا. . .ماذا. .؟. .أتريدني أن أعود لختفي. . .؟

السفير: على رسلك لا تستعجلي. . .ستعودين لمهمة محددة. .!!

هايدي: مجرد التفكير بهذا الأمر مرفوض. .فأنا مهددة بالتصفية من قبل آيات إيران ورجالهم. . .فإن أردت غير هذا الطلب. . .ثم توقفت عن الكلام برهة: إن أردت أن نتهود فهذا أمر سهل جداً. .وليس بيننا وبين اليهود فرق. . .

السفير: رجعنا إلى الدائرة نفسها. . .

صاحت **هايدي** بغضب: سوريا لا. . .إيران لا. . .بيروت لا. . .!!

السفير: اهدأي ولا تتوتري. . .

هايدي: أرجوك. . .أنت أرسل إلى أخي، وبعدها ستُحل عرى الأمور كلها. .وهذا حقي. . .وإلا. . . !!

السفير: وإلا ماذا. .؟

برقت في ذهن هايدي فكرة خبيثة: سآتي بأبي المقعد وأجلس معه أمام السفارة معتكفين. . .

أجابها على الفور: هذا تصرف أرعن. . .وستمنعك السلطات من الوقوف أمام السفارة.

هايدي بحمق وعصبية: لكن الفضائيات ستنشر صورنا. . .ومن المؤكد أن

مصطفى سيعلم بحالنا..

دقق **السفير** في وجهها ليرى مدى جديتها فيما تقول وقال في نفسه: والعزير لقد سبقت أبناء يهود..!!

شعرت **هايدي** بتأثير قولها على وجهه، فعلمت أنها أصابت هدفها، فأخفت فرحتها بداخلها مظهرة وجهها الآخر...ثم وقفت لتغادر دون وداعه..!!

وما إن وصلت إلى الباب، حتى صاح عليها: إلى أين لم ننتهِ من حوارنا..

هايدي بخبث: ليس بعد ما قلت أي كلام..وإنما عليَّ أن آتي بأبي إلى هنا لنعتكف...

السفير والحيرة على وجهه: ألا تنتظرين شهرين آخرين وسأحل لك الموضوع..

هايدي بحدة: لن أنتظر أكثر من بضعة أيام...

السفير: لا بأس...لا بأس...عشرة أيام فقط..

هايدي: اتفقنا...ثم انطلقت عائدة إلى بيتها..

عادت إلى البيت والفرحة تغمرها..فجلست بالقرب من أبيها تطعمه، وغيرت ملابسه وهي تدندن بأغنية عاطفية..معبرة عن سعادتها بما حققته..وتنظر إلى أبيها بحنان مصطنع..وتحدثه وكأنه يفهم ما تقول...وعباس يرمقها بنظراته الضائعة...

* * * *

مولـود الفطـرة

أنجبت هزار مولودها الأول. . .فعمَّت الفرحة بيتها. . .وسألها وائل عن تسميته: اختر اسماً فيه معنىً. . . !!

وائل: عادل. . .

ضحكت **هزار**: ألم تجد غير هذا الاسم. .؟

وائل: على اسم أبي رحمه الله تعالى. . .

هزار: لست معترضة. .فلو فكرت قليلاً لوجدت من الأنسب أن تسميه عمر. .لتغيظ به أعداء الله. .

وائل: عمر. . .عمر. .إنه اسم لطيف. .ولكن عادل أخو عمر فكلاهما عادلان.

هزار: أكثر ما يغيظ الشيعة أن تسمي عمر. .وهم لا يسمون عمر إلا بحالة واحدة. .أتدري ما هي. .؟

وائل باستغراب: لا والله. . . !!

هزار: إنهم يسمون عمر على من يجدون فيه نقصاً عند ولادته. . .

وائل: لعنهم الله. .والله سأسمي عمر نكاية بهم. . .

هزار: أحسنت. .وفي البطن الآخر إن شاء الله نسمي عادلا. .

وائل: إنها فكرة رائعة. . .عمر. .وعادل. .فيصبحان. .عمر العادل. . .

هزار: نعم هذا تطابق في شخصية عمر الفاروق. . . !

والأم والأخوات ينظرن إليهما ولا يعلقن بشيء. .بل كان همهن القادم الجديد. .حيث أضفى على العائلة بسمة جديدة افتقدوها منذ فترة طويلة. .فأخذت الأخوات يحملنه واحدة تلو الأخرى و**وائل** ينظر إليهن والفرحة لا تكاد تفارقه. . !!

* * * *

احتفلت الفتيات وعائلتي شاهر ومؤيد بالطفل الجديد، كانت يسرى تنظر إلى الطفل بمحبة وحنان زائد، فأخذته من أمه وأجلسته في حضنها، وكادت أن تخرج ثديها لترضعه. . شعرت بها اعتدال فأيقظتها هامسة: ما بك. . هل نسيت نفسك. . !

يسرى: ليس بيدي. . شعرت نفسي أنني أمه التي أنجبته. . !

اعتدال: استيقظي. . إن رأوك على هذه الحالة خافوا من عينك. . وأنت تعرفين النساء والحسد. . !!

فما كان من يسرى إلا أن أخرجت من صدرها قلادة كتب عليها آية الكرسي ووضعتها في رقبته، وأعادته إلى أمه بعد أن طبعت قبلة على خده. .

أخذته **هزار** من يدها: شكراً لك نخدمكم بالأفراح. . والعقبى لكما إن شاء الله. .

يسرى: الله يسمع منك. . .

تصنعت **اعتدال** البسمة: أتفكرين بالأولاد. . وعندك اثنان الله يسلمهما. .

يسرى: لا شيء أجمل من الأولاد. . فهم دنياي. . .

اعتدال: الله يطعمك عشرة أبناء. . .

يسرى بتنهيدة طويلة: آآآآمين يا رب العالمين. .

* * * *

تنامى إلى سمع أجهزة الأمن عودة الملا توفيق عبد الستار إلى شمالي إيران، عائداً من تركمانستان. . . فداهمت القرية بعد منتصف الليل. . بعد أن أحكمت طوقها وقطعت طرقها، وأخذت تدخل بيتاً بيتاً معتدية على أصحابها بالضرب والإهانة. . . وظلَّ هذا حالهم إلى أن دخل الفجر. . فمنعت المؤذنين من رفع الآذان. . . والناس في حالة من الخوف الشديد، فلا تسمع إلا صراخ طفل يبكي على أمه، وبكاء عجوز فقدت زوجها أو ابنها أو ابنتها. . .

عندما شعر الملا توفيق عبد الستار ما أصاب قريته بسببه، لم يستطع الانتظار. . فرشقات الرصاص التي كانت تُسمع بين الآونة والأخرى، تخبره عن حجم

المأساة التي طالت النساء والأطفال. .فعقد أمره ثم خرج رافعاً يديه. .متقدماً إليهم بخطىً ثابتة. . .

وما إن وقع نظرهم عليه حتى رموه أرضاً، وأوسعوه ضرباً وسباباً، وأخذوا يجرونه إلى سياراتهم جراً. .ثم أدخلوه إلى إحدى الحسينيات وطرحوه فيها. .بعد أن خلعوا عنه ثيابه وتركوه عارياً. .ولما رأوه يستر عورته بيده. . .هجموا عليه وربطوا يديه إلى عنقه وتركوه بوضع الركوع. . .

ظلَّ هذا حاله عدة ساعات. .فكلما سقط من الإعياء انهالوا عليه ضرباً بسياطهم حتى انسلخ لحمه وانتفخ وجهه. . .

في مساء اليوم الثاني حضرت لجنة نقاء الثورة لمحاكمته. . .فأرسلوا في طلبه. .

عندما وقع نظره عليهم بصق في وجوههم: يا أعداء الله لئن مكنني الله منكم لأجعلنكم عبرة لأمتكم. .يا عبَّاد النيران وعبَّاد البشر. . .لعنكم الله. . .فلم يتم كلامه، حتى بدأ الحرس يركلونه بأرجلهم ويضربونه بالعصي حتى فقد وعيه. . .

فأشار عليهم أحد الآيات أن يأتوا بدلو ماء ليسكبوه عليه. .

أفاق الملا توفيق من غيبوبته. .فرأى الوجوه نفسها أمامه. .فوقف رئيس المحكمة وخرج من وراء طاولته. .متوجهاً نحوه. .ولما وصل إليه صفعه على وجهه. . .ثم حلَّ إزاره وبدأ بالتبول عليه. . .والملا منهك القوى لا يستطيع أن يحرك يديه. . .فصاح إن البول أطهر من لحيتك ولحية أئمتك. . .فلم يتمالك رئيس المحكمة نفسه. .فأخرج مسدساً من تحت عباءته وأطلق النار عليه متشفياً. .وعندما بدأ الملا توفيق بالشخير. .قال له: اشخر كما تشاء، فورب العباس لن أطلق عليك طلقة الرحمة حتى تؤمن بإمامنا. . .

لكن الملا توفيق أخذ بالشخير السريع وبدأت أنفاسه تهدأ ثم تهدأ. .حتى همدت جثته بلا حراك. . .فصاح رئيس المحكمة على عناصر حرسه: أخرجوه من هنا. .وارموه بين النفايات فهذا خير مكان له. . .

ثم عاد إلى طاولته بهدوء، وطلب أن يأتوه بآخر. . .

أدخلوا إليه شاباً في العقد الثاني من عمره، أبيض اللون طويل الشعر خفيف اللحية، يميل لونه إلى الاصفرار طويل القامة نحيل الجسم. .قد تقوس ظهره لكثرة الانحناء في زنزانته، ووضعوه أمامهم. . .

سأله رئيس المحكمة ما اسمك. . .؟

قبل أن يجيبه الشاب نظر إلى الأرض فرأى أثار الدماء ورائحة البول. .فعلم أن مصيره سيكون كسابقه. .فلم يرد عليه. . .

أعاد الرئيس السؤال: ما اسمك يا كلب. . .؟

الشاب: عمر. . .

صاح رئيس المحكمة ومساعدوه: عمر. . .لعنك الله ولعن عمر معك. . .!

شعر عمر بأن أجله قد اقترب. .فجواب المحكمة بتلك الصورة ينذر بالشر المستطير، فأحب أن يحفظ بعض اتزانه وشجاعته: أنا عمر. .هكذا سماني أبي. . أسوة بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. .فمن رضي به سعد في الدنيا والآخرة. . ومن سخط فعليه السخط واللعنة. . .

استشاط أعضاء المحكمة وبدأ الغضب يظهر على وجوههم: يا عدو الله، أتظن أنك ستخرج من هنا سليماً. . .وحق العباس لن يكون لك بعد الآن إلا مكاناً واحداً. .أتعلم أين هو. . .؟

عمر بهدوء وسكينة: المكان نفسه. .فأنا الآن. .وأنتم غداً. .ولكن شتان بين مكاني ومكانكم. . .!!

صاح رئيس المحكمة على جلاديه: لقد حكمنا عليه بالإعدام شنقاً وبتمهل حتى يشعر بلذة الموت الذي ينتظره. .ثم ألقوه إلى الكلاب لتأكل لحمه النتن. . .

نظر إليهم عمر وقد استعاد بعض قوته: الكلاب لكم يا كلاب لعنكم الله ولعن إمامكم. . .

فانقضَّ عليه الحرس وأطبقوا فمه، وبدؤوا يكيلون له اللكمات. .حتى وصل إلى غرفة الإعدام. .فأرادوا أن يرفعوه لحبل المشنقة، لكنه تجلَّد وصعد دون مساعدتهم. .

فوضعوا الحبل حول رقبته..ولكن وقبل أن يسقط الكرسي من تحته..استطاع أن يركل أحدهم في وجهه فأسقطه أرضاً وهوى بعدها في الخلاء..حاول المضروب أن ينزله عن منصة الإعدام..لكن الوقت كان قد فات فلفظ أنفاسه بلحظات معدودة، كمن أراد أن يغيظ أعداءه في حياته وبعد موته...لكن الحرس راح ينهال عليه بالضرب المبرح..ولكن لا حراك لعمر...وحمل بعدها ورمي بإحدى سياراتهم بجانب الملا توفيق... ليلقيا في مزابل القرية...

* * * *

اجتازت الحدود مجموعة من حرس الثورة، وتوجهت عبر الأهوار إلى النجف، والتقت مع آية الله نيروز الموسوي، الذي أرسلهم بدوره إلى إحدى المزارع للإقامة فيها بعيداً عن أعين الناس...

وما إن حلَّ المساء، حتى وصل إليهم آية الله نيروز..بسرية تامة بعد أن ربط الطرقات على مسافة بعيدة من مكان المزرعة، ليخبروه بأي تحرك نحوهم...

أخرج رستم رسالة مُغلقة: هذه رسالة من آية الله محمد الطوساني...

فضَّ آية الله نيروز الرسالة وبدأ بقراءتها..وبدأ وجهه يشرق مع كل حرف تلاه...ولما انتهى قبّل الرسالة ووضعها على رأسه: سمعاً وطاعة..!

شعر رستم بالارتياح لموقفه: ومتى سنبدأ بالعمل..؟

آية الله نيروز: قريباً جداً ولكن أريد بعض الصكوك...

رستم: أتقصد صكوك الغفران...؟

آية الله نيروز: وهل هناك غيرها...؟

تبسم رستم وأخرج من جيبه بعض الأشرطة الصفراء، عُقِدَ عليها بحجاب صغير وقدَّمها له: هذا بعض منها..ولكن سيأتيكم العديد غيرها في الأيام القادمة..!

هزَّ آية الله نيروز رأسه مبدياً تعاونه: إن شيعتنا قد أحصوا جميع الأهداف العلمية والعلماء في كل حارة وشارع..وهي عندي الآن بالحفظ والصون...وما عليكم إلا أن ترتاحوا يوماً أو يومين وبعدها سنقوم بما يتوجب علينا فعله، إرضاءً

لإمامنا آية الله مهدي ميرزا. . .

رستم: علينا أن نستعين بشيعتنا في أي عمل نقوم به، فهم أدرى بشوارعهم. . ونريد أن نشكل منهم نواة عمل عسكري. . حتى لا يحتاجوا إلينا بعد الآن. .

آية الله نيروز بوثوق: لا عليك. . . لا عليك. . . فالأمور دقيقة جداً. . ولكن يلزمنا السلاح والعتاد لذلك. .

رستم: غداً سيأتي قاربٌ محمّلٌ بها من إيران، وعليكم تهيئة المكان وتجهيزه لاستقباله. .

آية الله نيروز: كل شيء قد حسب حسابه. . فلا تفكر في الأمر. .

* * * *

إرث حكيم

في الرابعة والنصف من فجر يوم الأربعاء، هرعت العجوز إلى غرفة راحيل وأخذت تهزها بقوة: راحيل. . . راحيل. . !!

استيقظت راحيل فزعة: ما بك يا أمي. . . ؟

الأم: أبوك في حالة غريبة. .

لم تنتظر سماع المزيد من كلامها فانطلقت من فورها إلى غرفته فوجدته في حالة إغماء وصوت شخيره قد علا. .فأمسكت بيده وهزته: بابا. . .بابا. . .ولمّا لم تسمع جوابه. .ركضت إلى الشارع بلباس نومها لتوقف سيارة أجرة. .فأعياها خلو الشارع فعادت إلى بيتها مسرعة واتصلت بسكرتير الإمام مهدي ميرزا، الذي أرسل إليها سيارة خاصة، لتقله على جناح السرعة. .

وقفت راحيل وأمها بالقرب منه يفركون صدره ويديه. .إلى أن وقفت سيارة الإسعاف أمام بيتهم، فحملوه على الفور ونقلوه إلى المستشفى، ووضعوه في العناية المركزة. .

جلست راحيل إلى جانبه باكية. .ومع شروق الشمس أخذ عميرو يتحرك. . فتكلمت عيناه قبل فمه. .نظر إليها ممسكاً بيدها. .لكن صوته كان مختنقاً. .فأشار إليها أن تقترب منه. .

وضعت أذنها عند فمه فقال لها بضعف شديد: بنيتي لقد سهّلتُ لك الأمور من بعدي. .

راحيل: دعك من هذا الكلام يا أبي. . .فلا عيش لي من بعدك. .

عميرو وقد فاضت عيناه بالدموع: بنيتي الغالية. .تجلّدي لمصابي ولا تجزعي. .وافعلي ما يمليه عليك عقلك ودينك. .فلا مكان للعواطف عندنا. .

بكت بألم: أبي. . .لا تقل أي كلمة عن الموت. .أرجوك. . .أرجوك. .

عميرو بضعف شديد: بنيتي اسمعي كلامي حتى نهايته. .فالحياة سَفَرٌ بين عالمين. .عالم الدنيا وعالم الآخرة. .بل هي كغرفتين يفصل بينهما باب. . .

أومأت **راحيل** برأسها. . .فقال لها: بعد دفني. .عليك أن تغادري إيران. .

راحيل: كفاك أبي. .!!

عميرو: غادري إيران إلى النمسا، فمكانك بين الحكماء شاغر الآن. .قد أعددته لك منذ سنوات طوال. .

راحيل: لكن يا أبي. .وبلادنا. .!!

عميرو: مكانك ليس فيها. .وأمامك مهمات جسيمة تنتظرك هناك. .

راحيل: ولمن نترك العلاقة مع الإمام. .؟

بدا على عميرو التعب فقال بصوت ضعيف جداً لا يكاد يُسمع: مهمتنا هنا قد انتهت. .وعلاقتهم ستكون مع بلادنا مباشرة، ولا حاجة لوساطتنا بعد اليوم. .فقد صارت للإمام دولة، وعلينا أن نعاملها بندية الدول. .وهذا الأمر قد قرره حكماؤنا. .وما علينا إلا الانصياع لهم دون تفكير أو جدال. .

راحيل: سأفعل يا أبي. .

تبسم عميرو بضعف وقربها إليه ليقبّلها لكنه بدأ يغرغر. .فجحظت عيناه. .وأخذ وجهه بالتغير. .فصاحت بصوت عالٍ: دكتور. . .دكتور. .

تقدم إليه الطبيب ونظر إلى حدقة عينه فوجدها لا تتحرك. .فأمسك بيد راحيل وأخرجها من الغرفة بهدوء: أنا آسف. .لقد فارق الحياة. .!

صاحت بأعلى صوتها هزّت أرجاء المستشفى ودخلت الغرفة على عجل، وارتمت على جثة أبيها الهامدة وأخذت بالنحيب. .

لمّا علم **آية الله مهدي** ميرزا بوفاته جاء معزياً وعرض عليها خدماته. .فشكرته. .

وبعد انتهاء العزاء. .قامت بتصفية أعمالها وغادرت إلى النمسا مع والدتها لتستقر هناك. .

انعقدت أول جلسة للكنيست الإسرائيلي. . .وتصدرت دينا وزوجها المقدمة. . .

رحب روبيل بن شمعون بالحاضرين متمنياً لهم التوفيق في مسعاهم. . .مؤكداً على ديمقراطية الدولة الإسرائيلية. . .وطلب منهم ترشيح بعض الأسماء، ليكونوا وزراء في الحكومة الجديدة. .قدمت دينا اسمها واسم زوجها. . .لكن الأمور لم تمضِ كسابق عهدها، فخسرا في التصويت. .

جلسا بصمت وأخذا يستمعان إلى الحضور. . .ولفتت نظرها كلمة ألقاها نفثالي ابن جاد أحد الفائزين في الوزارة الذي قال: سأكون مخلصاً لدولة إسرائيل محافظاً على دستورها وبقائها. .إلى أن قال: وعلينا نحن تقوم العلاقات مع الدول. .وكما تعلمون وتسمعون عن إيران الجديدة. .التي تُعدُّ أفضل لنا من حكم الشاه، فمصالحنا تتقاطع معهم في كل الاتجاهات. .ولا يسعنا أن نقف بعيداً عنهم. .لأنهم بحاجة إلينا وإلى دعمنا. . .

قاطعته ليان بنت بتويل إحدى أعضاء الكنيست فقالت: أتريدنا أن نتعامل مع الملالي. .؟

رد عليها نفثالي بن جاد: إن الملالي في إيران خير لنا من أي حكومة عربية. .لأنهم أقرب إلينا. . .ولا تنسي. . .موجهاً كلامه إليها: إن إيران خير من يجتث جذور العرب وإسلامهم من الأرض. . .فهم يفجّرون أصول الدين من أساسه. .وينشرون تعاليمهم، التي هي بالأساس صنيعتنا. .

ضحك رئيس الكنيست روبيل بن شمعون وتوجه بنظره إلى الأعضاء موضحاً: يقصد نفثالي. .أن مذهبهم من صنع ابن سبأ. .هذا الرجل العظيم هو يهودي ديناً واعتقاداً. .وما قام به إلا عن تخطيط ودهاء خطط له حاخاماتنا ورجال فكرنا منذ القِدَم. . .وما وصلنا إلى هنا إلا بمباركتهم وتفانيهم الدؤوب. .ونحن ندين لهم بما وصلنا إليه اليوم. .

استمر نفثالي بقوله: كما قال رئيس الكنيست مشكوراً إن التقاءنا مع ملالي إيران ليس من قبيل المصادفة. .فمنذ أكثر من ألف عام ونحن ننتظر هذه اللحظة. . .

وعلينا أن نشعر بالسعادة الكبيرة تغمرنا. . .وعلينا أن نقدم لهم دعمنا اللامتناهي. . فهؤلاء خطنا الدفاعي الثاني. .وإن لم نبالغ. .فهم خطنا الأول، وهذا هو الأرجح في قولنا. .فإن سقطت إيران سنسقط بعدها. .لأن المسلمين لن يجدوا من يلهيهم في الداخل. .وبالتالي تجتمع علينا أممهم من كل حدب وصوب ليقضوا علينا. .

قاطعه رئيس الكنيست: لكن هذا القول ليس للإعلان. .ويجب أن يبقى في أقبيتنا الخاصة. .ولا يخرج إلى العلن. . .

لم تستطع **دينا** الصبر فوقفت وطلبت الإذن بالكلام. . .فما كان من روبيل بن شمعون رئيس الكنيست إلا أن يأذن لها. . .فخرجت مسرعة نحو المنصة. .لكن رئيس الكنيست طلب منها أن تتكلم من مكانها. .فلم تعره اهتمامها، وظلّت متوجهة نحوها. .فأذعن الرئيس إليها دون أن يعترض. . . وما إن وقفت حتى قالت: لقد سمعنا ما قاله نفثالي بن جاد. .وهذا أمرٌ مؤثر جداً. .فنحن يهود العرب أعلم من جميع اليهود بتفاصيل ما قاله نفثالي. .وخاصة إذا علمتم أن بيننا شخصاً كان أبوه واحداً من كبرائهم. . .

ثم أضافت: فإن كان لكم شأن مع إيران فهذا زوجي أمامكم. .مشيرة إليه. .اتجه الجميع بأنظارهم إلى إبراهام، الذي أطرق إلى الأرض مظهراً اهتمامه بما قالت، وقد هاله شجاعة زوجته وكلامها.

ثم أضافت: وهو خير من يمثلكم. . .وآية الله مهدي ميرزا قائد ثورتهم، هو أحد أقربائه. . ولكن كما تعلمون حالات المتعة واختلاط الأنساب. .وقفت سبباً وعائقاً في كثير من الحالات. . .ولكن إبراهام له معرفة قوية به. . .وكذلك أنا أعرف آية الله مهدي ميرزا معرفة جيدة وتربطنا به صداقة قديمة. . .

خرجت أصوات الحاضرين مرحبة بما قالت **دينا**، وأبدت إعجابها لهذا التطور الكبير. . .لكن دينا أضافت إليهم: أنا وزوجي لا نهتم بالمناصب بقدر اهتمامنا بمصلحة دولتنا العليا. .ومصلحة دولتنا يلزمها رجال يعرفون ما يقومون به. .وأن يكونوا على دراية تامة بنفسية المقابل، وتعاليمه ومواضع التأثير فيه. . .وشكراً. .

عادت إلى مكانها. .فأخذ بيدها إبراهام. .وهو يشعر بالزهو والفخر. .فميزان خسارتهم في الوزارة لم يتأخر طويلاً. .بل أعقبته دينا بقنبلة فجّرتها داخل الكنيست، وتركتهم يفكرون بما قالت. . .

* * * *

إرهاب في شوارع بغداد

انطلقت أولى المجموعات لتنفيذ إحدى مهماتها في بغداد. . .متوجهة إلى أحد الأحياء التي تقطنها الغالبية السنية. .بعد أن حددت الدكتور أسعد الهاشمي هدفاً لها وهو أحد علماء الذرة المعتمدين في العراق. .استعان المنفذون في مهمتهم بعميل من شيعتهم. . .فجلسوا بسيارتهم في أحد الأزقة ينفثون دخان سجائرهم بعصبية وتوتر. . .

بعد مضي ربع ساعة على وقوفهم. .خرج الدكتور أسعد ببذلته الرصاصية متوجهاً إلى سيارته ليستقلها إلى عمله في جامعة بغداد. .

وما إن انطلقت السيارة في طريقها حتى تبعتها سيارة المنفذين، وعلى رأسهم رستم. . .وبعد دقائق. .توقفت سيارته عند إحدى الإشارات الضوئية. . .فتقدمت منها سيارة رستم فأخرج رشاشه من النافذة، وأطلق عليه ثلاث صليات فأرداه على الفور قتيلاً. .ثم أمر السائق أن ينطلق بسرعة. .

كانت إحدى سيارات الأمن قريبة جداً من المكان. .فانطلقت وراء الفارين. .لكن رستم وأصدقاءه أصيبوا بالذعر. .فأخرجوا رشاشاتهم من النوافذ وبدؤوا بإطلاق النار عليهم. .وعندما لم يجدوا نتيجة لذلك. .وتكاثرت عليهم سيارات الأمن من كل مكان. . .أخذوا يطلقون النار على المارة. .فأردوا العشرات منهم مجندلين يتخبطون بدمائهم. .ثم عمدوا إلى إلقاء القنابل اليدوية من خلفهم. .وما هي إلا لحظات، حتى خفَّ عنهم الطلب. .فنزل رستم ورجاله من السيارة. .واستقلوا أخرى. .متجهين بها نحو النجف. . .

عندما التقى بهم آية الله نيروز، وسمع منهم ما حدث أصيب بالذعر الشديد. . .وطلب منهم المغادرة إلى إيران فوراً. . .لكن رستم رفض ذلك: لقد جئت بمهمة لا أستطيع إلا إنجازها، وأخرج من رقبته صك غفرانه: هذا صك الغفران تقلدته

من آية الله مهدي ميرزا مباشرة، فهو الحامي وملاذي عند الخطوب..

أذعن آية الله نيروز لقراره، وطلب من عبد الحسين أن يعيده إلى المزرعة..وأن يتشددوا في حراستهم ليلاً..

سأله رستم: كيف سنأتي بأخبار ما حصل...؟

آية الله نيروز: شيعتنا يعملون في الأمن...وسيأتوننا بالخبر هذه الليلة. .وعليك أن تهتم بأمر رجالك..ودع الأمور الأخرى لنا..فكما قلت لك سابقاً..جهزنا للأمور وحبكناها كأحسن ما يكون...ثم تركهم وانطلق...

بدأ رجال الأمن بالتحقيق بالحادث...سائلين المارة وجيران الدكتور أسعد..لكن تحقيقاتهم لم تحصد إلا الخيبة...

كان رئيس الأمن خلف الأحمد يتابع التحقيق بنفسه..وكانت عنده شكوك حول الفاعلين..فلم تكن هذه أول عملية يقومون بها..فعشرات العمليات سُجّلت ضد مجهول...فأخذ يبحث في سجلات الناشطين، الموالين لإيران ممن حصل على الجنسية العراقية قديماً..وبعد جهد مضني..وصل إلى طريق مسدود..فدقّة المهاجمين كانت على مستوى رفيع من التخطيط والتكتم...

في اليوم الثاني لمقتل الدكتور أسعد..قام رستم بطبع مشورات وطلب من بعض رجاله إلقاءها في أماكن مهجورة..ليجدها بعد ذلك سكان المنطقة المجاورة..الذين سارعوا مبلّغين عنها رجال الأمن..

نظر خلف الأحمد إلى المنشور فقرأ محتواه...ثم أعاد قراءته مرات عدة...ولما وجد المقدم عوض العمري اهتمام قائده بالمنشور..طلب منه قراءته..وجاء في بعض فقراته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة على نبيه المجتبى، وعباده الذين اصطفى وبعد..

نحن أبناء الإسلام وأنصار نبيه...لقد استفحل الغيُّ في حاضرة الرشيد..فكان من واجبنا أن نعيد الحق إلى نصابه، ونرفع راية الدين على كل بقعة من هذه الأرض

الطيبة. .لقد أخذنا على عاتقنا إحقاق الحق وإبطال الباطل. .وليعلم أولئك الحكام، أننا سنقف لهم بالمرصاد، لإقامة شرع الله القويم.

رابطة جند الله في بلاد الرافدين.

وضع المقدم يده على رأسه: يا الله. .أبناء جلدتنا يقومون بهذه الأفعال. . .!!

شعر خلف الأحمد بالاستياء. .وطلب من المقدم عوض القيام بحملة اعتقالات واسعة في جميع المساجد. . .ولم يمضِ من الليل نصفه حتى غصّت السجون بالمئات منهم. . .وبدأت حملات التعذيب، بألوانها المتعددة تنال منهم. . .فلما اشتدَّ الأمر على البعض، وأردوا أن يخرجوا من عذابهم اعترفوا بأعمال لم يرتكبوها. . .

* * * *

وصلت الأخبار إلى آية الله نيروز الموسوي من بعض رجاله المندسين في الأجهزة الأمنية. .فشعر بسرور وارتياح عارمين: الآن نحن على الطريق الصحيح. . .ثم توجه إلى مكان المجموعة المختبئة. .

وما إن رآهم حتى بشرهم بما حصل. .فعمَّ السرور قلوبهم. . .وأمر آية الله نيروز صاحب المزرعة، أن يذبح خروفاً احتفاءً بهذه المناسبة السعيدة. . .

وهم في غمرة فرحتهم. .دخل عليهم عبد الحسين وتقدم إلى آية الله نيروز وهمس في أذنه. . .

فما كان منه إلا أن وجه كلامه للحاضرين. .لقد وصل مركب السلاح وشيعة أبي عبد الله يقومون الآن بالواجب. .وغداً سيكون لنا شأن عظيم. .

* * * *

أشار **آية الله مهدي** ميرزا على الحاضرين بالجلوس: نستكمل اليوم ما بدأناه سابقاً. .وهذا عليان الشهرستاني مستشارنا الاقتصادي يحدثكم بما عليكم القيام به. . .

تقدم عليان مظهراً الاحترام لإمامه وللحاضرين. .مرتدياً بزته السوداء، واضعاً في رقبته صك غفرانه الذي منحه إياه إمامه. . .

تطاولت إليه الأعناق. . .فلما استقر قال: لقد كلفني الإمام أدام الله ظله

الشريف، بإجراء دراسة تتناول الخطوات اللازم اتخاذها، من قبل شيعتنا مع الدول المجاورة..وهي بلا شك ضمن الخطة التي أشار إليها قدس سره...وهي مراحل يجب أن تُتبع لتحقيق خطتنا على أرض الواقع، وبما تضمن النجاح دون أن يعكّر صفوها أي دخيل أو أن يُشك بها..

كما تعلمون أنه ليس لـ**دينا** مشكلة في ترويج المذهب في أفغانستان وباكستان وتركيا والعراق والبحرين، وسنجعل الخطة الاقتصادية في هذه الدول الخمس، قيد التنفيذ وعلى ذلك فمن واجب شيعتنا والمهاجرين من عملائنا المكلفين في بقية الدول ثلاثة أشياء:

١- شراء الأراضي والبيوت والشقق، وإيجاد العمل، ومتطلبات الحياة وإمكاناتها، لأبناء مذهبهم ليعيشوا في تلك البيوت ويزيدوا عدد السكان..

٢- العلاقة والصداقة مع أصحاب رؤوس الأموال، في السوق والموظفين الإداريين، خاصة الرؤوس الكبار والمشاهير والأفراد، الذين يتمتعون بنفوذ وافر في الدوائر الحكومية.

٣- هناك في بعض الدول قرى متفرقة في طور البناء، وهناك خطط لبناء عشرات القرى والنواحي والمدن الصغيرة الأخرى، فيجب أن يشتري هؤلاء المهاجرون العملاء، الذين أرسلناهم أكبر عدد ممكن من البيوت في تلك القرى، ويبيعوا ذلك بسعر مناسب للأفراد والأشخاص الذين باعوا ممتلكاتهم في مراكز المدن، وبهذه الخطة تكون المدن ذات الكثافة السكانية قد أخرجت من أيدهم..

تدخل **آية الله مهدي** في الكلام...هناك تعقيب لا بدَّ منه..يجب حثّ شيعتنا على احترام القانون وطاعة منفذي القانون، وموظفي الدولة، والحصول على تراخيص للاحتفالات المذهبية وبناء الحسينيات؛ لأن هذه التراخيص الرسمية سوف تطرح مستقبلاً على اعتبار أنها وثائق رسمية..

ثم أضاف عليان الشهرستاني:

٤- ولإيجاد الأعمال الحرة، يجب أن نفكر في الأماكن ذات الكثافة السكانية

العالية، لنجعلها موضع المناقشة في المواقع الحساسة، ويجب على الأفراد في هاتين المرحلتين، أن يسعوا للحصول على جنسية البلاد التي يقيمون فيها، باستغلال الأصدقاء وتقديم الهدايا الثمينة، وعليهم أن يرغّبوا الشباب بالعمل في الوظائف الحكومية، والانخراط في سلك الجندية.

قاطعه **آية الله مهدي** مرة ثانية:

في هذه المرحلة وبعد مضي الوقت المحدد لها علينا وبطريقة سرية وغير مباشرة، استثارة علماء السنة ضد الفساد الاجتماعي، والأعمال المخالفة للإسلام، الموجودة بكثرة في تلك البلاد، وذلك عبر توزيع منشورات انتقاديه، باسم بعض السلطات الدينية والشخصيات المذهبية، من البلاد الأخرى، وهذا ما فعلناه قبل أيام في العراق، ولا ريب أن هذا سيكون سبباً في إثارة أعداد كبيرة من تلك الشعوب، وفي النهاية سيلقون القبض على تلك القيادات الدينية، وسوف يدافع المتدينون عن تلك المنشورات، وستؤدي إلى إيقاف عدد من المسؤولين السابقين أو تبديلهم، وهذه الأعمال ستكون سبباً في سوء ظن الحكام بجميع المتدينين في بلادهم، وبذلك لن يعملوا على نشر الدين وبناء المساجد والأماكن الدينية، وسيعتبرون كل الخطابات الدينية والاحتفالات المذهبية أعمالا مناهضة لنظامهم، وفضلا عن هذا سينمو الحقد والكراهية بين العلماء والحكام في تلك اللحظة..

ثم أعاد الكلام إلى عليان الشهرستاني الذي قال بتواضع مصطنع: أما المراحل الأخرى وهي على أهمية واسعة جداً

٥- في هذه المرحلة حيث تكون مواقعنا قد ترسّخت وأصبح عملاؤنا أصحاب رؤوس أموال وموظفين كباراً، ومنهم عدد كبير في السلك العسكري والقوى التنفيذية وهم يعملون بكل هدوء وأدب، ولا يتدخلون في الأنشطة الدينية، عندها سوف يطمئن لهم الحكام أكثر من ذي قبل، فيستعملونهم في المناصب الحساسة وبالتالي نكون قد كسبنا ثقتهم..

٦- في المرحلة الرابعة سيكون قد تهيأ أمامنا دول، بين علمائها وحكامها

مشاحنات، والتجار فيها على وشك الإفلاس والفرار، والناس مضطربون ومستعدون لبيع ممتلكاتهم بنصف قيمتها، ليتمكنوا من السفر إلى أماكن آمنة، وفي وسط هذه المعمعة، فإن عملاءنا ومهاجرينا، سيعتبرون وحدهم حماة السلطة والحكم، وإذا عمل هؤلاء العملاء بيقظة فسيتبوؤون كبرى الوظائف المدنية والعسكرية، ويضيّقوا المسافة بينهم وبين المؤسسات الحاكمة والحكام، ومن مواقع كهذه يمكننا بسهولة بالغة أن نكون المخلصين لدى الحكام. .وغيرنا عملاء وخونة، وهذا سيؤدي إلى توقيفهم أو طردهم أو استبدالهم بعناصرنا. . .وبذلك سيزيد سخط السنة على الحكام، فتنشأ خلافات بينهم، وفي هذا الوقت، يتوجب على بعض مشايخنا المشهورين من أهل تلك البلاد أن يعلنوا ولاءهم ودفاعهم عن حكام تلك البلاد، وخاصة في المراسم المذهبية، ويبرزوا التشيع كمذهب لا خطر منه عليهم، وأن يعبروا عن ذلك بوسائل الإعلام، ليلفتوا نظر الحكام، ويحصلوا على رضاهم، فيقلدوهم الوظائف الحكومية، دون خوف منهم أو وجل. .

وفي هذه الفترة سنقترح عبر شخصيات معتمدة ومشهورة، تشكيل مجلس شعبي لتهدئة الأوضاع، وسنساعد الحكام في المراقبة على الدوائر وضبط البلد، ولا ريب أنهم سيقبلون ذلك، وسيحرز مرشحونا وبأكثرية مطلقة، على معظم كراسي المجلس، وهذا الأمر سوف يسبب فرار التجار والعلماء، وبذلك نستطيع تصدير ثورتنا الإسلامية إلى بلاد كثيرة دون حرب أو إراقة للدماء. . .

قاطعه **آية الله مهدي** مرة أخرى:

بعض هذه البنود يتم تطبيقها الآن في سوريا، وخاصة في القرى، وتشيع من أبنائها الكثيرون، ورأينا منهم من يشتغل في المركز الثقافي الإيراني في ساحة المرجة بدمشق، وفيهم أصحاب الأقلام المرتزقة من الدول العربية من العلمانيين والمنافقين والمتصوفين وغيرهم. . .ويمكن القول أننا نحقق بعض النجاح المتواضع. .ولكن مع مرور الزمن، سيكون النجاح باهراً جداً. .ولكن علينا الصبر لنصل إلى ما يرضي إمامنا. .ونحن الآن نهيئ له الأجواء ونمهد له الطريق. .ليجد الأمور كما يريدها عجل الله فرجه الشريف. .

وأُعقّب على كلام عليان الشهرستاني في الخطوة الأخيرة لأنها بالغة الأهمية وهي الفيصل في كل ما قدمناه عبر السنين..

في المرحلة الأخيرة سيكون قد أصبح الجو مهيأً للثورة؛ لأننا أخذنا منهم العناصر الثلاثة، التي اشتملت على : الأمن، والهدوء، والراحة...وستكون الهيئة الحاكمة كسفينة وسط الطوفان مشرفة على الغرق تقبل بكل اقتراح للنجاة بأرواحهم...

وعلى فرض أن الخطة لم تؤت ثمارها في هذه المرحلة...فإنه يمكننا أن نقيم ثورة شعبية ونسلب السلطة من الحكام، وإذا كان في الظاهر أن عناصر شيعتنا هم أهل تلك البلاد ومواطنوها وساكنوها، لكنا نكون قد قمنا بأداء الواجب أمام الله والدين وأمام مذهبنا.

لما انتهى عرض الخطة بتفاصيلها السرية، طلب آية الله مهدي تدوينها بشكل سري، وإرسالها إلى الجهات الأمنية والاقتصادية..على أن تبقى طي الكتمان، والعمل وفق مقتضاها المطروح فوراً ودون تأخير..والالتزام التام بما جاء فيها...

ثم رفعت الجلسة..وخرج آية الله مهدي كما دخل بالهتاف له بطول العمر والبقاء..

* * * *

بذل التجار مع علمائهم في دمشق جهوداً مضنية، لبناء الصروح العلمية... وكان يقابلهم في كل ذلك الحركة النشطة التي يقوم بها آيات فارس، ممن يقومون على نشر مذهبهم في شتى بقاع سوريا...وجرى السباق المحموم بين الفريقين...

أخذ **آية الله سعيد** الطبطبائي، يدعو إليه أصحاب الفاقة، مقدماً لهم الأموال والإعانة..ومع مرور الأيام والشهور...اعتاد الناس على ما يأخذونه، فتثاقلت نفوسهم عن العمل وركنوا إليه، إلى أن أصبحوا لا يطيقون الابتعاد عنه...

ولما وجد تأثير المال فيهم...قلب صفحة تعامله معهم..وقال لمجموعة منهم: لماذا لا تذهبون إلى مشايخكم ليساعدوكم...؟

تقدم إليه أحدهم: يا سيد...مشايخنا لا يهمهم إلا بطونهم، وما يأكلونه

من أموال الناس..ولقد وجدنا فيكم الملاذ الذي يُعطي ولا يأخذ...لهذا تجدنا بالقرب منك طوال الوقت..

شعر **آية الله سعيد** أن جهوده قد أثمرت: لا بأس سأحدد لكم راتباً شهرياً، يعينكم على ضنك الحياة..ولكن هذا المال لا يمكن صرفه إلا لشيعتنا..وأنتم..ثم صمت قليلاً..!

قال له أحد الجالسين: نحن ماذا...تكلم...؟

آية الله سعيد: أنتم لستم من شيعتنا..وللأسف..على الرغم من أنكم أتقياء محبّون لآل البيت..

أجابه السائل: وما المشكلة في ذلك...؟

آية الله سعيد: إن تشيعتم يمكن إدراجكم تحت بند مساعدة شيعتنا...وبإمكاننا أن نحدد لكم راتباً شهرياً بعد ذلك..أو ربما نقدم لكم مبلغاً مالياً لمشروع يُغطّي احتياجاتكم..

شعر الجميع بالسعادة تغمرهم، فأجاب أحدهم: أنا أقول لك نيابة عن الجميع إننا متشيعون منذ الآن..ومستعدون لأن نفعل كل ما يُطلب منا في سبيل تحقيق ذلك..

آية الله سعيد: كل شيء...كل شيء..!!

السائل: نعم كل شيء...

أعاد **آية الله سعيد** جلسته وطلب منهم ترديد متطلبات التشيع، من لعن وسباب وبراءة من الأصحاب أجمعين...فصار الحاضرون يرددون وراءه ما قال...ثم تبسّم في وجوههم: الآن أصبحتم من شيعتنا..ثم طلب من أمين صندوقه، أن يقدم لهم أول راتبٍ شهريٍ...على أن يوقع كل واحد منهم على المبلغ الذي استلمه..ثم طلب منهم التحرك في دعوة من يرونه أهلاً للتشيع..ووعدهم بمكافآت مجزية..لأكثرهم نشاطاً...

قبض الجميع المال، وظهرت على وجوههم السعادة البالغة...ثم انطلقوا ليحققوا ما أراد شيخهم الجديد..

* * * *

تحرك الدكتور **شاهر** إسماعيل متفقداً المدارس الجديدة في القرى البعيدة. . فشكل مجموعة من أساتذته لمرافقته في جولته. . .

كانت أولى محطاته مدرسة الميادين. . . فجمع الطلاب وألقى عليهم محاضراته القيمة، التي تناولت الهجمة التي تتعرض لها سوريا من بلاد فارس. . . وأنصت لهمومهم. . وكان أشد ما سمعه. . تشيع الناس في البلدات والقرى الفقيرة. . والنشاط الكبير الذي يقوم به **آية الله سعيد** الطبطبائي. . . فطلب من أحد شيوخ القبائل فارس السعيد أن يجمعه ببعض المتشيعين. . فأجابه على الفور: تأمر يا شيخ. . اليوم على العشاء سيكون عندك بعضهم. .

الدكتور **شاهر**: بارك الله فيك. . .

وما إن حلَّ الوقت حتى جاء فارس ومن ورائه شخصان فقط. . !

نظر **شاهر** إليهما وعلى وجهه علامات الإحباط الشديد. . . لكنه تجلّد ورحّب بهما وأجلسهما بالقرب منه. . .

أطرق الشخصان برأسيهما إلى الأرض خجلين. .

نظر **شاهر** إليهما: كيف أحوالكم. . وأحوال أولادكم. . . ثم استدرك: لم نتعرف عليكما. . ؟

الأول: عبد الرحمن العايش. . .

الثاني: عبد الودود العايش. .

الدكتور **شاهر**: يبدو أنكما أَخَوان. . ؟

أجابه عبد الرحمن: لا. . نحن ولدا عم. . .

الدكتور: بارك الله بكما. . .

عبد الله: والقائل. . .

عاجله عبد الرحمن بالكلام: نحن نعلم لِمَ جمعتنا. . تريد أن تسأل عن سبب تشيعنا. . . أليس كذلك. . ؟

الدكتور **شاهر** بهدوء الواثق من نفسه: ربما يكون هذا أحد الأسباب.. وما الضير في ذلك..؟

عبد الرحمن بخجل: لا... لا ضير...

الدكتور **شاهر**: طالما فتحت الموضوع هل لي بإجابة عمّا ما قلت..؟

عبد الرحمن: نحن يا شيخ نعيش في هذه البلدة الحدودية بعيدين عن العاصمة، ولا يصلنا من الخدمات إلا القليل جداً.. وأغلب الأحيان تكون بجهود خاصة من قبل الأهالي.. وقد انتشر الفقر بيننا... ونحن نعيل عوائلنا الكبيرة.. فالقحط وقلّة المطر ونفاد المال.. جعلنا نتعلق بأي قشة في هذا الطوفان الجارف.. ونحن في بلائنا، جاءنا من يقدم لنا يد المساعدة.. فانتشلنا من واقعنا.. وقدم لنا ما يسد رمقنا.. فوجدنا عنده الخلاص من ضياعنا وجوعنا.. وأنتم الآن تأتون إلى قريتنا لتسألونا عن سبب تشيعنا.. ألم تسألوا أنفسكم.. أين كنتم عندما يبكي أطفالنا، وتنوح نساؤنا جوعاً ومرضاً..

لم يستطع الدكتور سماع المزيد، فحالة الألم التي تحدث عنها كانت أكبر من كل توقعاته.. فكل ما قاله كان صحيحاً، فقال له: معكم حق.. معكم حق.. فنحن مقصّرون جداً.. لكن ليس في اليد حيلة... كيف لنا أن نقف معكم ونحن مثلكم لا نملك من الأمر شيئاً، فالفقر أصبح حالة عامة.. ونحن أشخاص عاديون أخذنا على عاتقنا بيان الحق للناس...

عبد الله مقاطعاً: ألم تسمع يا شيخ أحمد أن علي عليه السلام قال: كاد الفقر أن يكون كفراً... وقال أيضاً: لو كان الفقر رجلاً لقتلته...

الدكتور **شاهر** مصححاً: الحديث الأول كاد الفقر.. هو حديث منسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف جداً... على كل حال دعني أخبركما بأمر لا بدَّ أن تفكرا به جيداً..

عبد الرحمن: تكلم يا شيخ..

شاهر: هذه الدنيا زائلة، وزوالها أقرب إلينا من حبل الوريد... فالفقر ليس

عيباً. .والرزق لا يأتي إلا من الله. .وما معكما من رزق. .هو مكتوب لكما منذ الأزل. . .فإن أخذتموه بالحرام سيكون وبالاً عليكما، وإن صبرتما سيأتيكما هذا الرزق. .ولكن بطريق الحلال. .وبما أنكما رضيتما بالكفر والابتعاد عن الله من أجل رزق كُتب لكما. .فستدخلان جهنم برزقكما المكتوب. .وإن صبرتما واحتسبتما. .فالرزق آت لكما لا محالة. . .فالفرق بين الصبر والكفر شعرة بسيطة. .فمن صبر ظفر ونال ما تمنى. .ومن سخط فلا ينال إلا السخط في الدنيا، وغضب الله في الآخرة. .

نظر عبد الرحمن وعبد الله إلى بعضهما البعض بخجل. .وبدا على أعينهما الحيرة فيما قال. .لكن عبد الرحمن سارع بالقول: وما العمل إذن. .أنبقى على فقرنا وضيمنا. . .؟

الدكتور **شاهر**: ليس عندي مال. .ولكن عندي ما هو أعظم منه. . .

شعر عبد الله بفرح: وما هو شيخنا. . .؟

الدكتور **شاهر**: الفطرة السليمة والدين القويم. . .

أصيب عبد الله وابن عمه بالإحباط فقد ظنَّا أن فرجاً مادّياً قد أتاهما. . .

شعر الدكتور **شاهر** بحالهما وبما يفكران به: أنا قدمت ما عندي. .فإن شئتم أخذتم به وإن أبيتم فالقبر قريب جداً، وأعماركما تنبئنني بأن الآتي خطير وطامة كبرى تنتظركما. . .فاحذرا غضب الله على نفسيكما وفيما تأخذان. .

غادر الرجلان المجلس، وأحدهما ينظر إلى الآخر مسرعين خطاهم. .خشية سماع ما لا يحبانه. . .

تأمّل الدكتور شخصيتهما عند مغادرتهما وتلا قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [القصص: ٥٦].

ثم خاطب فارس السعيد: هذا جهدنا. .وعلى ربنا الهداية. . .وعليك يا شيخ تقع مسؤولية هؤلاء المساكين. .وسنكون بالقرب منك نشدُّ أزرك ونساعدك بما نستطيع. .

فارس السعيد: والله يا شيخ الحال خطير...وجهدنا مهما كان كبيراً..لن يقف في وجه دولة...وعليكم أن تفكروا في حل تلك المعضلة، بالطرق التي ترونها ناجعة..فطالما هناك فقر..سيكون معه كفرٌ..فأنت وذاك...

أصيب **شاهر** بالاكتئاب والحزن، فأطرق إلى الأرض وسقطت من عينه دمعة..وقال في نفسه داعياً ربه: إلهي هذه قدرتنا..وهذه استطاعتنا..وأنت قلت وقولك الحق: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، وهذا وسعنا... ثم دخل غرفته مفكراً فيما جرى...

* * *

إسرائيل وطني

التقى أعضاء حزب سنتر يهودا كعادتهم كل أسبوع لدراسة المستجدات القائمة على الساحة الإسرائيلية والدولية...

وبينما هم منهمكون في جدالهم..تقدم أحد الحراس إلى شالوم يعقوب وناوله رسالة مختومة..ثم عاد إلى مكانه...تجهّم وجوه الحاضرين..وتطاولت أعناقهم إليه ليسمعوا محتواها..لكنه وضعها أمامه واستمر في المناقشة...

شعر الأعضاء أن الرسالة خاصة به وحده..فصرفوا حب فضولهم إلى شيء آخر...

بعد مضي ساعتين رفع شالوم الجلسة للاستراحة...

لما انطلق الحاضرون إلى البوفيه لتناول القهوة..تقدم شالوم من دينا وأخذها جانباً..ثم أخرج الرسالة وقدمها لها..

تناولتها بشغف لتعرف ما فيها..لكن شالوم أشار عليها أن تقرأها في بيتها بعد انتهاء الاجتماع...

أجابته بالموافقة..وما إن انطلق حتى أخرجت الرسالة وفتحتها فأصيبت بحالة من الذعر..ثم أعادتها إلى حقيبتها، ودخلت البوفيه..وأخذت قدحاً من العصير..وراحت تشربه بروية وعيناها محدقتان بالحائط...

تقدم منها زوجها: **دينا**...**دينا**..!!

لكن **دينا** كانت في حالة أنساها محيطها...فلما أعاد عليها نداءه، أجابته: ها... ها...!!

إبراهام: ما بك..؟..أراك متجهمة الوجه..كمن أصابته مصيبة..!!

تصنعت **دينا** الهدوء واللامبالاة: لا شيء البتة...لا شيء البتة...

شعر **إبراهام** بشيء تخفيه عنه. . . فتمالك نفسه. . وأخفى إحساسه. . .

عندما انتهى الاجتماع. . توجّها معاً إلى بيتهما. . . أعاد سؤاله مرة أخرى. . . فردت عليه بنفس جوابها. . .

أعاد **إبراهام** إلى نفسه ثقتها. . ودخل البيت وتصنع عدم اهتمامه. . . فلما دخلت الحمام. . توجه إلى الغرفة مسرعاً وراح يفتش في حوائجها. . فلما فتح حقيبتها وجد الرسالة التي وصلت لشالوم يعقوب. . . ففضّها على الفور وقرأ محتواها ثم أعادها إلى مكانها، وجلس في الصالون وكأن شيئاً لم يكن. . .

أثناء تناوله للطعام، راح ينظر إليها. . . وبادلته **دينا** نظراته. . . ثم قال لها: ألا تريدين أن تخبريني بشيء. . ؟

أجابته بعصبية: لا شيء. . ألا تفهم. . . ؟

انتصب واقفاً ورمى بملعقته على الأرض، وتوجه نحو شرفة بيته، بعد أن تناول زجاجة خمر وبدأ يرتشف منها مباشرة. . .

فما كان منها إلا أن تركت طعامها وتوجهت نحوه. . معتذرة عما قالت. .

لكنه أبعد وجهه عنها مظهراً الغضب. .

تقدمت إليه وقبلته: حبيبي. . أنا آسفة. . .

إبراهام: على أي شيء تتأسفين. . . ؟

دينا: لأنني غضبت وتكلمت معك بعصبية. .

إبراهام: أهذا فقط. . ؟

دينا: وماذا بعد. . ؟

إبراهام: ألا تخفين عني شيئاً. . . ؟

دينا: وهل بيننا أسرار لأخفيها عنك. . . ؟

إبراهام: أمتأكدة من كلامك. . ؟

دينا: وهل كذبت عليك مرة. . . ؟

جرّها من يدها إلى غرفة النوم. . .ثم تناول حقيبتها: ألا تخبريني ما بداخلها. . ؟

سحبت الحقيبة من يده على عجل وأخفتها وراء ظهرها. .كمن سرق حاجة وأراد أن يخفيها عن الناس: لا شيء. . !!

تركها وعاد إلى الشرفة. . .عندها فتحت الحقيبة، ونظرت إلى الرسالة وقالت في نفسها: هل قرأ الرسالة. . .ثم خرجت إليه مسرعة: حبيبي. . .أنا لا أريد أن أزعجك. .

أجابها **إبراهام** بعصبية: وإن كان الأمر يخصني. . . !!

عرفت أن سرها قد انكشف. .فقالت له مظهرة الحزن: أنا قلبي عليك. . .ولا أريد أن أُنغِّصَ عليك عيشك. .أهكذا جزائي. . .؟

أصيب بنوبة عصبية شديدة وراح يصيح: الأمر يخصني وتخفيه عني. .ما هذا الهراء. . .أتتكلمين بنعومة لتجعلي منك الضحية. . .يا لك من خبيثة. .

دينا بهدوء: سأتجاوز إهانتك. .لأني أقدِّر ظرفك النفسي. . . !!

نظر إليها: أهكذا تكون حياتنا. . .ثم دخل من الشرفة. .فلحقته. .إلى أين. . .؟

إبراهام: عليَّ السفر فوراً. .

دينا: انتظر أسبوعاً واحداً فعطلة الفصح أصبحت قريبة. .

إبراهام: لا أستطيع الانتظار. . .!

دينا: إن كنت مصِرا على السفر. . .فلن أتركك وحدك. .سأسافر معك. . . !!

استعاد **إبراهام** بعض هدوئه: سأذهب لأحجز في الطائرة. .فأجابته: وأنا سأقدِّم إجازة لنا عبر الهاتف. . .

مع منتصف اليوم الثاني توجه إبراهام وزوجته إلى المطار. . .

ولم يمضِ إلا ساعة حتى حطت الطائرة في مطار قبرص. . .فكان أحد أعضاء السفارة باستقبالهما. . .فتوجه بهما إلى فندق ماريوت جولد. . .

مع بدء الدوام الرسمي للسفارة. .كان إبراهام وزوجته جالسين في إحدى الغرف الجانبية. . .

* * * *

جلست **هايدي** بالقرب من أبيها تطعمه، بعد أن غيَّرت له ملابسه. .وإذا بهاتفها يرن. .

نظرت إلى الرقم. .فإذا السفير الإسرائيلي. .ففتحته بسرعة بيد مرتعشة: ألو. .سعادة السفير. .!!

ضحك **السفير**: أراك عرفتني قبل أن أتكلم. .

هايدي: توقعت اتصالك اليوم. . .هل من أخبار. . .؟

السفير: هل تستطيعين القدوم إلينا. .؟

هايدي: ومتى. . .؟. .

السفير: الآن إن أمكن. . .

هايدي: مسافة الطريق وأكون عندك. .

ارتدت ملابسها على عجل، ولم تنتبه لهمهمة والدها. . .وتركته وانصرفت. . .

أوقفت سيارة أجرة: إلى السفارة الإسرائيلية لو سمحت. .

وما هي إلا دقائق حتى وصلت السفارة. . .فأُدخلت إليها على الفور. . .

استقبلها **السفير** كعادته بلباقة واحترام، وأجلسها على الأريكة: للأسف لم نجد لأخيك ولزوجته أي أثر. .فربما غادرا إلى أوربا ليقيما هناك. . .

لما سمعت **هايدي** كلامه، انقضَّت عليه آخذة بتلابيبه: أبعد هذه الأشهر الطويلة. .والتسويف المستمر تقول هذا الكلام. .؟

لم يتمالك **السفير** نفسه من الضحك. .حتى سُمعت قهقهاته خارج الغرفة. . .

استغربت **هايدي** منه: وتضحك أيضاً. .ألا تخجل من نفسك. .؟

تناول **السفير** سمَّاعة الهاتف وضرب رقماً واحداً وقال: لا بأس. . .

لم تدرِ **هايدي** قصده بتلك الكلمة..وإنما بقيت واقفة متحفزة لأي خطب قد يأتيها من الحرس...!!

فُتِحَ البابُ بهدوء فنظرت هايدي تجاهه...فوجدت دينا ببسمتها الحلوة، قد ارتدت أجمل ما عندها من ثياب...فراحت تنظر إلى هايدي وتبتسم إلى أن وصلت إليها..فعانقتها وضمتها إلى صدرها مظهرة الحب والشوق..!

فما كان من **هايدي** إلا أن بدأت بالبكاء..وعبَّرت عن شوقها بأن اعتنقتها بشدة ولم تدعها..إلى أن قالت لها دينا: اهدأي..وأجلستها على الكنبة وجلست مقابلها...

حدَّقت بها: وأين أخي مصطفى..؟

دينا: أخوك...أخوك...!!

صاحت **هايدي**: هل جرى له شيء...وقبل أن تخبرها بدأت باللطم والبكاء..!

فشقَّ على **دينا** حالها..فتناولت يدها وقالت مشيرة إلى الباب: هذا أخوك..سالماً معافى...

وما إن وقع نظرها على أخيها حتى ارتمت على صدره وبكت بكاءً شديداً...وظلَّ مصطفى يضمها..حتى تسللت عبراتها إلى رقبته..فشعر بحرارتها...فلم يتمالك نفسه، فانتابته موجة بكاء شديدة ..والسفير ودينا ينظران إليهما متأثرين لحالهما...

فلما هدآ جلسا على الأريكة ملتصقين ببعضهما كمن يخاف أن يفقد أحدهما صاحبه..

خرج **السفير** من الغرفة..وبدأ مصطفى يسأل هايدي عن أبيه وما جرى لهما بعد ذلك...فقصَّت عليه قصتهما من بدايتها إلى نهايتها...

وقف مصطفى وأمسك بيدها: هلمِّ بنا إلى البيت لأرى أبي...

توجه الثلاثة إلى البيت بإحدى سيارات السفارة...وما إن دخل، حتى وجد أباه على كرسيه المتحرك فألقى بنفسه عليه مقبلاً...وعباس ينظر إليه مستغرباً...

نظر إليه: بابا..أنا مصطفى..ألا تعرفني..؟

لكن عباس استدار نحو هايدي وأشار إليها أن تطعمه...

أخذت **هايدي** بيده: بابا...هذا مصطفى...

فما كان من عباس إلا أن أشار مرة أخرى إلى فمه طالباً الطعام..

شعر مصطفى بالاكتئاب والحزن الشديدين، عما أصاب عائلته...فجلس بالقرب من دينا: علينا معالجته في إسرائيل..لأن الطب متقدم هناك.

شعرت **دينا** بالانزعاج: لماذا لا ترسله إلى أمريكا للعلاج..وهي أفضل من إسرائيل..

نظر إليها منزعجاً: هل نسيت من هؤلاء ..؟..هما من بقي لي من الدنيا..

أذعنت له: أنا لا أعترض، ولكن أريد مصلحتهما...

قضى الجميع ليلتهم في الشقة...ولم يناما إلا مع حلول الصباح الباكر...

واستيقظوا على همهمة عباس ورائحته التي عمَّت أرجاء الشقة..

كان أول المستيقظين دينا..التي هرعت إلى الشرفة لتستنشق بعض الهواء النقي...وما هي إلا لحظات حتى لحق بها زوجها..فلما رأته قالت: ما هذه الرائحة الفظيعة..؟..كاد أن يُغمى عليَّ..!!

همس **إبراهام** في أذنها: إنها رائحة أبي...

ضربت يدها على صدرها: أيغوط في ثيابه..!!

إبراهام: نعم...فهو لا يشعر بأي شيء..

دينا: مسكينة **هايدي** على هذا البلاء...ثم استدركت: لا يمكن أن يجلس معنا في بيت واحد...!!

إبراهام بامتعاض: طبعاً...هل أنا مجنون حتى أبقيه معك..سأستأجر لهما شقة بالقرب منا..

دينا: نعم هكذا أفضل لنا ولهما...

ثم توجهت مع **هايدي** لتجهيز حقائب سفرهما..

* * * *

السقوط

توالت العمليات واشتدت وتيرتها، ووقعت سلطة بغداد في حالة إرباك. .فلم تصل إلى طرف خيط يوصلها إلى حل لغزها. .فاعتقلت وأعدمت العشرات من أبنائها. .ولكن دون جدوى. . .واستمرت هذه الحالة عدة أشهر. . .

كان آية الله نيروز قد وصل مع رستم ومجموعاته إلى ذروة أعمالهم. .فحالة التكتم آتت أُكُلها. .فجميع من قُبض عليهم، كانوا إحدى حالتين: إما أعداؤهم. .وإما شيعتهم ممن لا يعلمون عن الأمر شيئاً. . .ومضت الأيام واشتدت المحنة. .ورستم وجماعته كالأفعى يلدغون فريستهم ويختبئون في أوكارهم. .

أشار آية الله نيروز على رستم أن يقوم بقتل جماعي في المناسبات الحكومية. . .

أعجبت رستم الفكرة. .وسأله: هل هناك احتفال قريب. .؟

آية الله نيروز: بالطبع ولهذا طلبت منك ذلك. . .

رستم: ما هو. . .؟

آية الله نيروز: هناك احتفال سيجري في كلية الإعلام. .وبالتأكيد سيحضره شخصيات كبيرة. .

رستم: هذه والعباس ضربتنا. . .وسأله: هل أستطيع معاينة المكان وما يحيط به. . .؟

آية الله نيروز: بالطبع. . .سيصطحبك عبد الحسين. .ولكن عليك توخي الحذر. .

رستم: لا تخف. .

مع الصباح الباكر توجه إلى كلية الإعلام. .مرتدياً زيا جامعياً مخفياً صك غفرانه تحت ملابسه. . .

نظر إليه عبد الحسين: لماذا تأخذه معك..؟

رستم هذا سيخفي أثر وجودي عن أعين الأمن..وسيحفظني من كل بليّة..

قلب عبد الحسين شفته: هيّا بنا...!!

انطلق الاثنان معاً ودخلا الجامعة..حاملين معهما بعض الكتب للتمويه...وبدأ رستم يقلّب المكان..وينظر إلى مخارجه وحراسه المتواجدين عند الباب...ثم غادرها..وأخذ يسير في الشوارع المقابلة لها، متفحصاً مخرجها وإلى أين تؤدي...ثم طلب من عبد الحسين أن يعيده إلى المزرعة...

وما إن وصل إليها حتى شرع في رسم مجسَّم للمكان، وما يتصل به من أحياء، وما يحيط به من أبنية...

ومع حلول الظلام وصل آية الله نيروز كعادته كل يوم، وجلس مع رستم على انفراد، وسأله عما توصَّل إليه..فأخرج له المخطط، وبدأ يشرح له المكان بتفاصيله...

أبدى آية الله نيروز حماسة منقطعة النظير: أتمنى لك التوفيق ومباركة الأئمة...ولكن عليك أن تختار الرجال الأكفاء لهذه المهمة...

رستم: لقد اخترتهم..وسأشرح لكل واحد منهم مهمته على حِدة ودون علم الآخر، حتى لا نقع بأي أخطاء..

في اليوم الثاني ذهب رستم إلى الجامعة مع أحد رجاله، يرافقهم عبد الحسين، وأخذ يشرح له مهمته بدقة متناهية، والدور الذي يجب عليه أن يقوم به...ثم عاد في اليوم الثاني مع آخر، وهكذا إلى أن تجهزت المجموعة، وحفظ كل واحد منهم دوره، فوضعهم في أماكن متفرقة عن بعضهم البعض، وطلب منهم عدم الخروج من أماكنهم إلى يوم التنفيذ خشية وقوع أحدهم بيد رجال الأمن، وتنكشف الأمور وتفشل المهمة..وأوصاهم بالتدريب البدني خلال اعتصامهم المنزلي..

مع مطلع يوم الأحد، توجه وزير الثقافة والإعلام إلى قاعة الجامعة ليلقي فيها خطابه...ولم يكن يدري ما ينتظره هناك...

وما هي إلا لحظات حتى ألقى رستم بقنبلة يدوية نحوه، وتبعها بعدة رشقات من رشاشه. . ساعده آخر بقنبلة أخرى ثم أخرى. . ثم بدؤوا بالانسحاب. . لكن أصوات الانفجارات. . دفعت حرس الجامعة إلى إغلاق أبوابها. . وجلسوا خلف أحد المتاريس الترابية، مستترين وراءه وموجهين أسلحتهم نحو القادمين، أو الفارين من القاعة. . .

واستطاع أحد الحراس المرافقين للوزير الاتصال بالأمن، الذين سارعوا على الفور وضربوا طوقاً أمنياً حول المكان. . واعتقلوا كل واحد في المنطقة تحسُّباً لأي خطأ قد يحدث. . .

فلما شعر رستم ورفاقه بالضيق أشار إلى صك غفرانه بأنه هو الحامي. . .

بدأ رجال الأمن يضيقون المكان شيئاً فشيئاً. . حتى وصلوا إلى الجامعة. . فدخلوها بعد أن أحكموا طوقها. . ودفعوا بالموجودين إلى سياراتهم. . ورستم وجماعته جالسون في إحدى القاعات مطمئنين. . لكن حالة الاطمئنان لم يدم طويلاً، فوجدوا بنادق الحرس فوق رؤوسهم وهم يصيحون بهم: قف ووجهك إلى الحائط. . . !!

نظر رستم إلى زميله. . وقال له بهمس: إنهم لا يرونا فلا تجزع. . لكن لكمة على وجه أحدهم رمته أرضاً فصاح فزعاً: إنهم يرونا. . إنهم يرونا. . . تحسَّس رستم صك غفرانه وفركه بقوة. . فخاب أمله. . وأيقظته ضربة قوية بكعب البندقية طرحته أرضاً وتمَّ تكبيلهما. . وانطلقوا بهما إلى أحد فروع المخابرات. . .

دخل خلف الأحمد ومن ورائه المقدم عوض العمري. . وأخذا يستعرضان المعتقلين. . . ويسألان كل واحد عن اسمه. . .

لما وصلا إلى رستم. . سأله المقدم عوض: ما اسمك. . . ؟

أطرق رستم برأسه إلى الأرض وراح يشير بيده على أنه أبكم. . . فتركه المقدم وانطلق إلى غيره. . لكن خلف الأحمد نظر إلى رقبته فرأى شريطاً أصفر قد عُقِد بحجاب. . . فعاد إليه وانتزعه منه. . . وما أن شاهد بقية رجاله الصك، حتى بدا على وجوههم الخوف والارتعاش. . . أحسَّ المقدم بأن هناك شيئا يتعلق بهذه الشريط، فطلب من الجميع خلع قمصانهم. . . فأذعنوا طائعين. . لكن رجال رستم ترددوا

قليلاً، فما كان من المقدم إلا أن أخرجهم من الطابور..ونظر إلى رقابهم فوجد صكوكهم..فضرب أحدهم على وجهه وسأله: ما هذا الشيء في رقابكم..؟..شعر المضروب بالجزع الشديد: سيدي...سيدي..والعباس لست أنا إنه هو..!

ظهر على المقدم الحيرة: ويلك..من هو...؟

الشاب مشيراً إلى رستم: إنه هو..!!

المقدم عوض: لكنه أبكم..!!

الشاب: لا يا سيدي إنه إيراني وهو رئيس مجموعتنا...

التهبَ خلف الأحمد من الغضب..وشعر أن أول الخيط صار بيده..فسحب رستم من بين الصفوف وقال لأحد حراسه: خذوه...ثم نظر إلى الشاب: أنت متعاون جداً..فأخبرني عن البقية...؟

أخذ **الشاب** يخبره عن سرية العمل ودقته وعدم معرفة أحدهم للآخر...

هرع خلف الأحمد والمقدم عوض العمري إلى غرفة التحقيق وقال لجلاديه: أريد أن يتكلم خلال ربع ساعة، وقبل أن يهرب من وراءهم...

فانهالت عليهم اللكمات والكهرباء..وما هي إلا دقائق معدودة حتى أخبرهم عن مكان تواجد بقية المجموعات ومن يساعدهم...فتوجهت فرقة من الحرس الجمهوري بالطائرات السمتية، فقطعت الطرقات المؤدية إلى الأهوار، وتقدمت مجموعة أخرى فألقت القبض على آية الله نيروز الموسوي، الذي كان جالساً في النجف يقرأ الخيرة للزوار، وينظر إلى هذه وإلى تلك..وما إن رأى رجال الأمن يغصّون بالحضرة حتى أصيب بالهلع...فصار يتحسس هو الآخر صك غفرانه..لكن بدون فائدة..فقبض عليه أحد رجال الأمن واضعاً القيد في يديه، وسحبه إلى الخارج...

نظرت الجموع إليه دون أن تحرك ساكناً...كان من بينهم والد الطفلة فاطمة التي ماتت بعد تمتع آية الله نيروز بها..فحدَّق به وقال بصوت مسموع: هذا جزاء القاتل...!!

نظر إليه آية الله نيروز والخوف والرعشة تهزُّ جسده...وقبل أن يصعد سيارة

الأمن، وقعت عمامته السوداء على الأرض. فسارع والد فاطمة إليها، بعد أن ابتعدت عنه السيارات، فقفز عليها يدوسها بقدميها. ويبصق عليها، والناس ينظرون إليه مستغربين. دون أن يتحرك أحدهم، ليدافع عن عمامة سيده...!!

* * * *

لما حطت السيارة بالمعتقلين، بدأ التحقيق معهم على الفور...

سُحِبَ آيةُ الله نيروز من ذقنه إلى المحقق عوض العمري. الذي ما إن نظر إليه حتى رمقه بعينيه الحادتين. وألحقه بلكمة على وجهه أسال الدم من أنفه....

فما كان من نيروز إلا أُسقِطَ في يده وراح يرتعش من الخوف...

سأله المقدم: ما اسمك..؟

أجابه: آية الله نيروز الموسوي...

المقدم عوض: أأنت سيد إذن...؟

نيروز: نعم يا سيدي...!!

المقدم عوض: وهل عندك ما يثبت نسبك..؟

نيروز: لا يا سيدي...؟

المقدم: فكيف عرفت أنك سيد إذن..؟

نيروز: لقد أخبرتني أمي بذلك...

المقدم: ولماذا لم يخبرك أبوك..؟

عوض: أبي أحد السادة في كربلاء. وقع على أمي فأنجبتني...

المقدم: على هذا فأنت ابن زنا...؟

نيروز: لا يا سيدي. أنا ابن متعة..

المقدم: أرى أكثر آياتكم أبناء متعة...!!

نيروز: لا بعضهم فقط...

المقدم: نعود إلى موضوعنا...أخبرني عن كل الأعمال. ومن يقف

وراءها.. وما هي الأهداف التي قمتم بتنفيذها...

بدأ الخوف يظهر على وجه نيروز: لا أعلم شيئاً، فقد ألصقوا بي تلك التهمة ظلماً وعدواناً..

عوض: ألا تريد أن تتكلم...لا بأس فصاح بأعلى صوته: سلمان... سلمان..

دخل عليه رجل طويل القامة، ضخم الجثة أسمر اللون، على ثيابه آثار الدماء.. حليق الشعر: نعم يا سيدي..!!

المقدم: سيد نيروز..يسلم عليك...

سلمان: الله لا يسلمه...بس سيدي أعطنيه حتى ألقي عليه التحية السلمانية...!!

المقدم: هو لك فخذه وأعده إليَّ بعد ساعة، ريثما أستكمل التحقيق مع الباقين...

تقدم إليه سلمان وسحبه من رأسه، وبحركة واحدة صار على كتفه...فمشى به واللكمات لا تتوقف عن وجهه..وقبل أن يخرج من الباب صاح على المقدم: سيدي..سأتكلم..

المقدم: أعده إلى هنا..

رمى به سلمان على الأرض وكأنه كيس من الطحين...

المقدم: أخبرنا بالتفصيل عما جرى...بعد أن وجّه عليه الأنوار الساطعة..واضعاً الكاميرات أمامه.. وقال له: تكلم...

جلس **المقدم** أمامه يرتشف الشاي..وعندما يتوقف...يصيح به: أكمل وإلا أرسلتك إلى سلمان...وظلَّ هذا حاله لأكثر من ثلاث ساعات...فاعترف بكل الجرائم التي ارتكبت...

بعد أن انتهى من إفادته..أعاده إلى زنزانته..واستقدم رستم الذي كان متورم الوجه نازف الأنف والفم..قد كُسرت يده وأحد أضلاعه...

سأله: أهلاً بك في بغداد...!!

أطرق رستم إلى الأرض دون أن ينبس ببنت شفة...!!

تقدم إليه وبيده عصى كبيرة: ألا تريد أن تتكلم...؟..ثم انهال عليه بالضرب الشديد في جميع أنحاء جسده..

وما هي إلا لحظات، حتى بدأ يستغيث وينادي: يا علي...يا أمير المؤمنين..!!

المقدم عوض: أتنادي علياً...فقال بغضب شديد: والله إن جاء علي..سأضعه هنا وأسلط عليه سلمان...ثم صاح: سلمان...سلمان...

فتح سلمان الباب بسرعة مظهراً الفزع: نعم يا سيدي...!!

المقدم: رستم يناد على علي...

مسح سلمان فمه من أثر الطعام: من علي...أهو علي جارنا...؟

ضحك **المقدم**: اسأله أنت..فلعله جاركم...!!

التفت سلمان إلى رستم وسأله: من علي يا كلب..؟

شعر رستم بالخوف، وبدأ يرتعش...فضربه سلمان براحة يده على صدغه: يا كلب أتريد أن تتهم الناس..؟..

فما كان من **المقدم** إلا أن ضحك بشدة، وقال: غبيان...غبيان..!!

ثم التفت إلى رستم، بعد أن أخرج من درج مكتبه أحد صكوك الغفران: ما هذا...؟

نظر إليه رستم وأطال نظره...فتقدم إليه المقدم عوض: ألا تذكره...ثم رماه عليه..فتناوله رستم على عجل ووضعه في رقبته...ثم وقف متوجهاً نحو الباب...لكن المقدم سارع إليه وضربه بعصاه، وقال: إلى أين يا كلب..؟

أخذ رستم يتحسس نفسه كمن فقد شيئاً...ولم يستيقظ إلا على ضربة العصا، تنهال على جسده...فارتمى على الأرض، وأخذ يدرأ الضربات بيديه: سيدي: هذه صكوك الغفران أعطانيها الإمام آية الله مهدي ميرزا..وهي أداة للاختباء عن أعين

الناس عند الضرورة..وهي هويتنا لدخول الجنة...!!

المقدم: أهكذا إذن...وراح يسأله بتمعن ودقة، حتى اعترف بكل عمل قام به أو خطط له...

ثم جيء بآخر ثم آخر...وقامت أجهزة الأمن باعتقالات واسعة في صفوفهم، باستثناء سارة التي تمكنت من الاختفاء عن أعين رجال الأمن، ومن ثَمَّ غادرت إلى إيران، وأقامت في بعض قرى قم الفقيرة تمارس مهنتها..ولما استكمل التحقيق تم نشر بعضه على أجهزة الإعلام، والوكالات الأجنبية..

* * * *

وقف وزير الإعلام العراقي أمام الصحفيين..وإلى جانبه وزير الأوقاف وبعض العلماء، وكان من أبرزهم الشيخ غازي الموصلي..

طلب أحد الصحفيين الكلام..

أشار إليه وزير الأعلام أن يطرح سؤاله..

الصحفي: وكالة الأنباء الفرنسية..معالي الوزير لقد سمعنا في الآونة الأخيرة عن عمليات إرهابية في جميع مدن العراق، فالقتل والتفجير كانا يسيران بشكل متصاعد..وقبل أشهر من الآن، عرضتم على التلفاز بعض الإرهابيين...وبالأمس نسبتم الأعمال السابقة إلى إيران وعملائها..فكيف تبررون إعدام مجموعة من الشباب...أثبت التحقيق براءتهم من تلك الأعمال...

بدأ الوزير يتصبب عرقاً، فأخرج منديلاً من جيبه ومسح به جبينه..كمن يفكر بماذا سيجيبه..ثم رفع رأسه: هناك أمور لا نستطيع البوح بها في هذا الوقت، فالظروف الأمنية تدفعنا إلى التريث في إعلانها ريثما نستكمل باقي التحقيق...

صحفي: وكالة الأنباء ...cnn كيف تمَّ كشف الإرهابيين..؟

الوزير: أنتم تعلمون أن رجال الأمن يبقون ساهرين على راحة الناس..وهناك تعاون كبير بين كافة فعاليات المجتمع ورجال الأمن..وقد وصلتنا أخبار من أشهر عن تحركاتهم...وقد تريثنا كثيراً في القبض عليهم، حتى يتسنى لنا كشف جميع

الشبكة. . .

صحفي: وكالة الأنباء البريطانية ...bbc كيف سار التحقيق. . .وما الدافع الحقيقي وراء تلك الأعمال. .ومن يقف وراءها. .؟

الوزير: سار التحقيق على ما يرام. .وانتزعت المعلومات من القتلة دون أي ضغط منا. .أما الدافع الحقيقي. .فهو دافع ديني بالدرجة الأولى. .فمنذ قيام دولة الملالي في إيران، بدأت معها فكرة تصدير الثورة إلى البلاد المجاورة. .وكان العراق أول المستهدفين، لما يتمتع به من أرض مقدسة ضمت رفات علي كرم الله وجهه وبعض ذريته. . .فأرادوا أن يحتلوا بلادنا، تحت مسمى تحرير الأراضي المقدسة. .

صحفي: وكالة الأنباء القطرية. . .لقد شاهدنا بالأمس على التلفاز بعض الأشرطة الصفراء. .وقد تحدث المجرمون عن صفتها. .وأطلقوا عليها صكوك الغفران. . .فهل تشرحوا لنا ماهية تلك الصكوك. .؟

ضحك الوزير والتفت إلى الشيخ غازي الموصلي: سيجيبكم عن هذا السؤال الشيخ غازي. .تقدم غازي نحو المنصة:

لا شك أن أخبار الصكوك تناولتها جميع وكالات الأنباء. . .وهي مادة خصّبة في هذا القرن، وقبل الجواب عن هذا السؤال لا بد لنا أن نعود إلى الأصول الأولى لتلك الصكوك. . .

لقد بحثنا في أمهات الكتب القديمة وفي كتب الأديان الأخرى. .فما وجدنا صكوك الغفران إلا عند الأديان الأخرى. . .ففي عام ١٥١٧ للميلاد أعلنت الكنيسة عن منح صكوك غفران لأبنائها، مقابل مبلغ من المال. . .والمغفرة يوم القيامة. .أي دخول الجنة لصاحب الصك، مهما فعل أو ارتكب من معاصي أو كفر أو إلحاد. .

وهذا شبيه تماماً بما منحه دهاقنة إيران لرجالهم مقابل المال، فكل من كانت عليه مظلمة أو تقصير في حق شرعي أو ترك له، يدفع مبلغاً مالياً مقابل تلك المظلمة، فيغفر له بذلك، ويسمونه (رد المظالم).

إنها بالضبط صكوك الغفران، التي كان يتعامل بها الأحبار والرهبان في أوربا في

القرون الوسطى!..ونحن نجد في هذا القرن رجال دين يأخذون بها ويقدمونها لأتباعهم..متجاهلين عقولهم...هذه الصكوك التي أكل عليها الزمان وشرب..وعرف الناس في أوربا كذب ودجل من أوجدها..نجدها اليوم في بلاد تسمي نفسها مسلمة...تلك الصكوك التي يندى لها جبين البشرية...فالجهل الكبير لدى أئمتهم وآياتهم دفعهم إلى احتقار الناس، والزهد في عقولهم وتفكيرهم... فأوجدوا الصكوك لغاية في أنفسهم، تعود عليهم بالفائدة المادية والوصولية..فكرسي الحكم هو هدفهم الحقيقي..ولا يلقون للدين أو الإنسان بالاً..بل يعدّونهم مطيّة وعكازا يستندون عليه في سبيل تحقيق مآربهم...

استمر المؤتمر الصحفي ساعة من الزمن، ثم رفع الوزير إحدى الستائر عن صور المعتقلين...وأعطى الصحفيين بعض صكوك الغفران لينظروا إليها عن كثب...فتناولوها فيما بينهم وبدأت ضحكاتهم تتعالى...والوزير والشيوخ ينظرون إليهم ويبادلونهم الضحكات...

* * * *

حطت الطائرة في مطار بن غوريون..وبعد إجراءات أمنية دقيقة..عاد إبراهام وزوجته إلى البيت ومعهما ضيوفهما الجدد...

وما إن دخلت **هايدي** من باب الفيلا، حتى بدأت تنظر إليها وتجول بين أرجائها وغرفها وحديقتها..مندهشة من جمالها وحسن أثاثها وكبر حجمها...وهي في غمرة دهشتها وصل جوزيف بن إبراهام..فدخل البيت وراح ينظر إلى الضيوف الجدد، مستغرباً وجودهم...نظرت إليه **هايدي**: من هذا...؟

تبسّمت **دينا**: إنه جوزيف بن إبراهام...

هايدي: من إبراهام..؟

دينا: أخوك مصطفى..صار اسمه إبراهام...يعني إبراهيم بالعربي..

هزت **هايدي** رأسها ولم تعلّق...وركضت إليه معانقة مقبلة...ثم تقدمت إلى أبيها: بابا...هذا ابن مصطفى...!!

نظر إليها عباس وأشار إلى فمه كي تطعمه...فابتعدت عنه ولم تلقِ له بالاً..لكن الطفل نظر إلى عباس..وتقدم إليه بخطوات بطيئة..واقترب منه ووضع يده فوق يده...لكنه سرعان ما انطلق هارباً...!!

نظرت إليه **دينا** باستغراب واقتربت منه: ما بك حبيبي...؟

أشار إلى عباس بأصبعه: هذا الرجل له رائحة...تقدمت إليه دينا مستفسرة..ففاحت منه رائحة كريهة، فهرعت على الفور ففتحت النوافذ والأبواب وبدأت تصيح: هايدي...هايدي...!!

استغربت **هايدي** لهذا الصياح فتقدمت إليها: ما بك...؟

أشارت إلى أبيها، وهي تسد أنفها...ففهمت هايدي ما بها..فدفعت أباها إلى غرفتها المخصصة لهما..وبدّلت ملابسه والغضب ظاهر على وجهها: ألا تصبر قليلاً...لقد كرهت حياتي..كل نصف ساعة تتغوط وتبول في ثيابك...ألا تتوقف عن الطعام..والله سأحرمك من الطعام لساعات..عسى أن يتوقف قرفك...وعباس ينظر إلى سقف الغرفة لا يعي ما تقول..

مع حلول المساء، اختلت دينا بزوجها: ليس من المعقول أن يبقى أبوك عندنا..من الغد عليك أن تجد له حلاً...

إبراهام: على رسلك..لم تمضِ عليهما غير ليلة واحدة فقط...!!

دينا: نحن الآن في موقع حساس لا يسمح لنا التهاون في أي شيء..فمستقبلنا مهدد بأي مشكلة تعترضنا...ونقلهم إلى بيت خاص..لا يعني أنك ستتخلى عنهما...

راح **إبراهام** يفكر في ما قالته زوجته...فرأى من الأنسب لهما أن يكونا في بيت مستقل، فحزم أمره على استئجار شقة لهما في اليوم الثاني..دفعاً لأية مشاكل قد تعترض طريق نجاحه..

* * * *

سمع أفيخاي وفيفيان بالضيوف الجدد، فلم يتمالكا نفسيهما...فمع إشراقة

الصباح الباكر. .وصل الاثنان ودخلا البيت على حين غفلة من أهلها، وراحا يجولان به. .وينظران داخل الغرف. .حتى استقرت عيناهما على عباس وهايدي. . .

فتحت **هايدي** إحدى عينيها اللتين غلبهما النعاس، فوجدت فيفيان أمامها. . . فجلست على الفور واعتنقتها. . .والتفتت على أفيخاي: كيف حالك يا عم أفيخاي. . .؟

لم يرد عليها، بل نظر إلى عباس على كرسيه المتحرك أمامه، وسألها عن حاله فلما قصّت عليه القصة. .نظر إليه بخبث: لقد كان قوياً عتيداً يملك من المال الشيء الكثير، فسبحان مغير الأحوال. . .!!

استغربت **هايدي** من كلامه. . .وبدا على وجهها الوجوم. . .لكن فيفيان قرأت في وجهها أثر كلام زوجها فالتفتت إليه: إن كان عندك كلمة طيبة فقلها. .وإلا فاسكت. .

أظهر أفيخاي الشماتة وراح ينظر إليه. .ولا يُخفي فرحته. . .!

أمسكت فيفيان بيد **هايدي** وانطلقت بها إلى الحديقة. .وطلبت من الخادمة أن تصنع لهما القهوة. . .

سألتها فيفيان: هل أتيتم بجميع أموالكم. . .؟

فهمت **هايدي** قصدها من السؤال، وقبل أن تجيبها جال في خاطرها الأيام الخوالي، وكيف كانت تسير الأمور في دمشق، واستغلالها وزوجها لمال والدتها. .فارتأت أن تخبرها: نعم أتينا بمالنا كله وزيادة. .

لم تستطع فيفيان أن تخفي سعادتها، ففركت كفيها سروراً بما سمعت. . .فما كان منها إلا أن تقدمت إلى **هايدي** واعتنقتها مرة أخرى: لقد كانت أمك صديقتي المقربة. . .وأنت الآن مثل دينا وبنفس المرتبة. . !

قرأت **هايدي** أفكارها. . .فطريقتها القديمة لم تعد خافية على أحد. .فقالت في نفسها: عليَّ أن أجاملها ريثما تسير الأمور. . .

بعد نصف ساعة، بدأت الحركة تدب في البيت. .فاستيقظ الجميع وتوجهت

هايدي فأطعمت والدها.. وأخرجته إلى الحديقة.. وعادت لتتناول فطورها معهم..

راح أفيخاي يعلّق على عباس مظهراً الشماتة.. مما جعل الاستياء يدب في نفس إبراهام.. الذي ترك الطعام وتوجه إلى غرفته وانطلق مغادراً..

طفح كيل **دينا**.. فقالت لأبيها: أبي.. لقد دمرت حياتي.. فأرجوك ألا تأتي إلى هنا بعد اليوم..

فوجئ أفيخاي بما سمع فقال: أتطردينني...؟

دينا بغضب شديد: احسبها كما تشاء... فلم أعد أحتمل غلظك وطمعك... ولا أريد أن أدمر حياتي... إلى هنا وكفى..!!

وقفت فيفيان مع ابنتها: إن لم تتوقف عن أفعالك، فسأترك لك البيت أيضاً.. وتبقى وحدك ما بقي لك من حياة.. أتفهم..؟

أطبق أفيخاي فمه، وهزّ برأسه ووقف يريد المغادرة.. فتقدم خطوة وانتظر حتى يسمع كلمة اجلس.. لكن تفكيره خانه هذه المرة.. ثم خطا خطوات أخرى.. إلى أن خرج من البيت وجلس أمام الباب كالمتسول...

خرجت **هايدي** لتطمئن على أبيها.. فوجدت أفيخاي جالساً على الأرض.. فدخلت بسرعة وأخبرت دينا.. لكنها لم تعر للموضوع أية أهمية.. فخرجت إليه فيفيان: اذهب إلى البيت..

لكنه رفض: سأبقى هنا.. حتى يراني الناس.. ويعلموا أن ابنتي طردتني من بيتها.. فحاولت أن تثنيه عن قراره؛ لكنها فشلت.. فخرجت إليه دينا.. وقد انتابها الغضب: وحق العزير لن أجاملك بعد الآن.. فابق هنا ما شئت.. فلن تهتزّ لي شعرة واحدة.. وإن لم تغادر.. فسأتصل بالشرطة ليلقوا بك بعيداً..!

وما إن سمع كلامها وعرف جدية قولها حتى وقف على الفور، وسار بعيداً متثاقل الخطوات.. يسترق النظر خلفه.. لعله يسمع نداء ابنته ليعود.. ولكن قلب دينا كالجلمود لا يعرف الرحمة.. فمشاكل أبيها على الدوام حالت دون النظر إليه...

* * * *

التفّت الطالبات حول الشيخة دعاء يسألنها عن عائشة أم المؤمنين..

دعاء: سأخصص الآن ساعة كاملة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وموقف الشيعة منها..ثم طلبت منهن أن يجلسن في أماكنهن: بناتي الأعزاء..أنتن على علم جلي بمكانة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها..فهي من نزل القرآن ببراءتها قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١] هذه الآية نزلت فيمن تكلم فيها...وقد قدَّمها أهل السنة والجماعة على أبنائهم وأمهاتهم وآبائهم..لقربها من رسول الله، فعندما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أي الناس أحب إليك؟ قال: (عائشة)، وهي من تغنى بها، وبتقواها وبطهرها، شعراءُ أهلِ السنة حتى قال قائلهم:

بِكرٍ مُطَهَّرَةِ الإزارِ حَصَـانِ ... أَكرِم بِعَائِشَةَ الرِّضى مِن حُرَّةٍ

وَعَرُوسُهُ مِن جُملَةِ النسوَانِ ... هِيَ زَوجُ خَيرِ الأَنبِيَاءِ وبِكـرُهُ

هِيَ حِبُّهُ صِدقاً بِلاَ أدهَانِ ... هِيَ عِرسُهُ هِيَ أُنسُهُ هِيَ إلفُهُ

ارتجّت القاعة بما سمعت فرحاً وطرباً، حتى أنهن طلبن من دعاء تدوين هذه الأبيات..فاستجابت لهن على الفور...

ثم أضافت: هذا موقف الله ورسوله وصالح المؤمنين...فماذا يقول الشيعة عن أمكم..؟ تعالي أختي الطالبة لنسمع قولهم:

تعتقد الشيعة بكفر أم المؤمنين عائشة، ويقولون هي من أهل النار، بل ويسمونها في كتبهم المنحرفة..وأم الشرور...والشيطانة..هذا ما ذكره إمامهم البياضي في كتابه الصراط المستقيم...وكذلك ذكر العياشي في تفسيره، والمجلسي في بحار الأنوار، والبحراني في كتابه البرهان، ما أسندوه زوراً وبهتاناً إلى جعفر الصادق القول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ٩٢] ، على أن الآية نزلت في أم المؤمنين

عائشة حب رسول الله ﷺ..

ويعتقد الشيعة بأن أم المؤمنين عائشة في النار..وإنَّ لها باباً فيها تدخل منه، حيث ذكر إمامهم العياشي في تفسيره، ما أسنده إلى جعفر الصادق كذباً وزوراً، أنه قال في تفسير قوله تعالى حكاية عن النار: (لها سبعة أبواب)، قوله: (يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب،والباب السادس لعسكر..(وعسكر هو كناية عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كما ذكر ذلك المجلسي، في كتابه بحار الأنوار، ووجه الكناية عن هذا الاسم، كونها كانت تركب جملاً في موقعة الجمل يُقال له عسكر.

هذا رأي اعتقاد الشيعة في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها..فإذا كان الله من فوق سبعة أرقعة قد أنزل براءتها..فما بال أولئك الباطنيين.. يكذبون على الله ويعترضون على تنزيهها وبراءتها..

أصيبت الفتيات بالذهول..فتعالت صيحاتهن واستنكارهن..فما كان من إحدى الطالبات إلا أن تلعنهم وتلعن سادتهم..لكن دعاء أشارت إليها أن تهدأ: بنيتي..عليك أن تردي عليهم وعلى فكرهم الضال..فالسباب والشتائم لا يغير من الأمر شيئاً..فابذلي جهدك العلمي لتكوني شوكة في حلوقهم..وأنشئي أبناءك على الفضيلة والفطرة السليمة..

شعرت الطالبة بالخجل: نعم..آنا آسفة ولكني لم أتمالك نفسي، عندما سمعت هذه الكلمات عن أطهر امرأة على وجه الأرض...وأكثر شيء غاظني وجعلني أنفعل..أنهم جعلوا كلام الله وراء ظهورهم، ضاربين به عرض الحائض..آخذين بقول كبرائهم...لعنهم الله أجمعين..

ضحكت: ها...ماذا قلنا الآن...؟

الطالبة: آسفة مرة أخرى...آسفة...

دعاء: لا بأس أنا أقدر غيرتك على أمك...وغيرتك على كلام الله..وكلام نبيه...

ثم دار نقاش عشوائي بين الطالبات وبين شيرين وشاهيناز..مستفسرات عن كل

كلمة تقال في أم المؤمنين. . .وحالة من الذهول بادية على وجوههن. . .

* * * *

لم يعد **إبراهام** إلى بيته في موعده المعتاد كل يوم. .بل ذهب إلى محلات تأجير العقارات. .واستأجر شقة صغيرة. .بغرفتين. .ثم عاد إلى البيت. .وأثناء تناوله طعام الغداء، التفت إلى أخته هايدي: لقد استأجرت لك شقة قريبة منا. .

نظرت إليه **هايدي** مستغربة سرعته في التخلص منهما. .لكن إبراهام عاجلها بالقول: لا تظني بي الظنون. .فأنا أبحث عن مصلحتكما. .فأنا ودينا لا نبقى في بيتنا إلا قليلاً. . .ووجودك بالقرب منا كأنك عندنا في بيت واحد. .ثم نظر إلى أبيه وأشار بعينه نحوه. .وأنت ترين حالته وبيتنا يستقبل كل أسبوع العشرات من المسؤولين. .ولا أظنك تريدين أن تخرّبي عليَّ حياتي. .

أجابته **هايدي** على الفور: لا. .وخيراً فعلت. .على الأقل أترك أبي في البيت وأتحرك بحريتي. . .!!

إبراهام: ولا تنسي أنني سأجلب له خادمة لترعاه. . .وتسهر على راحته. . .

أحسَّت **هايدي** بأنفاسها تعود إليها وشعرت بالارتياح: خادمة. . .!!

إبراهام: نعم خادمة. .وعليك أن تري نفسك وتعملي أيضاً. .

هايدي مستغربة: أعمل. . .أنا سأعمل. .!!

إبراهام: وهل هذا غريب. .؟. .فليس في إسرائيل من لا يعمل. . .!!. .

هايدي: وماذا سأعمل. . .؟

إبراهام: ستكون مفاجأة. .وعليك الآن أن تهتمي بتجهيز بيتك. .!!

* * * *

عندما علم **آية الله مهدي** باعتقال مجموعته، فقد صوابه وانتابه الغضب الشديد، فطلب من مخابراته العمل السريع لزلزلة نظام الحكم في العراق. .وقال لآية الله محمد الطوساني: قدموا كل شيء لرجالنا. .وسارعوا في عملياتكم، واقتلوا

أعداءنا على الهوية، ولا تأخذكم فيهم رأفة ولا رحمة..وأنا منتظر أخباركم الجيدة في الأيام القريبة...

ظهر على **آية الله محمد** الطوساني الخوف، لشدة غضب إمامه: على الفور..على الفور يا مولاي..

ثم خرج من عنده مسرعاً، والتقى مع رئيس المخابرات باقر آبادي..وطلب منه التحرك فوراً لزعزعة استقرار وأمن العراق..فشكلوا لجنة قيادة مشتركة للعمل معاً...وبدؤوا يجهزون المجموعات المنفذة متصلين بشيعتهم في العراق..وقاموا بالتنسيق معهم، وتجهيز الأرضية والأماكن لهم..ولم يتأخر الجواب..الذي كان سلبياً...وأخبروهم بخلافة آية الله جعفر الطيار لنيروز الموسوي...

استشاط **آية الله مهدي** غضباً، وطلب منهم أن يتحركوا فوراً، ولا ينتظروا تحسن الأوضاع، وقال: لن ننتظر عدونا حتى يستعيد أنفاسه..علينا أن نكيل له الضربات تلو الضربات..حتى نراه يتخبط بدمه..ونحرر مقدساتنا من رجسهم..

بدأت الأجهزة بالتخبط، فأوامر مهدي واضحة جداً..فما كان منهم إلا الامتثال لطلبه..فتحركت مجموعتان عبر الحدود يقودها كسرويه...يحملون أسلحتهم ومتفجراتهم واضعين صكوكهم في رقابهم...

كان كسرويه أسمر اللون، أجعد الشعر، طويل القامة، ممتلئ الجسم، كُسرت بعض أسنانه الأمامية أثناء التدريب، يكنُّ حقداً كبيراً على أعدائه، لا يتورع عن ارتكاب الحماقات، ولو كلَّفته حياته..

بعد ساعات من التخفي..استطاعوا عبور جبال كردستان...حيث كان بانتظارهم أحد المهربين الأكراد..فحملهم بسيارته..مخترقاً الطرق الملتوية البعيدة عن سلطة الدولة...ومع غروب الشمس وصل الجميع إلى بغداد، فاستقروا في أحد البيوت، الذي حصلوا عليه بمساعدة شيعتهم في العراق وأعدوه لتلك المهمات...

دخلت المجموعتان على حين غفلة من الناس..وأطفئت أنوار البيت لكيلا يعلم بوجودهم أحد...وبعد ثلاثة أيام هدأت الأمور وعادت الأوضاع إلى سابق

عهدها. . .

وفي اليوم الرابع دخل عليهم زكريا حكمت، وهو أحد عملائهم المتخفين في بغداد. . .فطلبوا منه بعض الاستطلاعات لشخصيات بارزة في الدولة. . .فخرج من عندهم بعد أن وعدهم خيراً. .وغاب عنهم إلى مساء اليوم الثاني. . .

وما إن عاد حتى قال لهم: الأمور صعبة للغاية. .فحالة الاستنفار في الأجهزة الأمنية شديدة جداً. .وأي تحرك الآن سيكون عاقبته الفشل بالتأكيد. . .

شعر قائد المجموعتين بالحرج. . .ولم يعد يدري ماذا يفعل. . .فطلب منه إرسال أحدهم إلى إيران ، ليستطلع رأي قيادتهم. . .لكن زكريا رفض طلبه، معللاً ذلك بخطورة الوضع، وتشديد الحراسات الخارجية. . .

أصيب قائد المجموعتين بالإحباط. . .فدخل إحدى الغرف وأغلق عليه الباب. . ولزم الخلوة. .يفكر في مصيره إذا وصلت الأخبار إلى قيادته. . .ظلَّ هذا حاله لعدة ساعات، إلى أن غلبه النعاس، فتمدد في مكانه مستسلماً. . .

* * * *

غادر زكريا متوجهاً إلى بيته، وفي الطريق اعترضته إحدى دوريات الأمن. .وسألته عن اسمه. .ومن أين أتى. .؟

أصيب زكريا بالهلع وبدأت فرائصه ترتعد من تحته. . .

نظر إليه رئيس الدورية متأملاً حاله، فقبض على رقبته وقال: أخبرني من أين أتيت. . .؟

زكريا: أنا. . .أنا. . .

رئيس الدورية: أجب على الفور. .

استجمع زكريا شجاعته: أتيت من بيت خالتي. . .

رئيس الدورية: وأين بيت خالتك. . .؟

زكريا: في الكاظمية. .

رئيس الدورية: وماذا تفعل في الأعظمية الآن...؟

استعاد زكريا بعض أنفاسه: بيتنا في حي القاهرة...ولا بد لي أن أقطع جسر الأئمة لأصل إلى هناك...ثم أخرج من جيبه هوية وقدمها له..

وما إن نظر إليها حتى بدأ الهدوء يعود إليه: اذهب إلى بيتك...نحن آسفون..!!

ابتعد من أمامه..وأوقف على الفور إحدى سيارات الأجرة وانطلق بها مسرعاً..

لما وصل إلى بيته ارتمى على فراشه، وأخذت أنفاسه تعود إلى طبيعتها...وقال في نفسه: هذا الطريق سيؤدي بي حتماً إلى حبل المشنقة...وماذا بي أن أفعل...دولة مثل إيران لن تتمكن من إسقاط نظام الحكم...فهل تستطيع عدة مجموعات من فعل ذلك..؟..لا والعباس...ثم خرج إلى الصالون بعد أن سمع صوت والدته تناديه ليتناول طعام العشاء..فخرج إليها...بجسده..لكن عقله كان في مكان آخر...

* * * *

جزاء الجاني

استدعت المخابرات في بغداد زوجة وابنة الملا تاج الإسلام التركماني، وحملتهم فجراً في إحدى سياراتها إلى أحد فروعها في الكاظمية المطل على نهر دجلة...

دخلت الزوجة إلى إحدى القاعات، فوجدت فيها مجموعة من العوائل.. فشعرت بالقلق لهذا التوقيت.. فجلست إلى جانبهم وهي تنظر إليهم مستغربة، لا تعلم سببَ وجودها...!!

مضى الوقت بصعوبة على الجميع كأنه دهر طويل...وبعد برهة من الزمن سمعوا جلبة شديدة وفُتح الباب فأحدث صوتاً أرعبهم... فظهر منه رجال مدججون بالسلاح، قد علت وجوههم القسوة والشدة...وهم يجرون أمامهم العشرات.. يتقدمهم رستم وآية الله نيروز الموسوي..

نظرت الطفلة عائشة إلى رستم، وأمعنت النظر في وجهه، ثم صاحت بأعلى صوتها، وأخذت بالارتعاش الشديد.. فما كان من والدتها إلا أن وضعت وجهها في صدرها.. كيلا ترى ما أخافها.. لكن عائشة صاحت: قتل أبي.. قتل أبي..!!

أمعنت الأم بالمعتقلين فتعرفت على رستم، فنهضت من فورها، وانقضّت عليه آخذة بتلابيبه: أنت من قتله...أنت من قتله...لكن رستم نظر إليها بازدراء... واستدار بوجهه.. كمن يريد أن يخفيه عن الآخرين..

أصابت الغيرة رئيس الحرس لما رأى من حالة عائشة، فأمسك رستم من شعره.. ووضعه جانباً.. وتقدم إلى عائشة وضمها إلى صدره، حتى هدأت نفسها قليلاً وقال لها: انظري إلى هذا.. أهو من قتل أباك...؟

التفتت إليه عائشة رويداً رويداً ثم أخفت وجهها بيديها الصغيرتين..!!

ضمّها رئيس الحرس إلى صدره مرة أخرى.. أهذا هو يا حبيبتي...؟

هزّت عائشة رأسها دون أن تنظر إليه...

وقف رئيس الحرس وصاح على أسماء المعتقلين، وطلب من جنوده رفعهم واحداً تلو الآخر على المنصة...وكلما رفع أحدهم قرأ عليه جرائمه...وأمر المكلف بسحب العتلة من تحته، فيسحبها فيتعلق المجرم في الهواء حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة...

لكن عائشة ظلَّت مخفية وجهها في صدر أمها فلا تسمع إلا شخيراً...

لما جيء بآية الله نيروز إلى المنصة، ووضع الحبل في رقبته، بدأ البول يخرج سريعاً من سرواله...وراح يقول: سلمت روحي بيدك يا علي...سلمت روحي بيدك يا علي..

عندما سمع الحرس قوله، ورأوا بوله..انتابهم الضحك..وقالوا له: سلم روحك لعلي..فوالله لن يفيدك علي ولا جد علي...ثم ترنح في الهواء يتخبط بأرجله..وراح يتغوط..فصاح قائد الحرس عليهم: أطلقوا النار على رأسه وأخرجوه من القاعة...

كان آخرهم رستم، الذي كان ينظر إلى من سبقوه..فكانت أنفاسه تتسارع وضربات قلبه تكاد تسمع من بعيد..

نظر إليه قائد الحرس: الآن جاء دورك..ولكن سألت نفسي كثيراً، ما أحسن طريقة لموتك...وقد احترت في أمري..فأنا أسألك أن تختار أنت..فنحن دولة ديمقراطية..لن نتأخر عن تلبية حقوق الإنسان...

بلع رستم ريقه واستدارت عيناه، وبدأ لونه يتغير، وكأنه يختنق بدون شنق... فلما رآه لا يجيب..نظر إلى العوائل الجالسة أمامه، فرأى نظرات السعادة والسرور على وجوه الجميع وسألهم: من يقترح على هذا المسكين موتة تريحه...؟

نظروا إليه دون إجابة، لكن أم عائشة سارعت: أستاذ..عذاب الله أشد وأنكى..فعجِّل به إليه..فوالله سيلقى من العذاب ما لا يخطر له على بال..

ضحك رئيس الحرس بوجهها: سأُلبِّي طلبك..ولكن نفسي لا تطاوعني إلا أن أتشفى به وهو يموت..ثم قال لأحد حراسه اقطع كفيه اللتين أطلق بهما النار، ثم

علّقه على حبل المشنقة..وتمهل عليه..ليرى إمامه كيف سينقذه...ثم ضحك ضحكة طويلة: ربما يأتي الإمام..عندها سنوقفه إلى جانبه..

وما هي إلا لحظات، حتى صاح رستم صيحة رجَّت القاعة..فأخرجت أم عائشة ابنتها من المكان..ووقفت معها تخفف عنها خوفها: لقد مات من قتل أباك..فلا تجزعي يا بنية...

عائشة: لكنني لم أره يا أماه...!!

الأم: لا بأس سترينه يوم القيامة في نار جهنم..

ثم غادر الجميع القاعة بعد انتهاء الإعدام بفرح وغبطة وسرور...

* * * *

اشتدت المنافسة في بلاد الشام، بين الشيعة وآياتها من جهة، والدكتور شاهر إسماعيل ومدارسه من جهة أخرى...كانت الغلبة في أغلب الأوقات للباطل.. فحملتهم المحمومة لتشييع الناس وما يرافقها من إمكانات مادية هائلة..رجَّحت كفتهم..مما دعا الدكتور شاهر ومن معه إلى تكثيف حملتهم ضد عدوهم...فشمروا الهمم، وأرسلوا الوفود والدعاة إلى كل المحافظات والقرى، التي وجدوا فيها نشاطاً باطنياً...فتزاحم الناس من حولهم..وأخذتهم الحمية...حتى أن الشاب زهير تقرب إلى الدكتور وأخبره أنه سيقوم بما يلزم لمنع الباطنية من التمدد في قريته وبين أبنائها..

تأمل الشيخ وجهه وقال له مستفهماً: كيف ستمنعهم..؟

زهير: اترك الأمر لي..وأنا سأقوم بعملي...

أحسَّ الدكتور بشيء خطير يدور في عقله: إياك أن تقوم بعمل دون علمنا..فإن فعلت...فلن تقوم لنا قائمة بعد ذلك..وهذا ما يريدونه؛ لأن النظام سيعمل بعد ذلك على حربنا واستئصالنا..وعندها تبقى لهم الساحة فارغة...يسرحون بها ويمرحون..ونفقد بعد ذلك جبهتنا الوحيدة..

أصيب زهير بالإحباط: لكن يا شيخي..أنتركهم يغيّرون عقيدة الناس البسطاء ونجلس مراقبين...؟

الدكتور **شاهر**: يا ولدي..من إستراتجيتهم التي وضعوها، تحريض الناس لفعل عملٍ ضدهم..حتى يظهروا أمام الحكومات بأنهم دعاة سلام...ويظهرون الآخرين بالقتلة والإرهابيين...فتتحرك الحكومات لقمعنا...وتترك لهم الحبل على الغارب...وبذلك يحققون مآربهم، ويدخلون بيوت الناس بشرعية الحكومة..ورضاء الأهالي...وبعد ذلك سترى الدعارة والكفر البواح منتشراً في أرجاء بلادنا..فلن نجد من يردعهم أو يرد عليهم...أتدري لماذا يا زهير...؟

زهير باهتمام زائد: لا شيخي..!!

الدكتور **شاهر**: لأن شيخك وبقية الشيوخ لن يكونوا هنا وقتئذٍ...

استغرب زهير من قوله: فأين ستكونون إذن...؟

تبسّم الدكتور **شاهر** لسؤاله: إمَّا على حبل المشنقة..وإمَّا في السجون..وإمَّا خارج البلد..

زهير: ها...لهذا قلت لي ألا أقوم بأي عمل..!!

الدكتور : نعم...ولكن ألا أدلك على خير من ذلك...؟

زهير: نعم شيخي..

الدكتور **شاهر**: التحق بإحدى مدارسنا..فإني أجد فيك عقلاً لا يسلمك إلا لخير...واجمع من استطعت من الشبان لينهلوا العلم معك...فمع العلم يكون الرفاهة...والبرهان لا يأتي إلا بالعلم والمعرفة..فإن استطعت أن تحمل العلم بحقه إلى الناس..فستجده بلا ريب أقوى من كل سلاح على الأرض..لأن الرصاصة جماد، لا تؤدي إلاَّ إلى شيء واحد...وهو الموت..أما العلم فهو وحده يُحيي النفوس ويحرر الناس من فسادهم، ويعيدهم إلى جادة الصواب..ولا تنسى أن أول آيات الله كانت ﴿اقرأ﴾...فلو لم يكن العلم خيراً من القتل لقال: اقتل...وشتان بين الكلمتين...

زهير: يا الله يا شيخي...لقد أزلت عن عيني غشاوة، ما كنت أدرك من خلالها الأشياء..ثم انكبَّ على يده ليقبّلها..لكن الدكتور منعه من ذلك، وضربه

على ظهره بلطف: هيّا إلى العلم فإني والله أتوسم فيك خيراً...

* * * *

شعر أفيخاي بإهانة أصابت صميمه...فجلس في بيته مفكراً ومسترجعاً سيرة حياته..وبدأ يحدث نفسه: ما بك يا أفيخاي...؟..أتطرد من بيت ابنتك ولم تفعل شيئاً...؟ يا خسارة تربيتي فيك يا دينا...!

كانت ابنته زلفة تجلس في غرفتها، تسمع حديث نفسه، وتضحك بهدوء كي لا يسمعها...وظلَّ هذا حاله لأكثر من ساعة...فخرجت إليه على مهل...وجاءته من الخلف..وهو لا يشعر بها..وصاحت بأعلى صوتها: بابا...بابا...

فما كان من أفيخاي إلا أن اصفر وجهه، وارتعشت يداه، وبدأ يلتفت يميناً ويساراً، وهي تختبئ خلفه..ولكن سرعان ما سمع ضحكاتها..فصاح بها: يا بنت الكلب..كدت أموت..ولحق بها ليضربها، لكنها أسرعت بالخروج من البيت..ثم عاد إلى أحزانه...فطُرق الباب..فصاح: لن أفتح لك وابقي بالشارع لحين عودة أمك...

لكن لم يأتهِ جوابها..واستمر قرع الباب..فحمل عصىً من المطبخ وتوجه نحو الباب بهدوء، وفتحه على عجل وعاجله بضربة من عصاه..فإذا بابنه مزراحي عائد من الجيش..فتلقى الضربة بيده: ما هذا أتريد قتلي...؟

أخذ أفيخاي بابنه إلى صدره، وراح يعتذر منه ويقبله...

أجال مزراحي بعينيه إلى البيت..فقال: أين أمي..وأين زلفة..؟

أفيخاي: زلفة في الخارج..وأمك عند دينا..ثم أجهش بالبكاء..

استاء مزراحي لبكاء أبيه: ماذا جرى...؟..هل جرى لِدينا شيء..؟

أفيخاي: لا..

مزراحي: إذن ماذا جرى..؟

أفيخاي: **دينا** طردتني من بيتها..واستقدمت عباس المشهدي وهايدي...

وما إن سمع مزراحي باسم هايدي، حتى طار في مخيلته إلى الشام وأيامها الخالية..

أمعن أفيخاي النظر بابنه: أين ذهبت...؟..

مزراحي: أبي..لو لم تكن أخطأت في حقها، لما فعلت بك ما فعلت..

غضب أفيخاي لقوله: حتى أنت...!!

ذهب مزراحي إلى غرفته دون أن يلتفت إليه..وأصلح شأنه، وارتدى أحسن ثيابه..ثم انطلق خارجاً...

رمقه أفيخاي بعينيه: كلاب..أولاد كلاب...!!

* * * *

دخل مزراحي إلى بيت أخته دون أن يقرع الباب..فوجد هايدي تطعم أباها..فتقدم إليها بخطوات هادئة...وما إن صار خلفها حتى وضع يديه على عينيها: من أنا...؟

تلمّست يداه: لا أدري..ولكن أتاني صوت مزراحي...

وبلحظة واحدة اعتنقها مقبلاً...فنظرت إلى أبيها ولسان حالها يقول: هل رآه..لكن عباس كان في وادٍ آخر.

سألها **مزراحي**: متى أتيتم...؟ لقد اشتقت إليك كثيراً..

قبضت هايدي على يده: ألا تسمع دقات قلبي...فمع كل نبضة ينادي: مزراحي...مزراحي..

مزراحي: أأنت مشتاقة لي أيضاً...؟

هايدي: منذ أن غادرت الشام وأنت لا تغيب عن عقلي لحظة واحدة...

أمعن مزراحي في عينيها: ألا تصدقني..؟

مزراحي: أنا أنظر إلى عينيك..فأرى فيهما جمال الشام وأنوثة فارس...!!

أطرقت **هايدي** برأسها خجلة...لكن مزراحي وضع يده على ذقنها، رافعاً

رأسها: دعيني أُشبع نظري منك...

التفتت **هايدي** على الفور، وركضت إلى داخل البيت مظهرة الخجل..فلحق بها..فوجد دينا بوجهه: أهلاً مزراحي..بعد زمان...كيف أتينا على بالك..ونظرت إلى هايدي..؟

لم يعرها مزراحي أي اهتمام..واستقرَّ نظره نحو هايدي...

دينا: دع **هايدي** وأخبرني..أأبوك في البيت...؟

مزراحي بلا مبالاة: دعيني من أبي...

دينا: أخبرني...؟

أجابها مزراحي دون أن ينظر إليها: نعم هو في البيت...وحزين..!

دينا بصوت يشبه الهمس: هكذا أفضل...الحزن اليوم..ولا الدمار غداً...

ثم جلس في الصالون مع أمه وأخته وهايدي...يسترجعون الماضي..

* * * *

وصلت أخبار الأعمال الإرهابية، التي قامت بها إيران إلى جميع أنحاء العالم، حتى غدت مادة خصبة ورائجة في الصحافة العالمية...فوجد فيها الدكتور شاهر إسماعيل بداية جيدة، لبيان الوجه الحقيقي لتلك الثلة...فحمل على عاتقه وبمساعدة بعض الشيوخ، استرجاع نقاط الالتقاء بين الشيعة واليهود..والعودة إلى البدايات الأولى لهذا المذهب..وجعله مادة أساسية ثابتة في منهجه المدرسي..

جلس الدكتور وبعض العلماء وراء الطاولة...فنظر إلى القاعة فوجدها تغصُّ بطلابه..ثم أمعن النظر فرأى وجوهاً لا يعرفها...فالتفت إلى الدكتور مؤيد حبنكة: أرى وجوهاً غريبة هذه المرة..!!

الدكتور مؤيد: لقد أعلنّا عن وقت هذا اللقاء قبل أسبوع..ويبدو أن الطلاب قد أتوا بزملائهم...وكذلك قاعة الطالبات، تغصُّ بأعداد غفيرة من خارج المدرسة..

أشرق وجهه مبدياً فرحه: على بركة الله هذه بداية طيبة..وأتمنى أن تعمَّ الفائدة

ولا مانع عندنا أن يحضر لقاءنا من شاء...

كان أول من تكلم الدكتور مؤيد، فحمد الله وصلى على رسوله وصحابته..ثم قال: أبنائي طلاب العلم..يبدو أن محاضرتنا اليوم تتناول شيئاً مهماً للغاية..وأتمنى من الجميع تدوينها أو تسجيلها ونشرها بين الناس لتعمَّ بها الفائدة...وأترك الدكتور شاهر ليحدثكم..

الدكتور **شاهر**: أعزائي الطلبة والطالبات..منذ أن شعَّ الإسلام بنوره على الأرض..تلقته الشعوب بشغف كمن ينتظر حبيباً غائباً..إلا أبناء فارس...فنظرتهم إلى الإسلام كانت نظرة استعلاء وتكبر وعنجهية...فبعد أن سُويت دولتهم بالأرض، وجدوا أن لا طاقة لهم في صراع الإسلام؛ لأن الغلبة ستكون لهذا الدين العظيم..فاستعانوا بأقرب الناس إليهم..وهم اليهود، أهل الفتنة والغدر والفساد..فخرج إلينا عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء...مدَّعياً حب آل البيت والبراءة من أعدائهم..فأوجد ضغينة في قلوب الدخلاء على الإسلام وضعاف النفوس.. حتى أصبحت فرقة دينية تستمد أفكارها من اليهودية..وأُطلق عليها السبئية..ومن السبئية أخذت الشيعة مبادئها..وهذا ما فعله بولس النصراني..الذي كان يهودياً في إفساد دين النصارى..

ثم قال: وأعود الآن إلى طريقتنا السابقة في طرح الأسئلة من طلابنا وطالباتنا..

تناول الدكتور مؤيد أحد الأسئلة: هذا سؤال من إحدى الطالبات تسأل عن نقاط التشابه بين اليهود والشيعة..وأضافت: وأرجو أن تثبتوا ذلك بالدليل..

الدكتور **شاهر**: أترك جانباً من هذا السؤال إلى الدكتور مؤيد حبنكة...

هزَّ الدكتور مؤيد رأسه: هناك تشابه كبير جداً بينهما..ولقاؤنا لا يتسع لها جميعاً ولكن سنختصر قدر الإمكان..على أن ندوِّنها في مجموعة كتب صغيرة لجميع الطلاب، داخل المدرسة وخارجها..وهي بالتأكيد موثقة من كتبهم وكتب اليهود:

١- تشابه الشيعة واليهود في تكفير غيرهم واستباحة دمائهم وأموالهم:

يعتقد اليهود أنهم هم المؤمنون فقط، أما الأُمميون فهم عندهم كفرة وثنيون، لا

يعرفون الله تعالى. .والمقصود بالأمميين الشعوب غير اليهودية. .

فقد جاء في التلمود ص١٠٠،كل الشعوب ماعدا اليهود وثنيون. .

وحتى المسيح عليه السلام لم يسلم من تكفير اليهود له، فقد جاء وصفهم للمسيح عليه السلام في التلمود بأنه كافر لا يعرف الله. .

وجاء في موضع آخر من التلمود ص٩٩ : إن المسيح كان ساحراً، وثنياً فينتج أن المسيحيين وثنيون مثله أيضاً. .وسيدخلون النار. .

وهذا ما جاء في التلمود ص٦٧: النعيم مأوى أرواح اليهود ولا يدخل الجنة إلا من كان يهودياً، أما الجحيم فمأوى الكفار من المسيحيين والمسلمين. . .ولا نصيب لهم فيها سوى البكاء لما فيها من ظلام وعفونة.

ولننظر ما قاله الشيعة في هذا الموضوع وهي من كتبهم المعتمدة:

روى البرقي عن جعفر أنه قال: ما أحد على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا وسائر الناس منها براء من كتاب المحاسن ص١٤٧ .

وكذلك روى الكليني في الروضة من الكافي المجلد الثامن ص١٤٥: عن علي بن الحسين أنه قال: ليس على فطرة الإسلام غيرنا وغير شيعتنا وسائر الناس من ذلك براء. .

ثم إن الشيعة لما كفّروا المسلمين عاملوهم معاملة الكفار والمشركين، فهم لا يأكلون ذبائح المسلمين، لاعتقادهم أنهم مشركون، حيث جاء في تفسير العياشي عن حمران قال سمعت أبا عبد الله يقول في ذبيحة الناصب والناصب هنا يعني السني: لا تأكل ذبيحته حتى تسمعه يذكر اسم الله من تفسير العياشي المجلد الأول صفحة ص٣٤٥ . . .

وفي الجانب الآخر وهي نظرة اليهود لغيرهم في هذه الحياة. .فيعتقد اليهود أنه ليس لغيرهم أي حرمة، فحقوقهم جميعها مهدورة، ودماؤهم وأموالهم وأعراضهم مباحة لليهود، بل جاءت النصوص في أسفارهم المقدسة، وفي كتاب التلمود على وجه الخصوص، بالحث والترغيب على قتل كل من كان غير يهودي، بل وأخذ ماله

بأي وسيلة كانت، ومن النصوص الدالة على استباحة دماء غيرهم ما جاء في التلمود ص١٤٦ . .

حتى أفضل القوم يجب قتله، ويقول إلكوت سيموني وهو أحد علماء التلمود: كل من يسفك دم شخص غير تقي. .يعني غير يهودي. . .عمله مقبول عند الله كمن يقدم قرباناً إليه. . .

وجاء في التلمود أيضاً: أقتل الصالح من غير اليهود. .ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من الأجانب من الهلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها، بل عليه أن يسدها بحجر. . .

أما من يقتل واحداً من الأجانب عند اليهود، فإنه يقدم أعظم فضيلة، حيث جاء في التلمود: من يقتل مسيحياً أو أجنبياً أو وثنياً يكافأ بالخلود في الفردوس. . .

هذا ما جاء في كتب اليهود قديمها وحديثها. . .

أما ما ورد في مصادر الشيعة، عن هذا الأمر فهي كالأتي:

الشيعة يستبيحون دماء المسلمين وأموالهم، وبخاصة أهل السنة والجماعة، بل قد جاءت روايات من كتبهم بالحثِّ على قتل أهل السنة وأخذ أموالهم، أينما وجدت، فقد روى إمامهم المجلسي في كتابه بحار الأنوار عن ابن فرقد قلت لأبي عبد الله: ما تقول في قتل الناصبي. .؟. .قال: حلال الدم فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في ماء لكي لا يشهد به عليك فافعل. .قلت فما ترى في ماله قال: خذ ما قدرت عليه. .

تدخل الدكتور **شاهر** معقِّباً: يبدو أن موضوعنا، أكبر من أن يقدم في محاضرة واحدة، ولكن لا بأس دعونا ننتهي من شقه الأول، ولننظر إلى استباحة اليهود لأموال الناس، فقد جاء في كتابهم أيضاً:

دلَّت نصوص كثيرة من أسفارهم، ككتاب التلمود الذي جاء فيه: إن السرقة غير جائزة من الإنسان ويقصد هنا (اليهودي) أما الخارجون عن دين اليهود فسرقتهم جائزة. .وجاء في نص آخر: حياة غير اليهود ملك لليهودي فكيف بأمواله. .

ويمنع اليهودي من رد ما يجده من أموال غير اليهودي، ومن فعل ذلك، فإنه يكون آثماً، فقد جاء عن أحد أحبار اليهود: إذا رد أحد إلى غريب ما أضاعه، فالرب لا يغفر له أبداً..

أما عن الربا فهو محرم عند اليهود فيما بينهم، أما مع الأجنبي أي غير اليهودي، فيجوز عندهم إقراضه بالربا، وذلك لأنهم يرون أنه وسيلة من وسائل استرجاع أموال الأجانب، التي هي في الأصل ملك لليهود، فقد جاء في التلمود ص٨١: غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا..

ولننظر ماذا قال الشيعة في أهل السنة والجماعة..

قال إمامهم آية الله مهدي ميرزا: والأقوى إلحاق الناصبي بأهل الحرب، في إباحة ما غنمتم منهم وتعلق الخمس به، بل الظاهر جواز أخذ ماله أينما وجد وبأي نحوٍ كان، ووجوب إخراج خمسه..وهذا موقفهم الصريح في هذا المجال..

فأين أنتم يا أبناء الإسلام من هؤلاء..ودماؤكم وأعراضكم وأموالكم كلها مباحة لهم..فهل بعد هذا البيان بيان..ثم حدّق النظر في القاعة، فوجدها في صمت مطبق..ينظرون وأعينهم وعقولهم معلقة عند علمائهم..ثم قال: وكذلك يستبيحون أموال المسلمين ويحثون أتباعهم على أخذها، كما رووا عن الصادق أنه قال: خذ مال الناصبي حيث وجد...

وفي الربا يقول علماؤهم: يجوز أخذ الربا ممن خالفنا في مذهبنا، فقد جاء في كتاب الكافي ,وكتاب من لا يحضره الفقيه، وكتاب الاستبصار، ما نسبوه إلى الرسول ﷺ كذباً وزوراً، أنه قال: ليس بيننا وبين أهل حربنا رِباً، نأخذ منهم ألف درهم بدرهم، ونأخذ منهم ولا نعطيهم..كما جاء في كتاب من لا يحضره الفقيه أيضاً عن الصادق: ليس بين المسلم وبين الذمي رباً..ولا بين المرأة وبين زوجها رباً..المجلد الثالث ص١٨٠..

ثم قال: ونكتفي هذا اليوم بهذا القدر ونؤجل المحاضرة إلى الشهر القادم...

بدأت الأصوات تخرج من القاعة تطالب باستمرارها...لكن الدكتور مؤيد

اعترض على ذلك؛ لأن الوقت أصبح متأخراً. . .لكن الطلبة طلبوا تقديم الموعد، ليكون كل أسبوعين على أبعد تقدير. . .وافق الدكتور شاهر: لا بأس سيكون لكم ما أردتم. .ولكن ولكي تعمّ الفائدة الجميع. .وكما قلنا في بداية محاضرتنا. .عليكم أن تطبعوا ما قلناه. .أو ما سجلتموه وتقدمونه إلى جميع طلابنا داخل المدرسة وخارجها. . .وسنرى بعد ذلك حجم دعوتكم ونجاحكم في إيصالها إلى كل فئات مجتمعنا. .وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. .

استمر الطلاب إلى وقت متأخر يتداولون ما سمعوه من مشايخهم. .يتشاطرون الحديث والمواضيع المهمة فيه. . .

* * * *

استقل زكريا حكمت سيارة أجرة، وتوجه من فوره إلى بيت المجموعة في الكاظمية. .وقبل أن يدخل البيت، أخذ ينظر إليه من الخارج وما حوله. .خشية أن يكون قد دُوهِمَ من قبل رجال الأمن. .وعندما رأى استقرار الجو. .تقدم إليه بهدوء. .ففتح الباب ودخل. . .

كانت حالة المجموعة سيئة للغاية، فحرارة الجو كانت من الشدة بحيث منعتهم من النوم. .

وما إن رآهم زكريا حتى استغرب لحالهم وسألهم: ما بكم. .أرى أثر التعب على وجوهكم. . .؟

نظر إليه كسرويه وقد امتلأ حنقاً، فصاح به حتى خرج الزبد من فمه: أتسأل ما بنا يا عدو الأئمة. . .فمنذ يوم أمس لم ترَ أعيننا النوم. . .وأنت تنعم في بيتك بالتبريد والماء البارد. .؟

زكريا: لو تعلم ما جرى معي بالأمس لعذرتني. . .لقد استوقفتني دورية للأمن في منطقة الأعظمية. .ولولا حماية عليٍ ورعايته لكنت الآن على حبل المشنقة. .

بلع كسرويه ريقه الجاف: أتقول دورية استوقفتك. . .أخشى أن تكون مراقباً. .ثم توجه مسرعاً إلى النافذة ونظر للخارج من شق فيها. . .ثم توجه إلى جهة

أخرى. . .ولما اطمأن للوضع عاد أدراجه وجلس. .

تأمَّل زكريا وجهه الأصفر: كيف إن أوقفوك، ماذا سيجرى لك. . .؟. .أنت على السمع فقط وتغيرت أحوالك. . .؟

كسرويه: هذه احتياطات أمنية فقط. . .ولكن عند حدوث أي شيء، سترى رجال الإمام ماذا يفعلون. . .

صمت زكريا قليلاً: والآن ماذا أنتم فاعلون. . .؟. .أرى أن تغادروا إلى إيران ريثما تهدأ الأحوال. .

استشاط كسرويه غضباً: ماذا. .نعود إلى إيران. . .هل جننت. .؟. .فوحق العباس لو عدنا بلا عمل يرفع رؤوسنا لتدحرجت بين أرجلنا. . .نحن أتينا لنفعل. . يبدو أن شيعتنا هنا لم يحسنوا اختيارك. .

تأمل زكريا وجهه، وعلامات الأسى مرتسمة عليه: لو تحسن احترام المقابل لأخبرتك من أكون. .ولكن للأسف. .أنت من أخطأت قيادتك بإرسالك. .وعلى كل حال لولا أني أعمل خدمة لأئمتنا ما بقيت معكم لحظة واحدة. . .ثم همَّ بالخروج إلى الحديقة. .

أخذ بيده رجل من المجموعة، وأجلسه على الأريكة: على رسلك يا أخي. . فكسرويه لا يقصد الإساءة بل هو متحمس للعمل. .

زكريا: أنا أقدر حماسته. .ولكن لن تكون على حساب حياتنا، فالعمل الآن يحتاج إلى التريث والترقب. . .ثم أطرق صامتاً. .!!

تقدم إليه كسرويه واضعاً يده على كتفه: أنا آسف. . .

زكريا: لا بأس. . .يكفيني هذا. . .ثم أخرج ما كان معه من طعام، ووضعه على الأرض، وبدؤوا يتناولونه بهدوء وصمت. .دون أن ينظر أحدهما إلى وجه الآخر. .

وما إن انتهوا من طعامهم حتى وقف زكريا ليغادر فسأله كسرويه: ومتى ستعود. .؟

زكريا: بعد العصر. . .ربما آتيكم ببعض الأخبار. .

تصنع كسرويه الهدوء: بحماية علي. . .

ثم انطلق من البيت كما دخله، بعد أن نظر إلى الشوارع المحيطة به. .وخلوها من أي شيء مريب. .

* * * *

استعاد **آية الله سعيد** الطبطبائي أنفاسه، بعد أن وجد في المناطق النائية ضالته. .فتهافت عليه البدو وأصحاب الفاقة. .حتى غصَّ بهم بيته، وأعلنوا أمامه براءتهم من أبي بكر وعمر والصحابة. .وأعلنوا تشيعهم. .ولكن بعد أن أعطى كل واحد منهم مائتي دولار. .على أن يتلقى راتباً مع غرة كل شهر. .

راح **آية الله سعيد** الطبطبائي يأخذ تواقيعهم وبصماتهم على ما قبضوه من مال. .ووضعها في جداول مؤرخة بالعناوين وأماكن السكن. . .ثم طلب من نائبه رحيم العاكف، أن يتولى مهامه أثناء غيابه. . .

* * * *

مع غروب الشمس وصل سعيد الطبطبائي إلى مقام السيدة زينب. .فدخله على عجل. .وطاف حولها. .وأسرَّ لها ببضع كلمات. .ثم انطلق إلى مكان جلوس آية الله أحمد المرشدي. .لكن لسوء حظه لم يكن موجوداً. .فتقدم إلى أحد بائعي الأشرطة الخضراء وسأله: أين سماحة آية الله أحمد. .؟

البائع: لم يأت هذا اليوم. .

انطلق سعيد مسرعاً إلى بيته. .وما إن وصل حتى أحسن هندامه. .وأعاد وضع عمامته. .وطرق الباب بهدوء. . .

انتظر للحظات لكن لا مجيب. . .ثم أعاد الطرق مرة ثانية. . .ثم ثالثة. .ولمّا لم يسمع جواباً. .عاد بخطوات بطيئة. . .وقبل أن يبتعد سمع صوتاً من خلف الباب. . .فعاد مسرعاً: وقال: مولاي. . .مولاي. .أنا سعيد الطبطبائي. . .

جاءه صوت أنثى: انتظر قليلاً. . .

تبسم سعيد ابتسامة عريضة، وقال في نفسه: يبدو أن السيد في حالة نعيم الآن. . .فمن تكون تلك الفتاة صاحبة الصوت الندي يا ترى. . .؟!!

فُتح الباب قليلاً. .فسمع صوت آية الله أحمد من الداخل: ادخل يا سعيد. .

تحرك سعيد بخطوات بطيئة، مسترقاً النظر فيما حوله. .فوقعت عيناه على صبية سمراء، ذات قوام جميل. .غطَّت رأسها بوشاح أخضر. . .أمعن النظر فيها. . .فالتقت عيناه بعينيها. .فقالت له: ألا تخجل. . .تنظر إلى عرض سيدك. .؟

ارتعد سعيد من قولها: عفواً. . .أنا. . .أنا. . .!!

الصبية: من أنت. .؟

سعيد: أنا نائب مولانا آية الله أحمد. . .

رمقته الصبية من رأسه حتى أخمص قدميه، ثم وضعت يدها على فمها، كمن تريد أن تخفي ضحكتها. .!

شعر سعيد بسعادة غامرة وقال في نفسه: يا قوة علي. . .ما أجملها. . .فسألها: ما اسمك. .؟

أعادت الصبية وضع يدها على فمها وانطلقت مسرعة إلى الغرفة. .

أطلَّ **آية الله أحمد المرشدي**. .فنظر إليه سعيد، فرآه لافا شعره بمنشفة كبيرة. . .فجلس أمامه بلباس الحمام: متى أتيت. .؟

سعيد: الآن. . .

آية الله أحمد: لماذا لم تنتظر إلى الغد. . .؟

سعيد: عندما لم أجدك في مقام السيدة. .خشيت أن تكون مريضا. .فأسرعت لأطمئن عنك. . .

آية الله أحمد: أحسنت. .وكيف حال شيعتنا. . .؟

أجابه سعيد بصوت يشبه الهمس، مظهراً التواضع: إنهم بخير. .ويهدونك السلام. .وسيأتون في الأيام القادمة لزيارة السيدة. .

هزَّ **آية الله أحمد** رأسه: أرجو أن تكون قد وفقت في عملك...

سعيد: مولاي أنا أعمل بتوفيق من علي وبرضاءٍ منكم...!!

آية الله أحمد: أحسنت...أحسنت...ثم نظر مشيراً إلى الصبية: هذه زوجتي ومتعتي..شهبورة..لقد وصلت أول أمس..وعقدت عليها لشهر كامل..فما رأيك...؟

نظر إليها سعيد بعينين ملؤها الشهوة: هنيئاً لك عرسك..!!

آية الله أحمد: أحببت أن أكون أول من يتزوجها...

سعيد وقد أعجبه الحديث: أهي عذراء يا مولاي...؟

آية الله أحمد: بالطبع..وهل يطأ السيد إلا من كانت كذلك...ثم أمعن النظر في وجهه: أرى يا ملعون في وجهك كلاماً ونظرات غريبة...

تبسم سعيد بدهاء ولم ينبس ببنت شفة..!!

آية الله أحمد: يا خبيث...يبدو أنك تفكر بالزواج منها..أليس كذلك..؟

سعيد: بلى والعباس يا مولاي..!!

ضحك **آية الله أحمد** حتى انقلب على قفاه: لا بأس..سوف أساعدك في ذلك..وما إن تنتهي مدتها سأجدد عقدها فوراً..

سعيد: لكن يا مولاي..!!

آية الله أحمد: لا تستغرب..أريد مساعدتك...

سعيد: أتريد مساعدتي، فتتزوجها..يا للعجب..!!

ضحك **آية الله أحمد** مرة أخرى: يا فهيم...إذا جددت عقدها وطلقتها دون الدخول بها..ترتاح من عدتها..وبذلك يجوز وطؤها دون عِدَّةٍ أو انتظار الطهر..

فرك سعيد كفيه: والعباس لم أجد شريعة كشريعتنا في التساهل واليسر..

استدرك **آية الله أحمد**: ولكن إذا حملت فليس لي علاقة بالولد..أتفهم...؟

سعيد: أفهم...أفهم والعباس...لكن يا مولاي ما سبب وجودها هنا..؟

آية الله أحمد: لقد أرسل إلينا آياتنا في قم مجموعة منهن للتخفيف عن بناتنا هنا..

سعيد: لكن يا مولاي..ألم تستطع تجنيد فتيات من هذا البلد..؟

آية الله أحمد: الكلاب..يريدون أن يأكلوا ولا يطعمون..يأخذون مالنا ويطؤون بناتنا...ولا نجد أحداً منهم يقدم ابنته متعة لنا..

سعيد: يا مولاي لو استعنّا بالعاهرات...فالبلد ممتلئ بهن..!!

آية الله أحمد: يبدو الأمور ستؤول إلى ذلك في النهاية...ثم طلب منه تقريراً مفصلاً عن عمله...فأخرج دفتراً صغيراً من جيبه، وبدأ يشرح له الأمور بمسمياتها..وأعطاه قائمة بالمصاريف المالية..

فما كان من **آية الله أحمد**، إلا أن أبدى إعجابه بما سمع: الآن أنت تسير على الطريق الصحيح..وطلب منه كتابة تقرير مفصل ليرسله إلى السادة في إيران..فأجابه إلى ذلك وانطلق مغادراً..

* * * *

مرَّ الأسبوعان على طلاب المدرسة كأنهما دهر طويل..وقبل المحاضرة بساعتين امتلأت القاعتان بهم ومن خارج المدرسة...وافترش العشرات منهم أرض القاعة..لئلا يفوتهم أي كلمة من شيوخهم...

لما أطلَّ الدكتور **شاهر** وإخوانه وقف الجميع لهم محيين ومرحبين..

تقدم الشيوخ إلى أماكنهم بهدوء...فعاجلهم أحد الطلبة بسؤال..كمن يخشى أن يسبقه غيره...وما إن رآه الدكتور شاهر حتى ضحك: أراك مستعجلاً يا بني..!!

الطالب: شيخنا الفاضل..منذ أسبوعين وأنا أتجهز لهذه اللحظة..وقد رأيت حجم الأسئلة عند زملائي فخشيت أن تفوتني فرصة سؤالكم...

تبسم الدكتور وأثنى عليه..لحرصه على العلم والمعرفة: تفضل..

الطالب: شيخنا سمعنا من فضيلتكم في المرة السابقة بياناً شافياً وكافياً حول تشابه اليهود والشيعة..وسؤالي الآن ما هو وجه التشابه بين تلك الملتين من حيث

كتاب الله.. وأقصد هنا التحريف.. وتحريف اليهود لكتابهم.. ؟.

هزَّ الدكتور رأسه وبدا عليه الألم: أبنائي.. لا يسعنا أن نتحدث في كل التفاصيل ولكننا نعطي مفاتيح العلوم.. وأنتم تفتحون الأبواب وتبحثون بداخلها.. أما الآن سنقدم لكم نماذج من التشابه الكبير بين تلك الملتين ونسأل الله التوفيق ونبدأ باليهود:

يتكون كتاب اليهود من تسعة وثلاثين سفراً الخمسة الأولى منها ينسبونها إلى موسى عليه السلام، ويدعون أنها هي التوراة المنزلة عليه، وأنه كتبها بيده، وباقي أسفار العهد القديم يزعمون أنها كتبت على يدي أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى، ولكن الصواب أن الله سبحانه وتعالى أعطى التوراة لموسى مكتوبةً في الألواح ,وأن فيها موعظة لبني إسرائيل وتفصيلاً لكل شيء، وأن الله تعالى أمر نبيه موسى، أن يأخذ بما فيها من الأحكام ويلتزم بها، وأن يأمر قومه أن يأخذوا بأحسنها، وقد أخبر الله أيضاً في آية أخرى أن اليهود أنفسهم كتبوا التوراة، ولكنهم أخفوا كثيراً منها قال تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء به مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾ [الأنعام: ٩١] بل إن اليهود قد نقضوا الميثاق الذي أخذه الله عليهم بحفظها ونسوا شيئاً منها، وهذا إهمال منهم للكتاب الذي استأمنهم الله عليه قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [المائدة: ١٣] .

وقف الطالب مرة أخرى: شيخنا.. هل تعطينا أمثلة عما ورد من تحريف في كتاب اليهود، وما قاله الشيعة عن تحريف القرآن الكريم.. ؟

أجابه الدكتور: يبدو أنك حريص على معرفة كل شيء في جلسة واحدة.. على كل حال يعجبني هذا النوع من الإلحاح؛ لأنه يدل على حب المعرفة، واستعجال العلم والانتفاع به.. ولهذا أقدم أمثلة على ذلك:

المثال الأول: ورد في سفر التثنية الإصحاح الرابع والثلاثين، خبر موت موسى

ودفنه في أرض مؤاب، حيث تقول الرواية في التوراة: فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب، حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم، وكان موسى ابن مئةٍ وعشرين سنة حين مات.

فأي عاقلٍ يمكن أن يصدق أن موسى عليه السلام، قد كتب خبر موته ودفنه، وبكاء بني إسرائيل عليه في التوراة ,ومن تأمّل هذا النص وجد التحريف واضحاً وجلياً، حيث لم يُعرف قبره إلى هذا اليوم، والذي جاء في سفر التثنية، يدل دلالة قاطعة على أن هذه الجملة قد كُتبت من بعد موسى عليه السلام بفترةٍ طويلةٍ جداً, وأدى طول هذه الفترة إلى استحالة معرفة قبر موسى عليه السلام وهذا لا يحدث عادةً، إلا بانقراض أجيالٍ عديدة من أبناء اليهود، بين موت موسى عليه السلام وتأليف هذا السفر.

أما المثال الثاني: فقد ورد في سفر الخروج: فقال الرب لموسى : انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك...

إن ورود هذا النص في التوراة عند اليهود لدليل قاطع على وقوع التحريف فيها، إذ كيف يعقل أن يقول الله لموسى جعلتك إلهاً..؟..وما أُرسل موسى وسائر الأنبياء، إلا بالدعوة إلى التوحيد وإفراد الله بالربوبية والألوهية...سبحانه وتعالى.

وكذلك يعترف أحبار اليهود وعلماؤهم، بوقوع التحريف في التوراة من بعد موسى عليه السلام فيقول السمؤل ابن يحيى بعدما أسلم، وهو من كبار أحبارهم: علماؤهم وأحبارهم..أي اليهود...يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها المنزلة على موسى ألبتة؛ لأن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل، ولم يبثها فيهم، وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد ليوي، ولم يبذل موسى من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها: هائينزو وهؤلاء الأئمة الهارونيون، الذين كانوا يعرفون التوراة، ويحفظون أكثرها، قتلهم بختنصر على دم واحد يوم فتح بيت المقدس، ولم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سنة، بل كان كل واحدٍ من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة...

وكما هو معلوم عبر التاريخ، أن الذي أملى على اليهود التوراة بعد هدم بختنصر لأورشليم وتحطيم الهيكل، ومن حفظه هو عزراء الوراق. . .كان ذلك بعد أكثر من سبعين سنة من خراب بيت المقدس. . .

تكلمت عبر الماكريفون إحدى الطالبات، بعد أن أخذتها الحماسة: شيخنا الفاضل. .أخبرنا عن قول الشيعة في تحريف كتاب الله الكريم. .

ضحك الشيوخ جميعهم وقال الدكتور مؤيد: يبدو أن لقاءنا اليوم حامي الوطيس. .

التفت الدكتور **شاهر** إلى مؤيد ليحدثهم:

أما قول الشيعة: فيقولون في القرآن الكريم أنه محرف ومبدل وأنه زيد فيه. . ونقص منه آيات كثيرة وأن الناقص منه يعادل ضعفي القرآن الموجود الآن بين أيدي المسلمين، بل ويعتقدون أن الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، هم الذين حرفوا القرآن وأسقطوا منه هذا الجزء الكبير, ويرون أن الذي أُسقِط من القرآن يدور حول موضوعين رئيسين:

الأول: فضائل آل البيت، وبالأخص علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والنصُّ على إمامته في القرآن. .

والأمر الثاني: فضائح المهاجرين والأنصار، الذين تَعُدهم الشيعة منافقين، لم يدخلوا في الإسلام إلا للكيد له ,هذه هي عقيدة الشيعة في القرآن الكريم ،كما صرح بها كبار علمائهم في أشهر كتب التفسير والحديث عندهم .

وأول علمائهم هو سليم بن قيس الهلالي المتوفى عام ٩٠ للهجرة، حيث يروي في كتابه عدة أخبار مفادها التحريف، ويرويه بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول فيه: إن سورة الأحزاب تعدل سورة البقرة والنور. .يعني سورة النور. .ستون ومائة آية والحجرات ستون آية والحجر تسعون ومائة آية. .

ومعنى ذلك أن سورة الأحزاب التي عدد آياتها ثلاث وسبعون آية، هي في الأصل وقبل التحريف تعادل سورة البقرة والتي عدد آياتها مئتان وست وثمانون آية. .

أما سورة النور فعند سليم بن قيس مائة وستون آية ,بينما الموجود بين دفتي المصحف أربع وستون آية..

أما سورة الحجرات فستون آية عند إمامهم سليم بن قيس، وبين دفتي المصحف ثماني عشرة آية ,وأما سورة الحجر، فعند سليم بن قيس شيخ الشيعة الإمامية، مائة وتسعون آية، والموجود في قرآن المسلمين هو تسع وتسعون آية ,وبهذا يعتقد علماء الشيعة الإمامية، وعلى رأسهم شيخهم سليم بن قيس، أن القرآن قد حذف منه الكثير والكثير من الآيات، التي تتكلم في فضائل آل البيت وفضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على وجه الخصوص.

وعالمهم الثاني: هو محمد بن حسن الصفار المتوفى سنة ٢٩٠هـ ,حيث روى في كتابه المشهور بصائر الدرجات ص٢١٣ عن أبي جعفر الصادق أنه قال: ما من أحد من الناس يقول إنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب وما جمعه وما حفظه كما أُنزل إلاَّ علي بن أبي طالب والأئمة من بعده...

وفي رواية أخرى عنه قال: ما يستطيع أحدٌ أن يدعي أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه، غير الأوصياء...ويقصد هنا بالأوصياء الأئمة الاثنى عشر.

أما إمامهم الثالث وهو علي بن إبراهيم القمي المتوفى سنة ٣٠٧ هـ فقد ذكر في مقدمة تفسيره المجلد الأول الصفحة الثامنة: فالقرآن منه ناسخ ومنسوخ، ومنه محكم ومنه متشابه، ومنه عام ومنه خاص، ومنه تقديم ومنه تأخير، ومنه مقطع ومنه معطوف، ومنه حرف مكان حرف، ومنه على خلاف ما أنزل الله..كما ذكر ظلماً وبهتاناً أمثلة على ما ذكر من القرآن الكريم وأخذ يغير ويبدل ويقدم ويؤخر في كتاب الله، مضاهياً بذلك أساتذته من اليهود في تحريف الكلم عن مواضعه، عياذاً بالله تعالى .

وإمامهم محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٨ هـ، الذي وضع لهم كتاب الكافي الذي هو عندهم، بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة فماذا يقول إمامهم الكليني في كتابه الكافي، يروي الكليني: دفع إلي أبو الحسن مصحفاً وقال: لا تنظر

فيه ففتحته وقرأت فيه، لم يكن الذين كفروا. .يعني سورة البينة. .فوجدت فيه اسم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم قال فبعث إلي: ابعث إلي بالمصحف. . . أصول الكافي المجلد الثاني ص٦٣١ . .

ويروي الكليني أيضاً عن أبي عبد الله قال: إن القرآن الذي جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ سبع عشرة ألف آية. . .وعلى هذا فإن ثلثي القرآن قد فقد, وليس هذا فقط بل يروي إمامهم الكليني: أن عندهم قرآناً آخر يعدل القرآن الموجود عند المسلمين بثلاث مرات. .لا يوجد فيه حرف واحد مما يوجد في القرآن الكريم. .

وجاء في كتاب الحجة من الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله أنه قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام قلت: وما مصحف فاطمة قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد. . .

ثم توقف الدكتور قليلاً موجهاً كلامه إلى الجموع الغفيرة: أتريدون المزيد. .؟

فارتجت القاعة: نعم يا شيخ أدامك الله. . .

الدكتور أما إمامهم محمد بن مسعود بن عياش المعروف بالعياشي صاحب تفسير العياشي الذي يعد من أهم التفاسير وأقدمها عند الشيعة فقد روى العياشي في مقدمته لهذا التفسير المجلد الأول ص١٣ عن أبي عبد الله قال: لو قُرِيء القرآن كما أُنزل لألفيتنا فيه مسمّين. . يعني لو لم يحرف هذا القرآن لقرأت أسماء الأئمة من آل البيت ولكن الصحابة هم الذين حرفوا وحذفوا هذه الأسماء كما تعتقد الشيعة وعلى رأسهم إمامهم العياشي.

أما إمامهم المفيد المتوفى سنة ٤١٣ هـ، والذي يُعد من مؤسسي المعتقد الشيعي، حيث نقل إجماعهم على التحريف ومخالفتهم لسائر الفرق الإسلامية، فقد أورد في كتابه أوائل المقالات ص٤٨. واتفقوا. .أي الشيعة. .أن أئمة الضلال. .يعني الصحابة رضوان الله عليهم. .خالفوا في كثير من تأليف القرآن وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي ﷺ. .

أما إمامهم أبو منصور الطبرسي المتوفى سنة (٦٢٠ هـ) فقد روى في كتابه الاحتجاج صفحة ١٥٦ عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ جمع علي القرآن، وجاء به إلى المهاجرين والأنصار، وعرضه عليهم لما قد أوصاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم. . .يعني فضائح الصحابة. . فوثب عمر وقال: يا علي أردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه علي وأنصرف، ثم أحضروا زيداً ابن ثابت، وكان قارئاً للقرآن فقال له عمر: إن علياً جاء بالقرآن، وفيه فضائح المهاجرين والأنصار وقد رأينا أن تؤلف القرآن وتسقط منه ما كان فضيحة وهتكاً للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك. .

بل وزعم الطبرسي أن الله تعالى عندما ذكر قصص الجرائم في القرآن، صرح بأسماء مرتكبيها لكن الصحابة حذفوا هذه الأسماء، فبقيت هذه القصص بدون تصريح، يقول الطبرسي في كتابه الاحتجاج صفحة ٢٤٩: إن الكناية عن أصحاب الجرائر العظيمة من المنافقين في القرآن ليست من فعله تعالى، وإنها من فعل المغيرين والمبدلين. .يعني الصحابة رضوان الله عليهم. . .يقول: وإنها من فعل المغيرين والمبدلين الذين جعلوا القرآن عضين واعتاضوا الدنيا من الدين. . .

ثم توقف الدكتور ونظر إلى القاعة، وقال: وهناك ما لا يحصى من الأقوال لعلمائهم عبر التاريخ القديم والجديد؛ ولكن علينا أن نكتفي بهذا القدر ومن أراد المزيد سيجد على جدارية المدرسة عناوين كتبهم التي تتناول تحريف القرآن

وقف أحد الطلاب وقال: شيخنا. .لو تفضلتم بإخبارنا عن أسماء بعض الكتب الآن، فنفسي لا تصبر حتى الغد. .

ضحك الشيوخ بشدة: حسناً. . .حسناً. . .وإليك بعضاً من تلك الكتب فعلى سبيل المثال:

تفسير الصافي لإمامهم الغيظ الكاشاني المتوفي ١٠٩١هـ.

موسوعة بحار الأنوار لإمامهم محمد باقر المجلسي المتوفى سنة١١١١هـ والذي يُلقّب عندهم بشيخ الإسلام، جمع فيها مئات الروايات الدالة صراحة على تحريف

القرآن ومنها ما روي عن أبي عبد الله أنه قال: والله ما كَنى الله في كتابه حتى قال: يا ويلتى لم أتخذ فلاناً خليلاً وإنما هي في مصحف علي عليه السلام يا ويلتى ليتني لم أتخذ الثاني خليلاً...

الأنوار النعمانية لإمامهم نعمة الله الجزائري المتوفى سنة ١١١٢ هـ .

وفي ذلك نجد التشابه الكبير بين تلك الملتين الضالتين..ونسأل الله التوفيق..وسنعود لاستكمال بعضٍ من تلك المواضيع في الموعد اللاحق بإذن الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أجابه الطلاب بصوت واحد: وعليكم السلام وجزاكم الله عنا كل خير...

* * * *

تأملت **هايدي** شقتها الجديدة، وشعرت بفرحة عارمة لما وصلت إليه، ودفعت أباها إلى الشرفة التي تطلُّ على أحد الوديان القريبة الممتلئة بالزهور وأشجار الزيتون والبرتقال...وتركته وعادت إلى الداخل، لتجهز له طعام الإفطار...وإذا بها تسمع جرس الباب يرن..فهرعت على الفور لتجد أخاها ومعه صبية في مقتبل العمر..

دخل الشقة وسألها: أين أبي...؟

هايدي: في الشرفة..وأنا أجهز له طعامه الآن..

أشار **إبراهام** إلى الفتاة: هذه خادمة فلبينية، أتيت بها لتخدم أبي..خذيها إلى المطبخ وأطلعيها على أعمالها...

مشت **هايدي** أمامها، وشعرت لأول مرة بالسرور..!

أشارت **هايدي** إلى أبيها: هذا أبي المقعد..عليك أن تطعميه وتغيري ملابسه كل يوم..

ثم عادت بها إلى المطبخ..وطلبت منها إعداد الفطور بدلاً عنها..ثم جلست مع أخيها..

إبراهام: ما رأيك الآن...ألست مسرورة...؟

هايدي: نعم..لم أشعر بالسعادة منذ أعوام كهذا اليوم..!!

إبراهام: وعندي لك مفاجأة أيضاً..!

هايدي بشغف: ما هي..؟

إبراهام: العمل...

هايدي: هل سأعمل..؟..معقول..!!

إبراهام: ليس في إسرائيل من لا يعمل...الناس هنا يحسبون الثانية بالمال...

هايدي: متى..وأين..؟

إبراهام: عندي كابريه..وهو من أشهر وأرقى الكباريهات في تل أبيب..وليس عندي وقت لأديره..فعملي السياسي حال دون متابعتي له...والعاملون به يسرحون ويمرحون دون رقيب أو محاسب..

هايدي: أنا جاهزة منذ اليوم...

إبراهام: في الساعة العاشرة ليلاً سنذهب معاً...

هايدي مندهشة: ماذا...العاشرة ليلاً...!!

إبراهام: الكباريه لا يعمل إلا ليلاً...ولا تنسي أن أبانا بأيدٍ أمينة....وعليك أن تري نفسك... كفاك إهمالاً لها...

تحسست **هايدي** شعرها بيديها، ونظرت إلى ثيابها..ثم ضحكت..

ضحك معها **إبراهام**: وعليك أن تغيّري تسريحتك، وتصبغي شعرك، وتضعي على وجهك الماكياج لتظهر فتنتك وجمالك..وارتدي أحسن الثياب...

شعرت **هايدي** بالدنيا لا تسعها من الفرح: لكن لا أعرف كيف أفعل ما ذكرت..؟

إبراهام: ستأتي خادمتنا اليوم لترافقك إلى كل الأماكن للقيام بما ذكرت...وعليَّ الآن أن أذهب..فعندي اجتماع في الكنيست...وسار خطوات معدودة ثم التفت إليها، ولا تنسي أن تأخذي معك بعض المال...

نظرت إليه **هايدي** باستغراب: يبدو أنك أصبحت يهودياً بحق...!!

ضحك **إبراهام**: ليس في إسرائيل مكان للعواطف..المال هو المتصرف الوحيد فيها..ونصيحتي أن لا تفرطي بشيكل واحد..ولا تتصدقي على فقير أو معدم..فقيمتك بما تحملينه في جيبك..ثم استقل سيارته وانطلق بعيداً..وهايدي تلاحقه بنظرها إلى أن غاب عنها ، وأخذت تحدث نفسها: كم تغيرت يا مصطفى.. يبدو أنني سأفعل مثلك تماماً..!!

* * * *

مرت الأيام عصيبة على كسرويه ورفاقه، وهم جالسون في بيتهم دون حركة أو خروج..حتى دبَّ اليأس في نفوسهم، وبدأ مزاجهم يتغير نحو الأسوأ..وعلامات الغضب ارتسمت على وجوههم، فلم يعد أحدهم يطيق سماع الآخر..فأصبح البيت جحيماً لا يطاق...فاجتمع عليهم لهيب الطقس وحرارة الأمن.. الذي ما فتئ يراقب الطرقات الرئيسة، والشوارع المؤدية لها...

ومما زاد في الطين بلّة رسالة وصلت من قائد الحرس الثوري، آية الله محمد الطوساني يعنِّفُهم فيها، واصفاً إياهم بالجبن والخور..

استلقى كسرويه متمدداً على الأرض، ملتمساً برودتها، موجهاً عينيه نحو السقف...وحالة الغضب الشديد تمزّق قلبه...

فُتح باب البيت بهدوء..فأسرع الجميع إلى سلاحهم..وجلسوا في حالة تأهب..

أطلَّ زكريا برأسه: السلام عليكم..

نظر إليه كسرويه، والشرر يكاد يخرج من عينيه: أين كنت يا رجل..؟..لقد ضقنا ذرعاً بالاختباء، لقد أتينا لنعمل لا لنجلس كالنساء...!!

أجابه زكريا بهدوء: ربما اليوم أو غداً ستبدأ الأمور بالانفراج..فرجال الأمن من شيعتنا أخبروني توا أن الاستنفار قد خفّت حدته إلى الدرجة الثالثة..وهذا جيد في بلادنا..

كسرويه: لا تهمني الدرجة..أريد أن أخرج وأنفذ ما جئت من أجله...

زكريا: ما رأيك أن نأتيكم ببعض الفتيات لتتمتعوا بهن ريثما تنحل العقد...

شعر الجميع ببعض الراحة لما سمعوا..لكن كسرويه قال: أنا لم آتِ إلى هنا لأتمتع..لقد أتيت بمهمة محددة، وعليَّ تنفيذها والعودة فوراً من حيث أتيت..

زكريا: على راحتكم...ولكني أحببت أن أخدم فقط..

كسرويه بغضب: شكراً لك...!!

جلس زكريا بالقرب منه وسأله بهمس: هل هناك أهداف معينة تريدون تنفيذها..أم نحن من يختارها لكم..؟

نظر إليه كسرويه باحتقار: أنتم تختارون لنا..من أنتم..؟

انزعج زكريا من نظرة الانتقاص التي أبداها: الآن لا نعجبك..نحن أصحاب البلد هنا..وأعلم بما فيه..ولولا أننا نخدم شيعتنا لكان لي معك شأن آخر..!!

كسرويه باحتقار مرة أخرى: ماذا...ماذا...شأن آخر...عشنا وشفنا والله...!!

زكريا: أتعلم مع من تتكلم...؟

كسرويه بقرف: لا...فمن أنت..؟

زكريا: أنا مقدم في المخابرات العامة العراقية...

أعاد كسرويه جلسته ونظر إليه: أتكذب عليَّ...؟..اذهب إلى الجحيم..!!

لم يتمالك زكريا نفسه، فقبض على رقبته بشدة: أتقول لي أنا..أذهب إلى الجحيم...والعباس لولا أني عاهدت أمير المؤمنين عند المقام..لانتزعت رقبتك بيدي...ثم أرسله..ولكن على كل حال الذنب ليس ذنبك...كان على رئيسك أن يختار رجاله بدقة...

تحسَّس كسرويه رقبته كمن نجا من الموت...ثم ابتعد عنه وراح ينظر إلى الحديقة...فعاجله زكريا بالقول: منذ هذه اللحظة لن يتكلم أحد غيري..وعليكم

السمع والطاعة..وإلا عليكم مغادرة البيت فوراً..

عمَّ الهدوء البيت ولم يسمع أي جواب..ثم فتح الباب وانطلق خارجاً...

وما إن ابتعد حتى استعاد كسرويه بعض هدوئه: الغريب أنه لم يحدثنا عن نفسه منذ وصلنا..والآن يقول : إنه مقدم في المخابرات..!!

أحابه أحدهم: لا يمكن أن نقوم بأي عمل دون مساعدته..فهو أعلم منا ببلده..فأهل مكة أدرى بشعابها...وأنت قسوت عليه جداً..ولم تترك له فرصة ليحدثك..

كسرويه: وحق العباس...لن تمرَّ فعلته دون عقاب...نحن شيعة أبي عبد الله...وما هم إلا خدم لنا..يعملون في خدمتنا فقط..

أجابه صديقه بهمس: إياك أن يسمعك...

كسرويه: وكيف سيسمعني..؟ وقد خرج..!!

همس صديقه بأذنه: ربما يوجد في البيت أجهزة تنصت...!!

جفل كسرويه مما سمع وأخذ ينظر إلى الجدران..وطلب من مجموعته التفتيش معه..

* * * *

التقى خلف الأحمد مع ضباط الأمن ليسمع منهم تقريراً مفصلاً عن أوضاع البلد الأمنية..وأشار إلى المقدم عوض العمري ليوجز له الأمر..

تقدم عوض إلى الطاولة المستديرة: سيدي الأمور إلى الآن تسير على ما يرام..وحالة الأمن شبه مستقرة..فلم نجد أي تحرك غير طبيعي خلال الفترة الماضية، وخاصة بعد إعدام العملاء وأذنابهم..ولكن الذي يشغلنا الحدود الممتدة شمالاً..وهي كما تعلم..ليست تحت سيطرتنا..وهي بالتأكيد ثغرة أمنية كبيرة..واستخباراتنا تقول إن مجموعات إرهابية قد دخلت حدودنا بمساعدة المهربين..لكننا للأسف لم نعثر على أحد منهم...

خلف الأحمد: لماذا لم تلقوا القبض على المهربين...!!

المقدم عوض: سيدي المهربون يعيشون في الجبال..وهي كما تعلم ليست تحت سيطرتنا..فكيف سنقبض عليهم..؟..الحال يحتاج إلى طائرات ومدافع..وعلى الأغلب لن نحقق نجاحاً..لأنهم بالتأكيد سيغادرون إلى تركيا أو سوريا أو إيران..وهذه حدود دولية لا نستطيع تجاوزها...أما الحدود الجنوبية فهي أيضاً تعاني ضعفاً أمنياً..لكنها أقل خطراً من الشمال لانبساط الأرض ووضوحها..

خلف الأحمد: هذا عملكم..وسيادة الرئيس لا يحب التهاون في أي شيء..وأنتم تعلمون أنه إذا غضب مشيراً إلى رقبته...

بلع **المقدم عوض** ريقه: نحن نعمل بكل طاقتنا...وليس في يدنا أكثر من ذلك..!!

خلف: لا بأس...أعطني تقريرك..لأرفعه لسيادته الليلة..

كان زكريا حكمت ضمن الضباط المجتمعين..يسمع كل كلمة قالها عوض العمري...وما إن انفضَّ الاجتماع حتى هرع إلى بيت المجموعة الإيرانية..

* * * *

تداول الناس الأشرطة المسجلة للدكتور **شاهر** وإخوانه على نطاق واسع، حتى عمَّت سوريا بأسرها، ووصلت إلى المناطق النائية منها..فكانت مادة خصبة لجميع الناس ومناقشاتهم في ليالي الصيف الحارة..

وبدأ الناس يشعرون بمؤامرة الفرس نحو بلادهم...فشمَّر العديد من أبنائهم عن ساعد الجدِّ، واتجهوا إلى التعمق والقراءة في كتب الشيعة..واكتفت النساء بسماع الخطب والدروس المسجلة...وغصَّت مدارسهم بطلاب العلم من كافة المستويات...حتى فكّر الدكتور شاهر وزملاؤه بالتوسع أفقياً وعموديا، لبناء الطوابق فوق مدارسهم وتوسعتها؛ لأن المدارس لم تعد تتسع لهم..فأرسلوا إلى الأغنياء ليقدموا زكاة أموالهم..لكن الأمر لم يُحلّ بشكل جذري...فالأعداد الغفيرة من الطلبة..تطلبت منهم العمل أكثر...ولم تسد متطلباتهم...فالمطلوب أكثر بكثير من إمكاناتهم المحدودة.

لما ضاق الدكتور **شاهر** ومن معه ذرعاً. . .تقدموا إلى وزارة الأوقاف، لتسمح لهم بالتدريس في المساجد. .لكن الحال ظلَّ عدة أشهر دون جواب. . .ومع إلحاح الشيوخ. .عاد إليهم الجواب مع الرفض فاستاؤوا كثيراً. .ووجدوا أن خير وسيلة لحل المشكلة. . .انتقالهم إلى بيوت الطلبة وتدريسهم فيها. .ريثما تنحل الأمور. .ولم يمضِ على دروسهم إلا أشهر معدودة، حتى تدخل رجال الأمن ومنعوا التدريس في البيوت، وألقي القبض على الدكتور شاهر والدكتور مؤيد وبعض الشيوخ. . .وتمَّ التحقيق معهم وتحذيرهم بشدة، وأطلق سراحهم بعد أسبوع من الاعتقال. .بعد أن تعرضوا للإهانة والضرب. . .

عاد الدكتور شاهر إلى مدرسته، أشد ما يكون من الحماسة، فقد شعر أن إرادته في نشر العلم وفضح الباطنية قد أثمرت في كل أوساط المجتمع السوري. .ومما زاد في قناعته. .محاربة الأمن له وتتبع كل كلمة يقولها، وكل شريط مسجل يُباع. . .لكن حبه وإخوانه الشيوخ في الدفاع عن الإسلام، جعلهم لا يبالون بأي شيء قد يعترض طريقهم. . .

* * * *

لقاء دولتين

جرى التداول بين أعضاء الكنيست.. وكان نجم الجلسة دينا بنت أفيخاي.. التي ما فتئت تتحدث في كل المواضيع المطروحة... وإبراهام ينظر إليها ويتعجب من جرأتها... إلى أن وصل النقاش إلى إيران.. فطلب رئيس الكنيست روبيل بن شمعون من إبراهام أن يتقدم ليحدثهم عن إيران، متناسياً أمام الجميع صلة الوصل بين حكمائهم وآية الله مهدي ميرزا..

خرج **إبراهام** من بين الصفوف خجلاً، يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، ناظراً إلى الحضور بطرف خفي، حتى وصل إلى المنصة.. فأطرق للحظات قليلة ثم رفع رأسه: ماذا تريدون أن تعرفوا...؟

روبيل بن شمعون: كما سمعنا إن أباك قريب من ابن قائد الثورة... وعلى هذا فأنتم أقرب الناس إليه..

استعاد **إبراهام** بعض ثقته بنفسه: نعم.. هذا كان في البداية... ولكن بعد نجاح الثورة أنكر صلته بنا...

طلب أحد الحاضرين سؤاله: إبراهام بن عباس..

إبراهام: تفضل...

السائل: بما أنك تعرف آية الله مهدي ميرزا عن قرب.. وكما سمعنا أن أباك وصل إسرائيل.. فلماذا لا تأتي بأبيك ليحدثنا، ويحدث خبراءنا النفسيين عنه.. فربما نستطيع رسم شخصيته.. لنتمكن من التعامل معه..

لم تنتظر **دينا** أن يجيب زوجها، فوقفت على الفور: إن عباس مريض جداً.. ولا يستطيع أن يقابل أحداً.. وإذا أردتم.. موجهة حديثها لجميع الأعضاء... أن تعلموا عنه أي شيء.. فأنا أيضاً أعرفه جيداً، فقد عشنا معاً سنوات طوال... وقد التقيت بآية الله مهدي ميرزا مرات عديدة.. ثم ضحكت... فسألها روبيل بن شمعون: أضحكينا معك..؟

دينا: هذا أمر خاص بي...

أصرَّ عليها روبيل. . فما كان منها إلا أن قالت: لقد راودني عن نفسي أكثر من مرة. . . !!

ضجت القاعة بالضحك. . . لكن إبراهام: حدَّق بها والتزم الصمت. . ولم يتفوه بأي كلمة، ولكنه أثنى على ما قالته دينا وأضاف: أنا أعرفه معرفة جيدة. . وأختي هايدي التقت به بعد نجاح الثورة. . وربما أفيخاي وفيفيان يعرفانه أيضاً، عندما كان يأتي لزيارة مقام السيدة زينب. . فكما يعلم الجميع أن بيت أفيخاي كان متاخماً لمكان نزول الزائرين. .

روبيل بن شمعون: لا باس فهذه مجرد دردشة. . وعلى الأغلب هناك توجهات لدى حكومتنا باتجاه إيران. . !

شعرت **دينا** بفرح شديد فكلمتها في الجلسة السابقة آتت أُكُلها. .

عاد **إبراهام** إلى جانب زوجته وهمس بأذنها: أحقاً مهدي ميرزا راودك. . . ؟

تبسَّمت **دينا** وأجابته هامسة أيضاً: اصمت الآن، لقد اختلقت عدة قصص مفبركة من أجل الثقة بنا. . . ؟

إبراهام وقد أخذته الغيرة: ماذا تقولين. . . ؟

دينا: كما سمعت. . . وعليك أن تعلم أنني التقيت به سراً في إيران قبل السفر إلى قبرص في بيت أقربائي. . . ولا تنسى أننا في إسرائيل. . . وكلمة الحق تُقال ولو كانت إحدى خصوصياتك؛ لأنهم ينظرون إلى مدى تفانيك في خدمة الوطن، على حساب نفسك ومالك. .

إبراهام: لكن هذه القصة لا يعلمها غيرك. . . !!

دينا: ليس فيها أية مشكلة. . فأنا لا أنطق بحرف إلا وأخطط له. . وبماذا سيعود علينا. . وعلاقتنا مع إيران يشوبها السرية والتكتم منذ قيام الثورة وحتى الآن، وما تراه اليوم ما هو إلا رتوش شكلية أمام الناس حتى لا يعلم العالم عن حجم التعاون بيننا فتفسد خطط حكمائنا. . . أفهمت. . ؟

وافقها **إبراهام** على تفكيرها مرغماً. . . وراح يستمع إلى المناقشات الدائرة. .

* * * *

هايدي في الكباريه

عادت **هايدي** من السوق ومعها أجمل الفساتين. .وصفّفت شعرها وأدخلت إليه بعض الألوان الذهبية. .

لّما حلَّ المساء ارتدت أجمل فساتينها. . .وراحت تنظر إلى نفسها في المرآة، وقد أعجبها حالها الجديد وجمالها. .وصارت تدندن بصمت. .

تقدمت إليها الخادمة: سيدتي السيد عباس يتغوط كثيراً وقد احترت ماذا أفعل معه. . !!

نظرت إليها باشمئزاز: تتقاضين مقابل عملك راتباً شهرياً كبيراً. .

الخادمة: لكن يا سيدتي لم أجد واحداً مثله. . !!

ضحكت **هايدي**: خففي عنه الطعام. .فيقِلُّ تغوطه. . !

الخادمة: لكن يا سيدتي كلما نظر إليَّ أشار إلى فمه يريد الطعام، فهو شره جداً. .وهذا ليس حال المرضى. . !

تركتها **هايدي** دون أن ترد عليها، واستمرت بوضع الماكياج على وجهها. .

مع دخول الساعة التاسعة والنصف. .وصل إبراهام ليقلَّ هايدي إلى عملها الجديد. .

دخلت **هايدي** باب الكباريه، وبدأت تتأمل داخله. .فرأته يغصُّ بالزبائن ورائحة الخمر والسجائر تملأ المكان. .فتراجعت خطوة إلى الوراء لتستعيد بعض الهواء النقي. . لكن إبراهام عاجلها بأن وضع يده على ظهرها لتدخل. .فتقدمت على استحياء، ومشى بها إلى أن أوصلها إلى مكتبها: من هنا تديرين المحل. . .وعندك العديد من الراقصات. .فلا تبخلي عليهن. . .وكل شيء له حسابه. . .ثم تركها وخرج مغادراً. . .

وقفت خلف الباب تتأمل الصالة. . .فوقع نظر أحدهم عليها، فقام من مكانه ودخل إليها: ما اسمك يا حلوتي. . .؟

شعرت **هايدي** بالخوف: هايدي. . .

وما إن سمع باسمها حتى قال: شالوم هايدي. .أنت عربية. .؟

هايدي: لا أنا فارسية. . .؟

اليهودي: ما أجملك. . .!!

تبسمت **هايدي** وتصنعت الخجل. .لكن قلبها بدأ يدق طرباً لما سمعته: شكراً لك. .مسيو. . . .

اليهودي: بنيامين بن يسحر. . . .هل أنت راقصة جديدة. . .؟

هايدي: لا. .أنا شقيقة صاحب المحل. . .

بنيامين: ها. . .ألا تحسنين الرقص. .؟

هايدي: لا. .

بنيامين: أنا أستاذ فيه. .ثم أمسك بيدها ليراقصها. .لكنها ارتعدت لجرأته. . .فوقفت على الفور وطلبت من أحد الحراس إخراجه من الغرفة. . .ثم جلست والخجل مسيطر عليها. .

* * * *

طلب الدكتور مؤيد من الطلاب، تقديم أسئلتهم، فانهالت عليه المئات منها في لحظة واحدة. .

نظر إليها الشيوخ وارتسمت على وجوههم علامات السرور. .فقال شاهر: أشعر بالزهو لهذا العدد. .وأثر العلم بدأ يظهر على الناس. .!!

الدكتور مؤيد: انظر إلى هذه الجموع الغفيرة. .فهي والله تفوق أعداد الطلبة بعشرات المرات. .

أعاد الدكتور النظر إليهم: وكأن بعضهم يتكدّس فوق بعض. .!

الدكتور مؤيد: لو استطعنا أن نستأجر قاعة كبيرة لهذه المحاضرة..لكان أفضل للحاضرين..

الدكتور **شاهر**: أو نجلس في أحد المساجد الكبيرة..فهي تتسع لأعداد كبيرة..

الدكتور مؤيد فكرة سليمة..وماذا تقترح..وقد منعتنا الأوقاف من ذلك سابقاً..؟

الدكتور **شاهر**: أظن مسجد الغواص في الميدان يكفي لهذه المناسبة..وما علينا إلا تناسي المنع..

الدكتور مؤيد: وهل نصرف الطلاب الآن..؟

الدكتور **شاهر**: أراها فكرة سديدة..ولنؤجل محاضرتنا ليوم غدٍ..فعسى أن يأتي المزيد..فإني والله أرى الظفر في وجوه الحاضرين..!

توجه الدكتور مؤيد إلى الحضور: إخواني الحضور..نشكر لكم وجودكم في هذه المدرسة..ونحن نتطلع إلى أكثر من ذلك..فالحشود الكبيرة التي غصَّ بها المكان، دفعت بنا إلى اختيار جامع الغواص؛ ليكون مكان لقائنا الجديد، ليتسع الجميع فإلى يوم غدٍ نلتقي إن شاء الله..

ضجّت القاعة بالاحتجاج..فما كان من الدكتور شاهر إلا أن وقف موجهاً كلامه لهم: ليس بين اليوم وغدٍ إلا ساعات معدودة..وتساءل: ألا تريدون أن تكون الفائدة أكبر..؟

الطلاب بصوت واحد: بلى...

الدكتور: إذن..نحن متفقون...فقد ارتأى شيوخكم أن تكون المحاضرات في المستقبل في المسجد؛ لأن فيه متسعاً وفسحة كبيرة لكم..فجهزوا أسئلتكم وتسجيلاتكم اليوم..والسلام عليكم...ثم انطلقوا خارجين.

* * * *

الصيد الثمين

مضت الأيام والأسابيع على كسرويه وجماعته كأنهما دهر طويل. . وأخذوا يفكرون بشكل جدي في العودة إلى إيران. . فلما حزموا أمرهم واستقر رأيهم. . دخل عليهم زكريا، فوجد حالهم واستعدادهم للسفر: إلى أين. . ؟

كسرويه باستياء وملل: لقد أصابنا العفن هنا. . وعلينا أن نعود إلى بلادنا. .

زكريا: أولو جئتك بخبر ثمين. . . !!

نظر إليه كسرويه بزهد: وهل يأتي منكم خير. . . ؟

زكريا بهدوء: نعم. . نحن كلنا خير. . . ولن أحاسبك عن قولك الآن. . !!

كسرويه باستهزاء: أتحفنا بما عندك. . . ؟

زكريا: علينا أن نتحدث على انفراد. . أنا وأنت فقط. . .

شعر كسرويه بأهمية الموضوع. . فقام معه على الفور ودخلا الغرفة وأغلقا الباب خلفهما. .

أمسك زكريا برأس كسرويه وقربه إليه وهمس في أذنه: عندنا حوت كبير. .

كسرويه والاهتمام باد على وجهه: حوت. . أي حوت. . ؟

زكريا: غداً سيقوم الحوت بزيارة إلى إحدى المدن الجنوبية. . . !

كسرويه: من تقصد بالحوت. . ؟

اقترب منه وهمس في أذنه. .

كسرويه بدهشة: ماذا. . . ماذا قلت. . أعد عليَّ ما قلت. . . ؟

همس مرة أخرى: أسمعت الآن. . ؟

فما كان من كسرويه إلا أن اعتنقه بقوّة وقبّله. . . يا للعباس كم ظلمتك. . . والله إنه لحوت كبير جداً. . وهذا سيكفِّر عني تأخري لهذا الوقت. . !!

زكريا: أرأيت..إنَّ علياً مع الصابرين...!!

كسرويه: نعم صدقت..ومتى سنتحرك..؟

زكريا: اليوم ليلاً..تجهزوا واتركوا أسلحتكم هنا...

كسرويه: وكيف سنعمل بدونها...؟

زكريا: عندنا كافة التجهيزات هناك..فلا تهتم...ستجد أنواعاً مختلفة من الأسلحة..!!

كسرويه: بوركت يا أخي...

زكريا ضاحكاً: الآن أنا أخوك..قبل قليل كنت عدوك..أليس كذلك..؟

كسرويه: كنت مكتئباً...فسامحني..

زكريا: عليٌ هو المسامح..فلا تهتم..وقم الآن وجهزوا أنفسكم...سأعود في الساعة السابعة لأقلكم...

كسرويه: سترانا واقفين خلف الباب..

* * * *

طلب **آية الله مهدي** ميرزا الاجتماع مع قادة العمليات والمخابرات وقائد الحرس الثوري..فتسارعوا إليه على الفور..فدخل إليهم متجهم الوجه عابساً كعادته، قد تهدل حاجباه على عينيه، مطرقاً إلى الأرض..

جلس في صدر المجلس..وأشار إلى الحاضرين بالجلوس، ثم قال لهم: ما هي تقاريركم...؟

تقدم إليه **آية الله محمد** الطوساني: مولاي عندنا شيء مهم جداً..

مهدي: تفضل قل ما عندك..

محمد: أُفضِّل أن يكون الأمر على انفراد يا مولاي...!!

آية الله مهدي: لا بأس بعد الاجتماع...ثم قال للباقين: هل من جديد...؟

باقر آبادي: مولاي...كل شيء على ما يرام، وتعليماتك تنفذ بدقة

متناهية.. وهي تحقق النجاح الباهر على كل الجبهات..

آية الله مهدي: أحسنتم.. ولكنني جمعتكم اليوم لشيء أهم..!!

آية الله محمد: نعم يا مولاي.. نحن نستمع إليكم..

آية الله مهدي: نحن نمر بفترة عصيبة.. فدولتنا فتية، وعودها مازال غضاً.. لذا علينا أن نستعين بحلفائنا..

باقر آبادي: من هم يا مولاي...؟

آية الله مهدي: اليهود يا باقر.. فنحن وهم مضطهدون في الأرض.. وأرى أن نتصل بهم ليقدموا لنا يد المساعدة...!!

باقر آبادي: لكن يا مولاي.. اتصالنا بهم سيشوه سمعتنا عند المسلمين.. وأنت كما تعلم نرفع راية الإسلام.. وبذلك نخسر مؤيدينا..!!

آية الله مهدي: أراك غبياً هذا اليوم... هل سنتصل بهم علناً..؟.. سيكون اتصالنا من وراء الكواليس.. فلهم عندنا مصالح كثيرة.. ولنا عندهم مثلها...

آية الله محمد الطوساني: وكيف سنتصل بهم..؟

أظهر **آية الله مهدي** الاهتمام: الأمر سهل جداً.. فعندنا مواطنون يهود في إيران.. وتربطني بالعديد منهم علاقات وثيقة.. وما علينا إلا أن نتصل بهم... ثم تذكر موت عميرو وسفر ابنته راحيل إلى النمسا فتأسف في نفسه أشد الأسف لضياع تلك الفرصة..

باقر آبادي: أنا سأتكفل بتلك المهمة يا مولاي..!!

آية الله مهدي: لا.. دع الأمر لي... وقم الآن بالتحرك، وخذ معك الجميع.. وأشار على **آية الله محمد** الطوساني بالبقاء...!!

وما إن خرجوا حتى قال له: هاتِ ما عندك..؟

آية الله محمد بهمس: مولاي.. وصلني قبل اجتماعنا، أن مجموعاتنا ستقوم غداً بعملية كبيرة جداً في العراق...

آية الله مهدي: ما هي..؟

همس **آية الله محمد** في أذنه كمن يخشى أن يسمعه أحد..

صاح **آية الله مهدي**: ماذا...أحقاً ما تقول..؟

آية الله محمد: إي والعباس...!!

آية الله مهدي والفرح بادٍ على وجهه: عليكم بتأمين كل مستلزمات العملية فوراً، وإرسالها إليهم قبل التنفيذ لنضمن نجاحها..

آية الله محمد: لم يبقَ لدينا وقت..فالعملية غداً صباحاً..وقد أخبرونا باستعدادهم الكامل لها..

ضرب **آية الله مهدي** كفّاً بكف: أخشى أن يكونوا بحاجة إلينا..

آية الله محمد: لا أعتقد..وإن كانوا بحاجة لشيء فلا نستطيع إيصاله الآن..فالحدود مربوطة من قبل الأمن، تحسباً لمثل هذه الحالات..وازداد الاستنفار منذ الأمس، لتغطية مناطق شيعتنا، خشية قيامهم بأي شيء..

شعر **آية الله مهدي** بالضيق: إياك أن يعلم أحد بما أخبرتني...وسأبقى إلى الغد مستيقظاً، لأسمع خبر العملية...وكونوا مستعدين لأي طارئ..

آية الله محمد: لكن يا مولاي..!!

آية الله مهدي: اخرس واسمع...انهض الآن وتابع الأمور، وأخبرني بها أولاً بأول..ثم نادى على سكرتيره: ألغِ جميع المواعيد اليوم وغداً..ثم عاد إلى قصره...واختلى بنفسه مفكراً بما سيجري..

* * * *

بعد صلاة العشاء مباشرة...جلس الدكتور شاهر ورفاقه عند المحراب..وراحوا يتأملون الجموع التي تضاعف عددها إلى أكثر من ألف رجل..حتى أن العديد منهم افترش الشوارع الخارجية، ليستمع إلى شيوخ الشام..على الرغم من البرد القارس الذي يعصف بهم...حتى مصلى النساء عجّ بهن..

تقدم أحد الحاضرين وبيده صندوق صغير، فوضعه أمام الدكتور شاهر، الذي نظر فيه..فهاله القصاصات الورقية التي ملأته، فتناول إحداها..فقرأ السؤال..فوجده يتناول تحريف القرآن..فقال: إخواني..لقد تكلمنا في المحاضرة الماضية عن قول الشيعة في تحريف القرآن..وأظن أن المحاضرة مسجلة..ويمكن لمن فاته الاستماع إليها أن يسمعها...ثم تناول أخرى..ثم أخرى..فرأى وجه التشابه بين الأسئلة..إلى أن وجد سؤالاً يقول: ما هو وجه التشابه بين الشيعة واليهود في الوصية بالإمامة:

الدكتور **شاهر**، نقول وبالله العون والتوفيق:

أولاً: نبدأ باليهود: يرى اليهود ضرورة تنصيب وصي من بعد موسى، يقوم مقامه في إرشاد الناس ,وقد جاءت عدة نصوص في التوراة وغيرها من أسفار اليهود، تبين أن الله تعالى طلب من موسى أن يوصي ليوشع بن نون قبل موته، ليكون مرشداً لبني إسرائيل...فقد جاء في سفر العدد الإصحاح السابع والعشرين: فقال الرب لموسى: خذ يوشع بن نون، رجلاً فيه روح وضع يدك عليه وأوقفه قدام العازر الكاهن، وقدام كل الجماعة، وأوصه أمام أعينهم...إلى أن قال: ففعل موسى كما أمره الرب...أخذ يوشع وأوقفه قدام العازر الكاهن وقدام كل الجماعة ووضع يده عليه وأوصاه كما تكلم الرب عن يد موسى..

هذا النص يدل دلالة واضحة على ضرورة تنصيب وصي بعد موسى، ويعرف هذا من عدة أوجه:

الوجه الأول : طلب الله تعالى من موسى أي يوصي قبل موته.

الوجه الثاني: مما يدل على أهمية هذا المنصب أن الله تعالى، لم يترك الاختيار لموسى أو لبني إسرائيل في اختيار الوصي بعد موسى، بل نصَّ عليه سبحانه وتعالى بنفسه وسماه يوشع بن نون كما يعتقدون .

أما الشيعة فيقولون:

أن الوصي بعد النبي ﷺ هو علي بن أبي طالب، وأن الله هو الذي اختاره

لذلك ,وأن اختياره لهذا المنصب، لم يكن من قبل النبي ﷺ ,وإنما جاء من الله تعالى. . .

وقد جاء في كتاب بصائر الدرجات عن جعفر الصادق قال: عرج بالنبي إلى السماء مئة وعشرين مرة. .ما من مرة. .إلا وقد أوصى الله النبي بولاية علي والأئمة من بعده، أكثر مما أوصاه بالفرائض. .

والإمامة عندهم، ركن من أركان الإسلام، ولا يتم إيمان المرء إلا بالإتيان بها، فقد جاء في أصول الكافي عن أبي جعفر أنه قال: بني الإسلام على خمس على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم ينادِ بشيء كما نودي بالولاية. . .

بل إن الإمامة عندهم مقدمة على سائر أركان الإسلام، فقد روى الكليني عن أبي جعفر أنه قال: بني الإسلام على خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية قال زرارة فقلت : وأي شيء من ذلك أفضل. .؟ فقال الولاية، من كتاب الكافي المجلد الثاني ص١٨ .

فالولاية أفضل من الصلاة والزكاة والحج والصوم، كما ذكر ذلك الكليني في كتابه الكافي.

وعندهم أيضاً: أنه من أتى بأركان الإسلام ولم يأتِ بالولاية، فإن تلك الأعمال لا تقبل منه ولا تنجيه من عذاب الله يوم القيامة، وقد بالغ هؤلاء في الإمامة، حتى إنهم زعموا أن الأرض لا يمكن أن تبقى بدون إمام، ولو بقيت بدون إمام ولو لساعة واحدة لساخت بأهلها ,فقد روى الصفار في كتابه بصائر الدرجات باباً كاملاً في هذا المعنى عنون له بقوله. .باب أن الأرض لا تبقى بغير إمام ولو بقيت لساخت. .ومما أورد تحته من الروايات ما رواه عن أبي جعفر قال: لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لساخت بأهلها كما يموج البحر بأهله. .من كتاب بصائر الدرجات للصفار ص٥٠٨ . . .

أما عقيدة الشيعة في الوصية فيمكن تلخيصها في النقاط التالية :

١- اعتقاد الشيعة الإمامية أن الله تعالى ناجى علياً. . .حيث روى شيخهم المفيد

في كتابه الاختصاص ص٣٢٧، هذه الرواية التي تقول عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله: بلغني أن الرب تبارك وتعالى قد ناجى علياً فقال: أجل. .قد كانت بينهما مناجاة بالطائف، نزل بينهما جبريل. . .انظروا إلى هذا الكفر.

وكذلك روت الشيعة كذباً وزوراً، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله ناجى علياً يوم الطائف، ويوم عقبة تبوك ويوم خيبر. .من كتاب الاختصاص للمفيد ص٣٢٨ .

٢- اعتقادهم نزول الوحي على الأوصياء، فقد روى الصفار في كتابه بصائر الدرجات ص٤٧٦ رواية عن سماعة بن مهران قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إن الروح خُلق أعظم من جبريل، وميكائيل كان مع رسول الله يسدده ويرشده وهو مع الأوصياء من بعده. .

وكذلك روى محمد باقر المجلسي في كتابه بحار الأنوار، المجلد السادس والعشرين ص٥٥ عن أبي عبد الله أنه قال: إنَّ منا لمن يُنكت في أذنه، وإن منا لمن يرى في منامه، وإن منا لمن يسمع الصوت مثل صوت السلسلة التي تقع على الطست. . .(كما كان يأتي على رسول الله). . .

٣- اعتقادهم أن الأئمة بمنزلة الرسول ﷺ ,حيث جاء في كتاب الكافي المجلد الأول ص٢٧٠ عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا عبد الله يقول: الأئمة بمنزلة الرسول. .إلا أنهم ليسوا بأنبياء، ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي، فأما ما خلا ذلك فهم فيه بمنزلة رسول الله صلى الله عليه. .

هذه عقيدة اليهود والشيعة في الإمامة والوصية. .وما نسبوه إلى عصمتهم زوراً وبهتاناً. .

والآن لنجمع نقاط الالتقاء بينهما:

١ - اتفاق اليهود والشيعة على ضرورة تنصيب وصي بعد النبي، وقد شبهت اليهود الأمة التي بغير وصي بالغنم التي لا راعي لها.

قالت الشيعة إن الأرض لو بقيت بغير إمام لساخت ,وكلا القولين يحتم وجوب

تنصيب وصي وأنه لا غنى للناس عنه.

١- اتفاق اليهود والشيعة على أن الله تعالى هو الذي يتولى تعيين الوصي ,وليس للنبي اختيار وصي من بعده ,وقد دلّت نصوص اليهود أن الله هو الذي أمر موسى أن يتخذ يوشع وصياً له..

ودلت روايات الشيعة أن الله تعالى هو الذي أمر نبينا ﷺ أن يتخذ علياً وصياً، وأن ولاية علي جاءت من فوق سبع سماوات...

٢- اتفاق الشيعة واليهود على أن الله يكلم الأوصياء، ويوحي إليهم، فقد زعم اليهود أن الله خاطب يوشع مباشرة أكثر من مرة، كما دلت على ذلك نصوص كتبهم

والشيعة تزعم أن الله ناجى علياً رضي الله عنه أكثر من مرة في أكثر من موضع على حسب ما جاءت به رواياتهم .

٣- ينزل اليهود والشيعة الوصي منزلة النبي، كما جاء ذلك في أسفار اليهود وفي روايات الشيعة ومن كتبهم المعتمدة .

خرج طالب من بين الصفوف وأخذ يصيح بصوت عالٍ..شيخنا...شيخنا...

نظر إليه الدكتور: يا بني..كن صبوراً..فعندنا المئات من الأسئلة..

الطالب: شيخنا: لو انتظرت سؤالي فسيفوتني الوقت..ولكن أرجوك أن تسمع مني..

استدار الدكتور بوجهه إليه: هاتِ ما عندك...

الطالب: شيخنا أرجو أن تتكلم عن تشابه الشيعة واليهود في المسيح والمهدي المنتظرين..؟

نظر الدكتور **شاهر** إلى الدكتور مؤيد: أجب عن السؤال..

تقدم الدكتور مؤيد: كما تعلمون أن اليهود ينتظرون خروج رجل من آل داود يحكم العالم، ويعيد لليهود عزهم ومجدهم، ويستعبد جميع الشعوب، ويسخرهم لخدمتهم ,ويطلقون على هذا الرجل الذي سيأتي بزعمهم في أخر الزمان اسم المسيح المنتظر ,حيث جاء في تلمود اليهود: إن المسيح يعيد قضيب الملك إلى بني إسرائيل،

فتخدمه الشعوب وتخضع له الممالك وعندئذٍ يمتلك كل يهودي ٢٨٠٠ عبداً و ٣١٠ بطلا يكونون قائمين تحت إمرته...

ويعتقد اليهود كذلك أن المسيح عندما يخرج يجمع مشتتي اليهود من كل أنحاء الأرض، ويكّون منهم جيشاً عظيماً، ويكون مكان اجتماعهم في جبال أورشليم في القدس، حيث جاء في سفر أشعيا الإصحاح السادس والستين: ويحضرون كل إخوانكم من كل الأمم، تقدمة للرب على خيل وبمركبات، وبهوادج وبغال وهجن إلى جبل قدسي أورشليم.

أما الشيعة فيقولون: عندما يخرج المهدي، يجتمع إليه الشيعة من كل مكان, ويكون مكان اجتماعهم المدينة المقدسة عند الشيعة وهي مدينة الكوفة...ومما جاء في كتاب بحار الأنوار للمجلسي المجلد ٥٢ ص٢٩١ عن أحد موالي أبي الحسن قال: سألت أبا الحسن عن قوله: (أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً)، قال: وذلك والله أن لو قد قام قائمنا، يجمع الله إليه شيعتنا من جميع البلدان...فالشيعة جميعهم يجتمعون إلى القائم من كل أنحاء الأرض تماماً مثل اعتقاد اليهود.

والاجتماع ليس مقصوراً على الأحياء، بل حتى الأموات من اليهود يحييهم الله ويخرجهم من قبورهم، لينضموا إلى جيش اليهود الذي يقوده المسيح، كما جاء في سفر حزقيال الإصحاح ٣٧ .

والشيعة تقول: عندما يخرج ويرجع مهدي الشيعة، يحيي الأموات من أتباعه الشيعة، ويخرجون من قبورهم لينضموا إلى معسكر المهدي...

ويقول اليهود: عندما يأتي المسيح يخرج جثث العصاة ليشاهد اليهود تعذيبهم..

وكذلك فإن مهدي الشيعة يخرج الصحابة من قبورهم ويعذبهم ,وأول ما يبدأ به هو إخراج خليفتي رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فيعذبهما...

ومهدي الشيعة أشد تعصباً ,فلا يقاتل من أجل عقيدة أو دين وإنما يقاتل بعض الأجناس دون بعض...ومن الذين يقتلهم: العرب وخاصة قبيلة قريش حيث روى المجلسي في بحار الأنوار المجلد ٥٢ ص٣٥٥ عن أبي عبد الله أنه قال: إذا خرج

القائم لم يكن بينه وبين العرب وقريش إلا السيف..

وعن أبي جعفر قال: لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج، لأحب أكثرهم أن لا يروه مما يقتل من الناس..

حتى الأموات فإنهم لا يسلمون من عذاب مهدي الشيعة؛ لأنه يخرجهم من قبورهم فيضرب أعناقهم، كما روى المفيد في الإرشاد ص٣٦٤ والمجلسي في بحار الأنوار المجلد ٥٢ ص٣٣٨ عن أبي عبد الله أنه قال: إذا قام القائم من آل محمد، أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثم خمسمائةٍ أُخرى حتى يفعل ذلك ست مرات..

والمسيح يجمع اليهود من كل أنحاء الأرض، ويقوم بجمع الأمم الأخرى الذين ظلموا اليهود ويحاكمهم، ويقتص منهم على ما فعلوه باليهود، كما جاء في سفر حزقيال الإصحاح الثالث.

وتكون نتيجة هذه المحاكمة التي وضحها سفر زكريا الإصحاح ١٣ أنه يُقتل في ذلك اليوم ثلثا العالم على يد مسيح اليهود المنتظر..

أما ما قاله الشيعة: أن المهدي يقتل ثلثي العالم تماماً كما يفعل مسيح اليهود, حتى لا يبقى إلا الثلث، وهذا الثلث هم الشيعة طبعاً، فقد روى إمامهم الإحسائي في كتاب الرجعة ص٥١ عن أبي عبد الله قال: لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس، فقيل له: فإذا ذهب ثلثا الناس فما يبقى..؟ قال: أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي...؟.

وفي عهد المسيح المنتظر، كذلك تتغير أجسام اليهود وتطول أعمارهم، ومن التغير الذي يحدث لليهود بزعمهم أن أعمارهم تطول فيعمرون قروناً كثيرة، وكذلك تتغير أجسامهم، فتصل قامة اليهودي في ذلك الوقت إلى مائتي ذراع، حيث جاء في التلمود: إن حياة الناس حينئذٍ ستطول قروناً، والطفل يموت في سن المائة، وقامة الرجل ستكون مائتي ذراع...

أما قول الشيعة في ذلك: عندما يخرج مهدي الشيعة تتغير أجسام الشيعة، فتصير

للرجل منهم قوة أربعين رجلاً، ويطأ الناس بقدميه، وكذلك يمد الله لهم في أسماعهم وأبصارهم.

وفي عهد المسيح أيضاً كما يعتقد اليهود، تكثر الخيرات ,فتنبع الجبال لبناً وعسلاً، وتطرح الأرض فطيراً وملابس من الصوف، كما جاء ذلك في سفر يوئيل الإصحاح الثالث: ويكون في ذلك اليوم أن الجبال تقطر عصيراً، والتلال تفيض لبناً، وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماءً..

وعقيدة الشيعة تقول: في عهد مهدي الشيعة تكثر الخيرات، وينبع من الكوفة نهران من الماء واللبن، يشرب منهما الشيعة فقط..

أي تنبع له عينان من ماء ولبن ,حيث جاء في كتب الشيعة، أنه عندما يخرج المهدي ستنبع له في الكوفة عينان من ماء ولبن ,وأنه يحمل معه حجر موسى، الذي انبجست منه اثنتا عشرة عيناً، فكلما أراد الطعام أو الشراب نصبه.

وقد زاد الشيعة على اليهود كثيراً من الأمور فقالوا: إذا جاء مهدي الشيعة، فإنه يقوم بهدم كل المساجد، مبتدأً بالكعبة والمسجد الحرام، ثم بمسجد الرسول ﷺ، حتى لا يبقى مسجد على وجه الأرض إلا هدمه ,جاء في رواية عن المفضل ابن عمر: أنه سأل جعفر بن محمد الصادق عدة أسئلة، عن المهدي وأحواله، ومنها: يا سيدي فما يصنع بالبيت؟..أي الكعبة الشريفة..قال: ينقضه، فلا يدع منه إلا القواعد، التي هي أول بيت وضع للناس ببكة في عهد آدم عليه السلام، والذي رفعه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام منها..من كتاب الرجعة ص١٨٤ .

فمن هو مهدي الشيعة يا ترى...؟

أجاب الدكتور مؤيد نفسه: هو محمد بن الحسن العسكري، وهو الإمام الثاني عشر ,ويطلقون عليه الحجة ,كما يطلقون عليه القائم ,ويزعمون انه ولد سنة ٢٥٥هـ, واختفى في سرداب سر من رأى سنة ٢٦٥ هـ ,وهم ينتظرون خروجه في أخر الزمان، لينتقم من أعدائهم وينتصر لهم ,ولا زال الشيعة يزورونه في سرداب سر من رأى ويدعونه للخروج دائماً .

اهتزَّ المسجد لمّا سمعوا بهدم الكعبة والمساجد، وتعالت الصيحات..فما كان من الدكتور شاهر إلا أن قال: هذه عقيدة الشيعة إخواني القتل...التدمير..إخراج الأموات..تدمير المساجد..وغير ذلك وغير ذلك...فاحرصوا أن تكونوا من رواد العلم، لتفندوا أصول ضلالهم، ولتبينوا للناس كفرهم..واعلموا إن تثاقلتم عن العلم سيكون له عواقب وخيمة على أولادكم وبناتكم، وعلى دينكم مستقبلاً...والشيعة الآن تضرب بمعول هدمها جذور عقيدتكم وفي بلادكم...فماذا أنتم فاعلون...؟..

ارتجَّ المسجد بصياحهم: والله لن يمروا إلا على جثثنا ودمائنا..ولن ندع لهم أرض الإسلام، ليعيثوا فيها فساداً...!!

وقف الشيوخ وأشاروا إلى الجمع الغفير أن يهدأوا...

وما إن استقر حالهم حتى قال الدكتور مؤيد: موعدنا إن شاء الله بعد أسبوعين من الآن وفي نفس هذا المسجد...والسلام عليكم أيها الإخوة المؤمنون ورحمة الله وبركاته...

* * * *

أقلَّ زكريا كسرويه ومجموعته في إحدى سيارات المخابرات، ليضمن عدم إيقافهم من قبل رجال الأمن المنتشرين على طول الطريق الممتد إلى البصرة...وعند وصولهم وضعهم في مزرعة لأحد الموالين لهم، وقال لصاحبها: أرهم السلاح..

أنطلق بهم صاحب المزرعة ووقف أمام تنور قديم، وأشار إليه: السلاح هنا..

نظر كسرويه إلى داخله، فوجد بنادق رشاشة وبعض القنابل: أهذا فقط..؟

صاحب المزرعة: وماذا تريد غير ذلك..؟

كسرويه: نريد سلاحاً ثقيلاً...

صاحب المزرعة: السلاح موجود عندنا...من القاذفات وحتى الرشاشات الثقيلة...!

كسرويه: عظيم..أريد الآن أن أستطلع الشارع الرئيسي للمنطقة..

صاحب المزرعة: حسناً..هلمَّ بنا إذن..ثم أحضر ملابس خاصة بالفلاحين،

وبعض الحمير للتمويه فاستقلاها، وانطلقا يسيران على الجانب الموازي للطريق..

أخذ كسرويه يتأمل الطريق بدقة، ويضع المعالم الضرورية للعملية..ثم عاد إلى المزرعة، وجلس ينتظر زكريا..وما إن عاد حتى أطلعه على كل التفاصيل، ورسما الخطة معاً..لكن زكريا اعترض على بعضها: علينا أخذ الحيطة والحذر؛ لأن الهدف على دراية كاملة بالتمويه..وبذلك يذهب عملنا سدى..

كسرويه: رأي سديد..وكيف ستفعل ذلك..؟

همس في أذنه مرة أخرى..

صاح كسرويه فرحاً: يا عباس...!!

زكريا: دع العباس الآن...وخذ عناصرك واحداً تلو الآخر واشرح لهم مهامهم...ولا تذهبوا معاً كيلا يُشك بأمركم..وليرافقكم صاحب المزرعة خشية الشبهة؛ لأنه معروف في المنطقة..

كسرويه: أمرك..وأنا منذ الآن سأمتثل لأوامرك...فقد رأيت فيك قدرة عسكرية كبيرة..!

زكريا: اختصر كلامك، وانطلق الآن، فلا وقت لدينا..وعليكم أن تناموا الليلة جيداً، لترتاحوا أثناء التنفيذ..

كسرويه: حاضر..

نادى زكريا على صاحب المزرعة: كن معهم، ولا يتحركوا بعيداً عن عينيك أبداً..

صاحب المزرعة: حاضر..

زكريا: سأعود اليوم مساءً لأطمئن عليكم..ثم ودعهم وانصرف...

انطلق كسرويه، وسار مع أحد مساعديه، ليرسم له مهمته، متقيداً بتعليمات زكريا تماماً، ورافقه صاحب المزرعة...وظلَّ هذا عمله لعدة ساعات..ووضع سلاح التنفيذ في الأماكن المخصصة، ودفنها تحت التراب..لكيلا يثير نقلها الشبهة في اليوم الثاني..وما إن انتهى حتى عاد إلى المزرعة، فوجد الطعام قد مُدَّ على سماط كبير،

وتوسطه خروف صغير مشوي على الفحم. . .نظر كسرويه إلى الطعام وغادره دون أن يأكل لقمة واحدة. . .

سأله صاحب المزرعة: ما بك. .؟. .عليك أن تتقوى؛ لأن يوم غدٍ سيكون شاقّاً. .فإن لم تأكل توقف عقلك عن العمل. .

كسرويه: دعني. .والعباس لا استطيع أن أمضغ لقمة واحدة. . .!!

وما هي إلا لحظات حتى ترك الجميع طعامهم وقالوا مثل قوله. . .

نظر إليهم صاحب المزرعة باستغراب ودهشة: غريب. .أول مرة أرى أُناساً يتعففون عن الطعام. .

كسرويه: لم نتعفف. .لكن أعصابنا مشدودة جداً. .ثم سأله: لماذا لا تأكل أنت أيضاً. .؟.

سكت صاحب المزرعة قليلاً: والعباس. .أنا أيضاً لا أستطيع. .ولكن عسى أن تشرق شمس غدٍ بيوم جديد، وننعم بالفرج والبهجة والسرور. . .

تنهد كسرويه بحرقة: أرجو ذلك. .

* * * *

اللقاء المرتقب

بعد مشاورات مكثفة اتخذ رئيس الكنيست روبيل بن شمعون قراراً، يسمح الاتصال بشكل سري مع الدولة الفارسية. . .وانتدب إبراهام بن عباس صلة الوصل بين الدولتين. . .وأُعطي صلاحيات واسعة في التقريب بينهما. . .

استقل **إبراهام** الطائرة برفقة زوجته دينا. .وتوجها معاً إلى تركيا. . .كان في استقبالهما عضو المجلس يار كنعان الذي أقلهما إلى أحد الفنادق الفخمة المطلة على بحر الباسفور. . .

لم يتأخر الزوجان في الاتصال بالسفير الإيراني. .فهرع شهبور فارس على الفور للقائهما. .وطلبوا منه لقاء آية الله مهدي ميرزا. .

أظهر شهبور السرور وقال لهما بلباقة الدبلوماسي: سأتصل بحكومتي وأبلغهم بالأمر. . !!

دينا: شكراً. .

شهبور: عفواً. .

وعلى الفور اتصل بوزير الخارجية كريم الحيدري. .الذي تلقّى الخبر باستغراب كبير. . .فتناول الهاتف: ألو آية الله محمد الطوساني. . . !!

أجابه **آية الله محمد**: من معي. .؟

كريم الحيدري: معك وزير الخارجية. .

محمد: صباح الخير. . .ما عندك. . .؟

كريم: وصلني اتصال قبل ثوان، هناك شخصيتان من الكنيست الإسرائيلي يطلبان مقابلة الإمام. .

شعر محمد بالظفر فقال في نفسه: لقد جاءت على يديها. . . !!

كريم: هل أنت معي..؟

محمد: بالطبع..لكني أفكر في الأمر..أغلق الآن وسأعاود الاتصال بك بعد ساعة، ريثما أنهي اتصالاتي مع المسؤولين..

كريم: حاضر..والسلام عليكم...

أغلق محمد التليفون دون أن يرد عليه السلام..فقد كان على عجلة من أمره..

ثم أدار قرص الهاتف: ألو مولاي الإمام...!!

آية الله مهدي ميرزا: أراك على غير العادة..تتصل في وقت مبكر..!!

محمد: مولاي..وفد من أعضاء الكنيست الإسرائيلي يود لقاءكم الكريم...

شعر **آية الله مهدي** بالسرور، وملأت البهجة وجهه: لا بأس...فأين هم الآن...؟

محمد: في تركيا...

مهدي: أرسلوا إليهم ليأتوا، فأنا في انتظارهم، وقد سبقونا باتصالهم...!!

محمد: على الفور يا مولاي..

مهدي: دع الأمر لا يخرج للعلن، وتحرَّ السرية في أمرك..

محمد: أمرك يا مولاي..

وما إن حلَّ المساء، حتى ضُرب حاجزٌ أمني حول المطار..فمُنع الدخول إليه إلا للمسؤولين المكلفين باستقبال الوفد...كان على رأسهم آية الله محمد الطوساني..وباقر آبادي..ووزير الخارجية كريم الحيدري..والسفير الإيراني في تركيا..

استقلَّ الوفد سيارة المراسم الرئاسية المخصصة للوفود عالية المستوى...وحطَّت بهم في فندق هاروت..وبعد ساعة من وصولهم، طلبوا لقاء آية الله مهدي...فاستجيب لطلبهم على الفور، وأجروا اتصالاتهم معه، وما هي إلى ساعة حتى كانوا أمام قصره..

تقدمت **دينا** منه: مساء الخير..

نظر إليهم مهدي وأطال في إمعانه..لكن إبراهام تقدم إليه مصافحاً: السلام عليكم..

أمعن به مستغرباً: ألست مصطفى...؟

إبراهام: ها..قد عرفتني يا مولاي...!!

استدار **آية الله مهدي** إلى **دينا**: وجهك ليس غريباً عني..!!

ضحكت وقالت بلباقة: بالطبع أنت تعرفني..أنا دينا..وهذا زوجي مصطفى..وقد التقينا قبل سنوات في بيت عمي عميرو..!!

وضع آية الله يده على جبينه كمن فاته شيء وتذكره: ها...نعم...نعم..قد تذكرت..ثم التفت إلى مصطفى: إذن أنت ابن عاملنا عباس...

إبراهام: نعم يا مولاي...!!

مهدي: الذي سرق أموالنا وفرَّ بها..

إبراهام: قد أخذ جزاء عمله الآن..فهو مُقَعَدٌ..وفاقدٌ عقله..

مهدي: كنت أعلم أن الإمام لن يدع الخائن حتى يأخذه..

سكت الجميع للحظات، إلى أن أتمَّ مهدي كلامه...ثم بادرته دينا بالكلام: لقد اختارنا الكنيست للتفاوض معكم حول كل المسائل المشتركة، وتذويب أي مشكلة تعترضنا..

أشرق وجهه: وأين المشاكل لا سمح الله..إن الذي بيننا أكبر من أي مشكلة...وصراعنا مع عدونا المشترك يمحو أي مشكلة..هذا إن وجدت..

إبراهام: مولاي...!!

مهدي بسعادة: الآن قد رجعت إلى أصلك..

إبراهام: نحن سواء..والعين لا تعلو على الحاجب..

مهدي: أحسنت..وأحسنت الكنيست عندما اختارتكما..

دينا: شكراً لسماحتكم وحسن كلامكم...والآن نحن أتينا كما تعلم لتقديم

مساعدتنا الكاملة لثورتكم. .والتي هي بالأصل ثورتنا. .

مهدي مزهواً: أحسنت يا دينا. .

دينا: هل من الممكن أن تطلعونا عن احتياجاتكم. .؟

مهدي: بالطبع. .فنحن نحتاج إلى السلاح والعتاد. . .فحربنا ستكون طويلة مع أعدائنا. .

إبراهام: كما تعلم يا مولاي. .دولتنا تشاطركم حربكم ضد أي عدو يتربص بكم. .وسنعمل بكل قوتنا ونفوذنا حتى يكون لكم مكان على الساحة الدولية. .

أضافت **دينا**: أما السلاح والعتاد. .فشيء بسيط ويسير. . .وسيكون بيننا وبينكم جسرٌ جويٌ لهذه المهمة. . !!

مهدي: شكراً لكم. .

دينا بجرأة: ولنا عندكم طلب بسيط. .

مهدي: ما هو. .؟

دينا: عندنا قائمة بالعلماء العراقيين. .نتمنى تصفيتهم بأسرع ما يمكن. . . !!

مهدي: هذا أمر نقوم به منذ أشهر. .وهو بند في إستراتجيتنا. .وقد بلَّغنا عميرو رحمه الله بهم قبل ذلك. . .

دينا: إذن نحن متفقون. .وأخرجت من حقيبتها ورقة. .وقدمتها له. .

نظر فيها مهدي وأطال النظر: اعتبروا الأمر قد انتهى. .

شعر **إبراهام** بأن المقابلة قد انتهت. .فهمَّ بالوقوف. .لكن مهدي عاجله بالقول: كيف حال هايدي. .؟

إبراهام: بخير وأرسلت معي تحية لك. .

تبسَّم مظهراً اللباقة: بلغها تحياتي الحارة. .وإن أرادت أن تزور بلدها. .فأهلاً وسهلاً بها. .

إبراهام: شكراً لكم يا مولاي. . . !!

طلب مهدي ميرزا من الحضور إخلاء القاعة..وأشار إلى آية الله محمد الطوساني وإبراهام ودينا بالبقاء..وخاطب دينا: عندي خبر عظيم..وربما يكون هديتنا لكم بهذه المناسبة..

بدا على وجه إبراهام ودينا حب المعرفة...فتطاولت رقابهما ليسمعا منه..

جلس مهدي وأشار لهما أن يجلسا قريبين منه: غداً ستسمعون ما يسركم..

نظرت إليه **دينا** والدهشة ملأت وجهها: أخبرنا فنحن نشعر بالفضول...!!

اقترب مهدي منها متجاهلاً نظرات محمد إليه وأخبرها بالمهمة التي ستنفذ..وأضاف: نحن نتكتم على الخبر..ولولا ما بيننا من مودة وتحالف..لما أخبرتكم..فأرجو إبلاغ حكومتكم بذلك...

لم تستطع **دينا** أن تخفي فرحتها..فظهرت على وجهها آثارها..والبسمة لا تفارقها؛ كأنها أصبحت جزءاً من تقاطيع وجهها...وقالت في نفسها: هذا أول نجاح لمهمتنا..فخبر كهذا سيكون له أثره الكبير..وسنكون أول مطّلع عليه..ثم خرجت عن حديث نفسها: هل يريد سماحتكم أي مساعدة عاجلة لتحقيق نجاح العملية..فنحن على استعداد لها فوراً..

مهدي: ربما فيما بعد...أما الآن فلا...

إبراهام: مولاي نحن دولة قوية، ونتمتع بقدرات استخباراتية هائلة...وأعتقد أن تعاوننا في هذا الأمر سيحقق ما نرجوه..

مهدي: أقدر لكما اهتمامكما وحرصكما..لكن الوقت ضيق جداً..

دينا: نستطيع تزويدكم بأسلحة غير تقليدية لتنفيذ العملية..!!

مهدي: شكراً لكما..فالوقت كما أخبرتكما ضيق للغاية، وربما لن يتجاوز الساعات من الآن فضلاً عن التشديد الأمني على حدودنا..مما يمنع دخول وخروج أي شيء..!!

استجابت **دينا** إليه على مضض: نتمنى لكم التوفيق والنجاح...ثم عادا متوجهين إلى الفندق..

وما إن غادرا حتى أعطى آية الله مهدي ورقة دينا إلى آية الله محمد الطوساني. . افعل ما يلزم. . .

محمد: حاضر يا مولاي. .

* * * *

مع تمام الساعة الثانية عشرة ليلاً، دخل زكريا حكمت إلى المزرعة، وأيقظ كسرويه ومجموعته على عجل. . .

لم يذق كسرويه طعم النوم بعد: خير لقد أخفتني. . !!

زكريا: عليكم أن تأخذوا أماكنكم الآن وقبل بزوغ الفجر. .

كسرويه: هل من جديد. . ؟

زكريا: هناك تحركات كبيرة في الخارج. . .

كسرويه: وماذا سنفعل. . أحسُّ بعقلي تعطل عن التفكير، وأعصابي مشدودة منذ أول أمس. .

زكريا: عليكم أن تجلسوا في أماكنكم الآن. . وموِّهوها بشكل جيد. . !!

كسرويه: ماذا نفعل. . ؟

زكريا: هل أشرح لك عملك. . ألم تتدرب. . ؟

كسرويه: الضغط المتواصل أنساني حتى المبادئ البسيطة. . . !!

زكريا: لا بأس. . . ثم التفت إلى صاحب المزرعة. . ضع كل واحد في مكانه، وضع فوقه التراب وبعض الأعواد، ولينتظر الوقت المحدد. . ولا تنسوا أن تكون نقطة التقائنا بعد العملية في هذه المزرعة. . . وليكن انسحابكم بشكل فردي. . وأشدد. . بشكل فردي حتى لا يقع الجميع إذا حدث أي طارئ. .

ركب الجميع في إحدى العربات يجرها حصان. . . وبعد نصف ساعة جلس كل واحد في مكانه، بعد أن غطّى نفسه بالتراب والحشائش والأعواد. .

كان التمويه جيداً جداً. . حتى أن سيارات الأمن، التي كانت تجول المنطقة قبل

عدة ساعات لم تلحظ وجودهم. .والناس ينظرون إلى تلك التحركات دون أن يعلموا سبباً لهذا الاستنفار الغريب. .!!

* * * *

استقلت **دينا** وإبراهام الطائرة عائدين إلى تركيا. .فجلسوا ساعة في المطار ثم غادروا إلى تل أبيب. . .

بدأت **دينا** فور هبوطها المطار بالاتصال بأعضاء الكنيست. . .وأخبرت روبيل بن شمعون. .بأهمية الاجتماع. .

روبيل: ماذا هناك. .اليوم يوم السبت. .ألا يؤجل الأمر إلى الغد. .؟

دينا بعصبية: لا سبت لنا. .الأمر أكبر من السبت والقردة والخنازير. .!!

شعر روبيل من كلامها بأن أمراً خطيراً سيحدث: لا بأس. .بعد ساعة من الآن. .

دينا: حسناً. .وأنا سأذهب إلى البيت لتغيير ملابسي. .

قبل مضي الساعة توجهت دينا إلى مقر الكنيست، ومعها إبراهام. .وما إن دخلوا حتى كانت القاعة تغصُّ بالحاضرين. .وأعينهم ورقابهم تتطاول نحو الباب. .ترقب وصولهم. .

أطلَّت على القاعة. .فوجدتها هادئة جداً على غير عادتها. . .فأسرعت بخطواتها نحو المنصة: عندي خبر مهم جداً، وصلني من حليفنا آية الله مهدي. .

روبيل بشغف: أخبرينا. .؟. .

دينا: هو سري للغاية وأرجو من الجميع التكتم التام عما ستسمعون. .وأخبرتهم الخبر. .

بدأت صيحات الذهول تسمع من أرجاء القاعة. .فما كان من دينا إلا ضربت على المنصة بقوة. . .فعادت القاعة صامتة كما بدأت. .

روبيل: يا عزيز. . .إنها بحق بشارة عظيمة. . .

دينا بزهو: وجاءت على يدي ويد زوجي...!!

ضجَّت القاعة بالتصفيق الحار..وأخذت الصيحات تتعالى من هنا وهناك، محيية دينا وزوجها..فأخذها الكبرياء..فرفعت رأسها، ملوحة بيدها..وتقدمت إلى زوجها وأخرجته من بين الصفوف، وأوقفته إلى جانبها..وقالت له بهمس: انظر إلى هذه العظمة..هل كنت تحلم بتلك المكانة...؟

فما كان من **إبراهام** إلا أن حمل دينا بين يديه ورفعها عالياً، فرحاً بما حققته من نجاح وشعبية ساحقة...ولما أنزلها قالت له: هذا أول الغيث..ولن أقف بعد ذلك إلا في المقدمة...

لما عادت القاعة إلى هدوئها، سألها روبيل: هل طلبوا مساعدتنا..؟

دينا: نعم..ولكن ليس في هذه العملية؛ لأن وقتهم كان ضيقاً للغاية، ولكنهم طلبوا منا أسلحة وعتاداً..!!

روبيل: سيصلهم ما أرادوا..وسألها: هل أعطيته طلباتنا..؟

دينا: بالطبع..وأبدى اهتماماً كبيراً جداً..

روبيل: أحسنت..زيارة ناجحة..نشكركما عليها..لقد قدمتما لإسرائيل خدمة عظيمة..

دينا: نحن أبناء هذا الوطن..ولن نبخل عليه بأرواحنا..فكيف بجهودنا..!!

بدأ الحضور بالتصفيق الحار...

ثم وجه روبيل كلامه إلى الحاضرين: بإمكانكم أن تسألوا دينا وإبراهام عن رحلتهما..وأنا الآن أفتح باب الأسئلة دون تحفظ..على أن نلتزم بالوقت المحدد..فلكل سؤال خمس دقائق فقط..واجتماعنا اليوم لساعة واحدة..وغداً نستكمل جلستنا..أما الآن فالأسئلة الأهم سيجاب عليها اليوم...

* * * *

عادت **هايدي** إلى بيتها مع شروق الفجر الأول، تجرُّ خطواتها جراً...قد أصابها الإرهاق الشديد..بعد تغيّر نمط حياتها فصارت تنام نهاراً وتصحو ليلاً...

فتحت باب شقتها. . .وما إن وصلت فراشها حتى ارتمت عليه دون وعي. . .

مع زوال شمس اليوم الثاني، فتحت عينيها بصعوبة، وصاحت على الخادمة. .ولما طال انتظارها ولم تسمع ردها. . .اتكأت على السرير وراحت تدفع نفسها إلى الصالون دفعاً. .وجالت بنظرها فيه، فلم تجد خادمتها. .فأعادت الصياح. .فلم تسمع ردا. . .فخرجت إلى الشرفة فلم تجد أحداً. .فدخلت غرفة أبيها. .فخرجت على الفور. .وفتحت الأبواب وتركتها مشرعة. .وتناولت التليفون: ألو. . .ألو. .دينا. .

دينا: أهلاً هايدي. .!!

هايدي: أين إبراهام. . .؟

دينا: نائم. .خيراً. .!!

هايدي: يبدو أن الخادمة تركت العمل عندنا. .

دينا: وكيف عرفت ذلك. .؟

هايدي: لقد وجدت أبي في حالة مزرية. . .ويبدو أنه منذ ليلة أمس لم تتبدل ثيابه. .وأريد أن اذهب إلى العمل، ولا أحد سيبقى عنده. .

دينا: الخادمات أكثر من الهمِّ على القلب. .قبل خروجك ستكون عندك غيرها. . .

هايدي: لا تتأخري. . .

وقبل غروب الشمس، دخلت دينا وإلى جانبها خادمة صغيرة السن، لم تبلغ السادسة عشرة من عمرها. .فعرَّفتها هايدي على عملها. .ثم انطلقت مغادرة. .

* * * *

بعد التضييق الكبير الذي أصاب الدكتور شاهر ورفاقه. .قرروا أن تقتصر دروسهم على المدارس، مع التمدد رويداً رويداً في المساجد وأثناء المناسبات الدينية. .فعاد الدكتور إلى مسجد الغوَّاص. .فاجتمعت إليه أعداد غفيرة حتى سُدت الطرقات المؤدية إليه. .

جلس هو ورفاقه بالقرب من المحراب ووضع أمامه طاولة صغيرة.. وبدأ حديثه بحمد لله وصلى على رسوله وترضّى على صحابته الأجلاء..

إخواني اجتمعنا اليوم في هذا الرحاب الطاهر، لنسمع منكم.. وإن وفقنا الله سيكون جوابنا إليكم بما ورد في شرع الله ورسوله..

ربما سمعتم قبل أسابيع عن الهجمة الكبيرة التي نتعرض لها في وطننا، فالغزو يا إخواني ليس مقصوراً على الجندي الذي يحمل السلاح، ويركب الطائرة والدبابة.. فهذه أسلحة وإن كانت مخيفة.. فخطرها يبقى محدوداً، قياساً بما نتعرض له اليوم من هجمة فكرية ضالة وعقيدة باطنية شاذة.. وكما وجدتم في دروسنا الماضية، كيف فنّدنا عقيدة هؤلاء السبأيين.. فإننا نستكمل اليوم بعون الله جانباً من عقيدتهم.. والذي أرجوه من جميع الحاضرين، أن يأخذوا على عاتقهم تسجيل ما نقوله ونشره.. فلعلي لا ألقاكم بعد يومي هذا..

صاحت الجموع الغفيرة بصوتها... داعية له بطول العمر والبقاء..

الدكتور **شاهر**: إخواني.. إن أراد الله لنا أن نُكمل مسيرتنا.. فهو ربنا وأعلم بحالنا.. وإن كان أجلنا فالمسؤولية تقع على عاتقكم.. فأنتم دعاتنا الذين ننظر إليهم بحب واحترام... فشعب سوريا منذ أن منَّ الله عليه بالإسلام، أصبح قلعة الدين وبساطه الآمن... إنها دعوة نبيكم القائل: «..**ولا يزال ناس من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله عز وجل وهم على ذلك**»..

نعود الآن إلى درسنا.. ثم تناول من الصندوق ورقة.. ثم قال: هذا سؤال من سائل يقول: ما هي مكانة المرأة في المجتمع الباطني..

الدكتور **شاهر**: هذا سؤال وجيه وجيد جداً، وهو مستوحى من قلب عقيدتهم..

إخواني: لو نظرنا إلى المرأة في المجتمع الباطني.. لوجدنا العجب... فمن هي المرأة..؟

ثم أجاب: المرأة هي الأم والأخت والبنت والزوجة والخالة والعمة وبنت

الأخ..إلخ..ولكن لو سألناهم أين مكانتها..لوجدنا الجواب سريعاً: بين أحضان الرجال..فشريعة الغاب التي أخذوها من سيدهم مزدك..تلك الديانة الإباحية، أسقطت حق المرأة في إنسانيتها..فأصبحت سلعة تباع من هذا إلى ذاك..فتارة تكون بين أحضان الشاب..وغداً بين أحضان الشيخ الكبير..لا قيمة لها..تتداولها الأيدي...بين ساعة وأخرى..وإن نظرت إلى نفسها متأملة حالها لحق لها أن تحتقر نفسها..هل خلق الله تعالى المرأة لتكون سلعة تباع وتشترى كباقي السلع..؟..هل المرأة خلقت بلا روح ولا شعور..؟..هل عليها أن تكون خادمة في النهار ومدفأة في الليل..؟..

لقد أحسَّت المرأة في الإسلام بإنسانيتها وكيانها ومكانتها في المجتمع..لقد أناط الله بها عملاً لا يحسنه غيرها، فالمرأة خُلقت لصنع الرجال وبناء الأوطان..ولكن بعد وصول الباطنيين في الحقبة الماضية وفي وقتنا الحالي، عادت إلى سابق عهدها لا قيمة لها ولا مضمون...

رفع طالب يده وقال: شيخنا الفاضل لو أعطيتنا أمثلة على ذلك..

الدكتور **شاهر**: لو صبرت قليلاً..لأتاك الجواب قبل أن تسأل..على كل حال أمثلتنا هي في الحقيقة عناوين التشابه بين اليهود والشيعة، وأخصُّ هنا حالات الزنا، وما هو مباح فيها، وكيف فندوها ونمقوها بأدلتهم الواهية، فعلى سبيل المثال:

اليهود يستبيحون أعراض المخالفين لهم، بل ليست لها عندهم أية حرمة، فالزنا مباح بغير اليهودية، ويعللون ذلك بتعليلات غريبة، كما جاء في التلمود: اليهودي لا يخطئ إذا اعتدى على عرض الأجنبية؛ لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد؛ لأن المرأة غير اليهودية تعتبر بهيمة، والعقد لا يوجد بين البهائم...

صاح الحضور: يا الله...!!

وجاء في نص آخر للتلمود: لليهودي الحق في اغتصاب النساء غير المؤمنات..أي غير اليهوديات..وإن الزنا بغير اليهود ذكوراً كانوا أم إناثاً، لا عقاب عليه؛ لأن الأجانب من نسل الحيوانات...!!

أما الزنا عند الشيعة، فالمتعة تنبئك عن أفعالهم. .وقد تحدثنا عنها باستفاضة في دروسنا الماضية وكفى بها مثالاً وافياً وكافياً عن حالات الدعارة التي تحدث فيها. .

وقف أحد الحاضرين: عندي سؤال يا شيخ. .!!

الدكتور **شاهر**: تفضل. .

السائل: ما رأي الشيعة في مناكحة نسائهم لأهل السنة وبالعكس. .؟

طلب الدكتور **شاهر** من الدكتور مؤيد أن يجيبه عن سؤاله فقال:

لا تجيز الشيعة مناكحة أهل السنة، ففي كتاب الكافي للكليني عن الفضيل بن يسار قال سألت أبا عبد الله عن نكاح الناصب يعني السني، قال: لا والله ما يحل. .كتاب الكافي المجلد الخامس ص ٣٥٠ . .

وجاء في كتاب الاستبصار للطوسي المجلد الثالث ص,١٨٤ .عن فضيل بن يسار عن أبي جعفر قال ذكر الناصبي. . .يعني السني. . .فقال: لا تناكحهم ولا تأكل ذبيحتهم ولا تسكن معهم. . .كتاب الاستبصار للطوسي .

بل ويصرح **آية الله مهدي** بتحريم نكاح أهل السنة فيقول: لا يجوز للمؤمنة أن تنكح الناصبي. .يعني السني. .المعلن بعداوة أهل البيت عليهم السلام. . .وأضاف أيضاً: وكذا لا يجوز للمؤمن أن ينكح الناصبية. . .يعني المرأة السنية. . .لأنهما بحكم الكفار وإن انتحلا دين الإسلام. .

هذا في مسألة الزواج وغيره أما في الزنا: فالأمور أنتم جميعاً تعرفونها، وما حوت المتعة من أحكام وفساد كبيرين. . .وما آلت إليه المرأة، حتى غدت كماخور في الشارع، ينزل به من يشاء ويقضي منه حاجته. . .أنى وكيف شاء. .معللين جواز الأحكام، ونسبوها إلى خير البشر من نسل رسول الله عليه الصلاة والسلام، ضاربين بعرض الحائط البيان الشافي الذي أورده ربنا في كتابه العزيز وقاله رسولنا المجتبى عليه الصلاة والسلام. .

فإن كان زواج المرأة من الناصبي لا يجوز، فما بال المتعة تجوز على من هبَّ ودبَّ من الناس، فإن وصفونا بالكفر والزندقة. .فهذا والله وصفهم الذي وسِموا به

عبر الزمن. . . !

أتدرون ما يقولون في الإمام أحمد بن حنبل. . .اسمعوا لقولهم:

جاء أيضاً إطلاقهم لفظ الناصبي على إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى حيث يقول النباطي وهو من علماء الشيعة المشهورين، في القرن التاسع، واصفاً الإمام أحمد: هو من أولاد ذي الثدية جاهل شديد النصب. .وذو الثدية. .هو رئيس الخوارج في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من كتابه الصراط. .

ثم ختم كلامه بقوله: نكتفي اليوم بما قلناه ونؤجل درسنا إلى يوم آخر إن شاء الله. .

وقف أحد السائلين فأخذ يصيح شيخنا. . .شيخنا أرجوك هذا السؤال فقط:

الدكتور مؤيد: يا بني ضاق الوقت ودعه ليوم آخر. .

السائل: أرجوك. .

ضحك الدكتور مؤيد: تفضل. .هذا السؤال فقط. .

السائل: ما قول الشيعة في مكانة السني في الآخرة. .وهل ورد في كتبهم ما يؤيد ذلك. .؟

الدكتور مؤيد: أما ما يتعلق بنظرة الشيعة لنا نحن السنة في الحياة الآخرة، فإن الشيعة يعتقدون أن أهل السنة وكل من خالفهم من طوائف المسلمين خالدون مخلدون في النار، وأنهم مهما تعبدوا واجتهدوا، فإن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله يوم القيامة، فقد روى الصدوق في عقاب الأعمال عن الصادق، أنه قال: إن الناصبي لنا أهل البيت، لا يبالي صام أم صلى زنا أم سرق إنه في النار. . .إنه في النار. . .كتاب ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ص٢١٥ وأورد هذه الرواية أيضاً المجلسي في كتابه بحار الأنوار المجلد السابع والعشرين ص٢٣٥ . .

وفي بيان معنى الناصبي الذي ورد في الأخبار أنه نجس وأنه شر من اليهودي والنصراني والمجوسي وأنه كافر نجس بإجماع علماء الإمامية، كتاب الأنوار النعمانية.

ثم وقف الشيوخ وغادروا المسجد تحت هتاف الحاضرين..

* * * *

وصل الرئيس مبكراً إلى مدينة البصرة بسيارته البيضاء..بعد أن اتبع طريقاً مختلفاً عما هو مرسوم له...فتباحث مع قادة الحزب هناك..فأصدر أوامره لهم بتجديد البنية التحتية للمدينة، وتقديم المساعدات لذوي الاحتياجات الضرورية...وبعد أن أمضى ثلاثة ساعات..تناول خلالها طعام الإفطار..خرج إلى الناس مرحباً بهم، فوقف على إحدى المنصات ملوحاً لهم بيده...

والحرس يحيطون به من كل جانب..ضاربين طوقاً أمنياً كبيراً حول سياراته..

وما إن نزل عن المنصة، حتى تقدم إليه العشرات يذبحون خرافهم تحت قدميه...فتقدمت امرأة كبيرة السن..مهللة بزغاريدها الجميلة..فوضعت كفيها بالدماء وتوجهت نحو سيارته..فمنعها الحرس من التقدم..فأخذت تولول وتصيح..فأشار إليهم الرئيس أن دعوها...فطبعت كفّيها على السيارة ثم ابتعدت مغادرة..

نظر إليها **المقدم** زكريا حكمت وقال في نفسه: سلمت يداك هكذا يكون المحبين، ثم راح يدفع الناس عن الموكب حتى انطلقوا مغادرين...

سارت السيارات مسافة بسيطة، ثم توقفت فخرج الرئيس من سيارته إلى سيارة أخرى...ثم عادوا وانطلقوا...

وما هي إلا لحظات حتى وقعوا في الكمين المنصوب لهم..

رفع كسرويه رأسه من بين الأعواد والحشائش...فرأى الإشارة المتفق عليه..فأخرج رشاشه الثقيل ذا الفوهتين..وبدأ بإطلاق نار كثيف على الموكب..وخصّ السيارة ذات العلامة الفارقة بالنصيب الأكبر..ثم توالت النيران من كل العناصر المختبئة...فرد الحرس على مصدر النيران، دون أن يروا مطلقيها..

وبعد عشر دقائق غادر العناصر أماكنهم، متوجهين إلى المزرعة فرأوا زكريا بانتظارهم..وسألهم: ها..كيف الحال..؟..فأعطوه إشارة النصر والظفر..!!

اعتنقهم بين ذراعيه، مقبلاً ومهنئاً. . .وهو في حالة فرحة سمع نداء عبر جهازه اللاسلكي يطلب من جميع الضباط إغلاق المنطقة، وقطع الشوارع وإعلان منع التجوال فتركهم بعد أن طلب منهم الاختباء. . .

بعد نصف ساعة عاد إليهم مسرعاً مرتعشاً جسده مصفراً وجهه: هيّا. . .هيّا على الفور. .

كسرويه: ما الأمر. .؟

زكريا: الرئيس. . .ثم سكت. .!!

كسرويه: هل مات. .؟

زكريا: لا. . .لم يصب بأذى، وهو الآن على رأس جيشه يتابع الأمر. .!

كسرويه: ما العمل الآن. .؟

زكريا: خلال دقائق سيصل التفتيش إلى هنا. .وعليكم أن ترحلوا بسرعة. .

كسرويه: كيف سنرحل والشوارع كلها مغلقة. .؟

أطرق زكريا ملياً: أصعدوا فوراً إلى سيارتي ،واحملوا أسلحتكم، وإياكم أن تتكلموا مع أحد، واتركوا الأمر لي لأتصرف. .

أسرع كسرويه ومجموعته إلى السيارة، وجلسوا فيها شاهرين أسلحتهم. .ثم انطلقوا مسرعين خارج المنطقة. .وعندما وصلوا إلى أطراف المدينة. .استوقفهم أحد ضباط الأمن. .فأخرج زكريا هويته وقدمها له. .فما كان منه إلا أن أدى التحية له، وقال سيدي: إلى أين أنتم ذاهبون. .؟

زكريا: وردت برقية بأن هناك مجموعة ستعبر الحدود الآن. .

الضابط: سأتصل بقوات الدعم. . .

شعر زكريا بالخوف: لا حاجة لذلك، الحقوا بنا أنت ومن معك. .فربما نحصل على جائزة الرئيس. . .!!

فرح الضابط وأصدر أمراً لجنوده أن يسيروا خلفه. . .

وما إن وصلوا منطقة الأهوار، حتى ترجَّل زكريا وعناصره من السيارة. . .وتقدموا باتجاه الضابط ورفاقه وأمطروهم بوابل من الطلقات. .فلما تأكدوا من موتهم استقلوا مركباً. .وتوجهوا به بين القصب حتى اجتازوا الحدود وأصبحوا في أمان. . .

لما وصلت إشارة وصولهم سالمين، تنفس زكريا الصعداء وعاد أدراجه إلى عمله. .

* * * *

كان **آية الله مهدي** وقيادته متحفزون، ينتظرون أخبار العملية. . .وأطبقوا بصمت كامل، وكلهم ينظر إلى الهاتف. . .وبعد مضي ثلاث ساعات على جلستهم. . رنَّ الجرس فأسرع آية الله محمد إليه: ألو. . .ألو. . .باقر. .

باقر: بلى يا مولاي. .

محمد: ما هي الأخبار. .؟

باقر: وصلت المجموعة المنفذة قبل دقائق. .وهي والحمد لله سالمة. .

محمد: أخبرني عن نجاح العملية لا أسألك عن سلامة المجموعة. . .

لم يحتمل **آية الله مهدي** الانتظار. .فأخذ الهاتف من يده: باقر. .تكلم بسرعة. .

باقر: مولاي العملية فشلت. . .

وما إن سمع **آية الله مهدي** بذلك حتى ضرب بسمّاعة الهاتف على الأرض، وقال لآية الله محمد وقائد الجيش والضباط المرافقين: عليكم بالخطوة الثانية. .هيّا تحركوا. .

خرج الجميع من أمامه على الفور. .وأصدروا أوامرهم للجيش بالحشود على الجبهة الجنوبية الغربية والشمالية الغربية. .

* * * *

لم تكن المخابرات الإسرائيلية، أقلَّ اهتماماً من إيران. . فالجميع في حالة ترقب. . ينتظرون سماع الأخبار من حلفائهم فوردت برقية تخبرهم بفشل العملية، وأنهم بحاجة إلى دعمهم عسكرياً. . . فأمر رئيس وزرائهم بفتح جسر جوي بين البلدين. . وبدأت الأسلحة المتطورة تصل إليهم بكميات ضخمة. . لكن مهدي طلب أسلحة غير تقليدية. . فأرسلوا إليه أسلحة جرثومية. . وكيميائية. .

* * * *

السقـــوط

قامت أجهزة الأمن بحملة تمشيط واسعة لملاحقة الفارين. . .وأغلقت المدينة ثلاثة أيام متتالية. .واعتقلت عشرات المشبوهين، وبعد التحقيق. .أُطلق سراح الكثيرين منهم. .ولم يستطيعوا التوصل إلى شيء. .وكأن الأرض انشقت وابتلعتهم. . .

احتار خلف الأحمد في أمره، فجمع ضباطه المقربين ممن يثق بهم في جلسة خاصة، وقال لهم: قد مضى على محاولة اغتيال الرئيس عدة أيام، ولم نصل إلى شيء. .وكما تعلمون هذه سُبَّة كبيرة. .

طلب أحد الضباط الكلام: سيدي. .الأمر كبير جداً إنها مدينة وفيها الملايين. . .ولا يمكننا أن نعتقل الشعب كله. .!!

برقت في عقل **المقدم عوض** العمري فكرة: سيدي هناك فكرة تراودني منذ جلوسنا. .

خلف: أتحفنا بها فوراً. .فعقلك يعجبني أيها المقدم. .!!

المقدم عوض: أرى أن هناك خرقاً أمنياً خطيراً في جهازنا. .!

خلف مستهجناً قوله: وكيف ذلك. .؟

عوض: لو سألنا أنفسنا من أين علم المهاجمون بزيارة الرئيس إلى البصرة. . .!

لمعت الفكرة في رأس خلف: فهمت الآن. .بالتأكيد جاءت من قِبَلِنا. .فلا يعلم أحد أن الرئيس سيزور المدينة غير رجالنا. .!!

عوض: فلو حصرنا الرجال الذين كانوا على علم مباشر بذلك. .فكم يكونون. .؟

خلف: أقل من ثلاثين. .

عوض: ممتاز. .على هذا. .علينا أن ندرس سيرة هؤلاء، ونستبعد منهم

الصالحين. .ونحقق مع المشكوك فيهم. .وأولهم ممن يوالون إيران في الدين والطريق. .فإن توصلنا إلى شيء. .وإلا نكون قد سددنا هذه الثغرة، وتنبهنا إلى غيرها. .وهكذا إلى أن نصل إلى عدونا. .!!

أعجبت الفكرة رئيس المخابرات خلف الأحمد: أنا أكلفك منذ الآن بتنفيذ ما قلته آنفاً. .

عوض: أمرك سيدي. .وعليكم أن تضعوا بإمرتي بعض الضباط ممن أختارهم لمساعدتي. . .

خلف: قد كلَّفنا من تختاره. .

عوض: وأن يكون لي جهاز عمليات خاص بي في التحقيق. .وتكون جميع الملفات المتعلقة بالموضوع آنفاً بين يدي فقط وبسرية تامة. .

خلف: قد وضعنا ما أردت. .وأريد تقريراً خلال أيام. .

عوض: أمرك سيدي. . .

ثم انطلق على الفور يجمع المعلومات من الأجهزة الأمنية بدقة وسرية تامّين. . .ودون أن يثير الشكوك بما يفعل. . .

* * * *

أثناء إعطاء الدكتور مؤيد محاضرته في المدرسة. .سأله أحد الطلاب: شيخنا الفاضل. .لقد سمعنا قول شيوخنا حول تحريف الشيعة للقرآن الكريم. . .أو قولهم بأنه محرف. .وللأسف لم تقرؤوا على مسامعنا أمثلة عن بعض الآيات التي قاموا بتحريفها والعياذ بالله. . .

الدكتور مؤيد: معك حق يا بني. .نحن لم نعطِ أمثلة. .ويكمن السبب في ضيق الوقت. .ونحن أعطيناكم مفاتيح الكتب فابحثوا فيها واستخرجوا منها ما تريدون. . .!

الطالب: شيخنا لو تكرمت. .ووقتكم يسمح بذلك فأعطنا بعضاً منها. .

الدكتور مؤيد: ليكن لك ما تريد. .فعلى سبيل المثال:

في قوله تعالى : ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾[البقرة: ٩٠] .

فقد أسند الكليني عن أبي جعفر قال: نزل جبريل بهذه الآية على محمد صلى الله عليه هكذا ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ﴾ في علي ﴿بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ أصول الكافي كتاب الحجة باب ج١ ص ٤١٧ .

والمثال الآخر:

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ﴾ [النساء: ٤٧]فقد أسند الكليني عن أبي جعفر قال: نزلت هذه الآية على محمد صلى الله عليه هكذا:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا أنزلت في علي مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهاً ﴾ .

وفي تحريفهم لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ فقد جاء في تحريفها عند الشيعة كما في تفسير القمي ج١ص ١٤٢ . بهذا النص ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ يا علي فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ .

وكأن لا وجود لرسول الله أمام وجود علي. . .فمن أراد الاستغفار فليأتِ علياً وليدع رسول الله ﷺ. . .!!

الدكتور مؤيد: أتريد أمثلة أخرى. .؟

الطالب: نعم لو تفضلتم. .!!

أما قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً﴾ [النساء: ٦٦] فإن الشيعة يحرفونها ,كما أسند شيخهم الكليني عن أبي عبد الله قال: هكذا نزلت هذه الآية ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ في علي عليه السلام لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ﴾ .أصول الكافي كتاب الحجة ج١ص ٤١٧ . وكذلك كتاب البرهان في تفسير القرآن ج ٥ ص٣٩١ .

وأما قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً ﴾ [الإسراء: ٨٩] فقد حرف علماء الشيعة هذه الآية حيث روى إمامهم الكليني وشيخهم العياشي عن أبي جعفر قال: (نزل جبريل بهذه الآية هكذا ﴿ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ بولاية عليّ إِلاَّ كُفُوراً ﴾ أصول الكافي كتاب الحجة، ج ١ ص ٤٢٥ ,وكذلك تفسير العياشي ج ٢ ص ٣١٧ .

أما قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾.[الأحزاب: ٧١] .فقد أسند إمامهم الكليني عن أبي عبد الله قال: (وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ في ولاية علي والأئمة من بعده فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً. . هكذا نزلت والله) أصول الكافي كتاب الحجة ج ١ص ٤١٤ ,وكذلك في كتاب الصراط المستقيم للبياضي: ج ١ ص ٢٧٩ .

أصيب الجميع بالحزن وخيّم عليهم الصمت، وأخذ بعضهم ينظر إلى بعض. . فقال الدكتور مؤيد: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أخبرتكم لتستفيدوا لا لتحزنوا. . . !

وقف أحد الطلاب يغالب دموعه: شيخنا. .والله الذي لا إله غيره. . .أحسُّ بكبدي يتمزق. .فكيف يجرؤ هؤلاء على هذا الكفر. .؟

الدكتور مؤيد: يا بني؛ لأنهم إن جعلوا الناس يشكون في القرآن وصحته. . .فماذا بقي لنا من الدين بعد القرآن. . .هم يقولون بتحريفه. .ويقولون بكذب أحاديث الرسول، التي وردت في كتبنا المعتمدة، ويكفّرون الصحابة. .فإن كان كل هؤلاء مطعوناً فيهم. . .فماذا بقي لنا من الدين. .؟. . وبذلك ينسفون الدين من جذوره. . .فهل نتبع ماني ومزدك وزردشت. .ليرضوا عنا. .ثم من غيرهم يقول بقولهم. .؟. .أليس اليهود فقط. . .وقد رأينا التشابه الكبير بين الديانتين الشيعية واليهودية في الدروس الماضية. .

أحد الطلاب: شيخنا ما هو برأيك سبب التشابه الكبير بينهما. .

الدكتور مؤيد: هذا أمر يسير جداً. .فإذا سألنا الشيعة من مؤسس مذهبكم

الباطني..؟..لأخبرتك كتبهم...ولو سألناهم من هو ابن سبأ...؟..لقالوا لنا: إنه يهودي...وبما أنه يهودي دخل الإسلام ليحدث فيه كما فعل أجداده في عهد الرسول ﷺ...لكن يهود الماضي ليسوا كابن سبأ..الذي وجد التربة الخصبة لينمو فيها...إذن فتربة فارس هي خير مناخ له..حيث استطاع بذكائه أن يؤسس مذهبهم الباطني..فارتاحوا له، ووجدوا ضالتهم، ليعودوا إلى دياناتهم القديمة..فأخذ منها ونمّقها وألصقها بالإسلام ظلماً وزوراً...ثم انتهت المحاضرة وعاد الدكتور شاهر إلى غرفته..

* * * *

تمكّن **المقدم عوض** العمري من حصر جميع أسماء الضباط، ممن كان على علم بزيارة الرئيس إلى البصرة، وأخذ بتمحيصهم واستبعاد الموالين...حتى انخفض العدد إلى أحد عشر ضابطاً...فأمر بالتحفظ عليهم في السجن، لحين استكمال التحقيق معهم...

أخذ يستدعي واحداً تلو الآخر ويحقق معه...إلا أن وصل إلى زكريا حكمت...فأجلسه إلى جانبه وأخذ يسأله: اسمك واسم أبيك ورتبتك..ومكان مولدك..؟

زكريا: زكريا حكمت..مقدم في الاستخبارات الخاصة..ومولدي في الموصل..

عوض: أين في الموصل..؟

تلكأ للحظات: في تلعفر...!!

عوض: على هذا أنت شيعي..!

غصَّ زكريا عندما سمع كلمته وبلع ريقه: أنا سني...

شعر عوض بتوتره: هل لك أي علاقات مع الموالين لإيران..؟

زكريا: بالطبع لا...أنا موالي للسيد الرئيس وللحزب..

عوض: أحسنت...ولكن أخبرني..هل لديك معلومات عمَّن سرب خبر زيارة الرئيس إلى البصرة..؟

زكريا: لو كنت أعلم ما انتظرت حتى تسألني..

عوض: هل تشك بأحد..؟

زكريا: أنا أشك بكل الناس..طالما كانت حياة السيد الرئيس في خطر..

عوض: نحن آسفون لتحفظنا عليك، وعلى بعض الضباط..وهي إجراءات شكليه فقط...فنرجو المعذرة..وسيُطلق سراحكم..في الأيام القليلة القادمة، ريثما نستكمل التحقيقات مع بقية الضباط..

زكريا: أن خادم سيدي الرئيس..

نادى عوض على الحارس: خذ الضابط زكريا..وقدموا له ما يحتاجه..

نظر إليه زكريا: أشكرك..

عوض: هذا واجبنا مع ضباط جهازنا المخلصين..

لم يكن **عوض** يدع شيئاً للمصادفة أو حسن النية..فأرسل يستخبر عن الضباط منذ ولادتهم وإلى أن وصلوا للجهاز...مع أسماء أقربائهم ومن له عداء مع النظام...وخلال أربع وعشرين ساعة..كانت التقارير على مكتبه..فجلس ليلاً في غرفته، وطلب فنجاناً من القهوة..وأخذ يُقلّب الأوراق ويتفحصها جيداً...واسترعى انتباهه..تقرير زكريا...فوجد أن أمه شيعية ...فهاله الأمر..فوضع أوراق الضباط جانباً، وبدأ بدراسة ملفّه بدقة متناهية...فلم يجد غير هذه الثغرة...فصاح على الحرس: أحضر لي المقدم زكريا حكمت على الفور..!

تقدم **زكريا** من الغرفة وعلامات الفزع بادية على وجهه..وما إن دخل حتى ألقى التحية..

رمقه **المقدم** بنظره: تفضل اجلس...

زكريا: خير سيدي..ليس من عادتكم استدعائي في هذا الوقت..!!

عوض: بعض الأسئلة البسيطة وسيطلق سراحك فوراً..

زكريا: الليلة...!!

تبسّم في وجهه: نعم الليلة. . .هل تشك في ذلك. . ؟

زكريا: العفو منكم سيدي. . ما قصدت. .

عوض: سؤال واحد وتذهب إلى بيتكم. .

زكريا: أنا جاهز. .

عوض: أخبرني عن والدتك وأخوالك. . .

وما إن سمع بوالدته وأخواله حتى ظهر التغيير على وجهه وجفَّ حلقه. . !!

نظر **عوض** إلى ما أصابه: ما بك. . ؟

زكريا: لا. . .لا شيء. . .

عوض: إذن تكلم. .

زكريا: والدتي من تلعفر أيضاً. . .تعرَّف عليها والدي وتزوجها. . .

عوض: وأخوالك. .

زكريا: ليس لي إلا خال واحد. .

عوض وأين هو الآن. . ؟

زكريا: غائب عنا منذ ثلاث سنوات تقريباً. .

عوض: هل هو في إيران. . ؟

ارتعد **زكريا**: لا أعرف. .

همهم **عوض**: لا تعرف. . .أم لا تريد أن تذكر. . ؟

زكريا: لا أعرف. .فلا تربطني به أي علاقة. .

عرف **عوض** بأن لدى زكريا ما يخفيه: أخبرني. .هل والدتك شيعية. . ؟

تلكأ **زكريا** وتلعثم في كلامه: لا. .

عوض: لكن معلوماتنا تخبرنا بأنها شيعية. . .

زكريا: معلومات مغلوطة سيدي. . .

عوض: أنا لا أحب الكلام الزائد..ولا أحب اللفَّ والدوران..ما رأيك أن ندخل في صلب الموضوع مباشرة..؟

زكريا: بكون أفضل..

عوض: طيب..أخبرني كيف أوصلت المعلومات، عن زيارة السيد الرئيس من البداية إلى النهاية..وإياك أن تكذب..فقد وصلتنا معلومات مؤكدة تخبرنا بتورطك في العملية..

بدأ وجهه يتصبب عرقاً، وظهر عليه الخوف لكنه تجالد: هذا كلام محض افتراء..وأنا لا أسمح لأحد بأن يتهمني بالخيانة..!!

نظر إليه ورأى حالات الفزع على وجهه وقال بحزم وعصبية: قلت لك..لا أحب اللعب فتكلم وإلاّ سأضطر إلى أسلوب لا أحبه..

زكريا: قلت لك كل شيء..فلماذا لا تصدقني...؟

صاح **عوض** بأعلى صوته: سلمان...سلمان..

دخل سلمان إليه: حاضر سيدي...

عوض: لا يريد أن يتكلم..

سلمان: أعطنيه..سأجعله يتكلم...

عوض: لا نحن دولة تحافظ على حقوق الإنسان...أحضر لي عدّة الضيافة..

سلمان: حاضر سيدي..فخرج لدقائق..ودخل يحمل كرسياً حديدياً مفتوح المقعد فأجلسه عليه وربطه به..

نظر **زكريا** إلى الكرسي...لكن **عوض** عاجله لم نتهِ بعد...ثم وضع السخان تحته، ووجه كاميرات التصوير عليه بأضوائها القوية..ثم جلس خلفها، وراح يرتشف فنجاناً من القهوة بهدوء وروية، وقال له: عندما تتذكر شيئاً تكلم بحرية، ودون أن يمسّك أحد..وأشار إلى سلمان أن يوصل السخان بالكهرباء...

بدأت الحرارة تتصاعد قليلاً قليلاً..حتى شعر بأن مخه يكاد يشتعل..فصاح:

أرجوكم. .لم أعد أحتمل. . .

نظر إليه **عوض** بلا مبالاة. . .وتناول رشفة من فنجان قهوته. .ثم طلب فنجاناً آخر. .

وبدأ الأمر يشتد على **زكريا**. . .فبدأ بالصياح. .لكن لا مجيب له. .ولما تعالت توسلاته قال له **عوض**: لن تخرج من هنا حتى تخبرنا عن الأمور بتفاصيلها. .وإلا أتينا بأمك وأخواتك الفتيات. .وأجلسناهم أمامك وأمرت سلمان أن يفعل بهن الأفاعيل. .

أشتدَّ الأمر على **زكريا** وتضاعفت عليه الحرارة. .حتى بدأ دهنه يحترق. . .فصاح: سأتكلم. .سأتكلم. . .!!

عوض: تكلم. .

زكريا: أبعد عني هذا السخان. .وسأتكلم. . .

عوض: تكلم أولاً. .ثم نبعده عنك. .ثم وقف هامّاً بالخروج: سأعود بعد قليل. .وأنت تكلم على راحتك، فلسنا على عجلة من أمرنا. .ثم وقف وراء النافذة يرقبه. .فأخذ زكريا يسرد الحادثة من أولها إلى آخرها. .ويذكر أسماء المجموعة المنفذة. .إلى أن انتهى من إفادته. . .فدخل عليه عوض: أكمل. . .أكمل

زكريا: قلت كل شيء. .

عوض: بقي شيء واحد. .

زكريا: ما هو. .؟

عوض: رجال الأمن المقتولين في الأهوار. .من قتلهم وكيف. .؟

زكريا: أنا والمجموعة. . .وأخبره القصة. .وكيف بدأت وكيف انتهت. . .

عوض: ومن شركائك في العراق. .؟

زكريا: لا أحد سيدي. .

عوض: رجعنا إلى المناورة. .تكلم وإلا أشعلت النار بجسدك. .

زكريا: الذي أعرفه أن هناك رجالاً من شيعتنا في النجف، وعلى رأسهم آية الله جعفر الطيار، كانوا يقدمون يد المساعدة إليهم، وهو من أرسل إليَّ لأستقبلهم في بغداد. . ولا أعرف سواه. . فتنظيمنا سري للغاية. .

عوض: أهم الآن في النجف. . ؟

زكريا: للأسف سيدي فقد غادروا مباشرة إلى إيران بعد سفر كسرويه ومجموعته. .

عوض: لا بأس سنتأكد من ذلك. .

صاح **عوض** على سلمان: عد به إلى زنزانته. .

رفع **عوض** تقريره في نفس الليلة لخلف الأحمد مدعّماً روايته بما سجلته الكاميرات. . .

وبعد ساعة اتصل به، ليحضر مقابلة الرئيس، الذي أثنى عليه وقدم له ثلاثة أنواط شجاعة من الدرجة الأولى. .

أحال الرئيس زكريا إلى محكمة خاصة، فحكمت عليه بالإعدام رمياً بالرصاص. . . ونُفذ فيه الحكم فور صدوره. .

* * * *

أصيب أعضاء الكنيست الإسرائيلي، بخيبة أمل كبيرة، عندما سمعوا بنجاة الرئيس. . وبعثوا للآيات ببرقية يحثونهم فيها على تنفيذ الاتفاق فيما بينهم. . . فأصدر آية الله مهدي أوامره إلى آية الله محمد الطوساني، رئيس الحرس الخاص ورئيس لجنة صفاء الثورة، بإصدار الأوامر إلى مجموعاتهم في العراق، وزودوهم بأسماء العلماء. . وبدأت عمليات التصفية تجري على نطاق واسع. . .

* * * *

رحمة بذوي القربى

عادت **هايدي** إلى شقتها مع بزوغ الفجر. . .وما إن دخلت حتى رأت أباها ممدداً على الأرض. .فصاحت على الخادمة. .فوجدتها قد غادرت. . .فلطمت وجهها. .ووضعت غطاءً عليه ثم توجهت إلى سريرها، وأخلدت إلى النوم. . .ولم تستيقظ إلا في الساعة الرابعة من عصر اليوم الثاني. .فخرجت على مهل فوجدت أباها في حالة لا تطاق. .فأحسنت حاله وأطعمته، ووضعته في مقعده. .وغادرت على الفور إلى بيت أخيها. .فوجدت أخاها ودينا في الحديقة. .فتقدمت إليهما باكية. .

سألتها **دينا** على الفور: خير. .هل جرى لعمي أي شيء. .؟

هايدي: لا. .لكن الخادمة هربت. . .

دينا: هذه ثالث خادمة تهرب. .!!

هايدي: لا أدري ماذا أفعل. .؟

دينا: أغلب الخادمات يرفضن العمل عندكم. . .

هايدي: والعباس أنا أعذرهم. .أنا ابنته ولا أطيقه في كثير من الأحيان. .

شعر **إبراهام** بالأسى: وما العمل إذن. .؟

أجابته **هايدي** على الفور: أسبوع عندي. .وأسبوع عندك. .

صاحت **دينا**: هذا لن يكون أبداً. .فبيتنا يستقبل الشخصيات المهمة على مدار الأسبوع. . .!

هايدي: وما الحل إذن. .؟

لمعت في ذهن **دينا** فكرة: عندي فكرة. .لكن أخشى أن تنتابكم بي الظنون. .

هايدي: أنجدينا بها. .فأنا موافقة عليها سلفاً. .

أطرقت ملياً. . .لكن إبراهام قال لها: أراك صامتة. .؟

دينا: ألا تريدونه أن يرتاح. .؟

إبراهام: نعم بالتأكيد..

دينا: ألم تسمعوا بالراحة الأبدية..؟

إبراهام: أتقصدين الموت...؟

دينا: وهل هناك غيره..؟

ضربت **هايدي** على صدرها بشدّة: دينا..أتريدين قتل أبي...؟

دينا: في الغرب عندما يجدون المريض لا يُرجى شفاؤه..يعطونه إبرة ليموت ببطء..

هايدي: وهل نحن في الغرب..؟

دينا: اهدأي وفكري بالموضوع..أبوك لن يشفى وهو في حكم الميت، فلا يدري ما يدور حوله..بل يأكل ويتغوط..وقد سبب لك ولنا متاعب جمّة..وأنت مازلت شابة وسوف تتزوجين..وإذا علم زوج المستقبل بحالة أبيك..فلن يقترب منك أبداً..ألا تجدين الخادمات يهربن منه ولا يعدن..فكيف بالزوج..؟

صمتت **هايدي** وأطرقت برأسها إلى الأرض..لكن **إبراهام** قطع عليها صمتها: هايدي..أتريدين أن تضحي بحياتك وتضيعي شبابك...؟..والعزير كلام دينا معقول جداً..

نظرت إليه: حتى أنت يا مصطفى...!!

إبراهام: أنا حياتي مستقرة...ولن أتكفل بأبي إلا بالمال إن استطعت..فلي مستقبلي وأسرتي ولا أريد أن أضيعهم..

ربتت **دينا** على ظهرها: هوّني عليك الأمر..إنسان عاجز لا يعي ما يدور حوله..هل يستحق أن يضحي إنسان من أجله ويضيع حياته..وأنت مازلت شابّه..ومزراحي...ثم سكتت...

وما إن سمعت **هايدي** باسم مزراحي، حتى تسارعت ضربات قلبها واحمر وجهها، وابتسمت مظهرة الخجل..!!

علمت **دينا** أنها وضعت يدها على جرحها النازف، فبدأت تعزف عليه..

أحسَّ **إبراهام** براحة أخته عندما سمعت باسم مزراحي: ها..أخبريني إلى أين وصلتِ..؟

هايدي: لا أعرف..أخي كما أنه أبي هو أبوك أيضاً..فافعل ما تشاء..ولكن ليس أمامي...

دينا: بسيطة..اتركا الأمر علي أنا..وأشارت إلى **هايدي**..خذي إجازة لثلاثة أيام فقط...وستجدين عند عودتك حياة جديدة بانتظارك..

هايدي: ومتى..ثم سكتت..؟

دينا: إن شئت غداً...

هايدي: سأسافر إلى منتجع البحر الميت..وأعود بعد ثلاثة أيام...

دينا: سيسافر مزراحي معك...

فرحت **هايدي** وأظهرت الخجل..ونظرت إلى أخيها..فما كان منه إلا أن ابتسم في وجهها: استمتعي برحلتك..فكل شيء سيكون على ما يرام..وغداً سيأتيك مزراحي ويصطحبك معه..

* * * *

مع الصباح الباكر وقف مزراحي بالقرب من شقة هايدي، ثم طرق الباب فوجد النوم في عينيها: حبيبتي..أسرعي قبل أن تشتدَّ حرارة الشمس..ثم سألها أتريدين المساعدة..؟

هايدي: لا أنا جاهزة منذ الأمس..

مزراحي: هلمِّ إذن..

تقدمت **هايدي** إلى غرفة أبيها، ونظرت إليه ملياً، فرأته نائماً كالطفل البريء، فاعتنقته بقوة وسقطت دمعة من عينها على وجهه..ففتح عينيه..وأشار إليها أن تطعمه...فهرعت على الفور إلى المطبخ وأحضرت له الطعام..

ولما تأخرت..عاد مزراحي إلى البيت، ليجدها تطعم أباها: هايدي..أهذا وقته..؟

هايدي: أريده أن يأكل قبل يرحل..

مزراحي: دعيه..ستطعمه الملائكة..

هايدي: لا أظن ذلك..فأبي فعل...ثم سكتت..!!

شعر مزراحي بألمها، فتقدم إليها وأمسك بيدها: دعي الخلق للخالق...

نظرت إلى أبيها، وسالت دموعها على خديها: كيف سأعيش بعيدة عنك..؟

مزراحي: ستنسينه بعد أيام..وخاصة عندما نتزوج..

أشرق وجهها وأعادت النظر إلى أبيها..فسحبها مزراحي من يدها...فمشت معه وعيناها لا تفارق أباها..ثم عادت إليه بسرعة، وارتمت على صدره، وصارت تبكي بألم شديد، وتلطم وجهها وتضرب صدرها..لكن مزراحي حملها بين ذراعيه وخرج بها وانطلق مسرعاً..

دخلت **دينا** بعد رحيلهما بساعة وبصحبتها طبيبها الخاص..فتقدمت إلى غرفة عباس الذي كان ممدداً على سريره...فقالت للطبيب مشيرة إليه: هذا..خذ وقتك..

الطبيب: دقائق ويبدأ بالسفر الأبدي..!!

أمسك الطبيب بيد عباس ورفع ثيابه عنها..وأخرج من حقيبته إبرة ملأها من قارورة...ثم أخذ يفرغ هواءها..!

نظرت إليه مستغربة: الرجل سيموت ماذا تفرغ..؟..أحقنها بهوائها...!!

ضحك الطبيب: معك حق...ثم حقنه بالدواء بسرعة..فلما أحسَّ عباس بها، قبض على يده بقوة..لكن السُمَّ كان أقوى منه، فخارت قواه وبدأ يغمض عينيه رويداً رويداً...

دينا: اكتب تقرير وفاته..

أخرج الطبيب ورقة من حقيبته كانت قد جُهزت مسبقاً..فقدمها إليها..وقبض منها خمسة آلاف شيكل..وانطلق شاكراً..

* * * *

ميليشيات المقاومة

اجتمع **آية الله مهدي** مع أركان ثورته، للبحث في المستجدات الدولية، وبعد مداولات طويلة قال لهم: لقد طلب منا حلفاؤنا أكثر من مرة مساعدتهم في ردع المنظمات الإرهابية، التي تستهدفهم عبر الحدود اللبنانية، ووجدنا أنهم محقون في ذلك.. فالنواصب يثيرون الاضطرابات في كل مكان.. وعلينا أن نردعهم.. وقد جاءت الفرصة الآن..

باقر آبادي: مولاي.. أنتم تعلمون حجم الهجمة الإعلامية ضدنا اليوم.. فإذا علم العوام من الناس موقفنا من إسرائيل، فسوف تفشل جميع حالات التشيع في بلادهم..!!

فكر **آية الله مهدي** ملياً في الأمر: معك حق.. وعلينا أن نوازن بين مصالحنا ومصالح حلفائنا.. فماذا تقترحون...؟

باقر آبادي مرة أخرى: الموقف عائد إلى حكمتكم...

نظر **آية الله مهدي** إلى آية الله محمد الطوساني: أراك صامتاً..؟

محمد: أنا أفكر في السير على محورين متوازيين...

مهدي بسخرية واضحة: أتحفنا بما عندك..؟

محمد: نعمل على منع الهجمات على حلفائنا في تل أبيب... وكذلك ندعم بعض الجهات في آن واحد..!!

مهدي: هل جننت.. أفصح بوضوح عما يدور في خلدك..؟

محمد: عفواً يا مولاي...

قاطعه باقر آبادي: لقد فهمت قصده يا مولاي..

مهدي: وماذا فهمت...؟

باقر: ليس مهماً قولي..وإنما لنسمع رأيه أولاً..

التفت مهدي إلى محمد: أسمعنا...

محمد: مولاي نضع مجموعات من شيعتنا على الحدود مع إسرائيل، وتكون مهمتها المعلنة مقاومة الاحتلال..وفي الباطن محاربة تلك المنظمات...وعلينا أن لا نبخل عليها بالغطاء السياسي..

قاطعه مهدي: والمادي أيضاً...هذه فكرة شيطان...واقتراحك الآخر أخبرنا به..؟..

محمد بثقة: نقوم بدعم بعض المنظمات المخالفة لنا بالعقيدة والتوجه..هذه المنظمات تأخذ صفة المقاومة الحقيقية...ويكون حبل رقبتها بأيدينا...فنفلته ساعة نشاء ونخنقهم به وقت نشاء...

مهدي: يا لك من ماكر...ولكن كيف سنبرر وجودهم لحلفائنا...؟

محمد: علينا أن نعمل وفق مصالحنا..لأننا نخشى على الأمة الإيرانية..إذا شعر حلفاؤنا بقوتنا في المستقبل، ستكون هذه المنظمات صمام أمان لنا أمام العالم نحركها متى شئنا..

مهدي بسعادة: أحسنت..

وأضاف: مولاي أنتم تذكرون تقاطع مصالح شيعتنا مع الصليبيين في العهد الفاطمي..

مهدي: نعم..ولكن أخبرنا برؤيتك..

محمد: بعد اتفاق العاضد مع الصليبين على تقسيم سوريا بينه وبينهم، أي إعطاء شمال سوريا لهم ولدولتنا العبيدية جنوبها فكانت فلسطين ضمن الدولة العبيدية بحسب الاتفاق المبرم، ولكن بعد سيطرتهم على فلسطين أصابهم الزهو والاستعلاء، ونقضوا الاتفاق المبرم بيننا، وتقدموا لاحتلال بقية الدول وإسقاط الدولة العبيدية...وغدروا بنا ونقضوا ما اتفقنا عليه..أتذكر ذلك يا مولاي...؟

مهدي: نعم بكل تأكيد..وهل ننسى سقوط دولتنا على أثر ذلك..؟

محمد: أطال الله عمركم يا مولاي. . .علينا أن نتخذ الاحتياطات اللازمة لذلك. .فإن تكرر الماضي وغدروا بنا. .حللنا حبل تلك المنظمات ضد إسرائيل وغيرها من الدول. .وإن أوفوا بعهدهم وهذا مستبعد. . .فإننا نشدُّ الحبل على رقاب تلك المنظمات بقدر إيفاء الحلفاء لنا. . .وهناك أمر آخر نحصد ثماره على المدى البعيد. . .فدعمنا للمقاومة ظاهراً، يقوّي دعوتنا أمام الناس، وخاصة إذا علموا أننا الوحيدون الذين يقفون ضد إسرائيل، وبالتالي تجد الشعوب تنجرُّ وراءنا دون تفكير ولا اعتراض؛ لأن الناس ينظرون للأمور بمنظار آني، ولن يلتفتوا إلى الخلاف العقيدي بيننا وبينهم. .فرجل معك خير من أن يكون ضدك. .

مهدي: أحسنت وباركك علي. . .لقد رأيت منك اليوم عقلاً. . .والآن كيف سنحمي حدود حليفتنا. . .؟

محمد: كما قلت قبل قليل إنشاء منظمة من شيعتنا. .تقف حاجزاً على الحدود وتحارب تلك المنظمات. .تحت اسم ثورة المحرومين. . .وأيضاً يا مولاي تكون رديفنا في محاربة النواصب. . .وكما تعلم يا مولاي لم تمت ثورتنا في رمال كربلاء، بل تدفقت في مجرى حياة العالم الإسلامي وابتداء من اليوم لن نشكو ولن نبكي، فاسمنا هو الرافضون رجال الثأر. . .لقد واجه الحسين العدو ومعه سبعون رجلاً، وكان العدو كثير العدد، أما اليوم فنحن نُعدُّ أكثر من سبعين، ولا يعد عدونا إلا ربع سكان العالم.

مهدي: أحسنت قولاً. . .نفذ فوراً واستقدم مجموعاتهم من لبنان. . .

محمد: لا يا مولاي. .عليهم أن يتدربوا مع المنظمات الفلسطينية. .لتكون غطاءهم بعد ذلك، ويليق بهم اسم المقاومة. . .

فرح باقر آبادي بما سمع. . .وارتسمت على وجهه علامات السرور. . .

التفت إليه مهدي: أراك مسروراً. .؟

باقر: لقد أسعدني ما سمعت. .فلو وجد عقل كعقل آية الله محمد. .لما أصابنا التاريخ بظلمه. .

تجهّم وجه مهدي: ماذا قلت..؟

باقر: عفواً يا مولاي..قصدت أن محمداً ما هو إلا واحد من صنائعكم..فكيف له أن يفكر دون إشارة منكم وتحت رعايتكم..!!

همهم وتجهّم: أحسنت القول...والآن علينا التحرك فوراً في هذا الاتجاه، وأصدروا أوامركم إلى الجهات المختصة لتنفيذها بسرعة..

باقر آبادي: أمرك يا مولاي...

xxxxx

اقترحت الكنيست سفر إبراهام ودينا إلى إيران مرة ثانية لبحث بعض الملفات الساخنة في المنطقة وخاصة المنظمات، التي تشن عمليات ضدها من الدول المجاورة..بعد أن اشتد عودها مستمدة قوتها من جميع العالم الإسلامي...

هبطت طائرة دينا وإبراهام في مطار طهران مباشرة..واستقبلا بحفاوة بالغة، ومن ثمَّ نقلا إلى فندق هاروت..وفي المساء استقبلهم أية الله مهدي..

تقدمت إليه **دينا** مصافحة: كيف حال الإمام...؟

مهدي: أهلاً دينا...ثم مدَّ يده إلى إبراهام: ها..كيف حالك..؟

إبراهام: بخير يا مولاي..

مهدي: وكيف حال أبيك..؟

إبراهام بصمت: لقد مات...

مهدي بعنجهية: الحمد لعلي..

رفع **إبراهام** رأسه إليه مستغرباً كلامه..لكن مهدي عاجله: لقد قتله علي وانتقم منه..!!

نظر إليه وقال في نفسه: وما علاقة علي بذلك..لقد قتلناه بأيدينا..ولم يكن علي معنا..ولا شارك في قتله..قبحكم الله..

أشار مهدي إليهما بالجلوس...عاجلته دينا بالكلام: سماحة الإمام..نحن نعاني

كثيراً من المنظمات الإرهابية على حدودنا كما أخبرناكم سابقاً. .وقد جعلوا حياة المستوطنين جحيماً لا يُطاق. .وقد رأت دولتنا أنكم خير من يساعدنا في حلِّ هذه المعضلة. .فاتصالاتكم واسعة مع كل الأطراف. .

هزَّ مهدي رأسه وبدأ يهمهم: لقد أخبرتمونا بهذا قبل عدة أشهر، ونحن لم نقصِّر في هذا المجال أبداً. .ولكن لا بأس عندنا حلول جذرية ستزين آثارها قريباً. .

دينا: شكراً لسماحتكم. .

التفت مهدي إلى إبراهام: كيف حال هايدي. .؟

شعر **إبراهام** بشيء في نفس مهدي نحوها فعاجله بجواب يقطع عليه الطريق: ستتزوج قريباً. .!!

اندهش مهدي لما سمع: وبمن ستتزوج. .؟

أشار إلى زوجته: بشقيق دينا. . .

مهدي بصمت: أحسنت الاختيار. . .أفضل من ناصبي. .!!

إبراهام: عفواً يا مولاي. .

مهدي: لا شيء. .

دينا: وما خطواتكم في طلب حكومتنا. . .؟

مهدي: ستصلكم الأخبار بشكل عملي قريباً. . .وبلّغي تحياتي إلى جميع أعضاء الكنيست والحكومة. .

دينا: شكراً لسماحتكم. .وشكراً لأنكم خصصتم لنا جزءاً من وقتكم الثمين. .

مهدي: لا عليك. .فأنتِ مرحّب بكِ في أي وقت. . .ثم نظر إلى إبراهام وتبسم في وجهه: وأنت أيضاً مرحب بكَ. .ثم قهقه ضاحكاً. .!

* * * *

عادت **هايدي** بعد ثلاثة أيام قضتها في منتج البحر الميت برفقة حبيبها مزراحي. .ولما وصلت إلى شقتها. .تسمّرت أمام الباب لبضع دقائق. .وبدأت يداها

بالارتعاش. .فما كان من مزراحي إلا أن أخذ المفتاح من يدها وفتح الباب: تفضلي يا حبيبتي. .

تقدمت خطوة من الباب، ثم تراجعت وامتلأت عيناها بالدموع وراحت تبكي بصمت. .

ضمها مزراحي إلى صدره: تجلدي. .فأمسك بيدها ودخل معها. . .راحت تتأمل الشقة، فأخذ خيالها يصوّر لها حياة الماضي. .فتصورت أباها جالساً على كرسيه. .يشير إليها لتطعمه. . .ثم خطّت خطوة أخرى. .فتمثل لها جالساً في الشرفة. .فلم تتمالك نفسها فخرجت من الشقة على عجل. .وسقطت غلى الأرض بعد تعثرها بالباب. .

أسرع مزراحي إليها واعتنقها: ما بك. .؟. .

هايدي: لا أطيق البقاء في البيت فأبي في كل مكان. .وإن بقيت هنا سأفقد عقلي. . .

مزراحي: وما العمل. .هل أبقى معك. .؟

هايدي: لا. . .أريد أن أذهب إلى بيت مصطفى. .

مزراحي: هيّا بنا إذن. .

وما إن وصلا حتى رأى إبراهام حالتها. . .فاعتنقها مخففاً عنها حزنها. .

مسحت عينيها: لا أستطيع البقاء في البيت. .

سمعت **دينا** قولها: معك حق. .وأنا معك في ذلك. .عليك أن تنامي عندنا بضعة أيام. .ثم نستأجر لك شقة أخرى. .

قاطعتها: وبأثاث جديد. .لأن كل قطعة في البيت تذكرني بأبي. .

دينا: لا عليك سأجدد لك بيتك. .وأجلب لك خادمة لتخفف عنك وتخدمك. . !

بعد أن سمعت كلماتها. .استعادت بعض توازنها، وبدأت تعود إلى طبيعتها. .ثم

وضعت جوزيف في حضنها وبدأت تداعبه وتقبله...

نظرت **دينا** إلى زوجها فرأته يلمز إليها بعينه...ففهمت قصده ثم التفتت إلى هايدي: حبيبتي هايدي..أنت الآن على وشك الزواج..وحسب علمي أنك تملكين مالاً كثيراً، وأنا سأستأجر لك شقة وأقوم بتأثيثها..!!

فلم تدعها تكمل كلامها، بل نظرت إلى أخيها..فرأته مطرقاً برأسه: لا بأس أنا سأتكفل بكل شيء...فرفع رأسه وتبسّم في وجهها ولم ينبس ببنت شفة..

* * * *

شعر **آية الله أحمد المرشدي**، بأن حركة التشيع بدأت تنحصر ضمن مناطق محدودة...فالأقراص المسجلة في كشف زيف مذهبهم اقتحمت البيوت، وبدأت الصورة تتضح أمام الناس...مما دفعه إلى وضع خطة للنهوض بدعوته مجدداً، فالتقى مع مساعديه في شقته بالسيدة زينب..

كان الاستياء بادياً على وجوه الجميع..لخشيتهم أن يفشلوا في مهمتهم..وبذلك تكون نكسة كبيرة لدعوتهم..فقال لهم: أنا أشعر بالأسف؛ لأننا بدأنا نفقد بريقنا في سوريا..وهذه مصيبة كبيرة حلّت بنا...

آية الله سعيد الطبطبائي: لو أرسلنا إلى إمامنا فأعلمناه بما يجري..

آية الله أحمد: لقد فكرت في هذا الأمر، وأرى أن أسافر بنفسي إلى طهران، والتقي به هناك..فربما يكون عنده اقتراحات تفيدنا في مهمتنا..

سعيد: وماذا بيده أن يفعل..لقد قدّم إلينا المال والنساء..ولا أعتقد أن هناك حوافز للبشر أكثر من ذلك..؟

أحمد: نعم..أنت على حق...لكن الإمام يأخذ علمه ونوره من الأئمة الأطهار..ولن يتخلوا عنا..ولا بد من وجود حلٍّ عندهم..!!

سعيد: عليك أن تسافر إليه..وتقتبس منه ما ينير طريق دعوتنا..

أحمد: لا أجد في الوقت الحالي غير هذا الحل..وعلينا أن نجهّز تقريراً مفصلاً حول عملنا..وأن ندعمه بأشرطة تسجيل النواصب ضدنا..

سعيد: كل شيء جاهز...

أحمد: على هذا فما عليَّ إلا أن أسافر غداً..

سعيد: بحماية علي وآله..

* * * *

هبطت طائرة **آية الله أحمد** في مطار طهران، وتوجه من فوره لمقابلة آية الله مهدي...فدخل إليه وجلس بالقرب منه، بعد أن قبّل يده..وبدأ يشرح له أوضاع الشام وما آلت إليه الأمور..

تغير وجه مهدي وملأه الغضب: وماذا كنتم تفعلون..؟...هل كنتم تتنقلون بين أحضان المومسات...وتتركون الكلاب يسرحون ويمرحون بين الناس..ولا تحركون ساكناً..لقد أمددناكم بكل شيء..حتى النساء اللواتي دنسهن أولئك السفلة..وتأتيني اليوم لتخبرني بفشلكم..!!

آية الله أحمد: مولاي ليس المال والنساء فقط من يصنع الدعوة..هناك الفكر أيضاً..!

قاطعه: وأين أنتم..ألا تملكون فكراً تواجهونهم به..؟

أحمد: مولاي..نحن نحفر بحفرة عميقة، عمرها أكثر من ألف سنة..صُبَّ فيها أفكار وعقائد مخالفة لنا ولشيعتنا..فكيف نستطيع أن نمسح ركام الماضي بحفنة من المال أو ببعض فروج النساء..!!

مهدي: لقد خيبت ظني فيك...كان عليَّ أن أختار من هو خير منك..

أحمد: مولاي..الأمر عائد إليكم..لكن أقترح أن تسمع وتقرأ ما أتيناك به، وبعد ذلك احكم علينا أو لنا..ونحن في النهاية شيعتك وسيف بيدك...

تناول مهدي منه التقرير والتسجيلات..ثم التفت إلى آية الله محمد الطوساني: اطّلع على ما فيها وقدم لي تقريراً مدعوماً برأيك..

وما إن رأى أحمد تصرفه حتى قال: مولاي..!!

مهدي: اخرس... فهذا موضع سري... وذو عقل لا يخذله..

التزم أحمد الصمت: أمرك يا مولاي...

مهدي: اذهب إلى بيتك وانتظر أمرنا..

غادر أحمد القاعة بخطوات ثقيلة.. فما سمعه من تأنيب كان كبيراً جداً.. لم يعتده من قبل..

* * * *

انتهى **آية الله محمد** الطوساني من تقريره حول الأوضاع في الشام.. بعد يومين من التدقيق والاستماع لما ورده فيها...

أخذ **آية الله مهدي** ميرزا نظارته وتناول التقرير... وبعد دقائق.. وضعه أمامه على الطاولة، ونظر في وجوه قيادته.. وسألهم: ماذا ترون..؟

آية الله محمد: لم أجد أي تقصير عند عاملنا في الشام.. والنكسة ما كانت لتقع لولا تحرك شيوخ النواصب في تضليل الناس وإبعادهم عن الحقيقة..

شعر **آية الله أحمد المرشدي** بالارتياح، وقال في نفسه: لقد قلت خيراً... أطال الله بقاءك..

مهدي: أعطني خلاصة القول.. فلسنا في قاعة تصفية الأجواء... نحن دولة ونتعامل بالأرقام والوقائع..

آية الله محمد: صدقت... وأرى يا مولاي أن يتكفل بهذه المهمة رئيس المخابرات باقر آبادي.. فهذا أوان عمله...

نظر مهدي إلى باقر.. فوجده يهزُّ رأسه مؤيداً لما اقترحه محمد.. ثم أعاد نظره إلى محمد: هل انتهيت..؟

محمد: هناك أمر آخر..

مهدي: هيّا تكلم...

محمد: نرسل وزير خارجيتنا إلى دمشق... ليحدث المسؤولين عما نلقاه، من هجوم فكري وحقد مذهبي على رجالنا هناك...

مهدي: الأمر لا يستحق ذلك.. فباقر يكفي لهذه المهمة.. فلا وقت لدينا

للمجاملات الدبلوماسية. . .ثم سأله: هل هناك شيء آخر. . .؟

محمد: هذا ما عندنا في الوقت الحالي. .

التفت إلى باقر: قم بعملك يا باقر. .

باقر: أمرك يا مولاي. . .

ثم طلب من **آية الله محمد** أن يتابع الأمور عن كثب، وأن يزوده بالمستجدات أولاً بأول. .ثم اتكأ على عكازه. .وانطلق مغادراً . .

وما إن خرج حتى تقدم **آية الله أحمد** من محمد واعتنقه: لقد كنت نِعْمَ المعين لنا. .

محمد بازدراء: ما فعلت إلا ما أملاه عليَّ ضميري وواجبي. .ولولا أني علمت أنكم صادقون في تقريركم ما رأيت مني هذا الموقف. . .

فما كان من أحمد إلا شكره وانصرف. .لكن أحمد قال له: سترافق باقر أثناء عودتك. .

أحمد: أنا جاهز منذ الآن. . .

* * * *

لم تتوقف الزيارات بين تل أبيب وطهران. .فتصاعدت وتيرتها على مر الأيام والشهور. .حتى غدت على جميع المستويات الاقتصادية والثقافية والدينية إضافة إلى العسكرية. . .فأتيحت لهم حرية بناء الصروح الاقتصادية والزراعية والثقافية. .وازداد الدعم العسكري بعد أن استعانت إسرائيل بحلفائها في باريس وواشنطن، وبعض الدول الغربية في تزويد الجيش الإيراني بقطع الغيار والقذائف. .وتوِّجت تلك العلاقة بالتعاون الكيميائي. .فزودت إيران بغاز الخردل. .وتعاونت معها على صنع صواريخ بالستية، تستطيع حمل رؤوس نووية بعيدة المدى. .

كان كل ذلك يتم بسرية وتكتم شديدين. .ولكن فقاعاته بدأت تظهر هنا وهناك فاضحة هذا التعاون. .لكن الغطاء الدولي بالرعاية الإسرائيلية، حال دون انتشاره على نطاق واسع. .واكتفت وكالات الأنباء بإيراد بعضٍ من تلك العمليات، دون تعليق. .

* * * *

نهاية جولة

عاد أحمد ومعه باقر إلى دمشق، وتوجها من فورهما إلى مقام السيدة زينب، ليقدما طقوس الزيارة..ثم استضافه أحمد في شقته الفخمة، المطلّة على صحن المقام...

بعد أن أخذا قسطاً من الراحة اجتمعا ومعهما سعيد الطبطبائي..وأخذوا بدراسة الأوضاع من بداياتها الأولى...ولفت انتباه باقر شيء أفقده هدوءه: هناك ثغرة في عملكم..!!

أحمد: عن أي ثغرة تتكلم...؟

باقر: أجد تحت يدي أوراقاً تفيد بأن عدداً من فتياتنا قد ارتددن عنا..

أحمد: نعم..كان هذا في العهد القديم..أيام عباس..

عقد باقر بين حاجبيه: أتقول في العهد القديم..وكأنك تتحدث عن مئات السنين..!!

أحمد: لا أقصد ذلك..

باقر: هل تعرفون عنوانهن..؟

أحمد: نعم إنهن يأتين أحياناً إلى مدرسة النواصب..ليقدموا لهم عنا وقائع شيعتنا..

باقر: وكيف سمحتم لهن بالارتداد..؟

أحمد: وهل بيدنا شيء نفعله...!!

ثار باقر غاضباً: لقد أعطيتم عدونا فرصة ذهبية للتشهير بنا...كان عليكم إعادتهن إلى صفوفنا وبكل الوسائل..

أحمد: قلت لك قد تمَّ ذلك منذ سنوات..وهنَّ الآن متزوجات وإحداهن قد

أنجبت..

باقر: أتعلم ما هذا الهراء..؟

أحمد: فَرْجٌ اُغتصب..

باقر: يا أسفي لقد خيّبتم ظن الإمام بكم..كان عليكم أن تعملوا كي لا تصل الأمور إلى تلك الحالة..!!

أحمد: الخطأ يتحمله عباس منذ البداية، ولولا أنه استسلم لشهوته على حساب دعوته..لما طلبت الفتيات النجدة من عدونا..

باقر بغضب: هذا الكلب الأخرق..قد أفسد علينا عملنا..والذي أخشاه أن تصيب العدوى بقية فتياتنا..

أحمد بلغة الواثق: لا تخش ذلك...

باقر: وما الذي جعلك مطمئناً..؟

أحمد: لأن فتياتنا لا وقت لديهن...

تناول الجميع طعام العشاء، ثم دخل باقر إلى إحدى الغرف وأخلد إلى النوم..وقبل مغادرته في الصباح الباكر إلى طهران..أصدر أوامره بما يتوجب العمل به...

أجابه أحمد: ستسير الأمور على ما يرام..

باقر: سيصلكم دعمنا غداً..

* * * *

استيقظ الدكتور شاهر مبكراً، وأيقظ ابنه فؤاد الذي كان نائماً بجانب السرير كعادته كل يوم، وخرجا معاً إلى الصالون، وما هي إلا لحظات حتى خرجت يسرى تمشي نحوهما بتمهل وسكينة قد غلب على عينيها النعاس: أرك مستيقظاً باكراً هذا اليوم..

شاهر مبتسماً: لقد رأيت هذا اليوم حلماً جميلاً جداً..

شعرت **اعتدال** بالسرور: على غير العادة..هل فارقك الكابوس..؟

شاهر: أتمزحين..؟..لقد رأيت نفسي في ساحة كبيرة جداً، والثلج غطى كل مكان، الجبال والوديان والأشجار وسطوح المنازل...وأنا أقف وسطها أنظر إلى جمال منظرها، ثم رفعت رأسي إلى السماء فرأيتها زرقاء صافية، فاستغربت فقلت في نفسي: كيف الثلج يغطي كل مكان والسماء صافية..ثم استيقظت وأنا مرتاح جداً..

اعتدال: الثلج يدل على الخير..وصفاء السماء يدل على ذلك أيضاً..!!

ضحك من قولها: لقد سبقت ابن سيرين في تفسير الأحلام..!!

اعتدال: الأمر ظاهر ولا يحتاج إلى تفسير يا عزيزي..فالرؤيا الجميلة تفسر نفسها بنفسها ولا تحتاج إلى عالم ليفسرها لك...

شاهر: هيّا..أنا وفؤاد نشعر بالجوع..ثم استدار إلى ابنه: أليس كذلك يا حبيبي..

أومأ فؤاد برأسه وانطلق ليجلس في حجر أبيه..

بعد أن تناول طعام إفطاره وقف أمام المرأة وصاح على زوجته: اعتدال...اعتدال..

اعتدال: ما بك..؟

شاهر: انظري...انظري..هناك شعرات بيضاء في رأسي..!!

اعتدال بسخرية: لقد شبت وراحت عليك..

كان فؤاد يتابع أباه أثناء ارتدائه ملابسه..فلما انتهى وتوجه نحو الباب، وقف أمام الباب ليمنع أباه من الخروج، وأخذ يصيح باكياً ويدفعه بقوة ليعود..

استغربت الأم فعله فجلس شاهر على الأرض: بابا..أريد أن أذهب إلى عملي..وسأحضر لك شوكولاته..

صاح فؤاد بأعلى صوته: جنازة...جنازة...ميت..!!

استغربت الأم لقوله وارتعدت خائفة وتقدمت إليه: ماما..أي جنازة...؟

صاح فؤاد مرة أخرى، وقد تغيّر لونه ومال نحو الزرقة: جنازة...جنازة...بابا..أبقَ في البيت..!!

تقدم إليه **شاهر** وضمه إلى صدره: بابا عندي عمل في الكلية...ثم نظر إلى زوجته: هل رأى جنازة في التلفاز...؟

اعتدال: فؤاد لا يشاهد إلا الصور المتحركة...

حاول **شاهر** المغادرة، فأصيب فؤاد بحالة هستيرية، وأخذ يدفعه بكلتا يديه وجسده: بابا..جنازة...جنازة..ميت..!!

بعد جهد جهيد جلس الأبوان إلى جانبه، حتى هدأ فانسلَّ شاهر مغادراً دون أن يشعر به أحد..

xxxxx

تسلل مؤيد إلى غرفة ولديه على رؤوس أصابعه، وجلس بجانب السرير بهدوء وأخذ ينظر إليهما بعطف كبير، فلم يتمالك نفسه فاقترب منهما وقبل وجنتيهما بحرارة مفعمة: الله ما أجمل هذه القُبلة...

فلمّا همَّ بالخروج وجد زوجتها خلفه تنظر إليه وتبتسم: بعد زمان على هذه القُبلة..لقد قلت في نفسي مؤيد نسينا..!!

مؤيد بهمس: ومن ينسى روحه...أنتم روحي ومهجة قلبي..

يسرى: ها..وأيضاً غزل...ما هذا التطور..هل أنا في حلم..أقرصني..!!

فما كان من مؤيد إلا أن أخذ بيدها: ابتعدي عن غرفة الأولاد...

يسرى: أنا بحلم ولا بعلم..يا ناس أخبروني..!!

ضحك مؤيد: أنت بعلم..أصمتي لا توقظي الأولاد..

xxxxx

استغرب أفيخاي من نيّة ولده مزراحي الزواج من هايدي، على عكس فيفيان،

التي رحبت به.. مما دعا أفيخاي إلى التدخل ليمنع هذا الزواج الغير المتكافئ..

صرخت فيفيان به: لقد أصبحت خرفاً، ولم تعد ذاك اليهودي الذي أعرفه..؟

غضب أفيخاي وصاح بها: أتريدين تزويج مزراحي من فارسية لا تدين بديننا...؟

أظهرت فيفيان غضبها الشديد: أيها الأخرق..وما أدراك أنها لن تتهود..قد كنت في الماضي القريب خادماً عند أبيها يا بائع الخضار...!

أفيخاي: أتعيرينني بعملي..ألا تنظرين إلى لحمك ولحم أولادك..أليس الخضار هو من صنع لحمكم وشدَّ عودكم..؟

فيفيان: لا والعزير..فبخلك أشعرنا بالذل والهوان طوال حياتنا..أتذكر عندما كنا نأتي بالطعام من بيت هايدي..وكيف كنت تنهم منه كالمسعور..؟

اشتعل أفيخاي غضباً: أتقولين عني مسعوراً..يا بنت الكلب..

شعرت فيفيان أن الأمور تسير نحو التصعيد، فجال في خاطرها أن تداويه بما يحب: أفيخاي أتعلم كم تملك هايدي من المال..؟

وما إن سمع أفيخاي بالمال حتى هدأت حدته وعاد إلى هدوئه، فاستدارت عيناه وأصابه الفضول: كم عندها...كم عندها...؟

نظرت إليه..وتركته بحيرته...لكنه سبقها ووقف بوجهها، وسألها: أرجوكِ أخبريني..

نظرت إليه وأمسكت نفسها عن الضحك، وقالت في نفسها: أيها الخبيث الماكر..عند ذكر المال تبيع دينك وأهلك...

أفيخاي بلهفة وتوسل: تكلمي...

فيفيان: تملك الملايين...

أخذ أفيخاي يفرك كفيه..نظرت فيفيان لفعله، فعلمت ما في عقله..لكنها تركته وانصرفت..!!

بعد ساعة عاد مزراحي من ثكنته العسكرية..وما إن وقعت عينا أفيخاي عليه حتى قبّله: أبني العزيز..وقرة عيني..لقد أصبحت شاباً..

نظر مزراحي إليه مستغرباً فعله المفاجئ:لم أرك في حياتي بهذا الحنان..أخبرني ما الذي جرى..؟

وقفت فيفيان خلف أفيخاي فأشارت إليه أن يجامله..فاعتنقه مزراحي وقبّل رأسه..

ظن أفيخاي بأن حيلته قد انطلت على ابنه، فجلس بالقرب منه، وصاح على فيفيان أن تحضر الطعام..

جلس الجميع على المائدة..فبدأ أفيخاي يغرف له من الطعام ويضعه أمامه..

أصيب مزراحي بالدهشة..فتناول طعامه بهدوء، وراحت نفسه تحدثه: ماذا عندك يا أفيخاي..قد كنت تأخذ الطعام من أمامنا عندما كنا صغاراً..وتطعمنا بعد أن أصبحنا كباراً..إن هذا لشيء عجيب..!!

انتهى الجميع من طعامهم، فأخذ أفيخاي بيد مزراجي، وصاح على فيفيان: الشاي..يا أم مزراحي..

تبسّمت فيفيان في نفسها: أفيخاي بن جدعون..هذا هو منذ عرفته...لا يحب لا نفسه..

لم يعد أفيخاي يحتمل المجاملة، فصبره طال على غير عادته، فالتفت إلى مزراحي: متى ستتزوج يا بني..؟

استغرب مزراحي لسؤاله: من أخبرك...؟

أفيخاي: يا ملعون أتخفي عني مثل هذا الخبر السعيد..؟

مزراحي: وهل عرفت العروس..؟

أفيخاي: أنت تحب هايدي منذ الصغر...أم هناك واحدة أخرى..ها... ؟

مزراحي: نعم هي..

أفيخاي بخبث: علمت أنها تملك الملايين...!!

عرف مزراحي سر اهتمام أبيه به: نعم إنها غنية جداً..ولكن مالها هو مالي..وليس لأحد نصيب فيه..

أفيخاي بذل: ولا أنا..؟

أظهر مزراحي الغضب: ولا أنت ولا أمي ولا أحد من الناس..كفاني فقراً طوال حياتي...لقد سئمت الحياة معك..

لم تستغرب فيفيان كلام ولدها، فقالت بصوت أشبه بالهمس: ابن أبيك..من شابه أباه فما ظلم..وهل يخلّف الكلب إلا الجرو...؟..ثم عادت إلى مطبخها لتتم عملها..

استشاط أفيخاي غضباً: أنا لا أريد أي شيء ولكن حلمي أن أقود سيارة تخصني..

مزراحي بلؤم: لا تتخابث علي..وأخرج ما أخذته من إبراهام طوال السنين الماضية، وما كنزته من عملك..

أظهر أفيخاي العوز: من أين...أنت تعلم البئر وغطاءه...كل شيكل ملكته صرفته على هذا البيت وعليكم حتى أصبحتم كباراً..!!

مزراحي بعصبية: لم نذق لذة الطعام إلا في عهد إبراهام..ولولا أن دينا عرفت طريقها منذ البداية، لكانت الآن تجلس عل فرش الخضار في السوق وأنا أساعدها؛ ولكن انظر إليها الآن، كيف اختارت حياتها..حتى أصبحت من الشخصيات المهمة في المجتمع..!!

غضب أفيخاي: لعنك الله ولعن دينا معك...

فما كان من مزراحي إلى أن دخل غرفته وارتدى ملابسه، وخرج للقاء هايدي..تاركاً أباه يتخبط في أفكاره وطمعه..

* * * *

أصدر **آية الله أحمد** أوامره لإحدى مجموعاته، أن تتحرك للثأر من هزار

وشاهيناز وشيرين.. وبعد استطلاع مكثف.. توصلوا إلى بيوتهن.. فأخذوا يراقبوا تحركاتهن.. فكلّفوا عناصرهم بالبقاء قريبين من المنطقة، واقترح على مساعده قنبر أن يقود المجموعة.. وطلب منه خطفهن..

قرر قنبر أن يكسب ثقة الفتيات.. فبعث عناصره إلى المنطقة بغطاء البائعين المتجولين.. فوقف أمام بيوتهن طويلاً، ينادي ويصيح على سلعته.. لكن خاب فأله.. فأزواجهن.. يقومون بكل خدمات البيت الخارجية.. ولما أعياهم طول الانتظار.. رجعوا إلى **آية الله أحمد**، وأخبروه الخبر فقال لهم: لا بأس انتظروا أوامرنا، ولكن أبقوا قريبين من المنطقة، لحين إخباركم بما يتوجب عليكم فعله...

كانت في نفس الوقت مجموعات أخرى تراقب الدكتور شاهر، والدكتور مؤيد.. وتلحقهما إلى كل مكان.. ولم يكونا يعلمان بما يدور حولهما... فحالة الدعوة كانت تسيطر على تفكيرهما...

بعد أن استكمل قنبر ومجموعاته الاستطلاع، رفع تقريره إلى **آية الله أحمد** المرشدي..

نظر أحمد إلى التقرير.. وطلب من قنبر أن يوافيه إلى شقته بحضور آية الله سعيد الطبطبائي.. وما إن استقروا حتى سأله: أخبرني بكل التفاصيل..؟

قنبر: مولاي.. لم نستطع إخراج الفتيات من بيوتهن.. على الرغم من أننا كنا مستعدين للعملية.. ولم نتصرف إلا بعد سماع توجيهاتكم السديدة...

شعر أحمد بالضيق لهذه الأخبار... نظر إليه سعيد ورأى الحيرة في وجهه، فأراد أن يخفف عنه فسأله: ألا يخرجن إلى المدرسة..؟

قنبر: بلى.. ولكن برفقة أزواجهن.. وبعض الفتيات..

سعيد: هذه مشكلة... ثم لمعت في ذهنه فكرة شيطانية فقال موجهاً كلامه إلى أحمد: عندي رأي يراودني.. وأظنه سيلقى القبول..

أحمد بزهد ولا مبالاة: تكلم..

سعيد: إذا كان خطف الفتيات مستحيل.. فلماذا لا نستعمل معهن طريقة

أخرى..؟

أحمد: وماذا عندك..؟

سعيد: عندي حل رائع...

أحمد بتعجب: أتحفنا به..؟

تقدم إليه هامساً...

أحمد: أحسنت..فكرة رائعة..

سعيد: ويكُنَّ عبرة لغيرهن..

أحمد: أحسنت..أما الدكتور شاهر ومؤيد..فلا بد أن ينفذ فيهما حكم الأئمة..

اعترض **قنبر** بأدب: مولاي..أتسمح لي باقتراح متواضع..؟

ارتسمت على وجه أحمد بسمة خفيفة وقال له مستهزئاً: منذ متى تفكر يا قنبر..؟

قنبر: منذ أصبحت بقربكم وأنهلُ من نوركم..

ضحك أحمد: لقد أصبحت فيلسوفاً أيضاً..!!

قنبر: هذا بعض ما عندكم يا مولاي..فإن خرجت الآن من عندكم، عاد عقلي إلى غبائه القديم..

قهقه أحمد وسعيد لما سمعا وقال له أحمد بزهد: أخبرني ما عندك..؟

أطرق قنبر مظهراً التواضع أمامهما: أرى يا مولاي أن ننسف المدرسة بمن فيها..فإن فعلنا ذلك نكون قد حققنا ثلاثة أهداف معاً..

شعر أحمد بجدية قوله وسداد رأيه: ما هو الأول..؟

قنبر: نزيل المدرسة عن الوجود..أما الثاني: فنقتل الطلاب والمدرسين..وأما الثالث: فنبث الرعب في قلوب الناس، فلا يجرؤ أحد بعد ذلك أن يرسل ابنه أو ابنته إلى المدرسة..

أعجبت الفكرة **آية الله أحمد** وسعيد..فقال أحمد: كنت أظنك أبلهاً...لكنك شيطان مريد لا يُشق لك غبار...

ضحك **قنبر**: هذا بعض ما عندكم يا مولاي...

فما كان من أحمد حتى انقلب على قفاه من شدة الضحك..ثم أعاد جلسته وبدأ يمسح دموعه: جهّز للأمر..وعليك أن تختار عناصرك بدقة..فأي فشل سيؤدي إلى نكسة كبيرة عند إمامنا وعند الناس على حد سواء...ودعني أكون على اطلاع قريب بما سيجري..وانتظروا أوامري لساعة الصفر..

قنبر: حاضر يا مولاي لكن عندي استفسار صغير..هل لنا غطاء بعد ذلك..؟

أحمد : لا تخشَ شيئاً فقد حسبنا لكل شيء حسابه..ولن يصل إليكم أي مكروه..حتى ولو قُبض على أحدكم..

قنبر بسرور ظاهر: لقد أرحتني..!!

قاطعه **أحمد**: لا تفرح كثيراً ولَا تثق في الأمور حتى تحدث...فكثرة الثقة تولد الفشل..ولا تُعطي أحداً أملاً..فتفسد عملك وتتساهل في أمنك..

قنبر: لا يا مولاي...إنما الأمر بيني وبينك...

أحمد: إلى هنا فلا باس..

* * * *

أقام **إبراهام** ودينا حفل زفاف هايدي ومزراحي في قاعة كبرى..واستعانت كعادتها بالخدم والطباخين وصانعي الحلويات..ودعت كبار رجال الدولة..فُضرب حول المنطقة طوق أمني لمسافات بعيدة...وعُلّقت الأنوار وصدحت المغنيات وتمايلت الراقصات...وانتشر الخمر بأيدي المدعوين..واستمر العرس حتى منتصف الليل..فدار الخمر برؤوسهم..فاشتبك هذا مع زوجة ذاك..ودخل الحابل بالنابل...ومع بزوغ الفجر..حمل مزراحي هايدي بين يديه ووضعها في سيارة مكشوفة، وقادها في شوارع تل أبيب..ومن ورائه العشرات من السيارات الفارهة، تعلوها أصوات المنبهات...وبعد ساعة..دخلا أحد الفنادق..وغادر الحضور

مودعين. . . متمنين لهما ليلة هانئة. . .

* * * *

بعد ثلاثة أيام تمكن قنبر ومجموعته من دخول المدرسة ليلاً، مستغلين خروج الحارس لبعض شأنه. . راح قنبر يتجول فيها. . ويختار الأماكن المهمة. . . فدخل قاعة الاجتماعات الكبيرة فقال أحد العناصر: هذه القاعة التي يجتمع فيها الطلاب كل شهر. .

سأله **قنبر**: هل أنت متأكد. . ؟

العنصر: نعم. . لقد حضرت مرة وكانت تعجُّ بالشيوخ والطلاب. .

بدا على وجه قنبر السرور. . فنظر إليها بدقة مستكشف ثغراتها. . . ولما اطمأن لعمله. . شعر بارتياح كبير. . فخرج من القاعة بهدوء. . ولما همَّا بالمغادرة سمعا صرير الباب الخارجي يُفتح، فعادا أدراجهما إلى الداخل واختبئا في إحدى الغرف. . وبقي هذا حالهما إلا أن سمعا شخير الحارس. . . فمشيا بهدوء وفتحا الباب الخارجي وانطلقا. .

استيقظ أبو سعيد صباحاً، فرأى الباب مفتوحاً، فقال في نفسه: يبدو أني لم أغلق الباب بالأمس. . الحمد لله أنني استيقظت مبكراً قبل بدء الدوام. . ثم عاد إلى عمله

* * * *

مع دخول الليل. . التقى قنبر مع أحمد وسعيد وأخبرهما ما دار معه خلال الأيام الماضية. .

سأله **أحمد**: وكيف نعرف موعد خروج الفتيات. .

قنبر: على الأغلب سيحضرن درس الشيخة دعاء الجزائري. . وبعدها سيكون الدرس العام لجميع الطلاب. .

أحمد: أحسنت. . لكن ألا ترى صعوبة التنفيذ. . وسط هذا الحشد الكبير. .

قنبر: يا مولاي. . سأدخل المدرسة ليلاً وأضع فيها ما أشاء وأغادرها. . وأجلس

وأنتظر حتى تغصُّ القاعة بهم..ثم أرسل إشارتي عن بُعد..ولن ترى لهم بعد ذلك أثراً..وبذلك نكون قد تخلصنا من الجميع بضغط زر واحد...!!

أحمد: لقد أحسنت صنعاً..وليباركك علي...

قنبر: أطال الله بقاءك يا مولاي...هل ننفذ..؟

أحمد: أفعل..

خرج قنبر من عنده فوراً، وأخذ معه اثنين من المجموعة..وراحوا يتجولون في الشارع المقابل للمدرسة..وما إن أحسَّا بخروج أبي سعيد لبعض شأنه..حتى امتطى أحدهم الجدار وفتح الباب..فدخل قنبر وتوجها إلى القاعة فوراً، فوضع في فتحات التهوية عدة أصابع من الديناميت..وتوجه إلى قاعة الفتيات ففعل مثل ذلك..ثم توجه إلى غرفة المدرسين فرآها مغلقة..فنزل تحت السلم ووضع ما بقي معه..ثم وصلهم بجهاز تفجير بتردد واحد..وخرجوا جميعاً قبل عودة أبي سعيد من الخارج...وما إن خرجوا حتى غادروا إلى بيوتهم كل على حدا...

* * * *

مع حلول موعد الدرس العام، فتحت المدرسة أبوابها لمن أراد الحضور من الناس...وما هي إلا دقائق معدودة حتى امتلأت المدرسة بجميع غرفها وقاعاتها...وكان آخر الواصلين الدكتور شاهر والدكتور مؤيد اللذان استقبلا بحفاوة بالغة..

تصدر الشيخان القاعة..وبدأ الكلام الدكتور مؤيد كعادته..

كان قنبر يرقب الأمر من إحدى العمارات المطلّة على المدرسة..وبيده جهاز التفجير..قد وضع يده على زره...منتظراً انتظام الجميع في القاعة...

وما إن سمع الدكتور مؤيد يقول الحمد لله رب العالمين..حتى ضغط على الزر بيد مرتعشة، وعيون محدّقة، وقلب ينبض بسرعة..وما هي إلا واحدة كلمح بالبصر، حتى دوّى انفجار هائل سقطت المدرسة على رؤوس الحاضرين..وتصدّعت الأبنية من حولها، وبدأ الغبار يتصاعد..كصيّب فيه نار طغى على الشمس

ضياؤها. . .وتعالت الصيحات. .وخرج الناس من بيوتهم لنجدة أبنائهم. .وبدأت الأيدي تنتشل الضحايا. . .ورُصفت الشوارع بعشرات الجثث المقطعة والممزقة إلى أشلاء. . .وبعد ساعة من الحادث. .وصلت سيارات الإسعاف. .فمات من مات. . .

كانت يسرى واعتدال أول الواصلين إلى مكان الانفجار. .

مشت **اعتدال** وإلى جانبها فؤاد الذي كان يبكي بحرقة، مائلاً برأسه نحو كتفه، وأخذ ينظر بين القتلى يقلّب وجوههم ويصيح: جنازة. . .جنازة بابا. . .لا تذهب. .جنازة. . .جنازة. .

نظر الجموع إليه وذرفت الأعين لحاله، وحاول الناس تهدأته، لكنه أسرع خطاه نحو أشلاء الجثث. .فلمحت اعتدال من بعيد النصف الأعلى من جسد زوجها، فوضعت يداها على عيني فؤاد كي لا يرى أباه بهذه الحالة. .فما كان من فؤاد إلا أن دفعها بقوة، وركض نحو بقايا جثة أبيه وارتمى عليها: بابا أين يدك. .بابا أين صدرك. . .؟

بكى الناس بحرقة ورفعوه عنه، وهو ينادي بألم المجروح: بابا جنازة. . . .بابا جنازة. .

بكت الأم لحاله وتذكرت كيف حاول منعه الخروج من البيت. .ثم تقدمت إلى يسرى التي كانت تمشي بين الجثث والأشلاء ممسكة بيد طفليها اللذان كانا يبكيان. .فاعتنقتها باكية وقالت: إن لله وإن إليه راجعون. .وجلستا على الرصيف مغبرتان وعلى يديهما آثار دماء القتلى: هل رأيت مؤيد. .؟

نظرت إليها يسرى وفي عينيها دمعات غزيرة: إنه أشلاء ممزقة. .لقد عرفته من ملابسه. .

اعتدال: وأنا كذلك. .كم حاول فؤاد منعه من الخروج هذا الصباح. .وهو يصرخ عليه: بابا جنازة. .

بكت يسرى ووضعت كفيها على عينيها. .ثم غادرتا إلى بيتهما، لكن فؤاد صاح على أمه: سآخذ أبي معي. .

الأم: بابا في الجنة الآن.. حبيبي...

بكى **فؤاد** بكاءً مراً: أريد أن اذهب إليه... أريد أن اذهب إليه..

سحبته أمه من يده لكنه دفعها ليعود.. فما كان منها إلا أن قالت: حسناً... سنذهب إلى البيت وسيلحق بنا..

فؤاد: سيعود من الجنة...

الأم: نعم.. أو سنذهب إليه.. ماذا تريد أنت..؟

فؤاد: أنا... أنا...

الأم: ها.. ماذا تريد..؟

فؤاد: نذهب إليه..

الأم حسناً... هيّا بنا الآن لنتجهز للسفر... فذهب معها وهو يعاود النظر ملتفتاً إلى أشلاء جسد أبيه الممزق..

* * * *

استمر رفع الأنقاض إلى اليوم الثاني.. ولم يسلم منه إلا ذو حظ عظيم.. وفي اليوم الثالث تقدم أحد المنقذين أمام حطام تعثر على المنقذين رفعه.. فسمع صوت أنين.. فصاح: هل هناك أحد... هل هناك أحد..؟

ثم وضع أذنه مكان الصوت.. فعاد إليه أنين خافت.. فصاح بأعلى صوته.. هناك أحياء تحت الأنقاض.. فتسارع الناس يحفرون بأيديهم وأظفارهم، حتى وصلوا إلى الصوت.. فوجدوا امرأة بحالة مزرية.. فرفعوها وأخرجوها ونُقلت إلى المستشفى على الفور... وبعد أيام سألها الأطباء عن اسمها..؟

فقالت بضعف شديد: دعاء الجزائري..

الطبيب: الحمد لله على سلامتك.. لقد نجوت بأعجوبة..!!

أشارت دعاء بإصبعها إلى السماء: إنه الله.. إنه الله..

الطبيب: ونِعْمَ بالله.. وأخبر أهلها بتحسن حالتها: الحمد لله تعدّت مرحلة

الخطر؛ لكن اضطررنا إلى بتر ذراعها..بسبب تمزقها الكبير أثناء وجودها تحت الركام..

فما كان من الأهل إلا أن حمدوا الله تعالى على ذلك..وجلسوا إلى جانبها مخففين عنها ألمها..

نظرت إليهم بعينين دامعتين ووجه أصفر: ما هي أخبار الدكتور شاهر والدكتور مؤيد والطلاب..؟

خيّم الصمت على الجميع...ولمّا لم تسمع جواباً..أمسكت بيدي أبيها وقالت بصوت هامس: يا أبت..

فما كان من أبيها إلى أن أبعد وجهه عنها: اسألي عن نفسك الآن يا بنيتي..!!

أعادت دعاء كلامها: يا أبت..أخبرني...

أطرق الأب صامتاً..فنظرت في عينيه، فرأته يغالب دموعه..فبكت لبكائه: لقد فهمت الآن...ثم أجهشت ببكاء شديد، مزّقت قلب والديها..حتى الطبيب لم يتمالك نفسه فخرج من غرفتها بخطوات سريعة خشية أن ترى دموعه، فتضعف قدرتها..وجلس في غرفته، وأوصد الباب من خلفه..وأطلق لنفسه عنان كبتها وأخذ يبكي...ويبكي..حتى تورمت عيناه..فوضع رأسه على الطاولة..وأعاد إلى نفسه ثقتها وهدأ من روعها...واستمر هذا حاله لأكثر من ساعة..ثم غادر الغرفة متفقداً من بقي حياً...

وبعد أربعة أيام من الحادث..خرجت دمشق على بكرة أبيها لتشييع القتلى..يتقدمها أشلاء الدكتور شاهر والدكتور مؤيد اللذان وضعا في تابوت واحد..يحيط بها جمع غفير من الناس...فرفعوهما على أصابع الأيدي..وأبو هاني وأبو زيد وبقية التجار يرددون: لا إله إلا الله والشهيد حبيب الله...لا إله إلا الله والشهيد حبيب الله...حتى واروهما الثرى..وافترش جسماهما الحفرة..وانهال عليهما التراب..فما كان من أبي زيد إلا أن ارتمى على قبريهما يقبل الأرض ويبكي بكاء الثكلى..حتى بلل بدموعه التراب..فأخذ بيده أبو هاني واحتضنه باكياً..وسار

به خارجاً مخففاً عنه مصابه.

وهما في حالتهما تلك اقترب منهما الشيخ هاشم رمضان، قادماً من الميادين لحضور تشييع القتلى فعانقه باكياً: هون عليك يا أبا زيد، ألا تعلم أن هذه الدنيا كمركب يسير في نهر يركبه الجميع، فالسفر واحد والوجهة واحدة، والحفرة ذاتها يستوي فيها الغني والفقير، والنهاية لا تفرق بينهم، فمنهم من يصل إليها قبل الآخر ومنهم لاحق به، فمن زرع في دنياه حصد في آخرته..ونحن في امتحان..الله هو الممتحن وهو المجازي، أرفق بنفسك واعمل لآخرتك واحتسب ما فقدت عنده سبحانه..

نظر إليه أبو زيد بعينين دامعتين: إنا لله وإنا إليه راجعون...إني أحتسب عندك ما فقدت..

الشيخ هاشم: أحسنت يا أخي..فهذا ما ينتظره الله منك..

* * * *

نشرت وكالات الأنباء أخبار الانفجار..وعزت السبب إلى قوارير الغاز التي خُزِّنت بشكل سيء، ولم يُراعَ فيها حالات السلامة العامة...وغدا الناس يتساءلون عن صحة ما سمعوا...فانقسم الناس بين مصدق ومكذب لها...لكن التعتيم الإعلامي وقف سداً منيعاً في معرفة الحقيقة..

وما إن سمع أهالي طلاب المدارس في المحافظات الأخرى هذه الفاجعة، حتى منعوا أبناءهم من إتمام دراستهم..فانخفض عدد الطلاب...ولزم الناس بيوتهم..وهم مدركون حجم المأساة التي حلّت بهم..لكن الخوف من المجهول، دفعهم إلى اختيار الأمان والسلامة لأنفسهم، على حساب الدين ونصرته...

* * * *

أجر الجاني

شعر **آية الله أحمد** بالظفر بما حققه من نجاح...وخاصة عندما وجّهَ أصبع الاتهام إلى قوارير الغاز..فأخرج من حقيبته رزمة كبيرة من المال، وألقى بها إلى قنبر: هذه لعناصرك...ثم أخرج أخرى: وهذه لك...

تناول قنبر المال على عجل: أشكركم يا مولاي...هذا واجبي..!!

سأله **آية الله أحمد**: تمنّى عليَّ يا قنبر..فوحق العباس لن أرفض لك طلباً..

قنبر: مولاي...مولاي...

أحمد: تكلم...ولا تخف..إنك بأمان، وطلبُك مجاب على الدوام..

قنبر: أحب فتاة من شيعتنا..فلو..ثم سكت..

أحمد: وأين هي..؟

قنبر: عندنا..وقد أتت قبل شهر...

أحمد: ما اسمها...؟

قنبر: لا أعرف يا مولاي..ولكني رأيتها في بيتك عندما وصلت من قم...

ضحك **أحمد**: بلى...بلى..لكنها الآن متزوجة...

ظهر على وجه قنبر الحزن...لكن أحمد عاجله: والعباس لن أخيّب ظنك..أذهب الآن إلى بيتها وأحضرها إلى هنا...

شعر **قنبر** بفرح عارم..فتوجه إلى شقتها وطرق الباب..فخرج إليه زوجها: ماذا تريد..؟

قنبر: السيد يريد زوجتك بشيء هام..

الزوج: أمر مولانا ثم طلب من زوجته أن تخرج إليه..

نظر **أحمد** إلى الزوجة ووجه كلامه إلى الزوج: نريد زوجتك ليعقد عليها

قنبر..

الزوج: لكن يا مولاي مازال عقدي سارياً حتى الأسبوع القادم..!!

أحمد: لا يهم فأخوك قنبر مضطر لهذا الزواج فقد شغفته حباً..

الزوج: ألا يستطيع الانتظار لحين انتهاء عقدي..؟

نظر **أحمد** إلى قنبر..فرأى الرفض في وجهه: لا..نريدها الآن..فهل ترفض..؟

الزوج: لا..هي لكم..

نظرت الزوجة إلى الجميع وكأن الأمر لا يعنيها..ثم وجّهت كلامها إلى أحمد: لكن يا مولاي..عليَّ طهر..!!

أحمد: لا يهم فأنا السيد..وأنا أقول لك لا بأس..

أذعنت الفتاة إلى طلبه وعقد لها على قنبر، الذي شعر بنفسه يطير من الفرح، فحملها بين ذراعيه وصعد بها إلى غرفته في الفندق..وهي تضحك وتتغنى بميوعة وغنج..

ولما أغلق عليها باب الغرفة أخرج من جيبه كيساً صغيراً...

نظرت إليه الفتاة: ما هذا يا قنبر..؟

رمقها بعينيه دون أن يرد عليها ووضع الهيروين على ظهر كفه واستنشقه بقوة ثم رجع إلى الخلف وقال لها: هلمِّ إليَّ..

الفتاة: هل هذا مخدرات...؟

قنبر بسعادة: نعم..تعالي فجربيه وستكون ليلتك أجمل ليلة في الدنيا..

الفتاة بخوف: لا..يكفي أن تكون أنت سعيداً..!

قنبر بإصرار: جربي ولو شمّة صغيرة..وستجدين نفسك في إيران..وأمريكا...ثم أخذ بالضحك..وارتمى عليها وبدأ ينزع عنها ملابسها بقوة وشهوة عارمة..فانتابها الخوف..لكنه عاجلها بالعناق والتقبيل...

في اليوم الثاني جلس **آية الله أحمد المرشدي** في مقام السيدة..ينظر إلى الناس ويتأمل النساء أثناء طوافهن...وبعد فترة اخترق الصفوف رجل وهمس في آذنه...فتغير وجهه: أنت متأكد..!

الرجل: نعم..

خرج أحمد سريعاً وتوجه إلى غرفة **قنبر** وطرق عليه الباب، ودخل إليه: لقد وصلني الآن أن هزار وشاهيناز وشيرين أحياء...

قنبر: كيف هذا..؟.. كان عليهن أن يحضرن الدرس...!!

أحمد: عليك أن تتأكد بنفسك هذا اليوم، وتأتني بالخبر الصحيح..

قنبر: حاضر يا مولاي...ثم ارتدى ثيابه وتوجه إلى مكان سكناهم، وصار يسأل الناس: عن المصابين في الشارع..وبعد أن تأكد من سلامتهم، عاد إلى أحمد وأخبره الخبر..

أحمد: عليكم بالتنفيذ فوراً...حسب خطتنا الأولى..

قنبر: حاضر يا مولاي..فأحضر عناصره ووضع أمام بيت كل واحدة منهن عنصرين...

* * * *

طلبت شيرين من حسان أن تزور هزار، فأذن لها..فارتدت ثيابها ووضعت حجابها ثم خرجت من بيتها بخطوات هادئة...

وما إن وقع عينا العنصرين عليها، حتى سارعا إليها، وقذفا على وجهها حمض الكبريت، فصاحت بأعلى صوتها..واختفى العنصران بين الناس وعادا إلى قنبر ليخبراه بما حققاه..

خرج حسان من بيته على أصوات الناس..فوجد زوجته جالسة على الأرض تصيح من الألم فحملها بسرعة إلى أقرب مستشفى، وبعد الإسعافات الأولية..تقدم الطبيب إلى حسان وقال له: الحمد لله الإصابة بسيطة، بعض الحروق في الوجه والكتف...ثم أضاف: لولا حجابها لكانت الإصابة أكبر..ولكن لا تخف فالطب

يستطيع أن يغير حالها بعملية تجميلية.. وتعود إلى طبيعتها...

عرف حسان أن هناك هجمة على زوجته وصديقتيها.. فأخبر وائل وعماد بما جرى.. ليأخذا حذرهما.. فأخبرا الأهالي المجاورين لهما بمراقبة الغرباء... فما كان من العناصر إلا المغادرة، وأخبرا قنبر بما جرى... فاكتفى أحمد بما فعل وقال له: هذه تكفي الآن، وستكون رادعة.. ريثما تهدأ الأحوال وتعود الأمور إلى طبيعتها...

* * * *

دعـاء أمام العلمـاء

تحاملت دعاء على نفسها وصبرت على ألمها، عندما سمعت بدء أعمال المؤتمر الإسلامي في قطر. . طلبت من أبيها وأمها أن يساعداها على النهوض. .

سألها أبوها: إلى أين. . ؟

دعاء: أريد أن أسافر إلى قطر. .

الأب: وماذا عندك في قطر. . ؟

دعاء: أبي هناك مؤتمر إسلامي. . وعليَّ أن أذهب إليهم وأشرح لهم حال بلادنا وما تعرضت له. .

الأب: يا بنية. . دعي الأمر وكفاك ما أصابك. . . !!

دعاء: ليتني استشهدت معهم. . فلا خير في الحياة بعدهم. . ولن أقف مكتوفة اليدين، ثم نظرت إلى مكان يدها المبتورة وبكت. . . سأسافر إلى المؤتمر ولو حبوت على الأرض حبواً. . . ثم أجهشت بالبكاء، ومشت بخطوات بطيئة نحو الباب. . فرآها الطبيب فحاول منعها. . لكنَّ إصرارها وعنادها حالا دون ردعها عن قرارها. . . فأخذت جواز سفرها، وتوجهت إلى السفارة القطرية، التي قدّرت حالتها واتصلت بالمسؤولين، فأرسلوا لها بطاقة زيارة. . فاستقلت الطائرة. . . وما إن وصلت حتى توجهت من فورها إلى مقر المؤتمر. . فطلبت الدخول، لكن الحرس منعها. . وتحت إصرارها. . استأذن رئيس الحرس لها من رئيس المؤتمر فأشار له بالموافقة. . .

دخلت القاعة بخطوات بطيئة وعلى وجهها آثار رضوضٍ زرقاء. .

خطفت إليها أنظار الجميع. . . وتوجهت من فورها نحو المنصة، والجميع في دهشة من أمرها لجرأتها وثبات خطوتها. . . فما كان من رئيس المؤتمر إلا أن يدعها تلقي كلمتها. .

وقفت وراء المنصة، وتأملت الحاضرين بعينين دامعتين مرهقتين، وقالت: إخواني علماء الأمة..ربما سمعتم ما أصاب علماء الشام وطلابها قبل أسابيع من الآن...

تجهّمت الوجوه وارتفعت الأعناق وتركزت عليها الأعين..ثم استمرت بالكلام: المسلمون الآن ينظرون إليكم في كل مكان، ينتظرون أن تخرجوا بقرارات تفيد أمتكم...

لكن غاب عنكم أكثر الأمور أهمية، إنها الشام..هذا البلد الطاهر الذي ضمَّ في جنباته قبور مئات الصحابة رضوان الله عليهم..وهو الآن يتعرض لهجمة شرسة من ألد أعداء الإسلام ضراوة..

يريدون أن يغيروا معتقدات الأمة..ويستبدلوها بالرذيلة والضلال وضياع الفضيلة..

سادتي العلماء: إن الشام إذا ضاع...ضاع وراءه كل شيء..

لقد تركتم الشام وأهله منذ سنوات..على الرغم من التحذيرات التي أرسلها لكم علماؤنا في الفترة السابقة..ولم تحركوا ساكناً أمام تلك الهجمة..بل اكتفيتم بالشجب وبتوصيات لم نجد لها أي أثر على ساحتنا أو ساحة العالم الإسلامي..

فمتى يا سادتي تقفون عند مسؤولياتكم، التي ستلقون الله وتسألون عنها..؟

هل سيفيدكم الشجب أمامه سبحانه..أم ماذا ستقولون له عندما يسألكم عن الشام وأهله وعن عشرات القتلى، وعن علمائكم الذين قضوا تحت الأنقاض، وأُخرجوا أشلاء لا نعرف الرأس من الجسد، ولا القدم من اليد..؟

لقد مزّق أعداء الإسلام أجساد علمائكم وبناتكم وأولادكم..وهم الآن يفركون أيديهم فرحاً وغبطة بما حققوه من إنجازات ضد الإسلام وأهله..

سادتي: إن الباطنية تزحف نحو بلادكم الآن، فإن لم تسارعوا إلى بناء جسور العلم، وتحصّنوها بعقيدة الإسلام القويم...فستجدون أبناءكم وبناتكم على أبواب مواخيرهم، يستحلون الزنا تحت مسميات المتعة وشريعة آل البيت.

فمن لم يكن أهلاً للدفاع عن عرضه ودينه...فليترك هذا المجلس، ولينتظر

موعده مع الباطنية البغيضة، مع أحفاد ابن سبأ. .وماني ومزدك وزردشت. .

وأخيراً أقول لكم. . .استيقظوا من سباتكم أيها العلماء. .وضعوا الأمور في نصابها الصحيح. .فوالله الذي لا إله إلا هو لئن لم تفعلوا، ليصيبنكم الله بقارعة من عنده، لا يرد بأسها عنكم، ولا عن أعراضكم. .

واعلموا أن العالم حبلى، وسيلد الإسلام بكم أو بغيركم. .ثم تمثلت ببيتي شعر لها فقالت:

أفيقوا أفيقوا حماة الوطن فدين الجدود بأيدي العجم

بدين التشيع تبلى القيم أباحوا الفساد وباعوا الحرم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. . .

ثم نزلت عن المنصة بخطواتها الهادئة كما صعدت. .وتوجهت من فورها نحو باب القاعة، مطرقة برأسها إلى الأرض تغالب دموعها الغزيرة. . .وخرجت دون أن تسمع من أحد أي كلمة. . .

* * * *

استمرت **دينا** في كفاحها السياسي مع زوجها إبراهام. .وعلى الرغم من نظرة الانتقاص ليهود الشرق. .فقد تمكنت بعد سنوات من تشكيل حزبها السياسي (الوطن الكبير). .وجعلت منه حزباً لكل اليهود المهاجرين من الشرق الأوسط وشرق أوربا. .فانتسب له الآلاف منهم. .

وتمكنت من الحصول على الحقيبة الاقتصادية لزوجها إبراهام في الوزارة. . .

وفضّلت البقاء على رأس حزبها، تصنع فيه الساسة لتقدمهم إلى الحكومات المتعاقبة. .

* * * *

بعد تفاقم المد الشيعي والهجمة الدموية على أبناء الشام، وما تعرضت له شيرين من هجوم بحمض الكبريت. .قام زوجها حسان على الفور ببيع بيته والانتقال إلى بيت آخر. .

وكذلك فعل زوجا شاهيناز وهزار. . .

* * * *

ويستمر الصراع بين الحق والباطل

إلى أن تستيقظ الأمة من سباتها، وتشرق شمس الإسلام على الأرض من جديد

- النهايـة -

* * * *

* * *

* *

*

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تمهيد	٥
خلفٌ من سلف	٦
السجن الكبير	٩
أبو زيد وزوجته	١٥
هزار ووائل	٢٢
المفاجأة	٣٠
تقييم الدعوة	٣٨
ميليشيات التطهير	٤١
الهروب من السجن	٥٣
عمليات واغتيالات	٥٩
فاطمة والإمام	٦١
دينا والسياسة	٦٩
إكرام الضيوف	٧٦
الاستطلاع	٨٩
عائلة الملا تاج	٩٢
عباس وبيير	٩٤
الهروب	١٠٣
أحقاد دفينة	١٠٦
ميناء وقدر	١١٠

كشف اللثام ١١٥
سبايا الآيات ١٢٥
بيان الحقيقة ١٣٠
عائشة تسبح في الدماء ١٣٧
فتيات على فراش الآيات ١٤٣
حياة جديدة ١٥١
محاكم الثورة ١٥٧
احتفال وجزاء ١٦٣
هايدي في السفارة ١٦٥
يوم الغفران ١٦٩
خطة الإمام ١٧٩
تنفيذ فوري ١٨٤
دعوة وحصاد ١٨٨
قطف الثمار ١٩١
جزاء الجاني ١٩٤
مكر الإمام ١٩٩
مولود الفطرة ٢٠٩
إرث حكيم ٢١٥
إرهاب في شوارع بغداد ٢٢٠
إسرائيل وطني ٢٣٢
السقوط ٢٣٨
جزاء الجاني ٢٥٧
لقاء دولتين ٢٨٧
هايدي في الكباريه ٢٨٩

الصيد الثمين ٢٩٢
اللقاء المرتقب ٣٠٦
السقوط ٣٢٣
رحمة بذوي القربى ٣٣٣
ميليشيات المقاومة ٣٣٧
نهايـة جولـة ٣٤٧
أجر الجـانـي ٣٦٣
دعـاء أمام العلمـاء ٢٦٧
فهرس الموضوعات ٣٧١

* * *